

اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد

إعداد

محمد سالم الحسين الفزاع

إشراف

الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية

حقل التخصص : اللغويات العربية التطبيقية

١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد

إعداد

محمد سالم الحسين الفزاع

ماجستير في مناهج اللغة العربية وأساليب تدريسها ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٠ م .
قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في تخصص
اللغويات العربية التطبيقية / قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن .
وقد وافق عليها

سمير شريف استيتية مشرفاً ورئيساً

أستاذ في اللغة وعلومها في جامعة اليرموك

فهاد الموسى عضواً

أستاذ في اللغة والنحو في الجامعة الأردنية

عبد القادر الرباعي عضواً

أستاذ في النقد الأدبي في جامعة اليرموك

سلمان القضاة عضواً

أستاذ في اللغة والنحو في جامعة اليرموك

يوسف مسلم أبو العدوس عضواً

أستاذ البلاغة والنقد في جامعة اليرموك

تاريخ تقديم الأطروحة : ٣ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ الموافق ١٢ / ٥ / ٢٠٠٥ م .

١٥٧ ٥٧٥ ٥٥٧

مكتبة جامعة اليرموك
رقم التسلسل ٥٢٩٢٦٨
التاريخ ١١/١٠/٢٧
رقم التصنيف

S
Thesis

PJ

7514

.S266

Z64

2005

جامعة اليرموك - المكتبة



539268



الإهداء

إلى روح والدي الطاهرة ، مع الدعاء له بالرحمة والمغفرة وجنات الخلد .
وإلى من حملني وهنا على وهن ، أمي التي ربتي صغيرا ورعتني ،
وبرضاها أنار الله تعالى السبل أمامي .
وإلى خلاصة عديّ وعشادي واقتسام حلو الحياة ومرها معي ، إلى
زوجي الأولى (أم نبيل) ، وإلى زوجي الثانية (أم وائل) .
وإلى قرر العين وفلذات كبدي ، إلى من لي طلعاقم هزيمة يآسي ، أبنائي : نبيل ،
ونوفل ، ووائل ، وسالم ، وراشد ، وابنتي : نجوى ، ورؤى .
وإلى الأديب العلامة الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد ، قدوة الأجيال .
وإلى أستاذي الفاضل العالم الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية ، النموذج القدوة .
وإلى كل من علمني ولو حرفا واحدا من حروف الحياة .
وإلى وطني الغالي الأردن .
أهدي هذه الأطروحة .

شكر وتقدير

أحمد الله تعالى حمد الشاكرين ، وأثني عليه جل جلاله الخير كله ، على أن أعاني ووفقني على إعداد وإنجاز هذه الأطروحة التي أشرفت على أن ترى النور ، رغم الصعوبات والمعوقات التي تخطيناها بعون من الله تعالى وتوفيقه .

ويطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الخالص والعرفان الكبير من الأستاذ الدكتور العلامة ناصر الدين الأسد الذي به كان الإلهام بفكرة هذه الدراسة ، وعلى تفضله بمساعدتي في توفير الكثير من أبحاثه ومؤلفاته وأعماله الأدبية ، فأهداها إلي مشكورا والسرور مقروء على محياه البهي .

ويطيب لي ، أيضا ، أن أتقدم من أستاذي الفاضل العالم الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية ، الذي تفضل وأبدى موافقته الكريمة على الإشراف علي وعلى أطروحتي هذه ، فأشكره بحرارة على ما قدمه لي من نصائح وإرشادات وتوجيهات ومتابعة حثيثة ومستمرة في كل مراحل هذه الأطروحة ، وأعترف له بالفضل الكبير الذي لن أنساه مدى الحياة ، وله مني خالص الامتنان وعميق التقدير ، فهو الأستاذ الحاني على تلميذه ، وهو العلامة الذي لم يدخر معي جهدا ، وهو الحليم الذي وسعني بسعة صدره وبعلمه الكبير ، ووهبني من علمه الواسع الغزير الكثير ، وخصني بالطويل من وقته الغالي الثمين ، صوب أخطائي وأرشدني إلى الصحيح ، وأحيا

الأمل في نفسي بالمستقبل وأثابه ، وأنا أأمامي سبيلا في العلم ما كنت أراه ، جزاه الله تعالى
عني خير الجزاء .

ويسعدني أن أخص بالشكر الجزيل والامتنان الخالص والعرفان بالفضل والخير أساتذتي
العلماء الأجلاء الأفاضل أعضاء لجنة مناقشة هذه الأطروحة ، على ما تجشموه من عناء وتعب في
قراءتها وفحصها وتقديم نقودهم ونصائحهم وتوجيهاتهم الكريمة التي أفادتني وعلمتني الكثير في
سبل الارتقاء بمستوى هذه الأطروحة ، وهم : الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس ، والأستاذ
الدكتور فهد الموسى ، والأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي ، والأستاذ الدكتور
سلمان القضاة ، وجزاهم الله تعالى عني خير الجزاء .

ويسرني أيضا أن أشكر الصديقين الوفيين ، الأستاذ أحمد فارس والأستاذ محمد البلاسمة ،
على ما قدماه لي من جهد وإسهام ومساعدة خلال الفترة التي كنت أقوم فيها بإعداد
هذه الأطروحة ، ولهما كل الامتنان الخالص والعرفان بالجميل ، وجزاهما الله تعالى
عني خير الجزاء .

أما زوجي (أم وائل) ، فهل تغني الكلمات عن الشاعر في شكرها والاعتزاز والاعتراف
لها بالفضل والجميل والخير الذي كان له دور كبير في كل مراحل إعداد أطروحتي هاته ؟ وهل
تنوب عني الكلمات في إبلاغ الشكر الجزيل والامتنان الخالص والعرفان الكبير إليها على
ما قدمته من جهود وعناء وإسهامات فاعلة في سبيلي وفي سبيل إنجاز أطروحتي ؟ أرجو
ذلك ، وجزاها الله تعالى عني خير الجزاء .

وأخيرا ، كل الشكر والتقدير لكل من قدم رأيا أو مشورة أو أمرا كان
فيه عون على إعداد وإنجاز هذا العمل الأدبي الأكاديمي ، الذي أرجو أن يكون في
المستوى المطلوب ، والحمد لله رب العالمين .

الباحث

محمد سالم الفزاع

المحتوى

الموضوع	الصفحة
الإهداء	جـ
الشكر والتقدير	د
المحتوى	ز
ملخص الأطروحة باللغة العربية	ط
ملخص الأطروحة باللغة الإنجليزية	ل
المقدمة	١
الفصل الأول : ناصر الدين الأسد ؛ سيرة ذاتية	٢٤
أ - المبحث الأول : ناصر الدين الأسد ؛ المولد والنشأة	٢٥
ب- المبحث الثاني : حياة ناصر الدين الأسد التعليمية والثقافية	٤٠
ج- المبحث الثالث : حياة ناصر الدين الأسد العملية	٦١
د- المبحث الرابع : ناصر الدين الأسد ؛ آثاره ومؤلفاته	٧٤
الفصل الثاني : آراء ناصر الدين الأسد في اللغة العربية	٩٥
الفصل الثالث : الخصائص الفنية والأدبية في لغة ناصر الدين الأسد وأسلوبه الأدبي	١٤١
أ- المبحث الأول : اللغة الفنية ؛ تعريف ووصف	١٤٢

ب- المبحث الثاني : خصائص اللغة الفنية في أعمال ناصر

الدين الأسد الأدبية ١٨٩

ج- المبحث الثالث : الخصائص الأسلوبية في أعمال ناصر

الدين الأسد الأدبية ٢٢٥

الفصل الرابع : مستويات اللغة الفنية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ٢٦١

تمهيد ٢٦٢

أ- المبحث الأول : المستوى الصوتي ٢٦٣

ب- المبحث الثاني : المستوى الصرفي والنحوي ٢٧٤

ج- المبحث الثالث : المستوى التركيبي ٢٨٦

د- المبحث الرابع : المستوى الدلالي ٢٩٩

الفصل الخامس : المصطلحات والتعابير الاصطلاحية والسياقية في

أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ٣٠٧

الخاتمة ٣٤٧

فهرس الأماكن ٣٥٢

فهرس الأعلام ٣٥٧

فهرس المصادر والمراجع ٣٦٦

ملخص الدراسة

الفزاع ، محمد سالم ، اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد ، أطروحة دكتوراه فلسفة ، تخصص اللغويات العربية التطبيقية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٥م ، إشراف الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية .

هدفت هذه الأطروحة إلى دراسة اللغة الفنية في أعمال الأديب العلامة ناصر الدين الأسد ، من خلال دراسة نشأته وحياته التعليمية والثقافية والعملية ، والعوامل المؤثرة فيها ، ومؤلفاته ونتائجته الأدبية ، وآرائه في اللغة العربية ، واللغة العربية الفنية الأدبية بخاصة ، ومعايير وخصائص اللغة العربية الفنية الأدبية في النقد الأدبي ، وخصائص اللغة الفنية الأدبية والأسلوب الأدبي البلاغي في نتاجاته الأدبية ، وإلى دراسة مستويات هذه اللغة الفنية (المستوى الصوتي ، المستوى الصرفي والنحوي ، المستوى التركيبي ، والمستوى الدلالي) ، ودراسة المصطلحات والتعابير الاصطلاحية والسياقية ؛ تعريفها وماهيتها وخصائصها الفنية الأدبية وأثرها في لغته وأسلوبه الفنية الأدبية الإبداعية . وتوسلت بالمنهج التحليلي الوصفي والمنهج التكاملي لتحقيق أهداف هذه الأطروحة ، وقسمتها على خمسة فصول ؛ الأول : نشأة ناصر الدين الأسد والعوامل المؤثرة فيها وحياته التعليمية والثقافية والعملية وآثاره ومؤلفاته ، والثاني : في آرائه في اللغة العربية ، والثالث : اللغة الفنية والأسلوب الأدبي : المعايير والخصائص والسمات والمميزات الفنية والأدبية ، والرابع : دراسة مستويات هذه اللغة الفنية والأدبية ، والخامس : دراسة المصطلحات والتعابير الاصطلاحية والسياقية في نتاجاته وأعماله الأدبية . كانت حياته الأدبية حافلة بالمؤثرات الذاتية والبيئية ، حيث

انعكس ذلك على معارفه وخبراته وتصورات ، مما أدى إلى تميزه في أعماله الأدبية الإبداعية التي تنوعت وتعددت ، فكانت أبحاثا ودراسات ومؤلفات وأعمالا في الترجمة والتحقيق ، ومحاضرات ومقالات أدبية ، ونصوص اللقاءات التي أجرتها معه وسائل الإعلام المختلفة . تعددت المجالات والموضوعات والأغراض الأدبية التي تحدث وكتب فيها ناصر الدين الأسد ، فكانت في الشعر ، والنثر الأدبي ، وتجاوزت المائة عمل أدبي . تمثل الأسد البيان الرفيع في كتاباته الأدبية ، وأعماله الأكاديمية . فقد كانت لغته الأدبية لغة عالية فصيحة سليمة صحيحة معبرة ودالة ، فيها انسياب لغوي فني أدبي إبداعي يلزمه انسياب فكري وانسياب وجداني . تميز أسلوبه الأدبي بالإبلاغة والبلاغة ، والسهولة والسلاسة ، والرقّة والمتعة ، والذائقة الأدبية والإثارة ، كما كان يتناسب وينسجم مع بنائية النص الأدبي ومع قواعد اللغة العربية ومعاييرها وحدودها وعلاماتها اللغوية ، أما المصطلحات والتعابير الاصطلاحية والسياقية فقد كانت متنوعة ومتعددة وذات خصائص لغوية وفنية وأدبية أسهمت في جماليات وبنائية وإبداعية اللغة الفنية الأدبية والنص الأدبي الإبداعي بنائيا وإبداعيا . وظف ناصر الدين الأسد اللغة العربية توظيفا سليما في خدمة الفكر ، وخلق إبداعه الفني اللغوي والأدبي التلاحم والانسجام بين اللغة ومضامينها . فكانت هناك علاقة بين لغته الفنية وأسلوبه البلاغي والأجواء النفسية والقدرات العقلية والاجتماعية والثقافية ، وتميزت أعماله الأدبية بفضاءاتها وإضاءاتها وذائقتها الفنية الأدبية ومضامينها الفكرية والنفسية والعلمية والثقافية . واتسمت لغته الفنية وأسلوبه الأدبي بالقوة التأثيرية على المتلقي بجميع مستوياته . وأنبت عن مستويات الطلاقة اللغوية والسليقة اللغوية والمهارات اللغوية والأداء اللغوي والكفاية اللغوية التي تجلست في جميع نتاجاته وأعماله الأدبية الإبداعية . وأوصت الدراسة بإعادة قراءة أعماله ونتاجاته

الأدبية جميعها ، وإجراء المزيد من الأبحاث والدراسات اللغوية والنقدية والأدبية في بحرها الزاخر
العميق في مجال الفكر والأدب والعلوم الإنسانية .

الكلمات المفتاحية : اللغة ، اللغة الفنية ، ناصر الدين الأسد ، النقد اللغوي ، اللغويات التطبيقية .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Al-Fazaa , Mohammed Salem , The Artistical Language Of
Naser-Eddeen El-Asad , A Dissertation Of Doctorate Of
Philosophy , department of Arabic Language and literature ,
Yarmouk University, 2005 , (supervisor : prof . Dr. Sameer
SHareef Staiteiah).

The desertation aims at studying the Artistical Language
featuring the literary works of Nasser Eddeen EL-Asad .the study
included EL-Asads growth , scientific , cultural and educational
aspects of life as well as the significant factors influencing them .
the study focuses on EL-Asads literary works , his opinions about
the arabic language , and more specifically the artistic arabic
language , the norms and charactaristics of the artistic arabic
language in literary criticism and the characteristics of the artistic
literary language and the rhetorical literary style in his literary
products . the study deals with the defferent artistic levels of EL-
Asad`s language ; acostical , morphological , syntactical ,

structural. It also studied the idioms , the conventional and contextual expressions ; definition and literary artistic characteristics , and their impact on EL-Asad's creative and artistical literary style . the researcher adopted the descriptive analytical method as well as the integrational one to achieve the aims of the dissertation . the dissertation consists of five chapters ; chapter one : EL-Asad's life , educational , cultural and vocational aspects , and his books . chapter two : EL-Asad's views about arabic . chapter three : EL-Asad's Artistical Language and literary style standards , literary and artistical literary characteristics. chapter four : EL-Asad's literary and artistical levels of language . chapter five : studying the idioms and the idiomatic and contextual expressions in EL-Asad's literary works . EL-Asad's rich knowledge , long and deep experience as well as his farsighted views and perspectives resulted in producing such distinguished and creative literary works . He wrote researchs , studies , books , translations , lectures , essays and versions media interviews . EL-Asad wrote on diverse topics and fields in poetry and prose . He wrote more

than a hundred literary works , EL-Asad demonstrated accuracy , eloquence and creative literary style . His Language is varitable , eloquent , fluent and elevated . His language is highly appreciated as it has an artistical spontaneosity of literary creation alongside with thinking and emotional spontaneosity .his literary style focuses on fluent , simplicity , softness , apprecoated , exciting as well as it acompanied with the structural of the literary context and the creteria and limits of Arabic Language and its languestical marks . the idioms and contextual expressions were variable and have literary , artistical and linguestical aspects which impact in the structural and highly appreciated of the artistical language and the literary context . Naser Eddeen EL-Asad implies the arabic language in accurate style to serve thinking and create his artistical literary language and harmonize between the language and its aspects . there was aconnection between his artistical language and his structural style and the cultural , social , mental and physical abilities . His works has artistical appreciation and its own lightness . His Artistical Language and his literary style has the strength on the receipient with all levels . also , it predicts

about the levels and eloquent of fluent and elevated as being varitable eloquent . these aspects appear obviously in all his creative and literary works . the study recommends to preveal all of his works and his literary products , and to conduct more of researches and literary criticism in its deepest in the field of thinking and literature and the science of humanity .

Key words : Language , Artistical Language , Naser Eddeen EL-Asad , Critical Linguistic , Practical Linguistics , Linguistic Criticism , Applied Language .

المقدمة

تسير الحركة النقدية اللغوية والأدبية في العالم العربي سيرا بطيئا له أسبابه وعقله ، وما أحوج العالم العربي إلى بعث روح البحث والدرس والتحليل ، والتأليف ، والترجمة والنقل والتعريب ، في نفوس الطلبة والباحثين والأساتذة والمفكرين والعلماء ، وما أحوج العرب إلى النظر في تقديم الجديد والحديث من الآداب والعلوم والثقافات ، بمنهجية حديثة ، وبأساليب سلسلة جاذبة ، إلى كل مهتم من أبناء الأمة العربية ، أو الأمم الأخرى ، بإجراء المزيد من الدراسات والأبحاث ، والمزيد من العطاء والإنجاز ، في حقول المعرفة والعلوم والآداب والفنون والفكر والثقافة ، وثرء المكتبة العربية في مقرها عند العرب ، وفي أجنحتها في مكتبات العالم الآخر .

وعلى الرغم من وجود كثير من الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فإن كثيرا من المفكرين والعلماء العرب يحاولون النهوض والعمل ، وإجراء الكثير من الأبحاث والدراسات في حقول شتى وموضوعات كثيرة في المجالات العلمية والأدبية والثقافية والحضارية . ويسعون جاهدين إلى تقديم ما عليهم من واجبات والتزامات تجاه هذه الأجيال والأجيال القادمة .

والبحث في الأدب وأدواته ، واللغة الفنية الأدبية أداته الأولى والرئيسة ، قد اتسع نطاقه خلال العقود الماضية ، تحليلا ونقدا بشكل عام ، حيث ظهرت دراسات وأبحاث ومؤلفات كثيرة ، منها ما كان في تحليل اللغة الفنية والأدبية في الأعمال الأدبية ، ومنها ما كان في سير الأدباء والكتاب والمبدعين .

إن الدراسات اللغوية الأدبية النقدية التطبيقية تتبع — إذن — من منابع النقد الأدبي الحديث ، إذ إن اللغة تكون مرة هدفا من أهدافه ، ومرة تكون مجالا من مجالاته ، ودوما تكون أدواته ووسيلته الأولى التي لا يمكن له أن يكون نقدا لغويا أدبيا بغيرها .

ومن هنا جاء موضوع هذه الأطروحة الذي يدخل في إطار الدراسات اللغوية الأدبية النقدية التطبيقية ، التي تلتقي مع النقد الأدبي الحديث في كثير من الحقول والمجالات والعلاقات اللغوية والتركيبية والفنية والأدبية ، فهما ينبعان من معين واحد ، هو اللغة والأدب أو الأدب واللغة . إذ إن اللغة مكون أساسي من مكونات الأدب ، والأدب محيط جوهره اللغة .

وانطلاقا من ذلك ، فإن موضوع اللغة الفنية التي تستخدم في النتاجات الأدبية ، يستحق البحث والدراسة ، وهو موضوع هذه الأطروحة التي اتخذت لدراسته والبحث فيه نموذجا من نماذجها ، قدمه علم من أعلام الأدب والعلم من أبناء البجدة العربية ، في نتاجاته وأعماله الأدبية ، وهو نموذج اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد .

ولما كان ناصر الدين الأسد من العلماء والأدباء الأفاضل في العالم العربي بعطائه وأدبه وفكره ، فإنه من الواجب دراسة ما صدر عنه من نقد وأدب وفكر ، لتحقيق الفوائد والعوائد المنهجية والعلمية والأدبية والفنية والفكرية والإنسانية التي تنضوي عليها تلك النتاجات التي أغنى بها الأسد الفكر والمكتبة العربية .

إن هذا العالم الأديب جدير هو وما أنتجه من الدراسات والأبحاث والأعمال الأدبية والفكرية ، بالدراسة والبحث ، لأن الأبحاث والدراسات التي تناولته وتناولت أعماله الأدبية في المجال النقدي اللغوي ، لا تعدو أن تكون على هيئة مقالات ، أو مقابلات ، أو أوراق

عمل وأبحاث ودراسات ، قدمها أصحابها في مؤتمرات ، أو ندوات ، أو نشرها في مجلات ثقافية متخصصة وغير متخصصة ، ولا تشتمل على رسائل أو أطروحات أكاديمية جامعية ، كما أنها تتضمن بعضاً من الإشارات والتحليلات والوصف لبعض من مستويات اللغة الفنية التي استخدمها ناصر الدين الأسد في أعماله الأدبية .

وحيث إن هذا الموضوع كان يثير اهتمامي اللغوية والنقدية والأدبية ، منذ وقت ليس بالوجيز ، فإنني — لما آن الأوان لدراسته والبحث فيه — قد اخترت له عنواناً هو : " اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد " .

وقد اقتضى ذلك أن يتم تحديد إشكالية هذه الدراسة وأسئلتها ومحدداتها وافترضاها ، حيث تمثلت إشكالياتها في القيمة اللغوية والقيمة الفنية الإبداعية والقيمة النقدية والقيمة الفكرية والقيمة الوجدانية التي أنبأت عنها الألفاظ والمفردات والتراكيب والجمل والعبارات ، من حيث هي أجزاء من كل ، والنصوص الأدبية من حيث هي الكل الذي يمثل نتاجاته وأعماله الأدبية الإبداعية .

وعند تحديد هذه الإشكالية بجميع أركانها ، لغايات البحث والدراسة ، فإنه قد وجد أن لها علاقة وطيدة بإشكالية منبثقة من صلبها ، وهي إشكالية الانسياب اللغوي المتلازم مع الانسياب الفكري والوجداني لدى ناصر الدين الأسد ، حيث لا يمكن في مثل هذا الموقف دراسة الإشكالية الأولى دون ربطها وتعليقها بالإشكالية المنبثقة منها ، إذ كل واحدة تكمل الأخرى وتوضحها .

وقد كان لزاما - كي تحقق الدراسة أهدافها وغاياتها - الإجابة عن عدد من الأسئلة التي تشكل إجاباتها حلولاً وتفسيرات لأركان هذه الإشكالية التي تستحق البحث فيها ودراستها دراسة كاشفة هادفة متأنية تؤتي ثمارها ونتائجها المرجوة منها .

وهذه الأسئلة متدرجة حسب أركان إشكالية الدراسة ومجالاتها على النحو التالي : -

أولاً : - ما المعطيات والأركان والجوانب الأساسية في حياة ناصر الدين الأسد وفي سيرته الذاتية التي أهله أن يتسنى مكانته بين أقرانه من الكتاب والأدباء والعلماء الأفاضل العرب في العصر الحاضر ؟

ثانياً : - ما آراء ناصر الدين الأسد في اللغة العربية بشكل عام وفي اللغة العربية الفنية الأدبية المنطوقة والمكتوبة بشكل خاص ؟

ثالثاً : - ما معايير اللغة الفنية والأسلوب الأدبي وخصائصهما في الأدب العربي بشكل عام ، وفي اللغة العربية الفنية والأسلوب الأدبي وخصائصهما ومميزاتها وسماتها في أعمال ناصر الدين ؟

رابعاً : - ما الخصائص والسمات والمميزات التي اتسمت بها مستويات اللغة الفنية الأدبية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية جميعها ، المنطوقة والمكتوبة ؟

خامساً : - ما آراء ناصر الدين الأسد في خصائص المصطلحات والتعبير السياقية والاصطلاحية ، وما مدى انعكاس تلك الآراء والخصائص على المصطلح والتعبير السياقي والاصطلاحية الذي كان مكوناً أساسياً من مكونات اللغة الفنية الأدبية التي وظفها ناصر الدين الأسد في نتاجاته وأعماله الأدبية المنطوقة والمكتوبة ؟

سادسا : - هل تجسدت وتمثلت الانسيابية اللغوية الفنية الأدبية في لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية ؟ وهل تجسد وتمثل الانسياب الفكري والانسياب الوجداني في لغته الفنية الأدبية أيضا وفي كل نتاجاته وأعماله الأدبية المنطوقة والمكتوبة ؟

لقد وضعت في اعتباري - خلال الفترة التي أعددت فيها هذه الدراسة - عددا من الافتراضات التي ارتأيت إثباتها ههنا ، لأنها كانت تشكل في كثير من الأحيان منطلقات وأضواء تساعد على عمليات القراءة والتحليل والتفسير ، وعلى عمليات الكشف عن السمات والخصائص والمعايير والمستويات والقيم الفنية في لغة ناصر الدين الأسد ، كما كانت تشكل الممرات الأدبية التي من خلالها تمكنت من تحديد نتائج البحث والدراسة وحصرها وإثباتها في نهاية هذه الدراسة ، ويمكن أن نذكر بعضا من هذه الافتراضات ، مثل الافتراض الذي يقول إن اللغة لا تكون لغة فنية أدبية إلا إذا كانت تنمو وتتماشى مع سيرورة اللغة ولا تخرج عن قوانينها الفاعلة فيها والمنظمة لها ، كنظام إشاري رمزي تواصلية وظيفي دال على المعاني والصور الذهنية والمشاعر الوجدانية والمقاصد والدلالات .

ومثل الافتراض الذي بني على اعتبار أن اللغة الفصيحة الصحيحة السليمة تكون لغة معبرة بالتأكيد عن معانيها ومضامينها ودلالاتها من خلال تشكلها في تعبيرات وجمل وفقرات سياقية لفظية لها مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية والدلالية ، ولكل مستوى من هذه المستويات خصائصه ومميزاته اللغوية .

ويقودنا هذا الافتراض إلى افتراض أن أية لغة فنية لا بد لها من خصائص تجعل منها لغة مقبولة مؤثرة مستساغة ، إذ يتجلى ذلك كله فيها انطلاقا من قضاياها ومسائلها الإعرابية التي تعد في اللغة

العربية أساس التركيب الذي ينبع منه رواؤها الدلالي والفكري والثقافي ، بكل ما في التصورات والمواقف الذهنية من حركات تخرج تلك اللغة من دائرة النحو إلى دائرة السياقات اللغوية التي تفيض صياغاتها بالمعنى والدلالة التي تشكل الفكر الثقافي الذي يتجاوز حدود النحو ، فترتقي اللغة إلى درجات المسائل الحضارية ، بسبب ما تميزت به من خصائص وسمات .

وإذا ما ارتقت اللغة في مستوياتها إلى درجات تبعث على قابليتها لأن تكون دافعة للذائقة الأدبية الفنية لدى الكاتب ولدى المتلقي ، فإنها تكون لغة مفهومة واضحة لكل كلمة من كلماتها أهمية لا يمكن تجاهلها ، إذ تعد الكلمة الأساس في الوحدة العضوية في العمل الأدبي ، من حيث المستويات اللغوية ، ومن حيث المضامين ، ومن حيث القدرة على نقل تجربة الكاتب الخاصة ، ومن حيث وضوح مدى التلاؤم بين التركيب اللغوي والبناء النصي وتلك المضامين والدلالات .

أما الافتراض التالي ، فهو منبثق من تميز اللغة العربية الفنية وقدرتها على خلق الإحساس اللغوي الدقيق المرهف لدى الكاتب الذي حمله هذا الإحساس اللغوي إلى القدرة على المواءمة بين مستويات اللغة ومعانيها وإيجاءاتها .

ولذلك ، فإن هذه الدراسة تفترض أيضا وجود علاقة بين لغة الكاتب الفنية وأجوائه النفسية والعقلية والاجتماعية والثقافية التي تتحد جميعها ، فتجعل منه الكاتب الباحث عن فضاءات فيها لحظات وإضاءات ترسم له خيوط التلاؤم والانسجام بينه وبين أسلوبه ومستويات لغته واتجاهاته الفكرية والنفسية ، كما تتيح له فرص الإحساس بالموسيقى والإيقاع الذي تولده تلك اللغة المعبرة عن مكوناته وتصوراتها التي أخرجها في صورة الإبداع الأدبي المضمن في عمله الأدبي .

في حين أن اللغة ذات الجوانب والمستويات والقيم اللسانية تعد أداة التواصل الأولى بين

الكاتب والمتلقي ، ولا سيما عندما يجيد اختيار اللفظ والصياغة ، كما يحسن سوق المعنى في الجملة سوقا بارعا فيه وضوح تام في التفكير ، والتصور الذهني والشعور ، إذ إن ذلك يؤدي إلى الوضوح في التعبير ، والتعبير الواضح يؤدي إلى ما انبثق منه بصورة ارتدادية لها القوة نفسها ، والقيمة اللغوية عنها ، والقيمة الجمالية كلها . حيث يكفل ذلك انتقال مستويات التفكير لدى الكاتب : مستوى التفكير الصامت أو ما يسمى بمستوى حديث النفس ، ومستوى التفكير الناطق ، أو ما يسمى بمستوى الحديث أو الكلام الظاهر الملفوظ المسموع ، ومستوى التفكير الناقد ، ومستوى التفكير الوجداني ، ومستوى التفكير الإبداعي ، إلى اختيار أداة التعبير ، التي هي اللغة الفنية الأدبية المنسجمة مع هذه المستويات جميعها ، مما يدل على أن الكاتب كان قادرا على التوفيق بين قدراته وكفاياته الفكرية والوجدانية وقدراته وكفاياته اللغوية ، التي ترتبط ارتباطا وثيقا مع أساليبه التعبيرية وطلاسته اللغوية عند الأداء والإنجاز اللغوي ، تحدثا وكتابة .

وبعد ، فقد افترضت هذه الدراسة ، أن الطلاقة اللغوية تخلق المهارات اللغوية التعبيرية والبلاغية والأسلوبية لدى الكاتب بحيث ينقل خبرته ومعرفته وعلمه وشعوره وتصوراته عبر تلك القنوات المهارية اللغوية التي تتميز بتسلسلات وحلقات لا تنفصل عراها ، مما يدعو إلى الافتراض المبني على أن التسلسل والترابط بين الألفاظ في الجملة الواحدة يعد من قبيل الانسياب اللغوي ، والانسياب الفكري والدلالي ، وعلى أن تسلسل الجمل والعبارات ، يعد أيضا انسيابا لغويا يتلازم معه الانسياب الفكري والدلالي أيضا ، كما تدل على أن التسلسل والترابط في الفقرة النصية الواحدة ، وفي الفقرات في النص الأدبي الواحد ، يعد أيضا انسيابا لغويا فنيا لا ينفك ، في حلقاته

وظواهره ودلالاته ، عن التسلسل الذهني والمعنوي والفكري والوجداني لدى الكاتب ، الذي استطاع توظيف لغته توظيفا ارتقى بها إلى مستوى اللغة الفنية الإبداعية الأدبية التي لها خصائصها الأدبية .

فالانسياب اللغوي والانسياب الفكري والدلالي افتراض من شقين ، افترضته هذه الدراسة ، ولكنه نابع من افتراض أن الشخص الكاتب الذي يمتلك المعرفة الواسعة بمفردات لغته الأم ، ويستوعبها ، ولا يفصلها عن قدراته الذهنية العقلية ، يكون كاتباً ذا مهارة في توظيف الفكر واللغة في لحظات الإبداع والكتابة .

كما ينبع ذلك الافتراض الانسيابي من أن الكاتب يمتلك الخبرة والدراية التي تبني على حسن اختيار المفردات والتراكيب والنصوص ، وبنائها بما يمكن أن يوصف بأن مستويات هذه اللغة جعلتها لغة سليمة فصيحة . فالكاتب ، إذن ، بتوظيفه لكفاياته اللغوية وأدائه اللغوي وقدرته على ربط المهارات اللغوية ؛ الجزئية والكلية ، وبقدرته على استخدام الرموز السياقية والخرائط المعنوية لمفردات الموضوع الذي يكتب فيه أو يتحدث فيه ، وللمفاهيم والمصطلحات والتراكيب والجمل والسياقات والنصوص ذات الدلالات العميقة ، يكون بالتأكيد ، كاتباً مبدعاً ، تنساب أفكاره وتصوراتهِ ووجدانياته انسياباً قوياً فاعلاً ومثيراً ، كما يكون كاتباً مبدعاً تنساب لغته الفنية الإبداعية ، وتنثال عليه انثيالاً قوياً ، ولا ينفك انسيابها وانثيالها عن انسياب الفكر والثقافة لدى الكاتب المبدع .

وهذا شأن ، بحث فيه هذه الدراسة ، وافترضت لوجوده عدة افتراضات تم ذكرها آنفاً ، ولعلها من خلال ما ورد في فصولها قد بينت أن للغة الفنية انسياباً ، وأن للفكر والمعنى والثقافة انسياباً ملازماً للانسياب اللغوي لدى ناصر الدين الأسد ، إذا تكلم وتحدث وخاطب ، وإذا كتب .

ولعل الأسباب والمسوغات التي دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع المهم ، للبحث والدراسة ، تعطي أهمية كبيرة له ، من حيث طبيعته وإشكاليته ، وأهدافه ، ومنهجه البحثي ، ونتائجه التي يتوقع أن تكون لها دلالاتها وآثارها ، في مجال النقد اللغوي التطبيقي على الخصوص ، وفي مجال النقد الأدبي على العموم . وتتلخص هذه الأسباب والمسوغات في ضرورة الاهتمام والنظر والبحث في الكم الكبير من المؤلفات والنتاجات الأدبية التي أبدعها وألفها ناصر الدين الأسد ، وقدمها إلى المكتبة العربية .

كما كان من الدوافع إلى اختيار هذا الموضوع قلة الدراسات النقدية اللغوية الأدبية التي تسلط الأضواء على اللغة الفنية التي استخدمها الأسد في مؤلفاته وإبداعاته الأدبية .

وقد اتضح لي من ذلك أن هناك شبه اعتياد عند الكتاب والدارسين والباحثين العرب ، على عدم دراسة أدب الأدباء ، وعلوم العلماء ، وفكر المفكرين ، بتعمق ومنهجية تناسب تلك الآداب والعلوم والفكر ، إلا بعد وداع أصحابها للعالم ، وتركهم لإرث أدبي أو علمي أو فكري أو ثقافي ، تتوارثه الأجيال من بعدهم ، عندئذ ، يبدأ اهتمامهم الجاد والفعلي بما ترك ذلك الأديب أو المفكر أو العالم العربي ، فتبدأ بذلك دراساتهم وأبحاثهم الجادة بحجة تخليد ذلك الأديب أو ذلك العالم أو ذلك المفكر ، وبحجة أن لآثاره وتركته أهمية تدعو المهتمين والمتخصصين إلى دراستها وبيان قيمتها الأدبية والعلمية والثقافية ، وإزاء هذا الموقف ، فقد أردت أن أكسر جدار هذا الاعتياد ، أسوة ببعض النقاد والباحثين والدارسين الذين كانوا خارج هذا الاعتياد .

وهناك سبب كنت وما زلت اعتقد أنه قوي ومهم دفعني إلى مزيد من الرغبة في إجراء هذه الدراسة ، ويتمثل في تأثير مأمول لعله يتكون بعد إنجاز هذه الدراسة وتقديمها وتوفير الفرصة أمام

القارئ العربي للاطلاع عليها ، فيتأثر بها ويستثمرها استثمارا جيدا ، فيتحقق منها هدف غير مباشر ، يتمثل في لزوم التنبيه إلى ضرورة العودة إلى الأدب العربي ذي الجذور القوية الأصيلة ، مع ربط ذلك بحداثة لا يمكن إنكارها عند دراسة مؤلفات هذا الأديب الذي قل أمثاله في الوطن العربي في النصف الثاني من القرن العشرين وبدايات هذا القرن ، فقد تميز بربط الماضي وتراثه الأصيل بالحاضر وحداثته ، ولعل في ذلك فائدة ونفعا في الحاضر وفي المستقبل .

وأزعم أن البحث في موضوع اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد له سبقه ، فلم أعثر على دراسة أكاديمية متخصصة في هذا الموضوع ، مما شكل لدي حافزا قويا للنظر إليه بكل الاهتمام ، مما ولد لدي شعورا بقيمة هذا الموضوع الذي لا بد من خوض غماره ودراسته بما يستحقه من دراسة .

ومن هنا ، أرى أن أهميته لدي قد كانت تتزايد وتتنامى يوما بعد يوم ، إذ إن هذه الأهمية تتجلى في كونه موضوعا حافزا إلى البحث بتعمق وبأسلوب ومنهج يناسبه .

كما تنبع أهمية هذه الدراسة من اعتبارات أخرى ، منها أن موضوعها يشكل ركنا مهما من أركان أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، ومنها أنه يعد - بحق - الأديب العالم والأنموذج العربي على مستوى الأدباء والعلماء في الوطن العربي ، وحيث إن الأمر كذلك ، فإنني أقدمه من خلال هذه الدراسة وأنا على ثقة كبيرة في قيمة ناصر الدين الأسد الأديب العالم ، وفي مكانته ، وفي قيمة أدبه وفكره وثقافته ومكانتها على المستوى العالمي وليس على المستوى المحلي والعربي فقط .

وما زاد من أهمية هذه الدراسة أنها تركزت على مجالات وأركان تدور جميعها حول تحليل

اللغة العربية الفنية الأدبية عند ناصر الدين الأسد ووصفها ، بحيث تساعد الباحثين والدارسين الآتين

على طريق النقد اللغوي ، فيقيمون ويقومون ما تمخض عنها من آراء وأفكار ونتائج ، أي : أنها ستفتح آفاقا جديدة من آفاق الدراسات والأبحاث النقدية في اللغة الفنية عند آخرين من غير ناصر الدين الأسد ، ممن يستحقون أن تكون أعمالهم الأدبية موضع اهتمام النقاد ودراساتهم وأبحاثهم .

وأعتقد أن هذه الأطروحة هي الأولى من نوعها في حقل الدراسات النقدية اللغوية العربية والتطبيقية التي تناولت بالبحث والدرس موضوعا لغويا مهما وجانبا مهما من الجوانب الإبداعية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، ولا سيما أنها تنصب على نتائج أدبية ونقدية وفكرية لها مميزاتها وخصائصها من حيث الكم ومن حيث الكيف ومن حيث مستويات اللغة الفنية النقدية والأدبية والفكرية والإبداعية التي جعلت من الأساليب التي كانت لصاحبها أساليب تمكن المتلقي — على اختلاف مستوياته العلمية والثقافية — من تحليل النصوص لغة ومعاني وفكرا ومناهج ، والتركيب منها ما يريد من الدراسات أو الأبحاث أو النقود ، والبناء عليها على اعتبار أنها المصدر الأساس الذي لا يستعصي على من يرغب في الأخذ منه أو دراسته والانتفاع منه أيضا .

إلى جانب ذلك ، فمن الممكن أن تشكل هذه الأطروحة في بعض الصور التي سترسمها صورة عن الأدب العربي بشكل عام في هذه الحقبة المهمة من حياة الأمة العربية وثقافتها وحضارتها ، وبخاصة من حيث اللغة الفنية الأدبية التي كانت إحدى أدوات ذلك الأدب العربي ووسائله الفاعلة ، من خلال دراسة هذه اللغة الفنية في أعمال هذا العالم الأديب الأدبية ، إذ يمكن اعتبارها خطوة في هذا المجال .

لقد هدفت هذه الدراسة إلى جمع النتاجات الأدبية والفكرية التي أبدعها الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد منذ نشأته الأدبية الأولى وإلى هذه الفترة التي أعدت فيها هذه الدراسة ، وحصرها والاطلاع عليها ، في قراءات متعددة متنوعة وحسب ما تتطلبه ظروف هذه الدراسة ، ومن ثم تحليلها ونقدها نقدا لغويا فنيا أدبيا ، للكشف عن آراء ناصر الدين الأسد في اللغة العربية ، من حيث جوانبها اللغوية والتعليمية والوظيفية ، وللكشف عن معايير اللغة الفنية في ضوء آراء ناصر الدين الأسد اللغوية ، وفي ضوء بعض النظريات النقدية واللغوية ؛ من حيث المستوى الصوتي ، والمستوى الصرفي والنحوي ، والمستوى التركيبي ، والمستوى الدلالي ، كما هدفت هذه الدراسة إلى بيان أركان هذه اللغة الفنية الأدبية من حيث الألفاظ والتعبير السياقية والاصطلاحية ، ومن حيث الخصائص الأسلوبية والوظيفية في الأجناس والفنون الأدبية التي أبدعها ناصر الدين الأسد في الشعر أو في النثر الأدبي .

كما كان من أهداف هذه الدراسة - ومن خلال الأهداف المذكورة آنفا - بيان مدى الانسياب الفكري والانسياب اللغوي ، اللذين يتميز بهما ناصر الدين الأسد في أعماله الأدبية .

أما الدراسات والأبحاث والمؤلفات التي تناولت حياة ناصر الدين الأسد وأعماله بالبحث والدرس ، فهي متنوعة في موضوعاتها ، مختلفة في أزمانها ، لها قيمها الأدبية ، وأساليبها ومناهجها وأهدافها ، التي جعلت لها المكنة على أن يعتمد عليها الباحثون والدارسون مراجع مهمة لأبحاثهم ودراساتهم ، لما تضمنته من رؤى وتصورات ومعلومات ، وتكشف عن مستويات الإبداع الفكري والمنهجي والفني واللغوي والثقافي والأدبي في أعمال ناصر الدين الأسد ، ويحسن بنا في هذا المقام

استعراض هذه الدراسات والأبحاث والمؤلفات ، والوقوف على بعض محتوياتها ونتائجها ، التي أسهمت في إنارة السبيل الدراسي أمامي .

وأرى أن إيرادها حسب الترتيب الزمني لها يكون التصنيف والإجراء السليم ، إذ كانت الدراسة الأولى منها بعنوان : (ناصر الدين الأسد والقصة الفلسطينية) للمرحوم عبد الرحيم عمر ، أشار فيها إلى آراء ناصر الدين الأسد في القصص الشعبي في فلسطين ، وانتقل إلى الدراسة التي قدمها ناصر الدين الأسد عن خليل بيدس ومجلته (النفائس) وبين صلة ناصر الدين الأسد بموضوع دراسته هاته ، وتحدث عن كتابه (الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن) الذي هو عبارة عن المحاضرات التي ألقاها الأسد سنة ١٩٥٧م على طلبة الدراسات العليا في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، وما فيه من آراء تاريخية ونقدية أبداهها ناصر الدين الأسد ، ولكن عبد الرحيم عمر لم يتعرض في دراسته إلى اللغة الفنية الأدبية وخصائصها .

وتزامن مع هذه الدراسة دراسة قدمها الدكتور خليل الشيخ ، وكانت بعنوان (منهج ناصر الدين الأسد في التأليف) ، حيث تحدث فيها عن مؤلفات ناصر الدين الأسد وأعماله الأدبية وعن المنهج الذي تميز به الأسد في دراساته ومؤلفاته ، فوصفه بالمنهج الذي يتميز بالخصوصية وبالريادة . وقدم الأمثلة على ما ذهب إليه فأورد بعض الدراسات والمؤلفات التي اتبع أصحابها فيها منهج ناصر الدين الأسد في التأليف والكتابة الأدبية ، وجاءت هذه الدراسة أيضا خالية من البحث في اللغة الفنية الأدبية وخصائصها عند ناصر الدين الأسد .

وتجدر الإشارة إلى أن هاتين الدراستين : دراسة عبد الرحيم عمر ، ودراسة خليل الشيخ ، قد نشرتا مع دراسات أخرى في كتاب عنوانه : (فصول أدبية وتاريخية مهداة إلى ناصر

الدين الأسد) الذي حرره وقدم له الدكتور حسين عطوان والكتاب عبارة عن مجموعة من الدراسات والأبحاث لمجموعة من العلماء والأدباء مهداة إلى ناصر الدين الأسد ، ونشرته دار الجليل ببيروت سنة ١٩٩٣ م .

كما تجدر الإشارة إلى أن الدكتور حسين عطوان كان قد تحدث في مقدمة الكتاب عن حياة ناصر الدين الأسد وجهوده في الدراسة والبحث والتحقيق والترجمة والتأليف ، بإيجاز واختصار ، ولكنه ينير السبيل أمام قارئ الكتاب ويشوقه إلى ولوج فصوله .

وربما كان في هذا العمل سنة حسنة عمل بها آخرون من بعده ، حيث قدم عدد من العلماء والأدباء والباحثين أبحاثا ودراسات مهداة إلى ناصر الدين الأسد أيضا ، تم نشرها في كتاب ذي جزأين كبيرين من تحرير الدكتور عبد القادر الرباعي وتقديم الدكتور محمد حور ، والموسوم بـ (قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد) ، وذكر بعد مقدمته نبذة مختصرة عن حياة ناصر الدين الأسد وسيرته الذاتية .

وقد كان مما نشر فيه من دراسات وأبحاث ، ما هو منصب على دراسة بعض القضايا والمجالات الأدبية واللغوية والمنهجية والفكرية والثقافية في أعمال ناصر الدين الأسد ، وحياته الأدبية ، وهذه الدراسات والأبحاث هي : -

دراسة أحمد خطاب العمر ، وهي بعنوان : (ناصر الدين الأسد وملامح الحضارة العربية) ، ودراسة أحمد محمد الضبيب ، وكانت بعنوان : (قراءة في المنهج العلمي للدكتور ناصر الدين الأسد) ، ودراسة أحمد مطلوب التي عنوانها بـ (الشعر الجاهلي بين مرجليوت وناصر الدين الأسد) ، ودراسة حنون عبد المجيد التي جاءت تحت عنوان : (ناصر الدين الأسد والمنهج

التاريخي) ، ودراسة محمد إبراهيم حور ذات العنوان : (الشعر الجاهلي ومناهج بحثه بين كتابين) ،
ويقصد بالكتابين كتاب نجيب البهيتي (تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري)
وكتاب ناصر الدين الأسد (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) .

وأشير إلى أن ما سبق وذكر من دراسات وأبحاث لم يبحث في لغة ناصر الدين الأسد الفنية
والأدبية ، أيضا .

وتلا ذلك أن قامت الكاتبة مي مظفر بتأليف كتاب ، اختارت له عنوان : (سفر في
المدى - ناصر الدين الأسد - ملامح من سيرته وأدبه) ، تحدثت فيه بأسلوب العرض التاريخي
وبالأسلوب التحليلي عن القضايا والمجالات التي تمس حياة ناصر الدين الأسد وأعماله
الأدبية ، وعلى الخصوص أعماله الشعرية ، حيث تحدثت في الموضوعات المتعلقة بالفصل والوصل
بين الماضي والحاضر ؛ طه حسين وناصر الدين الأسد ، والشعر الجاهلي بين الشك
واليقين ، والأديب وأسلوبه ، والشاعر وعالمه ، واللغة والعصر ، والجامعة وفلسفة التعليم
، والمفكر ومشروعه الثقافي .

وتبين أنها اعتمدت على تحليلاتها وتفسيراتها في إبداء آرائها وملاحظاتها وإصدار أحكامها
النقدية ، ولما تحدثت عن اللغة عند ناصر الدين الأسد ، كانت آراؤها وتحليلاتها مقتضبة مبتسرة
وعامة ولا تقف على خصائص اللغة الفنية الأدبية جميعها ولا توضحها عنده بمنهجية
علمية مدروسة .

وكذلك عندما تحدثت عن أسلوب ناصر الدين الأسد الأديب ، ولم تأت بجديد في هذا
الموضوع ، ولا في موضوع اللغة أيضا .

وفي سنة ٢٠٠٠م ، أصدرت الكاتبة نفسها كتابا آخر ، كان عنوانه : (ناصر الدين الأسد ؛ جسر بين العصور) ، تحدثت فيه عن سيرة ناصر الدين الأسد والمكان ، والشعر العربي وجذوره ، ومراحل التعليم ورحلته الأدبية بين البحث والتأليف ، واللغة ، والمنهج والفكر عنده ، وتجربته الشعرية ، وبصفة عامة ، فقد كان قسم لا بأس به من هذا الكتاب تكرارا لما كان في كتابها السابق (سفر في المدى) ، وعندما تحدثت عن اللغة عند ناصر الدين الأسد ، كانت آراؤها أكثر وضوحا من تلك التي رأتها في الكتاب السابق ، ومع ذلك ، فإنها آراء لم تتضح النضج النقدي اللغوي الأدبي ، ولم تعط موضوع اللغة عنده حقه من البحث والدرس والتحليل والنقد .

ولما قامت مؤسسة عبد الحميد شومان بعقد ندوة تكريمية للدكتور ناصر الدين الأسد سنة ٢٠٠٠م ، قدم عدد من العلماء والأدباء والباحثين أبحاثا ودراسات حول ناصر الدين الأسد ، وكانت فيما بعد مادة لكتاب نشرته مؤسسة عبد الحميد شومان تحت عنوان : (ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة) وهو من تحرير غسان عبد الخالق ومراجعة إبراهيم العجلوني ، وهذه الأبحاث والدراسات هي : -

دراسة الدكتور عبد العزيز الدوري التي قدمها بعنوان : (ناصر الدين الأسد : بين التراث والمعاصرة) ، ودراسة الدكتور غسان عبد الخالق التي كانت بعنوان : (ناصر الدين الأسد والأدب القديم بين الموروث والمعاصرة ؛ مصادر الشعر الجاهلي ... نموذجا) ، ودراسة الدكتور إبراهيم السعافين ذات العنوان : (ناصر الدين الأسد والأدب العربي الحديث) ، والدراسة التي قدمها الدكتور نهاد الموسى بعنوان : (ناصر الدين الأسد واللغة) ، والدراسة التي قدمها الدكتور عبد القادر الرباعي وهي بعنوان : (ناصر الدين الأسد والتراجم) ، والدراسة التي قدمها الأستاذ

حسني عايش بعنوان : (ناصر الدين الأسد وروح العصر) ، إلى جانب بعض الشهادات التي تقدم بها بعض المشاركين في هذه الندوة التكرمية المذكورة .

وحسبي أن أشير ههنا إلى دراسة الدكتور نهاد الموسى التي تحدث فيها عن اللغة عند ناصر الدين الأسد وجهوده في البحث اللغوي وفي النقد اللغوي ، وذكر من بين ما ذكر في آرائه بعضا من الآراء المتعلقة بخصائص اللغة الأدبية عند ناصر الدين الأسد ، ودوره في معالجة بعض القضايا والمسائل اللغوية ، وتلمس آراء ناصر الدين الأسد في جل تلك القضايا والمسائل ، وحللها وعلق عليها ورأى رأيه فيها ، وأصدر أحكاما ناضجة تسهم في توضيح صورة اللغة العربية عند ناصر الدين الأسد ، وتسهم في إنارة الدرب أمام السالكين من الباحثين والدارسين في منهجية التعامل مع قضايا اللغة العربية بحثا وتحليلا ونقدا لغويا ونقدا أدبيا ، حيث كان لهذه الدراسة آثار إيجابية فاعلة دافعة وحافزة للباحثين للقيام بدراسات وأبحاث تكون مصدريتها ومرجعيتها ومادتها أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، وبخاصة الجانب اللغوي منها .

هذا ، بالإضافة إلى الدراسة التي قدمها المرحوم أحمد مصلح في كتاب موسوم بـ (ناصر الدين الأسد ناقدا وشاعرا) وجاء في مقدمة وثلاثة فصول ؛ الفصل الأول : ناصر الدين الأسد ناقدا ، والفصل الثاني : ناصر الدين الأسد شاعرا ، والفصل الثالث : مختارات من شعره ، وكان أحمد المصلح يشير في بعض المواضع - على قلتها في الفصلين الأولين من الكتاب - إلى بعض القيم النقدية اللغوية التي تميزت بها لغة ناصر الدين الأسد النقدية ، بحيث يمكن اعتبار ذلك منطلقات لما تختص به لغة ناصر الدين الأسد وأسلوبه من خصائص ومميزات ، ولا سيما أنه يمتلك ناصية اللغة العربية بكل أبعادها وقضاياها ومسائلها ، كما يمتلك أدواته الفنية في النقد الأدبي ، مما يسمح

بالقول بأن آراء ورؤى أحمد المصلح في لغة وأسلوب ناصر الدين الأسد الناقد الشاعر الأديب كانت آراء واضحة وناجحة عن عمليات التحليل والنقد التي أجراها أحمد المصلح على نتائج وأعمال ناصر الدين الأسد الأدبية .

وكان آخر ما وقعت عليه يداي من دراسات وأبحاث أعدها بعض المتخصصين والمهتمين ، تلك التي قدمت في ندوة التكريم التي أقامتها رابطة الكتاب الأردنيين تكريماً للدكتور ناصر الدين الأسد عام ٢٠٠٤ م، وهذه الدراسات والأبحاث هي : - الدراسة التي أعدها الدكتور عفيف عبد الرحمن ، التي كانت بعنوان : (ناصر الدين الأسد : الإنسان ، العالم ، المنهج) ، والدراسة التي أعدها الدكتور عبد القادر الرباعي ، وكانت بعنوان : (ناصر الدين الأسد في عين البصرة من العلماء) ، والدراسة التي أعدها الدكتور إبراهيم خليل ، وكانت بعنوان : (ناصر الدين الأسد والتحقيق اللغوي) ، حيث درس فيها جهود ناصر الدين الأسد في التحقيق والتصحيح اللغوي ، وبعضاً من آرائه وفكره اللغوي الذي تجلّى في البحث الأدبي والتأليف والترجمة والتحقيق ، مما ينبئ عن بعض خصائص اللغة الأدبية في بعض أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية التي ألفها أو حققها أو ترجمها بشكل خاص .

ويلاحظ مما سبق أن كثيراً من هذه الأبحاث والدراسات لم يخصص لسه الدارسون والباحثون دراسة مستقلة منفصلة تعنى بدراسة خصائص اللغة الفنية وخصائص الأسلوبية الأدبية ومعاييرها ومستوياتها في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية والفنية الإبداعية ، مما يؤكد المسوغات والأسباب التي دفعتني إلى الإقدام على إجراء هذه الدراسة في إطار أكاديمي على مستوى أطروحة جامعية أكاديمية .

أما المنهج البحثي الذي اخترته وتوسلت به في إعداد هذه الأطروحة ، فإنه المنهج الوصفي التحليلي التركيبي ، أو المنهج الذي يطلق عليه حديثا اسم المنهج التكاملي ، وقد كان منهجا مناسباً ومساعداً على تحقيق نتائج هذه الدراسة التي كانت متوقعة منها ، لأنه منهج يعتمد على ما في العلوم الإنسانية جميعها من معارف وتصورات وخبرات ؛ كعلوم اللغة وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم التاريخ وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) ، وغيرها من العلوم الإنسانية الأخرى ، حيث أفادت في بعض التحليلات والتفسيرات والتعليقات ، كما أفادت في توصيف الخصائص والسمات اللغوية والفنية والأدبية ، وساعدت على الكشف عن دلالات كثير من الألفاظ والعبارات والجمل والنصوص الأدبية التي نبعت من قلم ناصر الدين الأسد ، فتجسدت في لغته الفنية الإبداعية الأدبية التي كانت مرآة لها أطرها ومضامينها .

وقد يسر لي هذا المنهج القيام بمحاولات وجهود مستمرة متابعة مكنتني من إعداد هذه الدراسة التي أقدم لها بهذه المقدمة التي تشتمل على بيان طبيعة الموضوع وجنسه الأدبي ، وعلى توضيح إشكالية الدراسة وأسئلتها وأهميتها وأهدافها ، وعلى افتراضات اقتضتها طبيعة البحث والدراسة ، كما تشتمل - بعد ذلك - على ما وجد من دراسات سابقة أو مقالات تناولت ناصر الدين الأسد الأديب العالم ، وبعض نتاجاته الأدبية أو كلها ، وتشتمل على منهج البحث الذي اتبعته فيها ، فذكرت المنهج والفصول التي احتوت عليها الدراسة ، وأتبع ذلك بمحدث موجز عما واجهني وما واجه هذه الدراسة من معوقات أو صعوبات قبل وأثناء إعدادها وإنجازها ، ثم ختمتها بنتائج الدراسة التي جاءت بعد آخر فصل من فصول هذه الدراسة .

وحاولت قدر الإمكان أن أسير في هذه الدراسة بمنهج ابتعدت فيه عن التعصب لرأي ما ، كما كنت أعمل من خلال خطوات ظننت أنها قد أبلغت هذه الدراسة وأوصلتها إلى مرحلة تحقيق الأهداف والمراد والمرام منها ، حيث كانت الخطوة الأولى تتمثل في القراءات الأدبية الكثيرة في كثير من الأبحاث والدراسات والمؤلفات ، وبخاصة مؤلفات ناصر الدين الأسد جميعها ، وجل ما له علاقة بالنقد الأدبي ، وبخاصة النقد اللغوي ونظرياته وتطبيقاته الأدبية ، ثم عكفت على إعادة القراءات المتفحصية مرة أخرى ، لأضيف جديدا ، أو لأبحث عن رأي أو تفسير أو تحليل ، أدمع به رأيا ، أو أثبت به فكرة ، أو أفسر به موقفا ، وكنت لا أتوقف عن تدوين ما أرى أنه مناسب وملائم لموضوع الدراسة وطريقة البحث فيها ، فأعدت ترتيب النصوص والمقتطفات والأفكار والملاحظات والآراء المدونة في الجذاذات ، وتفحصتها واحدة واحدة ، ثم أعدت دراستها بعمق وتفكر مكثفي من استقراءها واستنطاقها واستخراج ما فيها من دلالات وإشارات ومعلومات وتصورات وأفكار ، تساعدني على بناء متن هذه الدراسة بأسلوب يعتمد التحليل والتفسير والاستنتاج وإبداء الآراء وربط بعضها ببعض ، وترجيح الرأي الذي توقعت صوابه وصحته ودقته وأهميته في هذه الدراسة ، وكنت أدمع آرائي ومقولاتي الظنية الترجيحية التي كانت معتمدة على ما قادت إليه النصوص ، كما كنت أساند ما ذهبت إليه وما رجحته من آراء ومقولات وأفكار الآخرين بأدلة وشواهد وقرائن تثبت الهدف والموضوع والرأي ، إلى أن تمكنت من التوصل إلى نتائج هذه الدراسة التي كانت متوقعة منها ، وكنت في كثير من المواضع أركز على كثير من المسائل والقضايا التي تسهم في إثبات الخصائص والسمات التي تميزت بها لغة ناصر الدين الأسد الفنية الإبداعية الأدبية ، وفي إثبات أن ناصر الدين الأسد قد تميز بما لديه من انسياب لغوي وانسياب

ملازم له فكري وانسياب معين لهما ثقافي ، تحسب جميعها على أنها انسياب واحد كلي تميزت به أبحاثه وسائر أعماله .

أما متن الدراسة فقد جاء في خمسة فصول ، يبحث الفصل الأول منها في سيرة ناصر الدين الأسد الذاتية ، فقسمته على أربعة مباحث ، تناول المبحث الأول منها مولده ونشأته الأولى ، وتناول المبحث الثاني حياته التعليمية والعلمية ، وجاء بعده المبحث الثالث الذي بحث فيه حياته العملية ، أما المبحث الرابع فقد ذكرت فيه نتاجاته وأعماله الأدبية جميعها .

ثم انتقلت إلى الفصل الثاني الذي تعلق بالمبحث في آراء ناصر الدين الأسد في اللغة العربية ، بما في ذلك آراؤه في اللغة الفنية الأدبية والنقدية .

ودلفت بعد ذلك إلى الفصل الثالث الذي كان منصبا على البحث في معايير اللغة الفنية وخصائصها والخصائص الأسلوبية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، فقسمته على ثلاثة مباحث ، درست في المبحث الأول منها معايير اللغة الفنية في النقد الأدبي ومعاييرها عند ناصر الدين الأسد ، أتبعته بالمبحث الثاني الذي تعلق بدراسة وبيان خصائص اللغة الفنية ومميزاتها عند ناصر الدين الأسد ، ثم ختمت الفصل بمبحث ثالث دار الحديث فيه حول خصائص الأسلوب الأدبي الأدبية عند ناصر الدين الأسد .

وأفردت الفصل الرابع لدراسة مستويات اللغة الفنية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، حيث قسمته على أربعة مباحث ، كان المبحث الأول منها منصبا على دراسة المستوى الصوتي في اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد ، أما المبحث الثاني ، فقد تناول بالبحث والدرس المستوى الصرفي والنحوي فيها ، أتبعته بالمبحث الثالث الذي بحث في المستوى التركيبي الذي

تميزت به لغته الفنية الأدبية ، أما المبحث الرابع من هذا الفصل فقد تعلق بالمبحث في المستوى الدلالي الذي اختصت به وتميزت لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية .

وآخر فصول الدراسة يبحث في المصطلح والتعابير الاصطلاحية والسياقية ، من حيث تعريفها وآراء ناصر الدين الأسد فيها ، والكيفية الأدبية التي وظفها فيها في لغته الفنية الإبداعية الأدبية .

وأخيرا جاءت خاتمة الدراسة التي تضمنت ما توصلت إليه من النتائج التي ترتبط بإشكالية الدراسة وأسئلتها وأهدافها ومنهجية البحث التي أسهمت في معالجة القضايا والموضوعات التي انصب عليها الدراسة وتمكن فيها البحث بأسلوب هادف إلى الخلوصل إلى نتائج قابلة للتحليل والمناقشة ، وقابلة لأن ينبثق منها مقترحات وتوصيات لا بد منها في ختام هذه الدراسة .

وقد كانت هذه المصادر والمراجع متعددة متنوعة تنتمي إلى الفئات المصدرية والمرجعية المتمثلة في الكتب والمؤلفات التي ألفها الأديب ناصر الدين الأسد، والكتب والمؤلفات التي ذكر فيها ناصر الدين الأسد وإنتاجاته الأدبية والفكرية والأكاديمية ، وفي الأبحاث والدراسات والمقالات التي قدمها ناصر الدين الأسد ، وفي الأبحاث والدراسات والمقالات التي ذكر فيها ناصر الدين الأسد وإنتاجاته الأدبية والفكرية والأكاديمية ، وفي المجلات والدوريات والصحف التي تضمنت مقالات أو تحليلات أو أخبارا أو إشارات أو مقابلات أجريت مع ناصر الدين الأسد ، أما الدراسات الأكاديمية الجامعية ، فلم أعتز على أية دراسة من هذا النوع من المراجع ، فبعد التقصي والبحث المستمرين إلى لحظة الانتهاء من إعداد هذه الأطروحة ، لم أعتز على أية دراسة أكاديمية جامعية تتناول موضوع هذه الأطروحة ، إذ يمكن التأكيد أنها الأطروحة الأكاديمية في مستوى

دكتوراه الفلسفة في تخصص النقد اللغوي الأدبي واللغويات العربية التطبيقية هي الأولى من نوعها وموضوعها الذي بحث ودرس اللغة الفنية عند هذا الأديب العلامة .

وعليه ، فإن عندي أملا كبيرا في أن تكون هذه الأطروحة إضافة مهمة ولازمة ، وأن تأخذ مكانتها بين الأبحاث والدراسات النقدية اللغوية من حيث اللغة الفنية التي تعد أداة التعبير والتواصل في أي عمل أدبي من أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، ولعلها تكون ذخرا يذخر ، ورصيда يضاف إلى أرصدة المكتبة العربية ، حيث يمكن لها أن تساهم في التيسير على الدارسين والباحثين ، من بعد ، للحصول على ما يريدون من المعلومات والأفكار والآراء والتحليلات والإشارات عن اللغة الفنية الأدبية التي استخدمها ناصر الدين الأسد .

وقد ظهرت بعض المشكلات والصعوبات والمعوقات التي أعاققت بعض خطوات العمل والبحث قبل عمليات جمع البيانات والمعلومات والنصوص والمصادر والمراجع ومادة البحث والدراسة ، وخلال عمليات الدراسة والبحث والاستقصاء والاستقراء والتحليل ، إلا أنه - وبتوفيق من الله تعالى ، وبما قدمه لي أستاذي الفاضل المشرف الأكاديمي علي وعلى هذه الأطروحة الأكاديمية من النصائح والإرشادات والتوجيهات والمساعدات العلمية والأكاديمية والمنهجية - تم التغلب على جميع تلك المعوقات والصعوبات والمشكلات ، وبصورة يسيرة لم أكن أتوقعها .

الفصل الأول

ناصر الدين الأسد ؛ سيرة ذاتية

المبحث الأول : ناصر الدين الأسد : المولد والنشأة

المبحث الثاني : حياة ناصر الدين الأسد التعليمية والثقافية

المبحث الثالث : حياة ناصر الدين الأسد العملية

المبحث الرابع : آثاره ومؤلفاته

المبحث الأول

ناصر الدين الأسد ؛ المولد والنشأة

اسمه ونسبه :-

هو ناصر الدين بن محمد بن أحمد بن جميل الأسد . أردني عربي مسلم ، وسليل عائلة علم وجاه من عائلات العقبة العريقة ، ووالده أزهرى كان يدرس في الأزهر في مصر ، إلا أنه ترك الأزهر وانضم إلى الشريف الحسين بن علي زمن الحكومة العربية الهاشمية . وأما والدته فهي سيدة لبنانية الأصل ، كانت تحسن القراءة والكتابة وقليلًا من اللغة الفرنسية .

مولده والعوامل المؤثرة في تنشئته :-

كانت ولادته في مدينة العقبة في اليوم الرابع من ربيع الآخر من السنة الحادية والأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافق للربيع عشر من شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية .^(١) " ففي ثغر الأردن فتح عينيه ليرى النور في بداية النهضة العربية الكبرى التي أتى بها الشريف الهاشمي الحسين بن علي - رحمه الله - وعلى البيداء الواسعة درج بدويا تحتضنه الصحراء وتقطيه أودية والده العالم الأزهرى والشيخ الجليل . " ^(٢) ، حيث كان قد استقدمه الشريف الحسين بن علي من مصر لتسليمه مهمة رسمية في العقبة ، وقد ذكر ناصر الدين الأسد هذا الموضوع في كثير من المقابلات التي أجرتها معه وسائل

(١) من المصادر التي ذكرت مكان وتاريخ ولادته يمكن ذكر بعض منها مثل : مظفر ، مي ، ناصر الدين الأسد ؛ جسر بين العصور ، ط ١ ، لسنة ٢٠٠٠ م ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، ص ١٣ . وأيضاً : حداد ، تيزيز ، ذكوة الوطن ، ط ١ ، لسنة ٢٠٠٠ م ، مركز الرأي للدراسات والمعلومات ومكتبة الرأي - المؤسسة الصحفية الأردنية ، عمان ، الأردن ص ٢٠٠ . وكذلك : كتاب قطوف دانية (دراسات وأبحاث مهداة إلى ناصر الدين الأسد) الجزء الأول ، تحرير الدكتور عبد القادر الرباعي ، الطبعة الأولى ، لسنة ١٩٩٧ م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص ١١ .
(٢) حداد ، تيزيز ، ذكوة الوطن ، ط ١ ، لسنة ٢٠٠٠ م ، مركز الرأي للدراسات والمعلومات ، مكتبة الرأي ، المؤسسة الصحفية الأردنية ، عمان ، الأردن ، ص ١٩٩ .

الإعلام المختلفة ، وقد كان مما قاله في هذا الصدد : " وكان الشريف حسين بن علي قد أرسل والدي للعقبة في ذلك الوقت لوضعها التجاري . فقد كان والدي محمد أحمد جميل الأسد يدرس في الأزهر ، وانضم للحسين بن علي ، وربطت بينهما صداقة قوية . فقد كان والدي مديرا للرسوم في العقبة ثم قائم مقام . ووالدي أشرف على بناء المقر في العقبة عام ١٩١٨ م والدي أصبح فيما بعد سكنا لقائم مقام العقبة وفي إحدى غرفه ولدت ، وأمام هذا المبنى حفر والدي بئرا للماء سماه بئر الأسد . " (٣)

وعند الحديث في البداية عن تلك المصادر والمؤثرات الأولى التي أسهمت في تكوين ثقافته العميقة وبخاصة : الأشخاص ، الكتب ، الأمكنة ، والأحداث والمواقف والأوضاع الأسرية ، والأوضاع العامة في البلاد ، نجد أن ناصر الدين الأسد يحتفظ في ذاكرته بالكثير من تلك المصادر والمؤثرات التي ما زالت ماثلة في ذاكرته ، رغم أنه يعتقد بأنها قليلة وأن ذاكرته في هذه الأيام لا تسعفه بالقدر الذي يريد عند الحديث في هذه الأمور الخاصة به وبحياته ، إذ يقول في أحد اللقاءات التي أجريت معه : " البدايات أصبحت بعيدة ، وما أظن الذاكرة تسعفني إلا بأقل القليل ، وهذه مناسبة لأذكر هذا القليل قبل أن يضع كما ضاع ذلك الكثير من قبل ، ومن أقوال القدماء (ما لا يدرك كله لا يترك كله) ، وقد يقال : لا يترك كله (بالجيم المضمومة) ، وهو كلام لا يستقيم ، لأن من الطبيعي أن ما يدرك كله لا يترك أكثره ، وهو معنى (كله) وأرى الصحيح (لا يترك كله) (بالالف المضمومة) ، أي ما لا يدرك كله لا يجوز أن يترك حتى القليل منه إذا أمكن أن ينال هذا القليل . " (٤)

(٣) حداد ، تيريز ، ذاكرة الوطن ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .
(٤) جريدة الرأي ، ١١٠٩٥٤ ، تاريخ : ٢٤ / ١ / ٢٠٠١ م ، زلوية حوار الشهر الثقافي ، مع الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد ، لجرى الحوار : يحيى القيسي ، ص ١٧ .

وكثيرا ما يتحدث في لقاءاته مع وسائل الإعلام عن نشأته الأولى ، وفي هذا الموضوع ، يضيف الأسد قائلا : " أما النشأة والطفولة فقد كانتا في بادية شرقي الأردن الجنوبية في العقبة حيث المولد ، وفي الشوبك ووادي موسى ومعان ، حيث اضطرت الأسرة إلى التنقل بحكم عمل الوالد الحكومي ، وكانت هذه المدن الآن بلدات صغيرة أو قرى حينئذ ، فقد كانت مباني العقبة من الطين (اللبن) على قيمة موقعها في طريق الحاج وعلى مفترق الطرق بين مصر والحجاز وفلسطين . " (٥)

وعلى ما يبدو أن العمل الحكومي آنذاك كان يستدعي أن تكون تنقلات الموظف العام كثيرة وحسب الحاجة إليه في المواقع الوظيفية المختلفة في تصنيفها ووصفها وفي أماكنها ، حيث كانت تنقلات والد ناصر الدين الأسد كثيرة بعد العقبة ، فعمل في الشوبك التي شهد فيها ناصر الدين الأسد الزلزال الذي تعرضت له منطقة الشرق الأوسط عام ١٩٢٧ م ، ثم عمل في وادي موسى ، ومعان .

أما المخطط الجديدة في حياته - بما فيها من التنوعات البيئية - فهي عمان العاصمة الأردنية التي تختلف في بعض تكويناتها عن بقية الأماكن الأخرى التي أقام فيها ناصر الدين الأسد ، وكان انتقاله إليها في عام ١٩٣٣ م ، وسكنت الأسرة في بيت لأحد الشراكسة خلف البنك العربي القديم في شارع الملك فيصل ، ثم انتقلت إلى منزل يقع على طريق وادي السير . حيث " كان في الانتقال إلى عمان انتقال إلى بيئة طبيعية مختلفة عما ألفه ناصر الدين في الجنوب . " (٦) لكن التغيرات التي طرأت على حياته ونشأته لم يكن مرجعها إلى البيئة

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧ .

(٦) مظفر ، مي ، ناصر الدين الأسد ، جسر بين العصور ، ص ١٩ .

الطبيعية المختلفة عما ألفه في الجنوب فقط ، وإنما مرجع هذا الأمر كان إلى عوامل ومؤثرات أخرى تنبه إليها وراح يرصدها بدءاً من العامل المتعلق بالطبيعة وتضاريس المكان ، ولطالما كان يذكر ذلك في المقابلات التي كانت تجريها معه وسائل الإعلام المتنوعة في أوقات لاحقة . وقد كان يذكر بعض التفاصيل الدقيقة عن المكان والزمان والرفاق . ودائماً يبدأ ذكرياته الأولى بالحديث عن البادية وأثرها في حياته الأولى ، " فقد عشق ناصر الدين البادية ، وأدرك من آفاقها الرحبة مغزى الحرية وقيمتها ، كما أحب الشعر بوصفه جزءاً أساسياً من تكوين إنسانها . " (٧)

أما الأفضل والأصوب ههنا ، فإنه من المستحسن إيراد ما قاله عن نفسه في أحد اللقاءات التي أجريت معه عام واحد وألفين ميلادية ، حيث قال : " لقد كانت النشأة والطفولة إذن في طلاقة البادية حيث الصفاء والانعتاق وامتداد البصر والخيال ، وحيث المضارب والخيول والجمال ، وأكثر ذلك قد زال أو يوشك . " (٨) ويعرج بعد هذه البداية في ذلك اللقاء على أول قراءاته التي أسهمت في تكوين ثقافته وتعلمه وتربيته ، ولم ينس ناصر الدين الأسد محطة عمان المهمة في حياته ، فهو يذكر كيف أسهمت موجوداتها ومؤثراتها الثقافية والطبيعية والبشرية في تنشئته وتكوينه .

ويذكر أنه كان قد استأنف تعليمه الابتدائي في مدرسة تجهيز عمان ، التي كان صاحبها محمد علي العجلوني ، وتقع في جبل اللويذة بعمان . كما يذكر أنه كان قد تتلمذ على أيادي معلمين من ذوي المستويات العالية في التعليم ، ومن ذوي القدرة على التعامل مع الأوضاع

(٧) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، ص ١٣ .
(٨) جريدة الرأي الأردنية ع ١١٠٩٥ ، ٢٤ / ١ / ٢٠٠١ م ، حوال الشهر الثقافي ، يحيى القيسي ، ص ١٧

التربوية والتعليمية في المدارس التي درسوا فيها . ولعل والده يعد المعلم الأول لولده ناصر الدين الأسد ، ووالدته المعلمة الأولى له ، إذ " تربي في بيت علم وفكر ، وعلى مبادئ الشيخ المسلم والعالم الفقيه الذي كرس جهده من أجل افتتاح أول مدرسة في العقبة لتحضن أبناء المنطقة في منتصف العشرينات ، ذلك والده محمد أحمد جميل الأسد . " ^(٩) الذي كان يحضر له الكتب التي تزود منها بثروة لغوية مناسبة ، حرصا منه على أن يجعل صلة ناصر الدين بالكتاب قوية وطيدة ، ومن هذه الكتب ؛ كتب كامل الكيلاني وديوان محمد علي الخوماني الذي كان عنوانه (الخومانيات) ، الذي كان له الأثر الكبير في تنشئة ناصر الدين الأسد ونفسه . وأعتقد أن ناصر الدين الأسد لم يقتصر في قراءاته الأولى على نوع أو فن أدبي دون آخر ، وإنما كان يتناول في قراءاته تلك ما تقع عليه يده ، أو ما كان يجده في مكتبة والده ، أو ما كان يزوده به معلموه أو زملاؤه في المدارس التي كان يدرس فيها .

ومن ذلك ومن غيره من العوامل المؤثرة في حياته الأولى وتنشئته ؛ كالذكاء الفطري أو الموروث ، وكالبيئة المحفزة والمناسبة في كل مجالاتها ومعطياتها ، وكالطموحات والآمال ، وكالقدرات والطاقات والامكانيات المخزونة في ذاته ، فقد " بدت أولى مواهبه حينما كان في العاشرة من عمره في العام ١٩٣٣ م ، إذ ألقى كلمة مؤثرة في الاحتفال التأيبي الذي أقيم بعمان في ذكرى وفاة الشريف حسين بن علي . " ^(١٠)

ورغم ما مر عليه من بعض الأحداث الجسام في حياته ، فإنه ما يزال يخترن في ذاكرته بعض تلك الأحداث وشيئا من تفاصيلها ، التي شكلت الدوافع والخوافز والعوامل التي أسهمت

^(٩) جريدة الرأي ، ١١ / ٣ / ١٩٩٧ م ، ذكوة الوطن ، حوار : تيريز حداد ، ص ١٤ .

^(١٠) جريدة الرأي ، ١ / ٢ / ٢٠٠٢ م ، صورة عن قرب ، ص ١٥ .

في تنشئته التشبث المثلى التي آتت أكلها بعد وقت قصير من حدوثها ، واستمر ذلك الأكل إلى هذا الوقت ، ومن هذه العوامل والأحداث المؤثرة وفاة والدته عام ١٩٣٥ م ، وذكرى وفاتها ما زالت عالقة في ذهنه حتى اليوم . ووفاة والده التي كانت عام ١٩٣٩ م ، " ولكن موت أبيه ، كما يبدو ، قد أضاف إليه قوة أخرى ، وعزز فيه الإرادة من أجل أن يهب أباه الحياة التي تمنها لابنه ، فهو الامتداد الزمني الذي يقود إلى المستقبل . " (١١)

ويمكن القول إن عمان في حياة ناصر الدين الأسد تعد أهم محطة من محطات التي نزل فيها قبلها في حياته . حيث إنه اهتم بها اهتماما بالغاً جعله يفرد لها بحثاً أكاديمياً من أبحاثه فيما بعد وسماه بـ (اللقاء وقصبتها عمان في كتب الجغرافيين العرب) .

إن تأثير ناصر الدين الأسد بالبيئة التي وصفها ما يزال في نفسه وعقله ووجدانه ، وذلك لأنه وبعد طول عهد يصف بدقة متناهية وفيها من التفاصيل المهمة ما يؤكد استمرارية التأثير بما وصف منذ الطفولة وإلى هذا الوقت .

لقد ربط ناصر الدين الأسد في وصفه الأماكن بين ما كانت عليه عبر التاريخ وما هي عليه أيام كان يعيش فيها في صباه . وقد ظهر في وصفه الربط التاريخي بين الماضي والحاضر مما يدل على علاقة الماضي وتراثه بالحاضر وثقافته وحضارته في رؤاه وتصورات ونظراته إلى الثقافة والحضارة والحياة .

(١١) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، ص ١٩ .

فالمؤثرات المكانية لها الامتدادات البينية قبل الانتقال إلى عمان ، وما فيها من تراكمات أسهمت في تكوينه وفي إعدادة للحياة ، ولها الامتدادات البينية التي بدأت من عمان بكل ما فيها من المؤثرات الجاذبة ، والمؤثرات الدافعة على تقبل المكان والتأثر به بكل ما فيه .

ومع ذلك فقد كان يغمره شعور أعمق من شعوره بأنه ينتمي إلى مكان واحد صغير من وطنه الأردني الكبير ، الذي يشعر بالانتماء إليه ، لما له في نفسه من مكانة عظيمة دعت إلى أن يعرف عنه كل شيء وفي وقت مبكر من أيام حياته ، فعمان أو معان أو العقبة أو البادية التي تحدث عنها كلها أماكن محدودة متفرقة ، ولكل منها مميزات وخصائصها وتأثيراتها ، أما الأردن كوطن ، فإنه كان يراه بعين أخرى تمكنه من استجلاء ما فيه من عوامل الجذب والانتماء والوطنية ، والاندماج في بيئته الكبيرة ، والانسجام مع كل المعطيات الثقافية والاقتصادية والسياسية والفنية والأدبية التي كان عليها وكانت فيه ، إلى جانب العوامل النفسية التي كانت تدفعه إلى الرغبة في المشاركة والإسهام في بعض النشاطات والأعمال المدرسية والاجتماعية وحسب المرحلة العمرية التي كان يمر بها في أيام طفولته . فالتعامل مع أجزاء من المكان لا تغني عن التعامل مع المكان ككل ، ومن ذلك يمكن القول إن للمكان الجزء أثرا ، وللمكان الكل أثرا أكبر ، فعمان هي الجزء بتأثيراته ، والأردن هو الكل بتأثيراته أيضا .

أما المؤثرات السياسية والوطنية التي وعها وأدركها ناصر الدين الأسد في صباه ، فقد كانت على أهمية كبيرة في تغيير مجرى حياته في بعض الأوقات ، ولعل لهذا الأمر وقعه في نفسه ، وبخاصة أنه كان من أبناء المقربين وذوي المسؤولية في الحكم والسلطة .

ولا شك في أن والد ناصر الدين الأسد كان يصطحب ابنه إلى بعض الأماكن ، وكان لذلك أثر كبير في تفتح الذهن والتوجه السياسي الواعي لدى ولده الذي كان يريد له أن يكون في أفضل مستوى ، وفي أحسن مستقبل ، وفي أعلى الدرجات خلقا وعلمًا ومسؤولية ، مما أتاح له أن يعرف ويدرك في مراحل مبكرة من حياته ما كانت عليه البلاد الأردنية ، وبعض الأحداث السياسية فيها ، فعرف نظام الحكم ، وأدرك كيف تسير الأمور في إدارة شؤون البلاد ، ولذلك وجدناه يقول : " ذلك أن قيام الأمير عبد الله بن الحسين على رأس الحكم في شرق الأردن ، وهو عربي قرشي هاشمي ، وابن موقد الثورة العربية الكبرى ، ... ، ثم إن الأمير عبد الله كان واسع الاطلاع على الأدب العربي والتركي ، ذواقة ، ينظم الشعر ، ويحب مجالس الأدب ، ... ، فانضمت من حوله طاقة عبقة من الشعراء والكتاب ألفوا بلاطاً أدبياً عامراً ، وكان من أشهرهم : الأمير عادل أرسلان ، والشيخ مصطفى الغلاييني ، والشيخ فؤاد الخطيب ، والأستاذ خير الدين الزركلي ، والأستاذ محمد الشريقي ، والأستاذ مصطفى وهي التل ، والشيخ سعيد الكرمي ، غير من كان يفد عليه من حين إلى آخر من الشعراء والكتاب وهم أكثر ، ... ، ثم إن هذه الإمارة الناشئة قد اجتذبت إليها نفراً آخر من الأدباء ، ... ، وربما كان أشهر هذا النفر ، ... ، والأستاذ سعيد السدرة ، والشيخ فهمي هاشم ، والشيخ نديم الملاح . " (١٢)

كما أن ناصر الدين الأسد كان قد عرف أحوال التربية والتعليم في بلاده الأردن آنذاك ، وبين في ما قال وما كتب أنه كان يعيش في بيئة تربوية تعليمية لها ظروفها وخصائصها .

(١٢) الأسد ، ناصر الدين ، الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، دوت ، د ن ، ص ٤٨ .
٣٢

وعرف المجال الإعلامي ، الذي لم يكن له أثر في الساحة التعليمية والثقافية في الأردن ، إلا ما كان متمثلا في بعض الصحف الشهرية أو الأسبوعية التي لم تكن تصل إلى أيادي الناس بصورة مستمرة ولا بالسرعة التي هي عليها اليوم ، وذلك لأنه " عندما أسست إمارة شرقي الأردن سنة ١٩٢١ م ، لم يكن هنالك صحيفة يومية تصدر في البلاد ، وكان الأردنيون يلجأون إلى الصحف والمجلات والدوريات الأخرى التي تصدر في فلسطين وسورية ومصر ، وكانت الصحيفة الحكومية الأولى وهي جريدة (الشرق العربي) الأسبوعية التي ظهرت في سنة ١٩٢٣ م ، وكانت تتضمن بيانات رسمية وتشريعات وأخبارا محلية ودولية ومقالات أدبية وسياسية ، ثم تطورت مع حلول سنة ١٩٢٩ فأصبحت جريدة الحكومة الرسمية ، وتضمنت إعلانات وتعليمات وتشريعات رسمية . " (١٣)

ولما أصبحت الحاجة ماسة إلى الوسائل الإعلامية ، وبخاصة الصحافة ، " فقد مرت الصحافة الأردنية بمراحل من التطور على صعيد المستوى الفني وأسلوب تحريرها وطبيعة المواضيع التي تعالجها . " (١٤)

لقد سبق القول إن الأردن كان قد تعرض لعدة أحداث وظروف ووقائع كان الحكم العثماني على البلاد سببا فيها ، ثم فيما بعد كان الانتداب البريطاني سببا آخر فيها أيضا ، ولكنه كان على صور أخرى من صور حكم البلاد والسيطرة عليها وعلى مجتمعاتها ومواردها ، وتوجيهها الوجهة التي يريد بها ذلك الانتداب . فأدرك ناصر الدين الأسد في بواكير حياته كثيرا من المؤشرات والأوضاع العامة المختلفة في البلاد ، فكان تعامله معها تعامل الذي يعرف الشيء

(١٣) وزارة السياحة والآثار ، د. د. ، عمان ، الأردن ، ص ٩١ .
(١٤) الربيع ، أحمد نزيان ، السلوك الديمقراطي في ضوء التجربة الأردنية ، ط ١ ، ١٩٩٢ م ، عمان ، الأردن ، ص ١٣٨ .

وفهمه ، ولكنه لا يستطيع فعل شيء إزاءه إلا ما يقدر عليه من إحساس وشعور وتعاطف من جهة ، وتأمل وتفكير في ما هو فيه وما وطنه فيه من أحوال وظروف ومعطيات ، وربما كان - من شدة تأثيره في ما يلمسه أو يراه أو يحسه أو يعاني منه أو يفكر فيه - يطرح التساؤلات تلو التساؤلات ، ويعبر عن ما يستطيع التعبير عنه بأسلوب أو بآخر ، حيث " شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى توسعا في التعليم الابتدائي والثانوي وانتشار المدارس الأجنبية التي صاحبها علاقات ثقافية أوسع مع البلدان العربية المجاورة ، وتمت ترجمة أعمال أدبية عديدة إلى اللغة العربية عن اللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية والإيطالية والألمانية . وأصبحت الصحف والكتب متوافرة ، كما جرى إقامة نواد وجمعيات ثقافية . من هنا يمكن للمرء أن يدرك كيف أصبحت المملكة الأردنية قاعدة للحرية والوحدة والنضال من أجل حياة أفضل ، لجميع العرب . ويعكس أدب الأردن وحياته الفكرية المثل والتطلعات الوطنية العربية ، ومن هذه الخلفية الثقافية التاريخية يبرز مفهوم الثقافة الوطنية الأردنية ، كمظهر محلي للتركيبة الثقافية العربية الأشمل . " (١٥)

لم يكن ناصر الدين الأسد بعيدا عن الأحداث ، وإنما كان على صلة ببعضها ، وبخاصة تلك التي كانت بعد عام ستة وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية ، حيث كانت قد " شهدت السنوات بين ١٩٢١م إلى ١٩٤٦م إبان عهد الإمارة ، ازدهار الحركة الأدبية والفكرية ، ... وقد مثلت الكتابة الإبداعية المشاعر والمثل الوطنية لدى الطبقة المتوسطة الأردنية المتزايدة ولحقت الحركة في الضفة الشرقية بسرعة بالحركة المماثلة ، رغم كونها أكثر تقدما في فلسطين التي كانت وقتئذ تحت الانتداب البريطاني ، وبعد سنة ١٩٤٨م اتحدت الحركتان وأحرزتا ميزة أردنية بشكل

(١٥) وزارة السياحة والآثار ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

جوهري ، وأبرزت ملامح حركة أدبية واضحة ظلت تتنامى حجما ، وتعمق وعيا ، وتميز إبداعا . " (١٦)

وإلى جانب ذلك كله فقد " كان شرق الأردن في هذه الفترة يعوج بالحركات الوطنية (فترة الأربعينات) بالزعماء الوطنيين من الشمال والوسط والجنوب ، ... ، وكان تلاميذ مدرسة عمان (العسبية) كثيرا ما يوزعون المنشورات ويدعون التجار إلى الإضراب في المناسبات الوطنية . " (١٧)

أما ناصر الدين الأسد فقد كان له دور ومشاركات مهمة في النشاطات والأعمال والحركات الوطنية الطلابية التي يوجهها وينظمها الوطنيون من أبناء الأردن وفلسطين .

ولعل هذا الأمر كان من المؤثرات القوية الفاعلة في مسيرته في الحياة ، إذ إن كثيرا من التغيرات والتحويلات قد طرأت على الوطن الأردني ، مما أدى إلى انفتاح الكثير من الآفاق أمام الناس ، وإلى نشأة بعض القيم في الأوساط الاجتماعية التي تساعد كل فرد من أفراد المجتمع على القيام بالمهام والأدوار التي يستطيع القيام بها .

ونتيجة لجهود الوطنيين الذين ساروا في ركب الأمير الهاشمي عبد الله بن الحسين ، واستأثروا بنور الثورة العربية الكبرى " فقد تجمع في الأردن إرث الثورة العربية الكبرى بكل ما يمثل هذا الإرث من معاني النظرة العربية الصافية الشاملة ، ومن وحدة وطنية وتسامح ديني ، ومن رفض لجميع صور السيطرة الأجنبية والنفوذ الخارجي . وظل هذا الإرث مستمرا موصول الحلقات منذ نشأة الإمارة إلى يومنا هذا . " (١٨)

(١٦) المرجع السابق نفسه ، ص ٨١ .

(١٧) جريدة الرأي الأردنية ، تاريخ ١٣ / ٣ / ١٩٩٧ م .

(١٨) مجلة أفكار ، ع ٤٤ ، ١٩٩٧ م ، ندوة الكتاب والأديب ، كلمة الأسد ، ص ٩ .

فالإنسان الذي نشأ في الأردن - متأثراً بكل عوامل التشبث - لا بد أن يعاني كما يعاني ابن فلسطين الذي شاركه المشاعر واليقظة والأعمال ومحاربة الاستعمار الذي جثم على البلاد . وفي هذا تصريح واضح يصرح به الكثيرون ، ومنهم ناصر الدين الأسد ، حيث يقول : " نحن عشنا في أعقاب كارثة كبيرة . أتحدث عن جيلي . طفولتنا عاصرت أعقاب كارثة كبيرة هي زوال الوحدة بين أقطار عالمنا . " (١٩) ، ولعله يقصد العالم العربي .

وبحسب ما استطاع ناصر الدين الأسد أن يستوعب الظروف والأحوال والمستجدات وهو في تلك السن وفي ذلك المستوى التعليمي ، فإنه يمكن الاعتقاد بأن النفسية القوية والعقلية الكبيرة والدكاء الحاد ، كانت كلها تساعد على القول بأنه نشأ في بيئة مضطربة في جميع أشكالها وألوانها ومعطياتها ومجالاتها ، وذلك لأنه وقعت البلاد تحت ظروف قاسية جاء بها الزمن " ... فعاشت البلاد مدى ثلاثين عاماً في ثورات متصلة ، أثمر الاستعمار نقيض ما كان يرمي إليه ، فقامت في البلاد الجمعيات والنوادي وتنظيمات الشباب والصحافة الجريئة القوية ، وقمافت الناس على إنشاء المدارس وتعليم أبنائهم واستكمال تحصيلهم في الجامعات في الخارج وازداد الإحساس ازدياداً مطرداً بقوة الروابط بين أجزاء الوطن العربي وشعوب الأمة العربية ، وبضرورة الوحدة ، والاتحاد بين البلاد العربية لمقاومة ما يراد بهم . " (٢٠)

إن المرء الباحث يكتشف أن نشأته الأولى تثبت أن له الكثير من المواقف والأحداث والكتابات التي تدور في فلك الثقافة والحضارة في كل من الأردن وفلسطين ، بل في جميع الأقطار العربية الأخرى .

(١٩) مجلة العربي ، ع ٥٢١ ، ٢٠٠٢م ، اللغة العربية تنبل على أيدي لبنانها ، ص ٧٥ .

(٢٠) الأسد ، ناصر الدين ، الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، ص ٥٥ .

وشأن ناصر الدين الأسد شأن بقية التلاميذ في المدارس الأردنية ، فقد كانوا جميعا من المواكبين للحركات الثقافية والأدبية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في الأردن وفلسطين ، مما جعلهم فيما بعد يبحثون وبكل اهتمام عن كل ما يشحن مشاعرهم وقدراتهم الوطنية والتعليمية والثقافية ، فيقرأون كل ما كان يتوافر لهم من المؤلفات والكتابات والأشعار ، وبخاصة ما كان منها يشير المشاعر الوطنية .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشعر كان أكثر وقعا وتأثيرا على ناصر الدين وأترابه من أبناء الأردن وفلسطين ، وذلك لأن مشاعر القومية كانت قد تولدت لديه منذ نعومة أظفاره ، ولأن الأهداف الوطنية كانت قد تسربت إلى نفسه حتى بلغت العروق ، الأمر الذي جعله لا يفرق بين منطقة عربية وأخرى أو بين بلد عربي وآخر . وهذا من قبيل القومية العربية ومن قبيل الإعجاب والافتتان بالأرض العربية ولا سيما الأردن وفلسطين .

وهذا يعني أن الجانب الثقافي كان له أثر بالغ في شحذ الهمم والعزائم الوطنية والقومية لدى الناس على اختلاف فئاتهم وشرائحهم ، فيقول : " فهناك مثلا الجمعيات الأدبية التي كانت تؤلف في بعض مدن هذين البلدين عن الرجال الذين بلغوا من الثقافة والعلم منزلة جعلتهم يحسون بضرورة إنشاء مثل هذه الجمعيات لتضافر الجهود لإنقاذ البلاد من كبوتها ، وربما كان من أشهر هذه الجمعيات (جمعية الآداب) التي أسست في القدس سنة ١٨٩٨ م ، وكان رئيسها داود الصيداوي ، وأعضاؤها : عيسى العيسى ، وفرج فرج الله ، وأفتيم مشبك ، وشبلي الجمل ، وجميل الخالدي ، ونخلة ترزي ، و خليل السكاكيني " (٢١)

(٢١) المرجع السابق نفسه ، ص ٤١ ، (ويحيل ناصر الدين الأسد للقارئ في هذا الموضوع إلى السكاكيني ، خليل ، في كتابه : أنا يا دنيا ، ص ٤٨)

إن الظروف والأوضاع التي لا تكون كما يريد المرء الذي يعيشها تجعل منه إنسانا يختلف عن الكثير من أبناء مجتمعه ، وهذا قريب مما حدث مع ناصر الدين الأسد بفعل العوامل والمؤثرات الداخلية (الذاتية) والمؤثرات الخارجية (الأسرة ، المدرسة ، المجتمع ، الظروف الخارجية التي سيطرت على كل البلاد الأردنية حينذاك) ، فالذي حدث معه أنه نتيجة تأثره بتلك الأوضاع والظروف والعوامل حاول أن يجد متنفسه في استثمار ذكائه وقدراته ومواهبه في قول الشعر وفي الكتابة ، ولكنه وإن لم يكن مكثرا في تلك الفترة من التعبير في هيئة الشعر وتشكلاته لديه ، أو في سيماء النثر وتكويناته عنده ، فإنه قال الشعر الذي له خصائص الشعر ، وقال النثر الذي له سمات النثر الأدبي ، وذلك حسب تلك المرحلة العمرية وذلك المستوى التعليمي الذي ساعده على التعبير باللغة الفنية لكلا الصنفين الأدبيين المذكورين سابقا .

إن كل المؤشرات التي تم رصدها في نتاج ناصر الدين الأسد الشعري والنثري تشير إلى أنه يمتلك ومنذ البواكير الأولى من تلك النتاجات الأدوات الفنية الأدبية التي تجعل منه الشاعر والأديب الكاتب والمؤرخ الحاذق والخطيب المفوه النابه . وكل ذلك له منبع واحد هو بيئته التي كان يجد نفسه فيها ويجد متنفسه في أرجائها أيام كانت ساحة الطفولة لديه ملاءى بكل متطلبات الطفولة وتكوينها .

ويتضح مما سبق أن نشأة ناصر الدين الأسد لم تكن كأي نشأة لأي إنسان عادي في مستقبل حياته ، وإنما كانت نشأة لها ظروفها ، ومؤثراتها ، وأحوالها ، ومظاهرها ، ونتائجها التي بانَت بصورة واضحة جلية في حينها أحيانا ، وبعد انفلاته من ربة مرحلة الطفولة المبكرة ، ثم مرحلة الطفولة الوسطى ، ثم مرحلة الطفولة المتأخرة ، أحيانا أخرى ، إذ إن مثل هذه النشأة التي لها

خصائصها لا تنأى لأي فرد من أفراد المجتمع العاديين ، وإنما لا تكون إلا لفرد متفرد في خصائصه
النمائية وفي قدراته وطاقاته وجهوده وتطلعاته التي بدأت تبرز في ميادين حياته تدريجيا ومن خلال
عدة سلوكيات وإنجازات .

إن كل من يقرأ ناصر الدين الأسد ، لا بد واجد الكثير من المؤشرات والدلائل على
استثماره الاستثمار الأوفى والأفصح في كل ما قام به ، وما قدمه لنفسه ، ولوطنه ، ولأمته العربية
ولإنسانيته على المستوى العالمي ، ولدينه الإسلامي الذي كان إيمانه فيه راسخا دافعا له إلى المزيد
من الإنجاز والعطاء ، فهو ذلك النابغة منذ طفولته ، كما دلت على ذلك المعطيات والأدلة
والمؤشرات فيما بعد ومن قبل .

المبحث الثاني

حياة ناصر الدين الأسد التعليمية والثقافية

هذا المبحث يحكي عن جانب مهم من جوانب حياة ناصر الدين الأسد ، وهو على علاقة بالجانب الأول الذي تعرض له المبحث الأول من الفصل الأول من هذه الأطروحة ، حيث كان الحديث فيه عن حياة ناصر الدين الأسد الأولى ، وبخاصة اسمه ونسبه ومولده ونشأته والعوامل المؤثرة فيها . أما هذا المبحث فإنه يتعلق بالحديث عن حياة ناصر الدين الأسد التعليمية والثقافية ، وما هو عليه في هذا الجزء من سيرته من حيث المراحل والأماكن والمجالات والحقول التعليمية التي مر بها عبر فترة زمنية ابتدأت من التحاقه بالكلية العربية بالقدس وانتهت بحصوله على درجة الدكتوراه ، وما هو عليه من ثقافة أهلته وجعلته يفهم ثقافة مجتمعه وثقافات مجتمعات أخرى ، كما أهلته لأن يتبوأ مكانته المناسبة بين أقرانه وبين أبناء مجتمعه الأردني وأبناء مجتمعه العربي .

إن أول مدرسة التحق بها كانت في العقبة ، درس فيها الصفيين الأول والثاني الابتدائيين ، تلك المدرسة التي بناها والده محمد الأسد حيث يدلي في هذا الصدد بقول يؤكد هذه المعلومة لما لها من دلالات وإشارات تنبع من اهتمام والده بالتعليم والتربية وما يبني عليهما من تنشئة سليمة صحيحة ، ولعله في تأكيده وإيراده لهذا الخبر يكون راغبا في شيء فيه من الفخر

والاعتزاز بأعمال والده شيء ، فيقول : " بنى والدي أول مدرسة ابتدائية في العقبة ، وفي عام ١٩٢٤ م زار الشريف حسين المدرسة وأمر أن يكمل البناء فيها على نفقته الخاصة وكانت هذه أول مدرسة التحقت بها ودرست فيها حتى الصف الثاني ."^(٢٢)

ولما انتقلت أسرته إلى الشوبك ثم إلى وادي موسى ثم إلى معان ، تبين - لقصر مدة الإقامة لهذه الأسرة في هذه المناطق - أنه لم يلتحق بإحدى المدارس التي كانت توجد فيها ، وذلك لأنه يقول ما مفاده أنه تابع دراسته الابتدائية في الصف الثالث الابتدائي عند انتقال أسرته إلى عمان ، وفي هذا الموضوع يقول : " وكانت أول مدرسة التحقت بها مدرسة تجهيز عمان في جبل اللويذة (مدرسة العجلوني) وكان بجوارها بعض السكان المعروفين والقياديين مثل قائد الجيش العربي اللواء عبد القادر الجندي والقانوني صالح بسيسو ومحمد علي العجلوني صاحب المدرسة ."^(٢٣)

وبعد ذلك انتقل إلى المدرسة العسبلية لمتابعة دراسته الثانوية المتوسطة ، " وكانت المدرسة العسبلية مجاورة للديوان الأميري ، وكاننا معا مواجهين للمدرج الروماني ."^(٢٤)

ولا ينسى ناصر الدين الأسد بعض الرفاق والزلاء في المدارس التي كان يتعلم فيها ، ولعله يذكر بعضا منهم ، إذ يقول : " ومن زملائي في المدرسة أتذكر نظمي البطيخي ، وليد بسيسو وعددا آخر من الزلاء لا أتذكر أسماءهم الآن ."^(٢٥) ويقول أيضا في موقف آخر : " ومن زملائي

(٢٢) حداد ، تيريز ، ذكوة الوطن ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

(٢٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٠ - ص ٢٠١ .

(٢٤) دائرة الثقافة والفنون ، ديوان المحامي صبحي القطب ، ط ١ ، ١٩٨٧ م ، تقديم : الدكتور ناصر الدين الأسد ، عمان ، الأردن ، ص ٧ .

(٢٥) حداد ، تيريز ، ذكوة الوطن ، مرجع سابق ، ص ٢٠١ .

في المدرسة محمود الروسان ، ثروت التلهوني ، صبحي قطب ، وعدد من الطلبة الذين تولوا فيما بعد مناصب متعددة في الدولة .^(٢٦)

ولذلك فقد تبين أنه " كانت مرحلة الثانوية المتوسطة مقدمة مهمة لحياة ناصر الدين الأسد ، فهي مرحلة تداخل فيها التعليم في الثقافة وفي السياسة . ففي هذه المرحلة اكتسب من المعرفة في الشعر والأدب ما أيقظ في نفسه القدرة على كتابة الشعر وتذوقه ، بحكم اتصاله المباشر مع معلمين هم أنفسهم كانوا شعراء وكتاباً مبدعين ، وكان في طليعة هؤلاء كاظم الخالدي . " ^(٢٧)

لقد كان للمعلم في تلك الفترة تأثير كبير على التلاميذ ، فهو المرشد والمعلم والمربي والموجه ، وهو الذي يرسم الخطوط العريضة لمستقبل تلاميذه ، وما من تلميذ إلا وكان قد استفاد عظيم الفائدة من معلميه المخلصين والجادين في عملهم ، ومن هؤلاء ما ذكره ناصر الدين الأسد عن معلمه هو وزملاؤه الأستاذ كاظم الخالدي ، دون أن ينسأه أو ينسى ذلك العام الدراسي (١٩٣٧ / ١٩٣٨ م) حيث كان " قد أمضى ناصر الدين وزملاؤه من التلاميذ عاما دراسيا كاملا يتعلمون العربية على يد هذا المعلم الذي كان يعرض عليهم نماذج من نصوص نثرية وشعرية لم تكن مألوفة لديهم في السنوات السابقة ، وخاصة روائع القصص القصيرة الحديثة لكبار القصاصين وروائع الشعر الوطني والغزلي الحديث ، ونماذج من الكتابات عن العروبة والقضية الفلسطينية . " ^(٢٨)

^(٢٦) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠١ .
^(٢٧) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ١٩ .
^(٢٨) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، ص ٢٦ .

وهذا هو شأنه مع معلميه ، فهو لم ينس فضلهم عليه ، أو على وطنه ، وناصر الدين الأسد هو التلميذ أولا ، وهو المعلم ثانيا ، وهو المثقف ثالثا ، وهو المسؤول والإداري رابعا ، وهو العالم الجليل والمفكر والفيلسوف أخيرا ، وعندما يتذكر ما مر به وما مر عليه تنفتح أمام ذاكرته ؛ الذاكرة بعيدة المدى ، والذاكرة قصيرة المدى ، فإنه يقع في حيرة من أين يبدأ ، ولكنه يدع الأمر لأدبه ومؤلفاته وأبحاثه ودراساته ومحاضراته والصروح الشاخنة التي أسسها وأرسى قواعدها الأولى بالأردن وبعض الدول العربية الأخرى ، لكي تنوب عنه في الحديث عن إسهاماته وأعماله ، وذلك منذ أن خط أول حرف في أول كلمة من أول خطبة ألقاها أو أول قصيدة نظمها أيام كان صبيا صغيرا لا يسير إلا بصحبة والده الشيخ الأزهري العالم .

إن الحياة التعليمية والثقافية التي عاشها الأسد - وهو التلميذ في المدرسة المتوسطة - لم تكن حياة اعتيادية ، ولكنها كانت مليئة بالتفاعل والحماس وروح المشاركة ، كما كانت حافلة بالعمل والعطاء ، رغم صغر سنه ، ورغم الظروف والعوامل السياسية التي كانت تخيم على البلاد ، وفيها نمت المواهب وتزايدت الاستعدادات وتطورت القدرات ، حتى بدأت تظهر ملامح الأديب والشاعر والمثقف الذي يرجى له ولأمثاله من زملائه وأقرانه كل الخير والتقدم في المستقبل ، وهذه التنشئة كانت لازمة لمثله ولمثل من هم في جيله من التلاميذ الذين - إضافة لما لديهم - اقتدوا بمعلميهم وبأشخاص كانوا بارزين في المجتمع ويقودونه نحو الأفضل وإلى الأمام .

إن انعكاس أثر التعليم والتعلم على حياة ناصر الدين الأسد قد بدأ يظهر تدريجيا ، وبكل وضوح ، ولولا ذلك ، لما كان قد فكر وأسس الندوة الأدبية التي يتحدث عنها ، والتي يمكن اعتبارها العمل والنشاط الثقافي الأول في حياته التعليمية والثقافية ، ويتحدث الأسد عن وضع

خاص من أوضاع الثقافة الأدبية ، وبخاصة ثقافة أصحاب المهن الذين كانوا يقولون الشعر للتعبير عن أفكارهم ومعانيهم ومشاعرهم وأحاسيسهم الذاتية والوطنية والإنسانية ، مثلهم في ذلك مثل من سبقهم من أبناء أمتهم ، رغم أن المهنة التي كانوا يمتنونها لم تقف حائلا دون قولهم الشعر أو بعض الفنون الأدبية الأخرى ، وفي هذا مؤشر صريح إلى النهضة الثقافية التي عاش في أجوائها وتحت أكنافها ناصر الدين الأسد .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ناصر الدين الأسد كان له رأي في الشعر والشاعر ، وذلك في مقالة كتبها أيام كان طالبا في الكلية العربية بالقدس ونشرها في مجلة المدرسة .

لقد كان لناصر الدين الأسد شغف بالنشر أيضا ، وذلك لعله راجع إلى شغفه باللغة العربية الفصحى ، ومنذ نعومة أظفاره ، وراجع إلى تأثير معلميه على ذوقه الأدبي ، وعلى قيمه الثقافية الأدبية التي كان يمتاز بها - هو وقلة قليلة من زملائه التلاميذ - بشكل واضح جعل معلميه يهتمون به وبكل اهتماماته وتوجهاته أكبر اهتمام مما بعث في نفسه ونفوس زملائه الغبطة والسرور والسعادة بسبب ما يقدمه لهم المعلمون .

"وتشير أوراقه إلى ما تلقاه ، في عام ١٩٣٤ م ، من تنبيه على سلوكه المستمر في (التدخل فيما لا يعنيه) ، على الرغم من التفوق الذي أظهره في الدراسة ، كما تلقى تحذيرات من مديرية المعارف في شرقي الأردن لترك الاهتمام بالصحافة خلال سني الدراسة ، والابتعاد عن علاقاته الخارجية ، والانصراف إلى العمل المدرسي ، والاستمرار على اجتهداده الذي أظهره في الفصول السابقة ."^(٢٩)

(٢٩) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٢٧ - ص ٢٨ .
٤٤

لقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل التعلم المدرسي في حياة ناصر الدين الأسد ، حيث إنه " في العام الدراسي ١٩٣٨ - ١٩٣٩ م ، أنهى ناصر الدين الثانوية المتوسطة ، وكان الأول على دورته . فانتقل إلى الثانوية الكاملة ، في السلط ، وكانت هي الثانوية الوحيدة في إمارة شرق الأردن . " (٣٠)

إن حصول ناصر الدين الأسد على المرتبة الأولى في صفه من حيث التحصيل الأكاديمي والعلمي في المدرسة الثانوية في عمان (القسم الأول) ، في امتحانات شهادة الدراسة الثانوية (القسم الأول) في شهر حزيران ١٩٣٩ م ، خير دليل على أنه كان يعمل من أجل أن يكون له المكانة اللائقة به في وقتها وفي المستقبل الذي كان يرقبه بعيون لا ترى إلا ذلك المستقبل المشرق .

ولما كان ناصر الدين الأسد على مقاعد الدراسة في مدرسة السلط الثانوية ، فقد تم ابتعائه بالفعل إلى الكلية العربية بالقدس ، وأتم دراسته فيها .

وهناك وجد ناصر الدين الأسد البيئة المناسبة بكل معطياتها ، ومنها أنه كانت تصدر في القاهرة مجلتان هما مجلة (الرسالة) ومجلة (الثقافة) إذ ظل وهو في القدس يتابع صدورهما ويتابع ما ينشر فيهما ، وقد وصفهما الأسد فيما بعد بأتهما مدرستان ثقافتان مهمتان ، " وكان ناصر الدين الأسد وجيله من المتابعين لهاتين المجلتين ، وكانوا منذ عام ١٩٣٦ م يحرصون على قراءتهما ، وكانوا أحيانا يفعلون لما يدور فيهما من خصومات أدبية وفكرية ، ويتحزبون لفريق دون آخر . " (٣١)

(٣٠) مظفر ، مي ، سفر في المدى : ناصر الدين الأسد - ملامح من سيرته وأبيه ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص ٣٣ .

(٣١) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

قضى ناصر الدين الأسد أربع سنوات في الكلية العربية بالقدس ، حصل خلالها على شهادة المترك ، وعلى دبلوم التربية والتعليم ، عاد بعدها إلى عمان سنة ١٩٤٣ م وهو يحمل ثقافة أضافها إلى ثقافته الأولى ، حيث " كانت المرحلة الدراسية في الكلية العربية مهمة جداً في التكوين الثقافي لناصر الدين الأسد . وكان قد جاء من عمان مؤسساً تأسيساً أولياً ، ولكنه في سنوات الدراسة هذه استطاع أن يكتسب من المعرفة ما أهله لمستقبله العلمي تأهيلاً عالياً ، ففيها تعلم المنهج العلمي ، والأسلوب الموضوعي في البحث ."(٣٢)

وخلال إقامته بالقدس ومتابعته دراسته في الكلية العربية كان متابعاً لكل الأوضاع والأحوال في القدس وفلسطين والأردن ، كما كان يتعاش مع تلك الأوضاع والأحوال بروح مسؤولة عالية وبفكر مستنير يهديه سبل المشاركة والتفاعل مع كل ما يحيط به في تلك البيئة ، ولذلك لا غرابة في تأثره الذي طالما دفعه للتعبير عن كل المعاناة التي كان يعانيها هناك .

ومنذ البدء ، كان الأسد كبير الطموح ، كثير التأمل في الحياة ، عميق التفكير ، قوي الأمل في تحقيق المني والغايات التي يرى أنه يجد نفسه ويحقق ذاته منها ، فلم يطل مكثه في عمان بعد عودته من الكلية العربية في القدس ، رغم أنه قد وجد العمل المناسب في عمان ، وفجأة " يقرر ناصر الدين الأسد السفر إلى القاهرة لاستكمال دراسته ، على نفقته الخاصة ، فالتحق بجامعة فؤاد الأول كما كانت تسمى قبل أن تصبح اسمها جامعة القاهرة ، للعام الدراسي ١٩٤٤ - ١٩٤٥ م ، ونظراً لأنه من خريجي الكلية العربية بالقدس ، التي كانت

(٣٢) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

الستان الأخيرتان من الدراسة فيها تعدان دراسة جامعية أولية ، فقد أعفى من السنة الجامعية الأولى والتحق بالسنة الثانية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .^(٣٣)

ويتذكر ذلك القرار ، ويعبر بلغته الخاصة في أحد اللقاءات التي أجريت معه ، فيقول : " يمت شطر القاهرة حماها الله وحى أهلها كان ذلك في عام ١٩٤٥ حيث التحقت بكلية الآداب بجامعة الملك فؤاد الأول ، كما كانت تسمى ذلك الحين وذكريات القاهرة خصبة ولا أستطيع أن أمر عليها مروراً عابراً فلا بد من التوقف عند معالم معينة ."^(٣٤)

ومن يعرف ناصر الدين الأسد ويتعامل معه عن قرب يعرف سماته الشخصية وصفاته وأخلاقه ، ومن هذه السمات أنه نشأ اجتماعي الطبع ، إنساني التواصل والاتصال ، يحب التعايش والتعامل والتواصل مع الآخرين . ولا شك في أن حياة البادية ، وحياته في عمان والسلط والقدس ، قد أكسبته جميعها تلك السمة الاجتماعية الإنسانية .

ويقول أيضا : " وهناك النقيت بالأستاذ أحمد أمين وكان أيضا يدرسي في كلية الآداب النقد الأدبي ، وهو صاحب مجلة الثقافة المشهورة وصاحب كتاب فجر الإسلام وضحى الإسلام ."^(٣٥)

ويقول أيضا : " والنقيت أيضا بأستاذة أفاضل ربطتني بهم علاقات بعد ذلك منهم محمد سعيد أبو حديد والدكتور محمد عوض محمد والدكتور زكي نجيب محمود وأحمد حسن الزيات الذي انفصل عنهم بعد ذلك لينشئ مجلة الرسالة ، ولكنه كان يتردد على لجنة التأليف والترجمة والنشر والتي كانت تصدر مجلة ثقافية ومجلة الرسالة وقد كانتا مدرستين مهمتين ."^(٣٦)

(٣٣) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٣٤) حداد ، تيريز ، ذاكرة الوطن ، مرجع سابق ، ص ٢٠١ .

(٣٥) جريدة الرأي الأردنية ، تاريخ ١٣ / ٣ / ١٩٩٧ م .

(٣٦) المرجع السابق نفسه .

" وفي عام ١٩٤٧ م حصل ناصر الدين الأسد على شهادة الليسانس الممتازة في الأدب العربي بدرجة الشرف . " (٣٧)

عاد بعدها إلى القاهرة سنة ١٩٤٩ م ، وتابع دراسته العليا في كلية الآداب في جامعة القاهرة ، فحصل على درجة الماجستير سنة ١٩٥١ م بتقدير جيد جدا .

وبعدھا التحق بالجامعة نفسها للحصول على درجة الدكتوراه حيث أتمھا وحصل عليها سنة ١٩٥٥ م بتقدير ممتاز .

لقد تتلمذ على أساتذة كثيرين تلمذة مباشرة أو تلمذة غير مباشرة بقراءة كتب من لم يتلمذ عليهم مثل أحمد ضيف ، محمد مندور ، إبراهيم سلامة ... الخ .

" وفي جامعة القاهرة - ... - اطلع الأسد على النهج التاريخي ، اطلاعا واعيا أو غير واع بفضل أساتذته الذين تتلمذ عليهم في مرحلة الدراسة الجامعية (١٩٤٣ - ١٩٤٧ م) أو في مرحلة الدراسات العليا (١٩٤٧ - ١٩٥٥ م) وعلى رأسهم طه حسين الذي كان أثره قد بدأ يفعل فعله في الأسد منذ دراسته الثانوية بالأردن . " (٣٨)

ويقر ناصر الدين الأسد بتأثره بطه حسين حينما كتب أطروحته لنيل درجة الدكتوراه ، حيث قال : " قرأت قبيل دخولي الجامعة - كتاب الأستاذ الدكتور طه حسين (في الشعر الجاهلي) ففتح أمامي آفاقا فسيحة من التفكير " (٣٩) ، ولعل ذلك كان

(٣٧) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .
(٣٨) قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، تحرير : الدكتور عبد القادر الرباعي ، بحث : ناصر الدين الأسد والمنهج التاريخي ، من قلم : حنون عبد المجيد ، ص ٤٤١ .
(٣٩) الأسد ، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ط ١ ، ١٩٨٨ م ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص ٥ .

نقطة البداية في تأثير طه حسين على ناصر الدين الأسد . " ثم استمر التأثير بعدما التحق بجامعة

القاهرة وتحول إلى صلة شخصية دامت بين الأستاذ وتلميذه (عشرين عاما ولاء) " (٤٠)

ويعز المكان وترقى منزلته في نفس ناصر الدين الأسد ، وهذا الشعور لا يتأتى لكل الناس ، وإنما يشعر به كل من يعترف بفضل المكان وجهالياته وطبيعته ، وكل من يعترف بمن كان في ذلك المكان .

وكان ناصر الدين الأسد في فترة من حياته الثقافية الأولى كان قد تخلى عن قول الشعر ، وربما كان إلى ذلك مضطرا ، والأسباب تعود إلى أنه لم يجد بعد التحاقه بالجامعة في القاهرة الوقت والمتسع والجال لإطلاق النفس وتسريح النظر في البيئة التي هو فيها والتأمل الداعي إلى قول الشعر والتعبير عن ما يراود نفسه وما يختلج في أعماقه من المشاعر والأحاسيس إلا في القليل النادر من الأوقات .

وأحسب أن ناصر الدين الأسد كان يهيمه موضوع اللغة بالدرجة الأولى على اعتبار أنها سلاح التعبير ووسيلته الفاعلة ، وأنها المجال الذي يستطيع أن يقلد فيه معلميه في بداية الأمر بمقدار ما يستطيع أن تكون له شخصيته اللغوية فيما بعد وبالقدر الذي يريد لنفسه ولها ، فكان يرى أنه قادر على أن يختار المادة الوسيلة والمعلم القدوة والنص المقنع المفيد ، لأنه كان يرى أيضا أنه معلم المستقبل ، فقد حرص على أن يوثق صلاته بالتراث وبالمعلم .

ومن يستمع إلى ناصر الدين الأسد المتحدث ، المخاور ، المناقش ، المخاضر ، المؤلف ، الكاتب ، المعلم ، يجد أن ولعه باللغة العربية الفصيحة كان مرجعه إلى مواهبه وقدراته ، وإلى إيمانه

(٤٠) الأسد ، ناصر الدين ، (حول كتاب في الشعر الجاهلي) ضمن كتاب (نكرى طه حسين) ، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٧م ، ص ١٢١ .

المطلق بأن " استعمال المدرس اللغة العربية الفصيحة يظهر مدى تقدم المتحدث ثقافيا وحضاريا ، وخاصة إذا كان المتحدث مدرسا يفترض فيه أن يكون قائدا ورائدا في الثقافة والفكر والتحضر ، ويساعد على ذلك أن اللغة العربية لغة بيان وفصاحة ، وهي غنية بالمفردات والأساليب بحيث يستطيع المدرس - مهما كان موضوع تخصصه - أن يصول ويجول في الشرح والتوضيح ، وأن يسهب ويطنب في بحر اللغة العربية الزاخر ، بعيدا عن الانزلاق في مهاوي عيوب اللغة العامية وإحراجهما ، وضيق ذات يدهما . " (٤١)

كما كان يؤمن بأن ذلك من الميسرات على المرء إذا أراد أن يكون في المكانة الثقافية والأدبية الرفيعة التي تمكنه من التعبير والتعامل مع مفردات العصر وتطوراته وحضارته في كل مجالات الحياة ، دون الاعتماد على لغات الآخرين ، إذ يبدو أن أهمأكه في امتلاك هذه الأدوات الثقافية كان يجعله يهتم باللغة العربية الفصيحة ، على اعتبار أنها المفتاح الأول من مفاتيح فهم التراث وفهم علوم العصر بما فيها من مصطلحات ومفردات ومفاهيم ، فتكون ضرورة تعلمها لازمة ، بمقدار ضرورة تعليمها ، لأن استعمالها في التعليم أقرب إلى التلميذ من اللهجات العامية أو من اللغات الأخرى ، " ثم إن التعليم باللغة العربية الفصيحة ، والتعبير عن الأفكار والنظريات ببيان عربي ، والتعبير عن المصطلحات العلمية بمفردات ومعان عربية يقضي على شعور المواطنين - والطلبة خاصة - بالاستلاب الثقافي جراء استخدام المدرس اللهجة العامية المختلط بها مصطلحات أجنبية مبهمة ، كما يقضي على شعورهم بأن لغتهم أقل مستوى من غيرها من اللغات . " (٤٢)

(٤١) أبو مغلي ، سميح ، التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع الموالد في المدارس ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ٤٠ .
(٤٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٤٠ .

أما المصادر التي أسهمت في تثقيف الأسد ولي تعليمه وتوسيع مداركه ، فقد كانت متعددة متنوعة ، ولم يقتصر على ما كان منها مقررا لتدريسه في المدارس أو في الكلية العربية بالقدس أو بالجامعة ، وإنما كان يلتهم بشغف كل ما يستطيع الوصول إليه من المؤلفات والأبحاث والمقالات وبقية أصناف الإبداعات الأدبية الأخرى . ويشار في هذا الموضوع إلى أن المواد الدراسية التي كان يدرسها لم تكن الكتب المعتمدة في تدريسها على تنوع وسعة وتعدد مثل كتب اللغة العربية ، ولا مجال ههنا للتحدث عن هذا الأمر ، إلا أنه يمكن التمثيل على ذلك بما كانت عليه اللغة العربية وكتبها ومصادر ومنايع ومراجع تدريسها ، وخير دليل للتمثيل القول : " أما دروس العربية فكانت تشمل دراسة كتب التراث ، وعيون الشعر العربي وأدبه . ويذكر ناصر الدين الأسد أن اتصاله بالتراث ترسخ هناك ، وكان من بين ما درس على أساتذته بعض كتب الأصول في الأدب مثل كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ، ويضيف قائلا إنه تعلم أصول البحث ومناهجه في هذه السنوات . وأول بحث قدمه كان عن الجامعات الإسلامية في التاريخ ، بتكليف من أستاذه الدكتور إسحاق موسى الحسيني . وعلى يد هذا الأستاذ تدرب على المرحلة الأولى من كتابة البحث العلمي . " (٤٣)

هذا بالإضافة إلى أنه " كان من أهم ما اكتسبه ناصر الدين الأسد من سلوك علمي في المراحل السابقة أنه لم يكن يترك بابا من أبواب المعرفة إلا ويطرقه ، ويلتزم أهل العلم من أساتذته وغيرهم ، فيكتسب منهم خبرتهم العملية في العلم وفي الحياة أيضا . " (٤٤)

(٤٣) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .
(٤٤) المرجع السابق ، ص ٤٥ - ص ٤٦ .

إن الاطلاع على ثقافة الغير وآدابهم تنقل الدارس إلى أجواء ومجالات فيها من الأدوات والوسائل والأساليب والأصناف الفنية والأدبية القادرة على إثارة التفكير والإبداع والمنهجية العلمية لدى المطلع سواء أكان تلميذا أم معلما أم قارئاً حراً أم باحثاً دارساً ، ولكنه يكون في الوقت نفسه بحاجة إلى من يساعده ويوجهه ويرشده ويأخذ بيده ليسير في الدرب الصحيح السليم الذي يوصل إلى فضليات النتائج وبدائع الأمور ، كما يصقل ذلك مواهب المطلع وقدراته واستعداداته ، فضلا عن أنه ينمي لديه الاتجاهات والقيم العلمية للاستزادة من تلك المعارف والعلوم والفنون والآداب التي لدى الأمم والشعوب الأخرى ، وينطبق هذا الأمر على الوضع الثقافي التعليمي الذي كان فيه ناصر الدين الأسد وبعض من زملائه ، وقد ذكر ذلك غير مرة ، ومن بين ما ذكره نقتطف المقولة التالية لتأكيد ذلك ، وهذه المقولة هي : " وفي هذا الجزء من كلمة له عن أستاذه الدكتور إسحاق موسى الحسيني ، يصف لنا ناصر الدين الأسد جانبا من حياته العلمية التي لم تقتصر على الكتاب ، بل كانت تغتنى من الود المتبادل بين الأستاذ والتلميذ . " (٤٥) وأحسب أن كتب التاريخ والأدب على الخصوص ، وكتب التراث العربي الإسلامي على العموم بما فيها من شواهد وأدلة شعرية ونثرية قد قادت ناصر الدين الأسد إلى تقبلها أولا ، وإلى فهمها وإدراكها واستيعابها ثانيا ، وإلى البحث عن علاقة شعورية حيناً وفكرية حيناً آخر تربطه بها ، ولعل تلك العلاقة قد تجسدت في حفظ الكثير من تلك النصوص الشعرية والنثرية ، وفي استهوائها واستلهاهمها عند القراءة أو الكتابة أو التقليد للخروج بنتاج جديد فيه من الإبداع شيء ، ومن يقرأ كتابه (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) الذي هو في الأصل أطروحته التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه ، يجده انعكاسا لأثر الشعر الجاهلي الذي اتصل به ناصر الدين الأسد اتصالا

(٤٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٦ .

وثيقاً . ولعل الشعر كان من أهم المؤثرات التي أثرت في حياة ناصر الدين الأسد التعليمية الثقافية الأولى ، إذ ، " كان أول شعر معاصر أجج في نفس ناصر الدين الأسد جدوة الشعر ، وألهمه في نفسه وشعره ، هو أستاذه عبد المنعم الرفاعي ، الذي رأى فيه الشعر النموذج ، سواء في كتابة الشعر أو تذوقه ، بل ظل يسكن وجدانه ، حتى إنه كتب في مقدمة واحدة من قصائده الأول (عام ١٩٣٩ م وكان عمره ست عشرة سنة) ، العبارة التالية : " وفيها الشيء الكثير من تأثير شعر الأستاذ عبد المنعم الرفاعي " ، والقصيدة تتألف من خمسة عشر بيتاً ، موزعة على ثلاثة مقاطع ، يقول في أولها : —

أنت ماذا ؟ ذوب أنفاس الضياء	ورجاء يتهادى في سمائي
أنت سر الحب في عليائه	أنت معنى من معاني الكبرياء
يا ابنة الفجر ويا أخت الضحى	أنت في رقة أنفاس المساء
أصبح أن هاتيك الرؤى	صاغها الرحمن من طين وماء ^(٤٦)

إن من يقرأ ناصر الدين الأسد في هذه الآونة يجد الصفة الموسوعية التي يتصف بها في كل نتاجاته وثقافته وعلمه وأدبه وخلقه ، " ذلك أن ناصر الدين الأسد استقى المعرفة من مناهل مختلفة ، واتسعت دائرة اطلاعه لتشمل ثقافات مختلفة ، كما أن تعليمه في أساسه قام على نظام عقلي ، ودربة ماهرة ، فاعتمدت ثقافته على التفاعل مع ما يتلقى من معرفة ، وعلى إخضاع ما ينتجه من أدب إلى منطق العقل وحكمه ."^(٤٧)

(٤٦) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٨٥ — ص ٨٦ .
(٤٧) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

ولذلك صدر بعض من الباحثين في نتائج ناصر الدين الأسد بعدة أحكام وآراء في هذا الجانب من جوانب حياته العلمية والثقافية ، ومن أهم هذه الآراء الرأي الذي يقول : " يتمتع ناصر الدين الأسد بقدرة فائقة على التقاط جوهر الأمور وإدراكها بسرعة لمحة ، ومن يقترب منه لا بد أن يلمس رغبته الشديدة في التعرف إلى تطور الأمور ومتغيراتها ، ومواكبة الحياة الثقافية بكل أبعادها الأدبية والفكرية سواء راق له الأمر أم لم يرق . " (٤٨)

وأشار بعض الباحثين إلى أنه " وفي الوقت الذي بدأت ثقافته تسير باتجاهها العلمي ، فنضجت تجربته الأدبية، وتكاملت سماتها العامة ، ومنها تجربته الشعرية ، كانت الأجواء السياسية ملبدة بغيوم كثيفة عاصفة ، وكانت الأجواء الثقافية محتدمة تشهد ساحتها صراع تيارات فكرية وأسلوبية متعددة . " (٤٩)

كما أنه يكون قد اكتسب التذوق اللغوي في المرحلة نفسها ، وبفعل العوامل ذاتها ، لأنه يعتمد إلى الميل والاعتیاد على قراءات الفهم والاستيعاب وقراءات الحفظ وقراءات التحليل والتذوق الأدبي وقراءات النقد الأدبي وقراءات الاستطلاع والمعرفة انطلاقاً من رغبته الأكيدة في السير في طريق النمو القرائي المؤدي إلى دروب النمو اللغوي الصحيح ، إذ إن " النمو القرائي هو أحد وجوه النمو اللغوي ؛ فكلما كان الفرد أكثر من غيره قراءة واطلاعا ، كان أكثر من غيره قدرة على التنامي اللغوي . وكلما كان الفرد أعمق من غيره قراءة كان أعمق من غيره في تصور الأشياء ، وأعمق في التعبير عنها . وما هذا وذاك ، إلا لأن الاتساع الأفقي والعمودي في القراءة ، يوسع المجال الأفقي للغة الفرد ، بزيادة حصيلته اللغوية ، وزيادة ثروته القاموسية ، وتنامي قدراته

(٤٨) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٤٧ - ص ٤٨ .
(٤٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٩٣ .

على إنشاء الجمل والتراكيب بصورة إبداعية . ويعمل ذلك أيضا على توسيع المجال العمودي للغة ؛ فيصبح المتعلم أعمق إدراكا للمعاني المولدة من التراكيب ، وأبعد تصورا لها .^(٥٠)

وشأن ناصر الدين الأسد مع اللغة العربية الفصيحة وتعلمها وإتقان مهاراتها والتعمق في أدائها واستخدامها في نتاجاته الأدبية كان من دافع حبه لها وحذقه فيها وفي كل ما يتعلق بها ، إنه _ وقد استمعت إليه كثيرا _ كان يلفت الانتباه بسلامة لسانه ، وقوة عبارته ، ووضوح حجته ، وسعة اطلاعه ، وجاذبية أسلوبه ، وعمق معانيه وأفكاره . ولعل ذلك كان يدفع كل من قرأ له أو استمع إليه يحاول أن يقترب منه أكثر أو يقرأ له أكثر ، ليتعلم منه أكثر .

لقد جعلت ثقافة ناصر الدين الأسد منه مفكرا عالما أدبيا ينتمي إلى فئة النمط العقلاني في التفكير والإبداع ، وفي كيفية سياسة الأمور وإدارتها ، فهو يتصف بكل صفات هذه الفئة من الأفراد المتفردين في تخصصاتهم والموسوعيين في باقي علوم الثقافة والحضارة ، وهؤلاء هم من يؤسسون المؤسسات ويرسمون في أوطانهم خطط البناء والعمل المثمر وخطط وبرامج المستقبل .

ولما آنس ناصر الدين الأسد في بداياته الأولى في نفسه القدرة والاستعداد ، فقد نشط في عدة مجالات من مجالات البحث عن الطريق الصحيح الذي يقوده إلى دنيا العلم والثقافة والأدب والإبداع ، كما طرق عدة أبواب ولج منها حجرات تقدير الذات في المراحل الأولى من خلال بعض ما قال من قصائد ومن خلال ما كتب من خطب أو مقالات ، ومن خلال التفوق على زملائه في الصفوف الدراسية ، والتميز عنهم في كثير من المشاركات والأعمال والنشاطات المتنوعة الوسائل والأساليب والأهداف . أما في المراحل التالية ، فقد ولج حجرات تحقيق الذات من خلال

(٥٠) استيقية ، سمير ، علم اللغة التعليمي ، ط١ ، د٠ ت٠ ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، لربد ، الأردن ، ص ٦٧ .

مشاركة المعلمين ندواتهم ولقاءاتهم ، ومن خلال تأسيسه الندوة الأدبية في عمان ، ومن خلال تعمقه في قراءة التراث العربي الإسلامي ، ومن خلال اطلاعه على بعض الآداب والعلوم الأجنبية بثقة وتمكن .

وفي هذه المرحلة ، ولما " تميزت سنوات الإعداد التي شملت النصف الأول من حقبة الخمسين (من القرن الحالي - العشرين) ، بنشاط أدبي وصحفي خصب ، فقد ظهرت له على صفحات الدوريات التي كان يساهم فيها ، مقالات وقصائد تشهد على تغلغله داخل الحركة الثقافية ، ومتابعته لها من خلال حضوره ندوات القاهرة ومجالسها الأدبية " (٥١)

ويجمع الكثير ممن عرف ناصر الدين الأسد ، أو قرأ نتاجاته بعمق وفهم واستيعاب ، على أنه يقدر ويحل ويقتدي بكل من كان له به علاقة أو ارتباط ، وبخاصة من كان قدوته من الأدباء والعلماء في فكر أو تحليل أو منهج أو أسلوب أو سلوك انطلاقاً من القيمة الإنسانية التربوية الإسلامية التي كان يتمسك بها ناصر الدين الأسد نظرياً وتطبيقاً ، وهذه القيمة هي : (تقدير من يستحق التقدير) .

ويكتشف من يعرفه أنه يمتاز بسعة الاطلاع والثقافة الواسعة والاهتمام بالتاريخ والأدب ، وكثير من العلوم التي رفدت ثقافته وموسوعيته . حيث إنه يقف من مصادره التي تشكل الروافد والمنابع التي نهل منها وقفة التقدير والإعجاب بكل أعمال السابقين والحديثين ونقدها وتقويمها . حتى عند قيامه بتحقيق مخطوطة ما ، فإنه كان بخبرته ومنهجه وقدراته يعرف عيوب نسخ المخطوطات عند التحقيق ، فيعمل على حصرها ، ومعالجة ما يستطيع معالجته من تلك العيوب ،

(٥١) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

حتى إنه في أكثر المواطن استبدل لفظا بلفظ من غير توجيه ولا ترجيح ، ورب ذلك كان يؤدي إلى أن يحار الدارس في تلمس علة ذلك .

ومما يذكره الدارسون والباحثون لا يتعدى أن يكون من قبيل الوصف الظاهري لا من قبيل الدراسة المعمقة والبحث المنهجي في هذه الشخصية المتميزة عن غيرها في كثير من المجالات والأبعاد ، ومنها أن " التواضع وعدم الإدعاء من أبرز الخصائص التي تتحلى بها شخصية الدكتور الأسد العلمية والإنسانية أيضاً ، فهو لا يحمل الأمور أكثر مما تحتمل ، ولا يجزم بآراء نهائية قاطعة ولا يدعي أنه توصل إلى ما لم يتوصل إليه باحث من قبل ، وأن غيره لن يتاح له أن يقوم به ، مع أن كل أعماله اللغوية والنقدية والفكرية رائد في الطرح والأسلوب والفكرة ، لكنها أخلاق عالم مغروس في وجدانه حب الحقيقة والأمانة والحساسية والتواضع " .^(٥٢)

أما عبد القادر الرباعي ، فقد وقف على بعض السمات الشخصية لناصر الدين الأسد ، مؤيدا غيره في أن الأسد يتسم بها ، فأوردها في بحثه الموسوم بـ (ناصر الدين الأسد في عين البصيرة من العلماء) ، والذي قدمه في ندوة التكريم التي أقامتها رابطة الكتاب الأردنيين عام ٢٠٠٤ م بعمان ، ولو كان الرباعي غير مقتنع بما ذهب إليه غيره ، لما اعتمد ما قالوه وما ذهبوا إليه من وصف في حق ناصر الدين الأسد ، ومن هؤلاء أحمد محمد الضبيب ، حيث يقول الرباعي : " ويقف الضبيب على رد الأسد الفضل لأهله عادا ذلك من كرم نفسه وعظمتها . وهو يقدم على هذا مثالين : أولهما اعتراف الأسد بفضل المستشرق كوفالسكي الذي سبقه إلى تحقيق ديوان (قيس بن الخطيم) إذ قال : " وإنني واثق أنني لولا جهد كوفالسكي لغاب عني كثير

^(٥٢) جريدة الرأي الأردنية ، ع ٩٨٤٣ ، تاريخ ١٩ / ٨ / ١٩٩٧ م ، من المقابلة التي أجرتها جواهر الرفابعة مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٣٠ .

من المراجع العربية التي ذكرتها في التخريج ، ولذلك آثرت - اعترافا بفضلها - أن أذكر طبعات كثيرة من الكتب العربية التي رجع إليها . وثانيهما وفاؤه للعلامة حمد الجاسر حين احتفى بنقده تعليقاً على ديوان الحادرة بما يختص بالقبائل والمواضع ، مشيداً بما صححه الأسد بناء على هذا النقد حين أعاد نشر الكتاب في طبعة تالية ، ونشره نص مقال حمد الجاسر في ملحق الديوان .^(٥٣)

ولا بد من الإشارة إلى أنه قد تم اختيار الدكتور ناصر الدين الأسد ليكون الشخصية العلمية الأكاديمية لمعرض عمان الدولي للكتاب ، الذي أقيم بعمان صيف عام ١٩٩٨ م^(٥٤)، كما تم اختياره للمشاركة في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الذي أقيم بألمانيا في شهر تشرين الأول عام ٢٠٠٤ م ، حيث كان قد شارك الدكتور الأسد مع مائتي كاتب وباحث عربي في هذا المعرض .^(٥٥)

وهذان اختياران موفقان وفي موقعيهما الصحيحين ، لأن الدكتور ناصر الدين الأسد يعد من الكتاب البارزين المبدعين على الصعيدين العربي والدولي ، ومن الذين واكبوا الحياة التربوية والأكاديمية والثقافية في الأردن والبلاد العربية ، منذ بداياته الثقافية والعلمية والأكاديمية .

إن اهتمام ناصر الدين الأسد بالوثيقة والكتاب بالغ وكبير ، واهتمامه بالكتاب كان منذ صباه ، ومن الجدير بالذكر في هذا الموضع ، هو أن استمرار الاهتمام والعناية بالوثيقة والكتاب لديه لم يتوقف يوماً ، والدليل جلي بين وعلى أرض الواقع ، ويتمثل في مكتبته الخاصة التي تضم أكثر من أربعين ألف كتاب ، وهي موجودة في بيته بعمان .^(٥٦)

(٥٣) الرباعي ، عبد القادر ، ناصر الدين الأسد في عين البصيرة من العلماء ، بحث قدمه في ندوة التكريم التي أقامتها رابطة الكتاب الأردنيين تكريماً للدكتور ناصر الدين الأسد بعمان صيف عام ٢٠٠٤ م ، ص ٩ .

(٥٤) جريدة الرأي الأردنية ، تاريخ ١٠ / ٣ / ١٩٩٨ م ، ص ٣٦ .

(٥٥) جريدة الرأي الأردنية ، ع ١٢٤٣٥ ، تاريخ ١٠ / ٧ / ٢٠٠٤ م ، ص ٤٠ .

(٥٦) جريدة الرأي الأردنية ، تاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٩٧ م .

لقد ارتبط ثمسك ناصر الدين الأسد بالقيم التربوية والإسلامية الصحيحة بسلوكه وأدبه وشخصيته أوثق ارتباط ، ومن هذه القيم تقديره للعلماء ولأهل الفضل ودعاؤه الله تعالى لهم ولنفسه بما فيه الرجاء بالغفران لهم ، وبالإثابة . ولنفسه كان دعاؤه الدائم بالاستغفار من الزلل ، والاستعاذة بالله تعالى من أن يقع في مزالق التكلف ، مع أخذه بحمد الله وشكره في كل الأحوال . ولعلني لا أجانف الصواب إذا قلت إن هذا جزء من شخصيته الفذة ، وجزء من منهجه العلمي الفكري الثقافي العقيد الذي يعد جزءا من حياته العلمية والثقافية التي فيها من ثراء الفكر والثقافة والعلم ما يؤسس لقيم وسلوكات منهجية مدروسة في الحياة ، وكما هي عند ناصر الدين الأسد .

إن جرأته العلمية المبنية على القيم المنهجية السليمة في حياته العلمية والثقافية جعلته لا يفض الطرف عمن مواطن الخلل في المسيرة الثقافية والتعليمية بكل مستوياتها بالأردن وبالوطن العربي ، حيث إنه يوضح الخلل ويضع يده عليه ، ويحلله ، ويدرسه ، ويبحث فيه من أجل المساهمة في إصلاح ذلك الخلل بالأسلوب وبالطريقة وبالخطوة وبالمنهج الذي يراه مناسبا ومفيدا وعلى قدر ما يستطيع .

لقد بنى ناصر الدين الأسد نفسه روحيا وعلميا وثقافيا بأسلوب يكون فيه تلك الشخصية ذات السمات التي تتداخل في بعضها بتكامل وتفاعل يجعل الواحدة منها ترتبط بالأخرى وتنطلق منها وتدل عليها ، إذ يظهر وكأنه " يمتزج بذلك عقله وثقافته وتجاربه وأحاسيسه امتزاجا متحدا يولد في نفس المفتن - في لا وعيه - ولادة جديدة ، فتخلق هذه المشاعر ، هذه المعاني ، خلقا ثانيا في آن واحد مع صورتها وعبارتها ... " (٥٧)

(٥٧) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٥١ - ص ٥٢ .
٥٩

هذا ، بالإضافة إلى أنه " صاحب خلق كريم ، وتواضع جم ، ووفاء عظيم ، وخير عميم ،
وقل्ल دائم ، مع مودة وحفاوة بأصدقائه وزملائه ، ومحبة ورعاية لتلاميذه ومريديه ، ومع صدق في
القول ، وإخلاص في العمل ، وحزم في الأمر ، واتباع للحق ، وإجلال للعلم ، وقيام برسالة العالم ،
وهو في ذلك كله صنو أهل العلم من السلف الصالح . " (٥٨)

ومهما حاول الباحث أن يحصر الثمار الناضجة التي أثمرتها حياة ناصر الدين الأسد في كل
ما قدمه وما أنجزه في مجالات الأدب والعلم والمعرفة والخبرة والمهارات والثقافة والسمات الشخصية
المنبئة عن إنسان عالم ، فإنه لن يتمكن من التحديد والحصر ، وشأن في هذا الأمر شأن غيري من
الباحثين ، فإنني لم أقف على كل النقاط والموضوعات المتعلقة بحياة ناصر الدين الأسد العلمية
والثقافية ، وإنما حاولت قدر المستطاع أن ألفت الانتباه إلى بعض الأمور والقضايا التي لها علاقة
بموضوع هذه الأطروحة ، لتكون منطلقات ومقدمات للنتائج التي يمكن أن يتوصل إليها هذا
البحث ، ولعل غيري من الباحثين يجد فيما قدمت أو فيما لم أقدم نقطة أو منطلقاً أو فكرة أو
مقدمة تثير دافعيته للبحث فيها ودراساتها بصورة أدق وأوفى .

(٥٨) فصول أدبية وتاريخية لمجموعة من العلماء والأدباء مهداة إلى ناصر الدين الأسد ، ط١ ، ١٩٩٣م ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ،
تحرير الدكتور حسين عطوان ، من كلمة المحرر التقديمية للكتاب ، ص ١٠ .

المبحث الثالث

حياة ناصر الدين الأسد العملية

كانت حياة ناصر الدين الأسد زاخرة بالأعمال والمهام والمسؤوليات، وكانت بداياتها مبكرة ، وذلك راجع إلى أسباب مختلفة ومتعددة ، منها ما يعود إلى الظروف الأسرية والأوضاع الاجتماعية ، ومنها ما يعود إلى ثقة الذين أسندوا إليه المسؤوليات فيه وفي قدراته وطاقاته وحمته وذكائه ، ومنها ما يعود إلى خصائصه النفسية والعقلية التي أهله لأن يكون ذلك الشاب المتحفز الطموح الجاد المجتهد المفكر والمخطط ، وذلك الطموح الذي في نفسه الآمال الكبيرة كبر النفس التي تنبع منها تلك الطموحات ، إذ " كلما كبرت الطموحات وعظمت الآمال وسمت الغايات كلما كبرت نفوس حاملها وشمخت وارتفعت ورحم الله الشاعر^(٥٩) " إذ قال :-

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وهذا حال أستاذنا الكبير الدكتور ناصر الدين الأسد ... فلولا أن النفس كبيرة ، والطموحات لخدمة هذا الدين عظيمة ، والغايات التي سكنت تلك النفس سامقة باهرة ، لما حاز تلك الثقة التي وطنت له ، ولما أشير إليه بالبنان . " ^(٦٠) عند وقوف المسؤولين وقفات لاختيار من يكون ذا كفاية وكفاءة واقتدار على تحمل المسؤولية التي يريدون إشغال منصبها بشخص متمكن مناسب يتوافر على كل الشروط والأسس ؛ شخصا ونفسيا وعقليا وعلميا وثقافيا ومنهجيا .

(٥٩) البيت الشعري للشاعر المتيبي ، ديوان المتيبي .
(٦٠) جريدة اللواء ، تاريخ ٢٠ / ٣ / ١٩٨٥ م ، (أضواء على مؤسسة آل البيت ، جولة في عقل الدكتور ناصر الدين الأسد) ، ص ١١ .

ومن يستعرض حياة ناصر الدين الأسد العملية ، يجد أنه كان ينجح ويوفق في كل ما يسند إليه من أعمال ومهام ومسؤوليات ، ولا سيما بعد تخرجه في الجامعة ، ونيله درجة الليسانس سنة

١٩٤٧ م ، كما يجد بأنه " رجل تأسيس وريادة . " (٦١)

ولذلك ، فقد كان " في حياة الدكتور ناصر الدين الأسد محطات كثيرة تضيق بها الصفحات ، فهو رحالة حط رحاله في أكثر من موقع ليؤسس منابر علم ومعرفة في ليبيا ، والقدس ، والأردن . " (٦٢)

وبذلك فلم تبدأ حياة ناصر الدين الأسد العملية بداية متأخرة كما هو الشأن عند الكثيرين من الناس ، ولكنها ابتدأت في وقت مبكر جدا ، لعدة أسباب ، ولعل تلك الأسباب كانت القاهرة وأقوى من أن يقف الأسد إزاءها موقف المتفرج المحبط المهزم أمام الظروف كبعض من يواجهون مثل تلك الظروف والأسباب ، ولكنه بجرائته واندفاعه وحماسة وعقلانيته وقف أمام هذه العلل والأسباب والظروف وقفة التأمل والمدقق والمقدام والمتحيز للتغلب عليها وقهرها ، وتحقيق ذاته من خلال دحرها وإيقافها مع الاعتماد على نفسه في تلبية كل احتياجاته النفسية والعقلية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية في الوقت نفسه ، ولم يسمح للظروف ولنفسه بأن يكون في الجانب السالب من جوانب الحياة ، فما كان منه إلا و " قبل التحاقه بالكلية العربية قد اضطرته الظروف إلى العمل ، بسبب ما بدأت تعانيه الأسرة من ضيق مالي بعد وفاة والده ، فعين كاتباً في ديوان قاضي القضاة ، ثم ألحق بديوان المحكمة الشرعية ، ولكنه لم يستمر في عمله أكثر من شهرين ، إذ التحق بعد ذلك بالبعثة الدراسية في القدس . " (٦٣)

(٦١) جريدة الرأي الأردنية ، ١١٤٦٧ع ، تاريخ ٢٠٠٢ / ٢ / ١ م ، صورة عن قرب ، يحيى القيسي ، ص ١٥ .

(٦٢) حداد ، تيريز ، ذكوة الوطن ، مرجع سابق ، ص ١٩٩ .

(٦٣) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

وبعد التحاقه بالكلية العربية في القدس ، ظلت الأحوال المادية تحتاج إلى تصويب إجمالي يلي
لناصر الدين الأسد الطالب كل ما يحتاج إليه من المال لتغطية نفقات دراسته التي لم تكن
المخصصات المالية للبعثة الدراسية التي ابتعث بموجبها تكفي بالقدر المطلوب .
فعمل حيناً مترجماً ، كما عمل مراسلاً (لجريدة الوحدة) التي كانت تصدر في القدس ، وكانت
تتضمن في العدد الواحد أحياناً ثلاث مقالات ينشرها بأسماء مستعارة مختلفة .^(٦٤)

وبذلك ، تمكن ناصر الدين الأسد من تحقيق الجزء الأول من مشروعه التعليمي الذي
سيؤهله إلى اقتحام المخطات والمراحل الأخرى القادمة في حياته ، منطلقاً من التغيرات التي حدثت
بكل إيجابية وتقدم نحو المستقبل ، ومن تلك السبل التي رأى أنها ستكون فاتحة المشروع كان تفكيره
مركزاً في العمل ، فكان " بعد أن أنهى ناصر الدين الأسد دراسته في الكلية العربية بالقدس ، وعاد
إلى عمان في عام ١٩٤٣ م ، أخذ يعلم في مدارسها عملاً بشروط البعثة ."^(٦٥)

امتهن ناصر الدين الأسد مهنة التدريس في المدارس الثانوية في عمان لمدة سنة دراسية كاملة
كانت للعام الدراسي (١٩٤٣ م / ١٩٤٤ م) ، انتقل بعدها إلى القاهرة للحصول على درجة
الليسانس في الآداب ، وكانت قد بدأت تنجلي أمامه الأوضاع وتتضح السبل ، فابتدأ بموضع
حياته عبر محطات ، وقد " كانت أول محطة له بعد نيله الشهادة ، وعودته إلى بلاده أن عمل مدرسا
في المدرسة الإبراهيمية في القدس ."^(٦٦) إذ عمل فيها مدة سنة دراسية كاملة كانت برسم العام
الدراسي ١٩٤٧ / ١٩٤٨ م . " كما كان ، إلى جانب هذا العمل ، يقدم برنامجاً يوميا من الإذاعة
العربية لخطبة الشرق الأدنى بعنوان حديث الصباح ."^(٦٧) ويروي ناصر الدين الأسد قصة رجوعه

(٦٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٣١ .

(٦٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩ .

(٦٦) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

(٦٧) المرجع السابق نفسه ، ص ٤٤ - ص ٤٥ .

إلى القدس بعد تخرجه في الجامعة للعمل مدرسا في الكلية الإبراهيمية في القدس ، إذ يقول : " ولا بد هنا من الرجوع قليلا إلى الوراء حين كنت في كلية الآداب بجامعة القاهرة قبل أن أخرج ، حين زارني الأستاذ نهاد أبو غربية مدير الكلية الإبراهيمية في القدس ، وكان في زيارة إلى القاهرة حيث عرض علي أن أدرس في الكلية الإبراهيمية في القدس بعد تخرجي ، كان الزمن الذي فصلنا عن التخرج نحو شهرين فقط ، ومع أنني كنت عازما على الذهاب إلى عمان للعمل في الأردن ، إلا أنه أقنعني للذهاب والعمل في الكلية الإبراهيمية بالقدس ، كانت الكلية الإبراهيمية في باب الساهرة وما حولها مركزا مهما من مراكز عمل الجهاد المقدس ، وكان المرحوم عبد القادر الحسيني هناك ، وحدثت معركة القسطل واستشهد عبد القادر الحسيني ونحن هناك . " (٦٨)

إن نشاط ناصر الدين الأسد وطموحه وحيويته كلها دوافع كانت تدفعه إلى البحث عن الفرص الأفضل ، لإثبات ذاته وتحقيقها على الصعيد الشخصي والصعيد العملي الذي كان يجد نفسه فيه ، فما أن أتاحت له الفرصة لإيجاد عمل آخر إلا وبادر إلى الانتقال إليه ، حيث إنه سنحت له فرصة العمل في ليبيا ، وفي هذا الموضوع يقول ناصر الدين الأسد : " بعد ذلك وفي عامي ١٩٤٨ م / ١٩٤٩ م ذهبت إلى ليبيا للمرة الأولى حين أسست مع مجموعة من المعلمين المصريين والليبيين أول مدرسة ثانوية متوسطة في طرابلس الغرب . " (٦٩) ولما عاد بعدها إلى القاهرة سنة ١٩٤٩ م ، كان خلال فترة دراسته قد عمل مدرسا في المدرسة الإنجليزية بمصر الجديدة ، حيث كانت فترة عمله فيها قد امتدت من عام ١٩٤٩ م إلى عام ١٩٥٤ م . ولكن ناصر الدين الأسد كان قد قرر إكمال دراسته العليا للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب ، فلم يغادر

(٦٨) جريدة الرأي الأردنية ، تاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٩٧ م ، ص ١٦ .

(٦٩) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦ .

القاهرة ، واستمر في متابعة تحصيله الدراسي ، وبالإضافة إلى الدراسة في الجامعة ، سئحت له الفرصة سنة ١٩٥٤ م للعمل في المكتب الثقافي في جامعة الدول العربية ، والذي كان يرأسه حينذاك رئيس اللجنة الثقافية بالجامعة العربية الدكتور طه حسين ، ثم استمر عمله في عدة مناصب ثقافية في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة إلى سنة ١٩٥٩ م .

وقد أسندت إليه مهمة التدريس في معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م ، فعمل مدرسا محاضرا ودرس طلبة الماجستير في ذلك المعهد ، واستمر عمله فيه إلى سنة ١٩٥٩ م ، حيث عاد بعدها للتدريس فيه مرة أخرى سنة ١٩٦٠ م ، وذلك بالإضافة إلى عمله عميدا لكلية الآداب والتربية في الجامعة الليبية التي كان قد اختير ليكون مؤسسا وعميدا لأول كلية للآداب والتربية فيها بينغازي ، وهي المرة الثانية التي ذهب فيها إلى ليبيا عام ١٩٥٩ م ، حيث كان معارا من جامعة الدول العربية إلى ليبيا لأداء هذه المهمة .

وعقب انتهاء مدة إعارته لستين دراستين ، عاد ثانية إلى الجامعة العربية في عام ١٩٦٠ م .^(٧٠) حيث استأنف عمله فيها وفي معهد الدراسات العربية بالقاهرة . " وما كادت تمر ستان حتى تلقى تكليفا رسميا من الحكومة الأردنية للعودة إلى الأردن وتأسيس الجامعة الأردنية في عمان . " ^(٧١) وكان ذلك التكليف بأمر من جلالة المغفور له الملك الحسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، إذ جاء التكليف وهو على رأس عمله في الجامعة العربية بالقاهرة ، فلبى نداء ملكه ووطنه وعاد من فوره إلى عمان لتأسيس الجامعة الأردنية فيها . ولا شك في أن في ذلك التكليف الملكي السامي له أهمية بالنسبة لحياة ناصر الدين الأسد العملية وفي كل ما تلا ذلك من

(٧٠) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٧١) المرجع السابق نفسه ، ص ٤٣ .

أعمال ومسؤوليات تحمل أعباءها وتقلد مناصبها في الأردن أو خارجه ، لأن هذه المحطة هي من الأهمية بمكان من محطات حياته وعلى مختلف الأصعدة وتعددتها . وفي هذا الصدد ، من المفيد أن يكون النص شاهداً على هذه المرحلة المهمة من مراحل حياته ، ولا أدل على ذلك من قوله : " في عام ١٩٦٢ وفي منتصف شهر آب وكنت أعمل في جامعة الدول العربية استدعاني جلالة الملك الحسين حفظه الله ورعاه لتأسيس الجامعة الأردنية ، وكان جلالة الحسين يبذل جهوداً كبيرة من أجل أن تبدأ الجامعة الأردنية وتحتضن أبناء الوطن ، ولم يطل الوقت بل كثفنا الجهود ، نعمل ليلاً نهاراً مع خيرة الأخيار من رجالات هذا الوطن ، وعلى خطوات وتوجيهات جلالة الحسين بدأ التدريس وفي نفس العام في أواخر كانون أول من عام ١٩٦٢ م ، باشرنا بستة أعضاء هيئة تدريسية أردنيين وأستاذ واحد من سوريا الشقيقة كان معاراً من اليونسكو إلى وزارة التربية والتعليم في الأردن . بعد ذلك بدأت الاتصالات بالجهات الرسمية في كل من مصر وسوريا والعراق لاستعارة أعلام متميزين في التدريس الجامعي . ثم قمت بزيارات إلى عدد من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا واستقطبنا عدداً من الأساتذة الأردنيين والفلسطينيين الذين كانوا يدرسون هناك . الأهم من ذلك فإننا بدأنا في عملية تعيين المتفوقين الممتازين من أول فوج من متخرجي الجامعة الأردنية معيدين ، ثم أوفدناهم للجامعات الأجنبية للحصول على الماجستير والدكتوراه ، فكانوا النواة الصالحة التي زودت الجامعة الأردنية بأعضاء هيئة تدريس من أبناء هذا الوطن . " (٧٢)

أسس ناصر الدين الأسد الجامعة الأردنية وترأسها بدءاً من كلية واحدة أولى في الجامعة هي كلية الآداب التي كان عميداً لها أيضاً ، كما كان أستاذاً للغة العربية وآدابها فيها ، واستمرت

(٧٢) جريدة الرأي ، تاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٩٧ م ، ص ١٦ .

رئاسته للجامعة إلى سنة ١٩٦٨ م. "وبعمل حثيث وجهود متواصلة مكثفة مع خيرة من أبناء وطنه استطاع خلال مدة قصيرة أن ينجز المرحلة الأولى ، وأن تبدأ الدراسة في الجامعة في أواخر كانون الأول (ديسمبر) من العام نفسه (١٩٦٢ م) " ^(٧٣) ولما بدأ العمل في تأسيس الجامعة الأردنية " كانت لديه ، منذ بداية الأمر ، رؤية واضحة لرسم معالم الدراسة في الجامعة ونهجها . وقد استطاع ، بما يملك من حجة و يقين ، أن يبين بأن الجامعة الأردنية ، إذ تشترك مع الجامعات الأجنبية في أصول متعددة لا تكون الجامعة جامعة إلا بها . ^(٧٤)

ما كان الأسد يعمل إلا وفق خطط معدة بإتقان لتحقيق أهداف منشودة . ^(٧٥) وبحكم تكوينه الثقافي ذي الأسس والقواعد المتينة ، وبحكم تطلعه نحو المستقبل الذي ينتظر الأجيال القادمة ، وبحكم خبرته الواسعة في التعليم والتعليم الجامعي على الخصوص ، وبحكم حسن الإدارة ودقة التخطيط ، فقد " دخل ناصر الدين الأسد إلى الميدان الجامعي وإدارته من باب الثقافة ولم يدخله من باب التعليم ، فأراد أن يجعل من الجامعة مركزاً للعلم ، يتفاعل فيه الطالب مع المعرفة من أجل أن يصبح منتجاً للثقافة لا مجرد مستهلك . " ^(٧٦)

وكون ناصر الدين الأسد المؤسس الأول للجامعة الأردنية ، فمن المؤكد أن حرصه عليها وعلى تقدمها وعلى استمرارها نابع من حبه لها ، وكونه يحبها فإنه لم ولن ينساها ، ولن ينسى أيامه فيها . ^(٧٧) واستمرت رئاسة ناصر الدين الأسد للجامعة الأردنية إلى عام ١٩٦٨ م ، عاد بعدها إلى عمله في الجامعة العربية ، وشغل منصب المدير العام المساعد المشرف على الشؤون

^(٧٣) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

^(٧٤) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

^(٧٥) الأسد ، ناصر الدين ، رسالة الجامعات في العصر الحديث ، محاضرة ألقيت في دار الإذاعة الأردنية ، سنة ١٩٦٣ م ، ص ٨ .

^(٧٦) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

^(٧٧) حداد ، تيريز ، ذكوة الوطن ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣ .

الثقافية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة ، وظل يشغل هذا المنصب حتى

عام ١٩٧٧ م .^(٧٨)

وفي ذلك العام نفسه ، عين سفيراً للأردن في المملكة العربية السعودية . غير أنه لم يمكث هناك إلا عاماً واحداً ، حيث عاد بعد ذلك إلى الأردن ليتولى رئاسة الجامعة الأردنية مرة ثانية ، بناءً على طلب جلالة الملك الحسين .^(٧٩) فترأسها ، وعمل أستاذاً للأدب العربي فيها سنة ١٩٧٨ م ولغاية سنة ١٩٨٠ م .

وفي بداية الثلث الأخير من عام ١٩٨٠ م ، دعت الحاجة إلى تأسيس الجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) ، " ولما أشير إليه بالبنان لتسلم رئاسة هذا الجمع والسير به في أرض ليست ممهدة ولا قرية المتال بل هي الأرض الجرز التي تحتاج إلى التعهد والرعاية والعمل الجاد المضي الذي يستغرق العمر ويستهلك الطاقات . " ^(٨٠) وجه إليه الملك الحسين رسالة التكليف السامي اللازمة لتأسيس الجمع المذكور ، فاستجاب إلى الأمر منفذاً ما ورد في مضمونها ، ومن المهم في هذا الموضع أن الملك الحسين كان في تلك الرسالة قد ركز على ذكر ما قدم وما أعطى ناصر الدين الأسد لوطنه وأمته ، وما أسس من مؤسسات ريادية في الوطن وخارجه ، ويمكن اعتبار هذه الرسالة وثيقة من وثائق تاريخ الأردن الحديث ، ووثيقة من وثائق تاريخ حياة ناصر الدين الأسد نفسه ، ونص الوثيقة الملكية السامية هو كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم .

عزيزي الأخ الدكتور ناصر الدين الأسد حفظه الله .

^(٧٨) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

^(٧٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٤٤ .

^(٨٠) جريدة اللواء ، تاريخ ٢٠ / ٣ / ١٩٨٥ م ، ص ١١ .

ابعث إليك بأطيب تحياتي ومحبي ، وبعد :

فلقد أعطيت لبلدك من جهدك الخير كثير العطاء ، وكنت في عداد المؤسسين للجامعة الأردنية ، التي أخذت تؤدي باستمرار دورا مرموقا في خدمة الوطن والأجيال الصاعدة .
والآن ونحن نبدأ التخطيط لعقد الثمانينات في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ونخطط لنهضة علمية شاملة ، فإنني قد رأيت تجنيديك رئيسا لمؤسسة آل البيت ، مستندا في ذلك إلى طويل تجربتك في خدمة العلم ، وعميق صلتك بمنابع فكرنا الأصيل ، واقتدارك على متابعة ما يستجد من المعارف والعلوم ، وأنا على يقين من أن هذه المؤسسة ستتيح لك تجنيد طاقاتك وصلاتك العديدة في الداخل والخارج لاستقطاب الكفاءات والعلماء والباحثين في سبيل تحقيق الأهداف السامية التي نبتغيها من وراء إنشاء مؤسسة آل البيت ، والتي نريدها مركز إشعاع وبمح ودرس وعطاء ، مجندة في خدمة الأردن والعروبة والإسلام والإنسانية جمعاء .

مع أطيب تمنياتنا لك بالتوفيق والنجاح

عمان في ٩ ذي القعدة سنة ١٤٠٠ هجرية . الموافق ١٧ أيلول سنة ١٩٨٠ ميلادية .

أخوك المخلص

توقيع الحسين" (أ هـ) ^(٨١)

ولما انتهت مرحلة التأسيس ، وسار المجمع مسيرته المثمرة ، بدأت تتوالى الأعمال والإنجازات العمل تلو العمل ، والإنجاز عقب الإنجاز ، حتى بات كل من له شأن في الثقافة والحضارة العربية والإسلامية والإنسانية

^(٨١) للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، تعريف عام ، كتيب من منشورات المجمع ، ١٩٩٧م ، ص ٢٥ - ص ٢٦ .

يشهد بما يقدمه المجمع^(٨٢) واستمر ناصر الدين الأسد يعمل رئيساً للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية . وفي يوم ٤ / ٤ / ١٩٨٥ م ، عين وزيراً للتعليم العالي ، في الوقت الذي لم تكن هناك وزارة خاصة بالتعليم العالي بالأردن ، وهذا يعني أنه بهذا التكليف كان أول مؤسس لوزارة التعليم العالي الأولى بالأردن ، وأول وزير للتعليم العالي بالأردن ، إذ بالإضافة إلى رئاسته للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية سعى جاهداً إلى تأسيس وزارة التعليم العالي بأقصر وقت وبأكبر جهد ، كي تبدأ تلك الوزارة الناشئة أعمالها ومسؤولياتها في خدمة أبناء المجتمع الأردني . وبقي ناصر الدين الأسد على رأس وزارة التعليم العالي إلى تاريخ ٢٤ / ٤ / ١٩٨٩ م . وبعد ثلاثة أيام فقط ، أي في يوم ٢٧ / ٤ / ١٩٨٩ م أعيد تعيينه وزيراً للتعليم العالي مرة ثانية ، وتوالت جهوده وإنجازاته إلى تاريخ ١٢ / ٤ / ١٩٨٩ م .^(٨٣)

لم يكن ناصر الدين الأسد بعيداً عن الجامعات ومجالاتها وآفاقها وأعمالها ، وإنما كان دائماً يعيش أجواءها إلى أن عاد إلى الجامعة الأردنية أستاذ شرف فيها واعتباراً من تاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٨ م وما يزال بهذه الصفة الأكاديمية إلى يومنا هذا . " وفي عام ١٩٩١ م تسلم رئاسة جامعة عمان الأهلية حتى عام ١٩٩٣ م ."^(٨٤) كما شغل عضوية مجلس الأعيان من عام ١٩٩٣ م إلى عام ١٩٩٧ م . وهو يشغل الآن رئيس مجلس أمناء جامعة الإسراء ، ومنذ تاريخ ١ / ٤ / ١٩٩٦ م إلى وقت إعداد وطباعة هذه الأطروحة .

ولكل ما يمتلك معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد " من خبرات مكثفة جمعها في ثمانين سنة ، وما يحوز في أعماقه من المعارف والآداب ، وما يظهر على جوارحه من السلوك

(٨٢) مجلة الدوحة ، ع ١٠٨ ، كتون الأول ١٩٨٤ م ، قطر ، مقابلة مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، لجراها نبيل خالد الأغا ، ص ٧٥ .

(٨٣) جريدة الرأي الأردنية ، تاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٩٧ م ، ص ١٦ .

(٨٤) جريدة الرأي الأردنية ، تاريخ ٣ / ١٠ / ١٩٩٨ م ، ص ٣٦ .

الإنساني الرفيع ، فقد اختير عضوا ورئيسا لعشرات الجامعات العلمية واللغوية ومجالس أمناء الجامعات واللجان المتخصصة المحلية والدولية كما نال عشرات الأوسمة من الدرجة الممتازة .^(٨٥) فهو عضو مجمع اللغة العربية بالصين للتدريس والدراسات في بكين من تاريخ ١ / ٩ / ١٩٩٤ م . وهو كذلك عضو اللجنة الملكية لجامعة آل البيت ، وعضو اللجنة الملكية لشؤون القدس وعضو مجلس التعليم العالي في الأردن .

لقد حاز على شهرة واسعة في العالم العربي والعالم الإسلامي والعالم الغربي ، ولكن هذه الشهرة لا تقتصر على " المناصب التي تولاها ، والأماكن التي عمل بها ، فقد أسهم في ألوان متعددة من النشاط الأدبي والثقافي والتربوي في أكثر الأقطار العربية ، وفي بعض البلدان الأجنبية فاشترك في مؤتمرات وندوات عربية وأوروبية غير قليلة عنيت بقضايا أدبية وفكرية وثقافية وحضارية عربية وإسلامية ، وكان مناقشا لكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه ، في الجامعات المصرية والعراقية وجامعة الكويت والجامعة الأردنية .^(٨٦)

وبعد ، فإن ناصر الدين الأسد يكون قد استحق ، وما يزال يستحق التكريم والتقدير والمكافأة والاحترام ، بل والوقوف إجلالا وعرفانا بما قدم للوطن وللعرب وللإسلام والمسلمين وللإنسانية بعامة ، أقول استحق ويستحق كل وسام أو جائزة أو شهادة تقدير في أرفع درجاتها ، بالإضافة إلى تلك الأوسمة والجوائز وشهادات التقدير التي قدمت له من ملوك ورؤساء ودول ومؤسسات رسمية وغير رسمية ، ومجامع لغوية وعلمية وأدبية ، ومنتديات وجمعيات ثقافية واجتماعية ، ولجان سياسية وأدبية وثقافية واجتماعية ودينية . ويستحسن في هذا الموضع أن تذكر

(٨٥) جريدة الرأي الأردنية ، تاريخ ٢٠٠٢ / ٢ / ١٥ م ، ص ١٥ .

(٨٦) فصول أدبية وتاريخية لمجموعة من العلماء والأدباء مهداة إلى ناصر الدين الأسد ، مرجع سابق ، ص ٧ .

تلك الأوسمة والجوائز والشهادات التقديرية ، والتي هي : وسام التربية الممتاز من المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٧٦ م . والوسام الذهبي (الميدالية الذهبية) من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٧٧ م . ووسام الكوكب الأردني من الطبقة الأولى عام ١٩٨٤ م . ووسام القدس للثقافة والآداب والفنون عام ١٩٩١ م . ووسام النهضة العالي الشأن من الطبقة الأولى عام ١٩٩٣ م . وميدالية الحسين الذهبية للتفوق ، من الفئة الأولى عام ١٩٩٥ م . ووسام الاستقلال الأردني - من الدرجة الأولى عام ١٩٩٦ م . ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من مصر عام ٢٠٠١ م . أما الجوائز التي نالها ، فهي : جائزة الدكتور طه حسين لأول الخريجين في قسم اللغة العربية في جامعة فؤاد الأول بالقاهرة بمصر عام ١٩٤٧ م . وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي لعام ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، وهي من أبرز الجوائز التي تسلمها . وجائزة سلطان بن علي العويس الثقافية في حقل الدراسات الأدبية والنقد لعام ١٩٩٤ / ١٩٩٥ م . وجائزة العويس الثقافية للدراسات الأدبية والنقد لعام ١٩٩٥ . أما الشهادات التقديرية ، فهي كثيرة ، وأهمها شهادة اليوبيل الفضي التكريمية في الآداب من الأردن عام ١٩٧٧ م .

ولا يخفى على أي باحث أو دارس ما لناصر الدين الأسد من الأثر والبصمة التي يختص بها متفردا فيها وفي كثير من المجالات الإدارية والعلمية والأكاديمية والأدبية والثقافية والشخصية السلوكية والقيمة الدينية والاجتماعية والسياسية والحضارية ، وما أسهل وأيسر اكتشاف واستشفاف ذلك الأثر أو تلك البصمة في أي مجال من تلك المجالات المذكورة ، سواء أكان في الوظيفة الرسمية أم الوضع الشخصي الخاص ، ولطالما كان وما يزال " في كل وظائفه تلك حرص

الرجل على ترك بصمته الخاصة بأن يكون المستشار الأمين النشط أكثر منه موظف الدولة التقليدي . " (٨٧)

إن ناصر الدين الأسد لقدوة حسنة ومثال يحتذى لكل من أراد أن يكون على قدر من العلم والمعرفة والفكر والثقافة والإنسانية ، ولكل من أراد أن يكون من بناء الوطن ، ومن خدام العرب والعربية ، ومن المساهمين في بناء الثقافة والحضارة الإنسانية بصورة عامة .

(٨٧) جريدة الرأي الأردنية ، تاريخ ١ / ٢ / ٢٠٠٢ م ، ص ١٥ .

المبحث الرابع

آثاره ومؤلفاته

إن البحث في آثار ناصر الدين الأسد أمر يسير حيناً ، وأمر عسير شاق صعب أحيانا أخرى ، ولكلا الرأيين أسبابه وموجباته ، وكون هذه الأطروحة تهدف إلى دراسة اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد ، فإنني سأخذ من الأمر يسيره في هذا الفصل ، مقتصرًا على ذكر النتائج العلمية والفكرية والأدبية التي أنتجها وألفها وصنفها وحققها وترجمها وأعدّها وأبدعها في الصور التي هي عليها ، ومكتفياً بذكر النتائج وتوثيقه . وذلك منذ أن بدأت تظهر له مؤلفات وكتب ومحاضرات ومصنفات ، وحتى هذه الفترة التي أعدت فيها هذه الأطروحة .

إن ناصر الدين الأسد باحث ومحقق وناقد ومترجم وأستاذ محاضر قدم إلى المكتبة العربية نحو عشرين كتاباً ، وما يزيد على السبعين نتاجاً فكرياً وأدبياً وأكاديمياً ، ما بين بحث ودراسة ومقالة ومحاضرة ومقابلة وخطاب . وأعتقد - كما يعتقد غيري ، وهم كثيرون - بأنه لولا انشغاله بكثير من الأعمال الإدارية التي اقتضتها المناصب والمسؤوليات التي تقلدها - على تعددها وتنوعها واختلافها - ومنذ فترة مبكرة من حياته العملية ، لكانت إنجازاته ومؤلفاته أضعاف ما هي عليه الآن .

وعندما قمت بمحاولة تصنيف تلك الآثار والمؤلفات ، تبين لي ما تبين لبعض الباحثين والدارسين الذين كان لهم بعض الآراء فيها من حيث تصنيفها حسب المجالات التي تنتمي إليها ، حيث يقع " التراث العربي موقع الصدارة في الدراسات النقدية والتاريخية الأدبية التي كتبها ناصر الدين الأسد . وهو يعتمد الضرب على هذا الوتر الحساس لما يراه من ضرورة إبقاء الصلة قائمة بين ماضي الأدب وحاضره ، لأنه لا يرى حركة الأدب وتطورها إلا من خلال هذا الارتباط ، الذي يكفل للأدب الحديث أسسه المتينة الراسخة ، بل إنه لا يرى في الأدب أدبا قديما وأدبا جديدا ، فما هو جيد منه يظل أبدا حاضرا ، وما هو رديء أو مرحلي يبقى راسبا في مكانه . " (٨٨)

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن نتاجاته ومؤلفاته وبحوثه ومقالاته ومحاضراته ولقاءاته التي أجريت معه " لا تقتصر على نطاق الأدب العربي القديم والحديث وفنونه من شعر ونثر ، بل تشمل أيضا الفكر واللغة والنقد والتعليم والثقافة والتفسير والتاريخ والاجتماع والحضارة والسياسة ، ولا تنحصر في مكان أو زمان واحد ، بل تستغرق معظم الأمكنة والأزمنة العربية ، وعلى كثرة نتاجه وتنوع آثاره ، فإنه كان متقنا محكما لكل ما تناوله ، مدققا محصيا لجميع ما بحثه ، لأنه لم يخض في شيء إلا كان عارفا به محسنا له ، ولم يعرض لأمر إلا كان عالما فيه ، قادرا عليه . " (٨٩)

كما يجد الباحث أن تلك النتاجات والمؤلفات لكل منها منهجه الذي هو جزء من المنهج الكلي العام الذي يتبعه ناصر الدين الأسد عند النقد أو البحث أو الدراسة أو التأليف ، وقد أعطى

(٨٨) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٧٥.

(٨٩) فصول أدبية وتاريخية لمجموعة من العلماء والأدباء مهداة إلى ناصر الدين الأسد ، مرجع سابق ، ص ٧-٨ ص ٨.

ذلك الأهمية لها ، حيث " تكتسب دراسات ناصر الدين الأسد أهميتها في عالم البحث والدراسة من العلاقة الوثيقة بين الموضوع والمنهج فيها ، وإذا كان قارئ هذه الدراسات والبحوث يكتشف تنوع موضوعاتها ، إذ هي لا تنحصر ضمن الدراسات العربية التراثية درسا وتحقيقا ، بل تمتد لتعالج مشكلات أدبية معاصرة ، فإنه س يرى وهو يمعن في قراءة تلك الدراسات بأن الكم لم يطغ فيها على الكيف من حيث الإتقان والدقة ، وأن تنوعها لم يورط صاحبها فيما لم يكن راسخ القدم علما فيه ، فقد ظل ناصر الدين الأسد يؤلف ويحقق ويترجم ما يجد في نفسه الرغبة للعمل فيه والقدرة عليه في آن . " (٩٠)

إن لناصر الدين الأسد قيمه وتقاليده وطقوسه في منهجه العلمي في التأليف والتحقيق والترجمة ، وفي البحث والدراسة والتحليل والنقد والإبداع ، وذلك ظاهر في كليات منهجه العام ، وفي جزئيات المنهج الخاص لكل عمل أو مؤلف أو بحث أنجزه وقدمه ، وبحكم عام يمكن القول بأن منهجه " هو منهج البحث العلمي الإسلامي ، الذي يقبل المناقشة والمحكمة العقلية دون إدعاء الحق واحتكاره لفرد أو فئة ، ودون تجهيل المخالف أو تكفيره أو ترجيحه . " (٩١)

هذا ناصر الدين الأسد الأديب المؤلف المحقق المترجم ، أما ناصر الدين الأسد الشاعر فله في الشعر باع حيث تزيد قصائده على الثلاثين قصيدة بما في ذلك المقطعات الشعرية ذوات الأبيات القليلة العدد ، وفي شعره شاعرية مطبوعة وثرء لغوي وبيان وصورة وبلاغة . وتدور قصائده في فلك موضوعات تتعلق بالوطن والمرأة والرياء في أغلبها .

(٩٠) المرجع السابق نفسه ، (منهج ناصر الدين الأسد في التأليف) ، بحث من إعداد خليل الشيخ ، ص ٤٣٥ .
(٩١) مجلة عمان ، ٣٥٤ ، أيار ١٩٩٨ م ، مجلة ثقافية شهرية تصدرها أمانة عمان الكبرى ، مقالة بعنوان (نحن والآخر والدكتور ناصر الدين الأسد) ، من قلم الكاتب أحمد المصلح ، ص ٢٢ .

لقد أغنى ناصر الدين الأسد بمؤلفاته ونتائجاته في الثقافة العربية والإسلامية والإنسانية ،
والشواهد على ذلك موجودة بين الأيدي ، وفيما يلي ذكر ما وقعت اليد عليه فذكر ، وما لم يذكر
فيكون قد سقط سهواً أو لم تقع عليه اليد بعد . وآثاره ومؤلفاته هي : -
أولا : - الكتب ، وهي كما يلي :-

١- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية - نشر دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى سنة
١٩٥٦ م حتى السادسة سنة ١٩٨٢ م ، والطبعة السابعة ، نشر دار الجيل ببيروت سنة
١٩٨٨ م . ويتناول بعد المقدمة تمهيدا يحكي عن مجتمعات العرب في الجاهلية وتفاوتها في
الحضارة ، ويشتمل على خمسة أبواب وخاتمة وثبتا بالمصادر والمراجع وفهارس عامة للكتاب ،
وعدد صفحاته سبع عشرة وسبعمائة صفحة من القطع المتوسط .

ويبحث ناصر الدين الأسد في الباب الأول موضوع الكتابة في العصر الجاهلي ، وفي
الباب الثاني موضوع كتابة الشعر الجاهلي وتدوينه ، وفي الباب الثالث موضوع الرواية والسماع ،
وفي الباب الرابع موضوع الشك في الشعر الجاهلي ، أما الباب الخامس والأخير فيبحث فيه
موضوع دواوين الشعر الجاهلي .

وجميع من قرأ الكتاب واطلع عليه وبحث فيه ، يجد فيه ما يطلبه ، إذ يعد من المراجع المهمة
والثمينة في موضوعه كثرات أدبي عربي ثر .

٢ - الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن - نشر معهد الدراسات العربية العالية
بالقاهرة سنة ١٩٥٧ م . وهو كتاب استغرق سبعين ومائة صفحة من القطع المتوسط ، وهو عبارة
عن المحاضرات التي ألقاها ناصر الدين الأسد على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد

الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية سنة سبع وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد .
ويتألف الكتاب من مقدمة وتمهيد وثلاثة أقسام ، تناول القسم الأول عوامل النهضة الفكرية
الحديثة ومظاهرها ، وتناول القسم الثاني النثر الفني ، أما القسم الثالث والأخير فقد تناول فيه
الأسد موضوع الشعر، وهذه كلها في إطار عنوان الكتاب المذكور .

٣- القيان والغناء في العصر الجاهلي - الطبعة الأولى ، نشر دار صادر ودار بيروت ، بيروت
١٩٦٠ م ، والطبعة الثانية ، نشر دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م ، والطبعة الثالثة ، نشر دار الجيل
بيروت سنة ١٩٨٨ م . وقد جاء هذا الكتاب في إحدى عشرة وثلاثمائة صفحة من القطع
المتوسط، ويتألف من مقدمة وبابين وخاتمة وملحقين وثبت بالمصادر والمراجع وبالفهارس . لقد
تناول ناصر الدين الأسد في الباب الأول القينة وبعض أسماء القيان وغناء القيان ، وفي الباب الثاني
تناول أثر القيان في الشاعر الجاهلي ثم في الشعر الجاهلي ، ودرس مثالا على ذلك الأثر الشاعر
الأعشى ووصفه بشاعر القيان والغناء .

٤- الشعر الحديث في فلسطين والأردن - نشر معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة سنة
١٩٦١ م . وهو كتاب استغرق اثنتين وثلاثين وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط ، وقد ضم بين
دفتيه مقدمة وثلاثة أقسام ، تناول ناصر الدين الأسد في القسم الأول منه عوامل النهضة الشعرية
الحديثة ومظاهرها واستعرض سيرا ذاتية وأدبية لعدد من الشعراء ، وفي القسم الثاني تناول عددا
آخر من الشعراء كانوا في فترة ما قبل النكبة ، أما القسم الثالث فقد تناول شعراء آخرين في فترة
ما بعد النكبة ، مختصا الكتاب بملحقات وفهرس وجدول ببعض التصويرات لبعض الأخطاء التي
وردت في مادة الكتاب .

٥- خليل بيدس ، رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين ، نشر معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة سنة ١٩٦٣ م . وهذا الكتاب يستغرق إحدى وتسعين صفحة من القطع المتوسط ، وهو عبارة عن محاضرات التي ألقاها ناصر الدين الأسد عن خليل بيدس على طلبة الدراسات العليا الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية سنة ١٩٦٣ م . ويتألف الكتاب من تمهيد يتحدث عن البيئة القصصية في فلسطين ، كما يتألف من أربعة فصول ، تناول الفصل الأول منها حياة خليل بيدس وآثاره ، والفصل الثاني منها فن القصة عند بيدس ، والفصل الثالث منها بيدس وتأليف القصة الطويلة ، أما الفصل الرابع والأخير فقد تناول بيدس والقصة القصيرة .

٦- محمد روجي الخالدي ، رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين - نشر معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م . وهو كتاب جاء في ثمان وخمسين ومائة صفحة من القطع المتوسط ، ويتألف من مقدمة ، وتمهيد يتحدث فيه ناصر الدين الأسد عن البيئة الثقافية في فلسطين ، وقسمين اثنين : تناول القسم الأول منهما الأسرة الخالدية ، وسيرة روجي الخالدي وآثاره وشخصيته الثقافية ، كما تناول في القسم الثاني والأخير كتب ومؤلفات روجي الخالدي . وفي نهاية الكتاب أورد المؤلف خمسة من الملاحق ، وفهرس الكتاب .

٧- تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي ، وهو كتاب صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٩٦ م ، عن مكتبة روائع مجدلاوي ، بعمان - الأردن ، وعدد صفحاته اثنتان وثلاثون ومائة صفحة من القطع المتوسط ، ويبدأ بمقدمة ، يليها الفصل الأول في موضوع الجامعات وعلوم الدين ، ثم الفصل الثاني وهو في موضوع نشأة المنهج العلمي عند المسلمين ، وبعده الفصل

الثالث وموضوعه البحث العلمي الإسلامي ، ورابع الفصول هذه يبحث في تدريس تاريخ العلم ، وخامسها الفصل الأخير وهو في موضوع الجامعة والبحث العلمي والتنمية ، ويليه ثبت بمراجع الكتاب ثم فهرس لموضوعات الكتاب .

٨- نحن والعصر : مفاهيم ومصطلحات إسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م ، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ويقع هذا الكتاب في خمس عشرة ومائة صفحة من القطع المتوسط ، ويتألف من تقديم وخمسة فصول ، كان موضوع الفصل الأول منها هو نظام الحكم في الإسلام ، وموضوع الفصل الثاني الأقليات في الإسلام ، وموضوع الفصل الثالث المرأة في الإسلام ، وموضوع الفصل الرابع الكرامة الإنسانية ؛ جذورها التاريخية ومخاطر التطرف ، أما الفصل الخامس والأخير فقد بحث في موضوع الإسلام والثقافة العربية في عالم جديد .

٩- نحن والآخر .. صراع وحوار ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ م ، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان . وهو كتاب يقع في إحدى وثلاثين ومائة صفحة من القطع المتوسط ، يشتمل على سبعة فصول ؛ الفصل الأول منها في موضوع الأمم المتحدة والقضية الفلسطينية ، من اتفاقية سايكس بيكو إلى حرب الخليج ، والفصل الثاني في موضوع الشرعية الدولية والاستعمار الجديد والفصل الثالث في موضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان بين العالمية والخصوصية ، والفصل الرابع في موضوع الإسلام والتفاعل الحضاري ، والفصل الخامس في موضوع الاتحاد الأوروبي والعرب ، والفصل السادس في موضوع الشراكة الثقافية الاجتماعية والإنسانية الأوروبية المتوسطة ، والفصل السابع في موضوع الهوية والعولمة .

ثانيا : التحقيق :-

١- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى - لابن حزم (تحقيق بالاشتراك مع الدكتور إحسان عباس) طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٥ م .

٢- تاريخ نجد - تأليف حسين بن غنام (تحرير وتحقيق) مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٩٦١ م ، الطبعة الثانية ، دار الشروق ١٩٨٥ م .

٣- ديوان قيس بن الخطيم (تحقيق) - الطبعة الأولى ، مكتبة دار العروبة بالقاهرة سنة ١٩٦٢ م ، الطبعة الثانية ، مكتبة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٧ م .

٤- ديوان شعر الحادرة (تحقيق) - ضمن مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، المجلد الخامس عشر سنة ١٩٦٩ م . ثم نشر مستقلا : دار صادر بيروت سنة ١٩٧٣ م .

٥- مصحف الشروق المفسر الميسر - تحرير وتحقيق لمختصر ابن صمادح التجيبي الأندلسي لتفسير الإمام الطبري ، دار الشروق / القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

ثالثا : - الترجمة ومراجعة الترجمة :-

١- يقظة العرب ، تأليف جورج أنطونيوس (ترجمة من الإنجليزية بالاشتراك مع الدكتور إحسان عباس) - نشر دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢ م ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦ م .

٢- ليبيا الحديثة ، تأليف مجيد خدوري، ترجمة من الإنجليزية : الدكتور نقولا زيادة (مراجعة الترجمة) - نشر دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٦ م .

رابعا : - الأبحاث والدراسات والمقالات واللقاءات في وسائل الإعلام :-

١- نقد " الحسن البصري : سيرته ، شخصيته ، تعاليمه وآراؤه - تأليف الدكتور إحسان عباس "

نشر في مجلة الثقافة التي تصدر عن لجنة التأليف والترجمة والنشر : القاهرة ، العدد ٧١٩ ، ٦

أكتوبر ١٩٥٢ م .

٢- نقد " الإخوان المسلمون : كبرى الحركات الإسلامية الحديثة - تأليف الدكتور إسحاق موسى

الحسيني " نشر في مجلة الثقافة التي تصدر عن لجنة التأليف والترجمة والنشر : القاهرة ، العدد

٧٢٤ ، ١٠ نوفمبر ١٩٥٢ م .

٣- ندوات القاهرة الأدبية : ندوة الكيلاني - نشرت في مجلة القلم الجديد ، العدد الثاني ،

السنة الأولى ، تشرين الأول ١٩٥٢ م ، تحرير عيسى الناعوري ، عمان .

٤- ندوات القاهرة الأدبية : لجنة التأليف والترجمة والنشر - نشرت في مجلة القلم الجديد ، العدد

الرابع ، السنة الأولى ، كانون الأول ١٩٥٢ م ، تحرير عيسى الناعوري ، عمان .

٥- قصص الكيلاني للأطفال - نشر في مجلة التربية الحديثة التي تصدر عن كلية التربية بالجامعة

الأمريكية بالقاهرة ، ديسمبر سنة ١٩٥٢ م .

٦- الغناء الحربي - نشرت في مجلة القلم الجديد ، العدد الخامس ، السنة الأولى ، كانون الثاني

١٩٥٣ م ، تحرير عيسى الناعوري ، عمان .

٧- الأدب ليس فنا - نشرت في مجلة القلم الجديد ، العدد السادس ، السنة الأولى ، شباط

١٩٥٣ م ، تحرير عيسى الناعوري ، عمان .

٨- ندوات القاهرة الأدبية : ضيفان ومجلسان - نشرت في مجلة القلم الجديد ، العدد السابع ،

السنة الأولى ، آذار ١٩٥٣ م ، تحرير عيسى الناعوري ، عمان .

٩- ندوات القاهرة الأدبية : ندوة العقاد - نشرت في مجلة القلم الجديد ، العدد الثامن ، السنة الأولى ، نيسان ١٩٥٣ م ، تحرير عيسى الناعوري ، عمان .

١٠- نقد " كتاب معالم الحياة العربية الجديدة - تأليف الدكتور منيف الرزاز " ، نشر في مجلة القلم الجديد ، العدد التاسع ، السنة الأولى ، أيار ١٩٥٣ م ، تحرير عيسى الناعوري ، عمان .

١١- تفسير الطبري - نشر في مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٥٦ م .

١٢- العثمانية للجاحظ - نشر في مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٥٦ م .

١٣- فلسفة الاستعمار - نشر في كتاب " القومية العربية والاستعمار " ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٧ م .

١٤- البطولة كما يصورها الأدب الجاهلي - بحث قدم إلى مؤتمر الأدباء الرابع الذي عقد بالكويت سنة ٩٥٨ م ، ونشر في كتاب المؤتمر ، ثم نشرته مجلة الآداب البيروتية نقلاً عن الكتاب في العدد الأول ، السنة السابعة ، كانون الثاني (يناير) ، ١٩٥٩ م .

١٥- التراث والمجتمع الجديد - بحث قدم إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس ببغداد سنة ١٩٦٥ م ، ونشر في كتاب المؤتمر ، ثم في نشرة مفصلة .

١٦- في وداع الشهيد : الكلمات والقصائد التي أُلقيت في حفل تأبين الملك الحسين بن علي بالقدس سنة ١٩٣١ (استخراج وتدقيق وتقديم) دائرة الثقافة والفنون - عمان ١٩٦٦ م

١٧- دراسات في الثورة العربية الكبرى (تحرير وتقديم) الشركة الأردنية العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٦٧ م .

١٨- معاجم ومعجمات - بحث لغوي ، نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الجزء الخامس والعشرين سنة ١٩٦٩ م .

١٩- الوحدة الثقافية العربية - نشر في المجلة المصرية للعلوم السياسية في العدد السابع والستين سنة ١٩٧٠ م .

٢٠- نواد وأندية - بحث لغوي ، نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الجزء السابع والعشرين سنة ١٩٧١ .

٢١- وديان وأودية - بحث لغوي ، نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الجزء التاسع والعشرين سنة ١٩٧٢ م .

٢٢- حماس وحماسة - بحث لغوي ، نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الجزء الرابع والثلاثين سنة ١٩٧٤ م .

٢٣- ليس في شعر ابن زيدون- بحث قدم إلى مهرجان الذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون في الرباط أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٥ م ، نشر في فصلة منفصلة ، وفي عدد من المجلات .

٢٤- حذافة بن غانم - مجلة الدوحة محرم ١٣٩٦ هـ = مارس (آذار) سنة ١٩٧٦ م .

٢٥- العجير السلولي - مجلة الدوحة ، ربيع أول ١٣٩٦ هـ = مارس (آذار) سنة ١٩٧٦ م ، ص : ١٠٦ - ١١١ .

٢٦- أعراب وبادية - بحث ألقى في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (جلسة الأحد ٦ من ربيع

الأول ١٣٩٦ هـ = ٧ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٦ م) ، ونشر في مجلة الدوحة شعبان ١٣٩٦

هـ - أغسطس سنة ١٩٧٦ م .

٢٧- مقدمة لدراسة القبائل العربية في الخليج قبل الإسلام : هجراتها ، وعلاقتها بالقبائل الأخرى

بالجزيرة العربية - بحث قدم إلى مؤتمر الدراسات التاريخية لشرق الجزيرة العربية ، الدوحة / قطر

سنة ١٩٧٧ م ، نشر في كتاب " دراسات عربية وإسلامية " تحرير الدكتورة وداد القاضي ، نشر

الجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٨١ م .

٢٨- عشرينات وعشرينيات - نشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد الأول ، العدد

الأول ، المجلد الأول ، صفر ١٣٩٨ هـ ، كانون الثاني سنة ١٩٧٨ م ، ص : ١٣٩ -

١٤٥ .

٢٩- شواهد على صحة الشعر الجاهلي - نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الحادي

والأربعون ، جهادى الأولى ١٣٩٨ هـ = مايو (أيار) سنة ١٩٧٨ م ، ص ١٤٥ - ١٥٣ .

٣٠- عناصر التراث في شعر شوقي - بحث قدم إلى المهرجان الخمسيني لحافظ وشوقي ، أكتوبر

سنة ١٩٨٢ م ، ونشر في مجلة " فصول " المجلد الثالث ، العدد الأول أكتوبر (تشرين الأول) /

نوفمبر (تشرين الثاني) / ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٢ م .

٣١- اللغة العربية وقضايا الحداثة - قدم إلى " مهرجان القاهرة الأول للإبداع العربي " ونشر في

مجلة " فصول " المجلد الرابع ، العدد الثالث ، إبريل (نيسان) / مايو (أيار) / يونيه (

حزيران) ١٩٨٤ م ، ص : ١٢١ - ١٢٧ .

٣٢- النقط والحرف العربي - قدم إلى الندوة العلمية التي أقامتها جامعة اليرموك ، باربد ، بمناسبة مرور عام على وفاة الأستاذ محمود الغول ، ونشر في كتاب : " دراسات غربية في ذكرى محمود الغول " ندوة علمية عقدت في جامعة اليرموك من ٨ - ١١ كانون الأول ١٩٨٤ م ، ص : ١١٥ - ١٢٦ ، منشورات جامعة اليرموك (سلسلة معهد الآثار والأنثروبولوجيا) العدد الثاني ١٩٨٩م بالتعاون مع أوتوهارا سوفتس - فيسبادن.

٣٣- حول كتاب " في الشعر الجاهلي " - نشر في كتاب : " ذكرى طه حسين " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة ١٩٧٧ م ، ثم نقح وزيد ونشر في مجلة القضاة ، بمصر ، السنة التاسعة عشرة ، العدد الأول ، يناير (كانون الثاني) / يونيو (حزيران) سنة ١٩٨٦ م .

٣٤- موقعة أجنادين : دراسة تحليلية للمصادر والروايات - قدمت إلى الندوة الثانية للمؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام بالتعاون بين الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك ، ١٦ - ٢٢ / ٣ / ١٩٨٥ م ، ونشرت في كتاب : " بلاد الشام في صدر الإسلام ٢٤ - ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ = ١٦ - ٢٢ آذار (مارس) سنة ١٩٨٥ م ، الندوة الثانية من أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام " ، تحرير محمد عدنان البخيت وإحسان عباس ، طبع الجامعة الأردنية ، نشر الجامعة الأردنية : عمان وجامعة اليرموك : إربد ، المجلد الثاني ١٩٨٧ م .

٣٥- الموسوعات - قدم إلى المؤتمر السنوي السادس للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م ، ونشر في كتاب " المؤتمر السنوي السادس ٢٠ - ٢٥ شوال ١٤٠٧ هـ = ١٦ - ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٨٧ م " ،

منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، شوال ١٤١٨ هـ = حزيران (يونيو)

١٩٨٨ م ، ص : ٣٧ - ٥٢ .

٣٦- مقدمة لدراسة الجراد في تراثنا - قدم إلى أكاديمية المملكة المغربية

في دورتها الثانية ، من ٢٨ - ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ .

٣٧- جهود بعض الخدثين في " العامي الفصح " - بحث قدم إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية

بالقاهرة ، في الدورة (السادسة والخمسين) ، ٢٦ / ٢ - ١٢ / ٣ / ١٩٩٠ م .

٣٨- الأمم المتحدة وقضية الشرق الأوسط ، عدم تكافؤ الموازين والمقاييس : المسألة

الفلسطينية - دراسة قدمت إلى أكاديمية المملكة المغربية في دورتها الأولى من ٢٢ - ٢٤ نيسان (

إبريل) ١٩٩١ م ، الدار البيضاء .

٣٩- هل يعطي حق التدخل " شرعية " جديدة للاستعمار ؟ (ملاحظات حول المصطلح

والمضمون) - دراسة قدمت إلى أكاديمية المملكة المغربية في دورتها الثانية من ١٤ - ١٦ أكتوبر

١٩٩١ م ، الرباط .

٤٠- " كتاب الجمهرة لابن دريد وأثره في اللغة " - دراسة أقيمت في ندوة الأديب الشاعر

محمد بن الحسن بن دريد ، التي عقدت في مسقط بسلطنة عمان من ٩ - ١٣ / ١١ / ١٩٩١ م .

٤١- الإسلام وتحديات العصر - محاضرة أقيمت في " الاجتماع الدولي السادس " عن " الشعب

والديانات " ندوة " أوروبا والديانات والسلام " بلجيكا (بر وكسل) من ١٣ - ١٥ / ٩ /

١٩٩٢ م .

٤٢- فلسفة الشريعة والدولة : الجبرية الدينية في مقابل السيادة العلمانية للأمة بحث قدم إلى مؤتمر

حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب الذي نظمته الأكاديمية السويسرية للتنمية في مدينة سولوثورن

(سويسرا) من ٣٠ / ٣ إلى ١ / ٤ / ١٩٩٣ م .

٤٣- العلاقات المسيحية الإسلامية : اليوم وفي المستقبل ولا سيما في الأردن محاضرة أقيمت في

اللقاء الثالث لبطارقة الشرق الكاثوليك في مطرانية اللاتين، عمان في ١٩ / ٥ / ١٩٩٣ م .

٤٤- مسائل في العربية وتعلمها - بحث قدم إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورة المؤتمر

السنوي الحادية والستين لعام ١٩٩٥ / ٩٤ م ، من ٢٧ / ٣ - ١٠ / ٤ / ١٩٩٥ م .

٤٥- البعد العالمي للثقافة العربية - موضوع ألقى في المؤتمر الثاني للمجمع الثقافي العربي في

بيروت ، ١٤ - ١٦ / ١٢ / ١٩٩٥ م .

٤٦- اللقاء في كتب الجغرافيين العرب - قدم إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الدورة

الثانية والستون ١٨ / ٣ - ١ / ٤ / ١٩٩٦ م .

٤٧- مدخل إلى العمل الثقافي العام والمتغيرات الدولية - قدم إلى المنظمة الإسلامية للتربية

والعلوم والثقافة - الإيسيسكو ، من ٣ - ٤ / ٥ / ١٩٩٧ م .

٤٨- في الثقافة والتطبيع و" المشروع الثقافي العربي " ، دراسة قدمت إلى مجلة أكاديمية المملكة

المغربية ، ١٩٩٧ م .

٤٩- مقدمة لدراسة الحداثة الشعرية - قدم إلى مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الدورة

الجمعية (٦٤) ، من ٩ - ٢٣ / ٣ / ١٩٩٨ م .

٥٠- الأزمة الاقتصادية الآسيوية - تعليقات وهوامش - قدم إلى دورة الربيع لأكاديمية المملكة المغربية ، من ٤-٦ / ٥ / ١٩٩٨ م .

٥١- ما قبل رحلة كولومبوس (مقدمة في المنهج) - دراسة قدمت إلى الدورة الاستثنائية لأكاديمية المملكة المغربية من ٢١ - ٢٣ / ٤ / ١٩٩٢ م ، غرناطة (إسبانيا) .

٥٢- أوروبا الإثنتا عشرة دولة والعرب - دراسة قدمت إلى أكاديمية المملكة المغربية في دورتها الثانية من ١٩ - ٢١ / ١١ / ١٩٩٢ م ، الرباط

٥٣- الأقليات في الإسلام - بحث قدم إلى مؤتمر حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب الذي نظمته الأكاديمية السويسرية للتنمية في مدينة سولوثورن (سويسرا) من ٣٠ / ٣ - ١ / ٥ / ١٩٩٣ م

٥٤- المرأة في الإسلام - بحث قدم إلى مؤتمر حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب الذي نظمته الأكاديمية السويسرية للتنمية في مدينة سولوثورن (سويسرا) من ٣٠ / ٣ - ١ / ٤ / ١٩٩٣ م .

٥٥- الديمقراطية وحقوق الإنسان بين العالمية والخصوصية - بحث قدم إلى الدورة الثانية لأكاديمية المملكة المغربية - الرباط ، من ٢٨ - ٣٠ / ١١ / ١٩٩٤ م .

٥٦- الإسلام والثقافة العربية في عالم جديد - بحث قدم إلى ندوة " الإسلام والثقافة العربية في عالم جديد " بدعوة من هيئة جائزة الملك فيصل العالمية ، القاهرة من ٢١ - ٢٢ / ١ / ١٩٩٥ م .

٥٧- مستقبل العلاقات الثقافية بين دول الاتحاد الأوروبي ودول الحوض المتوسطي العربية - دراسة قدمت في الدورة الأولى لأكاديمية المملكة المغربية لسنة ١٩٩٥ م ، في لشبونة -

البرتغال ، من ٣ - ٧ / ٥ / ١٩٩٥ م .

٥٨- الشراكة الثقافية والاجتماعية والإنسانية - موضوع قدم إلى ندوة " ما بعد برشلونة " بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، ١ - ٢ / ٩ / ١٩٩٦ م .

٥٩- الهوية والعولمة - قدم إلى أكاديمية المملكة المغربية في دورتها الأولى ، من ٥ - ٧ / ٥ / ١٩٩٧ م .

٦٠- عناصر النهضة في الإسلام ؛ ملامح من التوجيه النفسي والتربية ، دراسة قدمت إلى الندوة الإسلامية الرابعة في القيروان بتونس بمناسبة المولد النبوي الشريف خلال الفترة الواقعة بين ١٤ - ١٨ شباط ١٩٧٨ م .

٦١- أبو فهر ؛ لمحات من علمه وخلقه ، دراسة أعدها ناصر الدين الأسد سنة ١٩٨٠ م يتحدث فيها عن محمود محمد شاكر من حيث علمه وخلقه ، ويبدو من النسخة التي بين يدي والتي حصلت عليها من لدن الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد يبدو أنها صورة عن النص الذي نشرته إحدى المجلات المتخصصة في الأدب ، ولم أتمكن من تحديد تلك المجلة ، ولعل البحث في قادم الأيام يسفر عن معرفة المجلة التي نشرت هذه الدراسة .

٦٢- النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية ، بحث في نهج الملك فيصل بن عبد العزيز ومواقفه ومبادئه التي كان يوجه بها دراسة ومعالجة القضايا الإسلامية ، ولم يظهر عليها تاريخ الإعداد أو النشر .

٦٣- مناهج العلماء المسلمين في دراسة الشعر الجاهلي ، وهي عبارة عن محاضرة ارتجلها الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد في جامعة آل البيت بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ١٩٩٥ م .

٦٤- رسالة الجامعات في العصر الحديث ، محاضرة ألقاها الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد في دار الإذاعة الأردنية سنة ١٩٦٣ م .

٦٥- خواطر حول الثقافة والتراث والتعليم في وطننا العربي ، محاضرة ألقاها الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد بتاريخ ٨ / ١٢ / ١٩٧٥ م في إطار محاضرات الموسم الثقافي للعام ١٩٧٥ م / ١٩٧٦ م في دولة الإمارات العربية المتحدة ، ونشرتها وزارة الإعلام والثقافة في دولة الإمارات العربية المتحدة في إحدى منشوراتها الثقافية .

٦٦- منهجية التربية في الإسلام دراسة أعدها الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد ونشرتها مجلة (آفاق الإسلام) تاريخ ١٥ / ٣ / ١٩٩٣ م .

٦٧- الكلمة التي ألقاها الأسد في مهرجان طه حسين في الذكرى المتوية لمولده ، والذي أقامته جامعة المنيا في مصر بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٩٨٩ م .

٦٨- نص المحاضرة التي ألقاها الأسد في النادي الاجتماعي الأردني في دبي يوم الأحد ١٠ / ٣ / ١٩٩٦ م بمناسبة حصوله على جائزة سلطان العويس الأدبية .

٦٩- المحاضرة التي ألقاها الأسد في مؤتمر اتحاد المعلمين العرب الذي عقد في السودان بعد سنة ١٩٥٧ م .

٧٠- المحاضرة التي ألقاها الأسد تحت عنوان (من ملامح الشخصية المحلية للأدب العربي في الأردن) في إطار ندوة الكاتب والأديب الأردني الأولى التي عقدت في عمان - الأردن خلال الفترة الواقعة فيما بين ٣١ كانون الثاني إلى ٣ شباط ١٩٧٩ م ، والتي نشرتها مجلة أفكار التي صدرت عن دائرة الثقافة والفنون آن ذاك ، العدد ٤٤ ، في شهر أيار ١٩٧٩ م .

٧١- نص المحاضرة التي ألقاها الأسد بعنوان (اللغة وهوية الأمة) ، في منتدى شومان التابع

لمؤسسة عبد الحميد شومان ، بتاريخ ١٣ / ٩ / ٢٠٠٤ م .

٧٢- نص الكلمة التي ألقاها الأسد في حفل استقبله الذي أقامه مجمع اللغة العربية بالقاهرة في

مصر كعضو جديد بالجمع ، وذلك يوم ١٥ / ٢ / ١٩٧٣ م ، ونشر نص الكلمة في مجلة مجمع

اللغة العربية - الجزء الثاني والثلاثين لشهر تشرين الثاني ١٩٧٣ م .

٧٣- نص الكلمة التي ألقاها الأسد في حفل استقبله بأكاديمية المملكة المغربية ، الذي أقيم في

مدينة طنجة بتاريخ ١١ / ٤ / ١٩٨٨ م .

٧٤- نص التمهيد الذي كتبه الأسد لكتاب (حياتنا الثقافية في ربع قرن) ، والذي صدر عن

وزارة الثقافة سنة ١٩٧٨ م .

٧٥- نص التقديم الذي كتبه الأسد بعنوان (تحية ووفاء) لديوان المحامي صبحي القطب ، الذي

صدر عن دائرة الثقافة والفنون سنة ١٩٨٧ م ، عمان ، الأردن .

٧٦- آفاق التعاون بين العالم الإسلامي والمجتمعات الأخرى ، مقالة من قلم الأستاذ الدكتور ناصر

الدين الأسد .

٧٧- نص المقابلة التي أجراها محمد حربي مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، ونشرت في مجلة العالم

العربي تحت زاوية فن وثقافة ، ص ٧٨ - ص ٧٩ .

٧٨- نص المقابلة التي أجراها إبراهيم عبده الخوري مع الأسد في بغداد ، ونشرتها مجلة (

اقتصاديات) عدد ٢٤ ، كانون الأول - كانون الثاني ، ١٩٨٨ م ، التي تصدر في بيروت ،

لبنان ، والنص تحت عنوان (وزير التعليم الأردني الدكتور ناصر الدين الأسد يكشف أوراقه ، وهي من ص ٢٠ - ص ٢٢ .

٧٩- نص مقابلة مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، أجرى المقابلة : زياد أبو لبن ، ونشر النص في كتابه (حوارات مع أدباء من الأردن وفلسطين) ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩٩ م ، عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان .

٨٠- نص حوار مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، أجرت الحوار : جواهر الرفايعة ، (النص مرقون على الآلة الكاتبة ، وهو من وثائق الدكتور ناصر الدين الأسد) . ولم يظهر تاريخ المقابلة أو تاريخ نشرها في وسائل الإعلام .

٨١- نص حوار مع الدكتور ناصر الدين الأسد لجريدة (الحياة) ، العدد ١٢٠٣٧ ، الأربعاء ٧ / ٢ ، ١٩٩٦ م ، أجرى الحوار : حسين الرواشدة ، ص ٢٠ .

٨٢- نص استطلاع أجرته صحيفة (أخبار الخليج) مع عدد من مفكري ومثقفي الأمة العربية ، وكان من بينهم الدكتور ناصر الدين الأسد . (صورة الوثيقة لم تتضمن عدد الصحيفة وتاريخ صدورها) .

٨٣- نص مقابلة مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، أجراه وحيد تاجا ، نشر في مجلة العالم ، العدد ٢٩٨ ، السبت ٢٨ تشرين الأول ١٩٨٩ م ، ص ٥٠ - ص ٥١ .

٨٤- نص حوار مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، أجرى الحوار : الدكتور الياس زين ، نشر في جريدة (الأنباء الكويتية) تاريخ ٢٠ / ٦ / ١٩٨٣ م ، الصفحة الثامنة والعشرون .

٨٥- نص حوار مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، أجرى الحوار : محمد حربي ، نشر في جريدة الدستور الأردنية ، وكذلك الرأي ، تاريخ ٢٠ / ٦ / ١٩٩٨ م .

٨٦- نص حوار مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، أجرى الحوار : علي عليوه ، نشر في جريدة الأنباء الكويتية ، العدد ٦٨٧٧ ، تاريخ ٧ / ٧ / ١٩٩٥ م ، الصفحة التاسعة .

٨٧- نص مقابلة مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، أجرت المقابلة : منى سراج ، نشر في مجلة الشرقي ، السنة الرابعة ، العدد ٣٧ ، الصفحة الستون .

٨٨- نص حوار مجلة الأهرام العربي مع الدكتور ناصر الأسد ، نشر في جريدة الرأي تاريخ ١٧ / ٦ / ١٩٩٧ م .

٨٩- نص حوار مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، أجرى الحوار يحيى القيسي ، نشر في جريدة الرأي الأردنية ، العدد ١١٠٩٥ ، الأربعاء ٢٤ / ١ / ٢٠٠١ م ، الصفحة السابعة عشرة .

٩٠- نص الحوار الذي أجرته مجلة المنتدى مع الأسد ، ونشرته في عددها الصادر بتاريخ ١١ / ٣ / ١٩٨٨ م .

الفصل الثاني

آراء ناصر الدين الأسد في اللغة العربية

الفصل الثاني

آراء ناصر الدين الأسد في اللغة العربية

لقد حظي موضوع اللغة العربية باهتمام ناصر الدين الأسد وبولعه وبحبه لها منذ نشأته الأولى ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في فصول من الباب الأول من هذه الدراسة ، واستمر هذا الاهتمام إلى أن تولدت اتجاهات بحثية لدى ناصر الدين الأسد في اللغة العربية ومسائلها ، وقضاياها ، وظواهرها ، ووظائفها كأداة تعبير وتواصل واتصال ، وعلاقتها بالأدب والتراث ، والنحو والصرف ، وفقه اللغة ، وتعلمها وتعليمها ، ولهجاتها ، ومصطلحاتها ، والثقافة العربية التي اتخذت منها أداة للتعبير ، وما واجهته من مشكلات معاصرة استدعت جهود كل من يهيمه الأمر المتعلق باللغة العربية ، لتعمل تلك الجهود على درء الشبهات ورد التهم وتفنيد أباطيل المغرضين الذين أرادوا الخط من قيمة اللغة العربية ومن قدراتها اللغوية والوظيفية في مواكبة التطورات التعليمية والعلمية والثقافية والتكنولوجية والحضارية التي سيطرت على المجتمعات البشرية ؛ عربية وغير عربية .

وكان ناصر الدين الأسد من الأوائل الذين وقفوا - في أبحاثهم ودراساتهم ومؤلفاتهم ومحاضراتهم والندوات التي اشتركوا فيها ، ومنذ الأربعينات من القرن العشرين - لحماية اللغة العربية والدفاع عنها وبيان قداستها وسعتها وبيائها وبديعها وبلاغتها وقدراتها على استيعاب مفردات ومفاهيم ومصطلحات الحضارة التي تتسارع في شتى ميادين الحياة .

وفي هذا الفصل ، لا بد من الوقوف على بعض الآراء التي أبدتها ناصر الدين الأسد في تعريفه للغة ، وفي تعليمها وتعلمها ، وفي استخدامها وتوظيفها ، وفي بعض المشكلات التي

تواجهها ، لما لهذه الآراء من ارتباط وعلاقات مع اللغة الفنية الأدبية والعلمية التي تستخدم وسيلة وأداة للتعبير في كل فن من الفنون الأدبية والعلمية الإبداعية ، وسواء أكانت نثرا أم شعرا .

لقد تعمق ناصر الدين الأسد في لغته العربية وعلى جميع مستوياتها إيمانا منه بأن " الذي يسير لغته ويتغلغل فيها على الدقائق والأسرار ، هو في أفق علوي يستشرق معه العوالم الأخرى على نحو أفضل منه لو بقي على العتبات الخارجية لمسطح من اللغات المتعددة . " ^(١)

ولذلك ، فقد انبثق من إيمانه هذا أن اللغة من مقومات الأمة ، ومصالحها هي مصالح الأمة ، كما انبثق منه أيضا أن " اللغة كاهوية متحركة متطورة ، لها ثوابت لا يجوز المساس بها دون أن تهدم ، ولها متغيرات تطرأ عليها بحكم اختلاف الزمان والمكان والاتصال بالأمم واللغات والثقافات الأخرى ، فتموت منها ألفاظ ، وتتغير دلالات ألفاظ أخرى ، وتدخلها ألفاظ من جنسها ومن المقيس عليها لم تكن مستعملة فيها من قبل ، وتقتبس بعض الدخيل في اللفظ والأسلوب مما تحتاج إليه ويقتضيه تطور الحياة . وكل ذلك إنما كان يجري على نمط أصيل من اللغة ذاتها ، ويدور في فلك منها نفسها ، ويتحرك في داخل إطار يحسكه أن يفلت أو ينحرف . وهو دليل على أنها حقا اللغة (الواحدة) وعلى أنها قادرة على البقاء وعلى الحياة المستمرة من خلال قدرتها على النمو السليم النابع من ذاتها ، المحكوم بأصولها وقواعدها : في ألفاظها وأساليبها وكتابتها . " ^(٢)

وبوجب هذا الرأي اعتراف الأمة العربية بلغتها ورفض طغيان أية لغة من لغات الأمم الأخرى على اللغة العربية ، من منطلق قومية اللغة العربية ، ومن منطلق أن اللغة العربية جزء من الأمة العربية وكيانها . وهذا الرأي راجع إلى " وعيه المتنامي بقيمة اللغة وأثرها في نهضة الشعوب

(١) ليو حمدة ، محمد علي ، فن الكتابة والتعبير ، ط ١ ، ١٩٨٧ م ، مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن ، ص ١٦ - ص ١٧ .
(٢) اللغة وهوية الأمة ، محاضرة للقاهها الدكتور ناصر الدين الأسد في منتدى شومان ، ١٣ / ٩ / ٢٠٠٤ م ، ص ١٣ .

من جانب ، ورسالتها القومية ، وما كان للدافع الثقافي من أثر عميق في تحرير اللغة العربية من الهيمنة الأجنبية . " (٣)

لقد دعت عقيدته الإسلامية إلى الانشغال باللغة العربية والعناية بها والحفاظ على سلامتها ، مثلما دعت قومته العربية إلى ذلك ، زيادة على رغبته في التعمق فيها وفي علومها وآدابها ، وفي هذا الصدد فإنني أتفق مع مي مظفر في ما ذهبت إليه ، حيث تقول (٤) : " ولكن انشغال ناصر الدين الأسد باللغة لم يقتصر على رغبته في تطوير أدواته الفنية ، إنما استحوذت أسباب ملحة أخرى على اهتمامه ، كانت تدفعه إلى العناية باللغة ، والحفاظ على سلامتها ، لم أجد لها تحديداً جامعاً أفضل من قول عالم كافي منصور الثعالبي (٥) : (إن من أحب الله أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عني بها ، وثابر عليها ، وصرف همته إليها.)

ويأخذ ناصر الدين الأسد في تفضيل اللغة العربية على سائر اللغات الأخرى مذهبا فيه شيء من المغالاة النابعة من حبه لما لها من فضل ، يقول نهاد الموسى في هذا الموضوع : " بل يعيل به حب العربية فيغلو — على اعتداله واتزانه — فقد ذهب في خواتيم بحثه (اللغة العربية وقضايا الحداثة) مذهبا في هوى العربية نحا به نحو ترجيح فضلها على غيرها من اللغات . " (٦)

ولولا أن ناصر الدين الأسد كان قد فهم لغته العربية لما كان منه مثل هذه المواقف منها ومن غيرها من اللغات الأخرى ، ومن ذلك الفهم المعمق يدرك أن اللغة " ليست محض أصوات

(٣) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٣ — ص ١١٤ .

(٥) أبو الفرج ، قدامة بن جعفر ، جواهر الألفاظ ، تحقيق : محمد الدين بن عبد الحميد ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٩م ، بيروت ، لبنان ،

(٦) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، بحث : ناصر الدين الأسد واللغة ، الدكتور نهاد الموسى ، ص ٧٤ .

وحروف وإن كانت كذلك في صورتها الخارجية ، وليست محض وسيلة للتعبير ، وإنما هي مع ذلك كله وقبل ذلك كله وسيلة للتفكير ، أو هي الفكر نفسه ، على ما وضعنا . أليس من مألوف تعبيراتنا أن نقول : (إنني أفكر بصوت عال) . والحقيقة أن كل كلام بصوت عال هو تفكير ، وكذلك كل تفكير ونحن صامتون إنما هو نوع من الكلام غير المسموع أو المنطوق .^(٧)

وعلى هذا ، فاللغة عنده (حديث) ، إذ يقول - في مواضع متعددة في مؤلفاته - : " ثم ما ذكرناه ... كل ذلك حديث موهم ، قد يحمل محملا فيه سعة وتعميم ولم نقصد إليهما ... " ^(٨)

واللغة عنده (كلام) ، ... ، واللغة عنده أيضا تلفظ وتروى وتسمع وتنقل وتكتب وتقرأ ، إذ يعبر عن ذلك في مواضع كثيرة في مؤلفاته ، فيقول - على سبيل المثال - : " ... وأن ذبوع شعر الشاعر أو أخبار القبيلة ومآثرها لم يكن قائما على القراءة من الديوان أو الكتاب ، وإنما كان يقوم على الرواية الشفهية من فرد إلى آخر ، ومن جيل إلى آخر . أجل ، لقد كان هذا الشعر أو بعضه مدونا ... ثم يحفظ هؤلاء جميعا أو بعضهم هذا الشعر ويتناقلونه إنشادا لا قراءة في مجالسهم ومشاهدهم وأسواقهم ، ويرددونه شفاهة ... فيشيع بين العرب ، ويتناقله الركبان ، ... " ^(٩)

ويرى ناصر الدين الأسد أن " اللغة - من حيث هي لقطة - هي حروف وأصوات : هي حروف حين تكون مكتوبة ، وهي أصوات حين تكون ملفوظة ومنطوقة . ولكنها في جوهرها

(٧) اللغة وهوية الأمة ، محاضرة للقاهما الدكتور ناصر الدين الأسد في منتدى شومان ، بتاريخ ١٣ / ٩ / ٢٠٠٤ م ، ص ٥ .
(٨) الأسد ، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ط ٧ ، ١٩٨٨ م ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص ١٩٠ .
(٩) المرجع السابق نفسه ، ص ١٩٠ - ص ١٩١ .

وحقيقتها إنما هي معان ومدلولات تصبح أحيانا صورا بيانية وخاصة حين تنضم اللفظة إلى غيرها في سياق الكلام . " (١٠)

إن الوعي الذي بلغه ناصر الدين الأسد في موضوع اللغة العربية - التي عدها فكرا منطلقا من مدلول ، والمدلول معلق بدال - ناتج عن عمق في النظر ، ومؤداه أن " اللغة نظام كلي يتألف من أنظمة جزئية هي النظام الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي والأسلوبي . وهي تجري في كل من هذه الأنظمة وفقا لأحكام وأصول . والمعرفة بهذه الأحكام والأصول هي أدواتنا في معرفة اللغة ، وهي دليلنا إلى معرفة الخطأ والصواب . " (١١)

فاللغة عنده ذات بنية متماسكة تتكون من عدة عناصر بينها انسجام واتساق ظاهري ، على اعتبار اللفظ والشكل ، كما بينها تراتب وترباط وتماسك عميق غير ظاهر ، على اعتبار البنية اللغوية الداخلية العميقة التي يدركها علماء اللغة والنقاد وأصحاب الاختصاص ، إذ هي تكون فيما بين السطور ، أو فيما وراء اللغة .

ولذلك ، ارتبطت اللغة بالفكر والتفكير عند ناصر الدين الأسد ، وقد عد بعض علماء اللغة أن التفكير مهارة خامسة من المهارات اللغوية ، التي هي : الكلام ، الاستماع ، القراءة ، الكتابة . ولعله واحد من أولئك العلماء ، حيث يقول : " فاللغة يشترك معها غيرها من حيث هي وسيلة للتعبير ، ولكنها تتفرد وحدها وتتميز من حيث هي وسيلة للتفكير . " (١٢) وربما يكون قد انطلق في هذا الرأي من مبدأ وظيفية اللغة ، أو من قدرة اللغة على استيعاب جميع الألفاظ والمفاهيم والمفردات والتعبيرات والمصطلحات في حقيقتها أو في مجازيتها ، أو من قدرة اللغة على النمو

(١٠) اللغة وهوية الأمة ، محاضرة ألقاها الدكتور ناصر الدين الأسد في منتدى شومان ، ١٣ / ٩ / ٢٠٠٤ م ، ص ٢ .

(١١) مهيدات ، محمود ، إمتاع الطرف في النحو والصرف ، ط ١ ، ١٩٩٠ م ، دار الكندي ، أريد ، الأردن ، ص ٧ .

(١٢) الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة (اللغة وهوية الأمة) ، مرجع سابق ، ص ٤ .

والتطور ومسايرة الثقافة والحضارة التي تستعمل تلك اللغة العربية في المستوى اللغوي الفصح أو في المستوى اللغوي الخكي الدارج على السنة العوام ، وفي ذلك يقول الأسد : " ومن هنا نرى أن اللغة - بما تكتنزه من معان ودلالات وأحاسيس - إنما هي وسيلة للتفكير كما أنها وسيلة للتعبير والتواصل بين الناس . ولكن هذه الوظيفة اللغوية في التعبير والتواصل تأتي في الزمن بعد وظيفتها الأولى ، إذ لا بد أن يفكر الإنسان أو يشعر أولاً ثم يعبر عن أفكاره أحاسيسه ، وإن كان التفكير في كثير من أمور الحياة اليومية ينطلق سريعاً ويكاد يتداخل زمن التفكير وزمن التعبير ، حتى إننا في كثير من المواقف لا نكاد نحس فارقاً بين الزمنين ، وإن كنا نتندر أحياناً فنقول إن فلاناً يسبق لسانه أو كلامه عقله أو فكره ، ونقول إن فلاناً يتكلم دون أن يفكر . وهكذا نرى أن هذه الوظيفة الثانية للغة - وهي التعبير - لا تتحقق إلا بتحقيق الوظيفة الأولى وهي التفكير . " (١٣)

ولا ينطلق ناصر الدين الأسد في هذا الأمر من فراغ ، وإنما لا يرى ما يراه الدكتور عبد الكريم غرايبة في هذا الأمر من أن هناك علاقة تكوينية بين الكلمة والفكرة ، حيث يقول : " وذهب بعض أصحابنا ^(١٤) إلى أن (الكلمة في كل لغة مستحاثة فكرية ، أي أنها - كما قال - فكرة تجمدت قبل زمن طويل ...) وهذا حكم يلغي قدرة الشعراء والأدباء على التصرف في الكلمات والتفنن في أساليب البيان المتفاوتة بينهم ، إذ إن ذلك يعني أن الفكرة (المتجمدة) بحسب تعبيره هي نفسها في كل موقع وعند جميع الشعراء والأدباء . " ^(١٥) وذلك لأنه يرى - ورأيه يخالف رأي الدكتور الغرايبة - أن ارتباط الكلمة بالفكرة يعني حركة إحداها من حركة الأخرى ، وأن حياة الأولى من حياة الأخرى ، لما بينهما من تفاعل وتجاوب واتساق وانسجام وتوافق ، إذ

(١٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٣ .

(١٤) يقصد الدكتور عبد الكريم غرايبة مقتبساً من مقالة له نشرتها جريدة الرأي الأردنية بتاريخ ١٠ / ٩ / ٢٠٠٤ ، والنص هو (الكلمة ...

طويل ...)

(١٥) الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة (اللغة وهوية الأمة) ، ص ٥ - ص ٦ .

يقول الأسد في هذا الشأن : " ونحن - حين نخالفه في رأيه - نرى أن الفكرة في الكلمة ليست (مجمدة) ، وإنما هي مكنوزة فيها تنبض بالحياة والحركة ، وأن هذه الأفكار تتفاعل مع أفكار الكلمات الأخرى في سياق الجملة وتتجاوب ، وتتكون من هذا التفاعل والتجاوب أفكار متجددة تمت إلى الأفكار السابقة بصلة ، ولكنها - في الوقت نفسه - تكتسي من الظلال والألوان والإيقاعات ما ينم على مزية الشاعر أو الأديب من المعاناة الفنية في التعبير ، ومن هنا كان تفاوت هؤلاء الشعراء والأدباء واختلاف مراتبهم ، مع أن الكلمات واحدة عندهم جميعا ، ولكن الذي اختلف هو وضعها في نظم الكلام . " (١٦)

وكأنني به يريد أن يذهب إلى أن الكلمة متحركة بحراك دلالاتها المتعددة المتنوعة المعتمدة على السياق والتعبير الذي احتلت مكانها فيه ، وأنها غير جامدة ولا متحجرة ، وإنما هي نامية متطورة متغيرة في دلالاتها ، مثلها في ذلك مثل الكائن الحي الذي إذا توافرت له عوامل الحياة عاش واستمر ، وإذا لم تتوافر له مات واندثر ، ولذلك يقول : " يجب أن ندرك أن أية لغة هي كائن حي ينمو ويتطور وليس من شك أن اللغة العربية نفسها اختلفت في بعض ما دخلها من ألفاظ وتعبير في العصر الأموي والعباسي ، وما تلاهما من عصور ، ومع أن اللغة العربية هي أطول لغات العالم استمرارا ومنذ الجاهلية (ثلاثة قرون قبل الإسلام) حتى الآن ولا تزال هذه اللغة هي التي نكتب بها ونتحدث بها وتؤدي رسالتها الأدبية والعلمية مع فروق يسيرة لا تخفى على كثير من الناس اقتضتها ظروف التطور واختلاف البيئات والأزمان فلا يجوز لأحد أن يدعو إلى جمود اللغة وتحجرها ولا أن ينكر نموها وتطورها . " (١٧)

(١٦) المرجع السابق نفسه ، ص ٦ .

(١٧) مجلة الشرقي ، ع ٢٧ ، السنة الرابعة ، زاوية وجه من البادية ، منى سراج ، (ص ٥٩ - ص ٦٠)

لقد عبر ناصر الدين الأسد عن العلاقة بين اللغة والفكرة بأنها علاقة تلازمية ، نتج عنها نمو وتطور اللغة ، وليس هذا وليد هذه الأيام وإنما هو قديم قدم اللغة العربية ، لكنه لم يظهر بصورة جلية وظيفية إلا بعد مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث دعت الحاجة إلى استعمال اللغة العربية في بناء القاعدة الفكرية العلمية العربية الإسلامية التي أنشأت ثقافة وعلوما عربية إسلامية ، يقول الأسد في هذا الشأن : " وحين جاء الإسلام ونزل الوحي (بلسان عربي مبين) ، كانت هذه اللغة مهيأة لتسع ما أراد الله عز وجل في كتابه الكريم من سبل الهدى ووجوه التشريع ، وطوعها الإسلام بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف لتكون أداة البيان الفني عن ميادين متعددة من القول ، بعضها متطور عما قبله وبعضها مستحدث . " (١٨) كما يقول متمما فكرته ورأيه : " وحين أخذ المسلمون يبنون قاعدة فكرهم العلمي ويؤصلون منهجهم من داخل دينهم وثقافتهم ، أسعفتهم هذه اللغة ، واستوعبت العلوم التي أصبحت تعرف بالعلوم العربية والإسلامية من : تفسير وسيرة ومغاز وتاريخ ونسب ونحو وصرف وبيان وبديع وعروض وغيرها كثير . " (١٩)

ومع تقدم التفكير العربي الإسلامي ، وبسبب التأثير بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وبسبب الاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى وظهور الترجمة والتعريب والنقل ، " استطاعت هذه اللغة العربية ، بألفاظها وتراكيبها وأساليبها ، أن تتطور مع العصور ، وأن تستجيب لقضايا الحداثة في كل عصر ، فقد استطاعت أن ترقى إلى

(١٨) اللغة العربية وقضايا الحداثة ، بحث قدم في مهرجان القاهرة الأول للإبداع العربي ، نشر في مجلة فصول تحت عنوان (الحداثة في اللغة والأدب) ، ج ١ ، ع ٣ ، مج ٤ ، إبريل ، ١٩٨٤ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٦ .
(١٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٦ .

أسمى مراتب الفن في العصر الجاهلي وجالت معه في آفاقه الرحبة ، وأرست أصول البيان والتعبير للعصور التالية. " (٢٠)

فالتقدم الذي حصل في العلوم والمعارف سايره تقدم في علوم اللغة التي انطلقت من التفكير اللغوي الذي رافق التفكير الديني والتفكير الأدبي والتفكير الفلسفي والتفكير العلمي ، ولذلك ، يمكن القول إن تأثير التفكير اللغوي بالتفكير العلمي كان في نطاق واسع ، " وقد حصر الفكر اللغوي العربي قديما العلاقة بين اللغة والفكر في المعنى ، ومضى العلماء في دراسة هذه العلاقة ضمن محورين ؛ الأول : الألفاظ المفردة ، والثاني التراكيب والتعابير . وضمن المحور الأول كان إيمان العرب بشائبة اللفظ والمعنى أو الدال والمدلول ؛ ولهذا درسوا اللفظ والمعنى كلا على حدة . " (٢١)

وقد أدى هذا إلى عدم الاعتماد فقط على المعنى المعجمي للكلمة ، وإنما إلى الاعتماد على المعنى الذي يتحصل من السياق ومن التعبير سواء على مستوى الجملة أو على مستوى العبارة أو على مستوى النص ، كما أدى ذلك إلى النظر إلى اللغة العربية نظرة شمولية تكاملية من حيث وحدة اللغة أو أن اللغة واحدة في عناصرها التي تلتئم لتكون نصا ذا دلالات تفهم من ظاهر النص أو من باطنه ، " ثم إن الأمر الواحد إذا اختلفت الألفاظ اللغوية الدالة عليه اختلفت صورته في الفكر والنفس ، واختلف الشعور به حدة أو خفة . ومن هنا كانت قيمة سك ألفاظ حسنة أو مقبولة أو ذات أثر لطيف أو خفيف لأشياء ومعانٍ مستهجنة أو قبيحة . " (٢٢)

وكثيرا ما يؤدي استحداث الألفاظ وابتداع المعاني غير المتفقة أو المتسقة مع الشعور ومع الفكر ، مروراً بالخبرة التطبيقية في استعمال اللغة بالأسلوب السليم والمستوى الدلالي المعبر من

(٢٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٦ .

(٢١) القواسمة ، محمد عبد الله ، مقدمة في الكتابة العربية ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، دار النشر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ١٦ .

(٢٢) الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة للغة وهوية الأمة ، مرجع سابق ، ص ٤ .

خلال وظيفة اللغة ، أقول يؤدي إلى وجود غموض أو لبس لدى المنشي ذاته كمنتج للأدب ، ولدى المتلقي كمستقبل له أدواته الاستقبالية التحليلية والتفسيرية والإدراكية والاستيعابية . " ومما يهين للغموض في الأدب أن الألفاظ المفردة فيه لا تؤدي معاني محددة كما يتبادر إلى الأذهان ، إنما المحدد فقط حروفها وما تشغله من فراغ ، أما معانيها فمسألة لا تتوقف " . (٢٣)

ولعل الحال الذي آلت إليه اللغة العربية في العصر الحاضر لا يروق للدكتور ناصر الدين الأسد ، ولا يعجبه ، ويدعوه إلى التساؤل المشوب بالحيرة والتحسر ، فهو يقول : " إذا كانت اللغة هي أداة التفكير ، كما أنها أداة التعبير ، فإن من الطبيعي أن يكون تفكير المرء في مستوى لغته ، أفيكون استعمالنا العامة وغلبتها علينا السبب فيما يتصف به أكثر تفكيرنا الآن من عامة وسطحية وتحلف ؟ إننا لا نعرف أمة فعلت بنفسها وبلغتها ما فعلنا . إننا أمة لا نتكلم لغتها ، وكل أمة سوانا نتكلم لغتها ، على تفاوت بين أبنائها في قدرتهم على البيان بها ، بحكم تفاوت حظهم من التعليم والثقافة ، فالإنجليزي يتكلم اللغة الإنجليزية ، والفرنسي يتكلم الفرنسية ، والألماني يتكلم الألمانية ، وكل فرد في كل أمة ينشأ من الطفولة المبكرة على سماع لغته والتحدث بها في كل مادة من مواد الدراسة في مراحل تعلمه جميعها ، وفي المسرح والسينما والإذاعة وغيرها . ومع ذلك فنحن نزعم - ونحن على حق - أننا أمة واحدة ، وأن أهم مقوم من مقومات الأمة الواحدة هو اللغة ، ثم نحطم هذا المقوم تحطيمًا بأيدينا " . (٢٤)

فالأدب الذي نعده أدبا حديثا لم ينشأ دون أن يكون له جذور في التراث ، ولم يتعد عن مقومات ثقافة الأمة ، فهو يسعى إلى الإسهام في بناء تلك الثقافة ، وأداته ووسيلته التعبيرية هي لغة

(٢٣) ضيف ، شوقي ، البحث الأدبي طبيعته . مناهجه . أصوله . مصادره ، ط ١ ، ١٩٧٦ م ، دار المعارف ، مصر ، ص ١٤ .

(٢٤) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

الأمة ، هي اللغة العربية المرقنة في مستواها الثقافي الأدبي الفني الإبداعي بالمستوى الذي تلقاها عليه صاحبها وقت تعلمها ووقت استخدامها وتوظيفها في حياته العملية ، إرسالاً واستقبالاً ، دراسة وتحليلاً ونقداً ، شعوراً وتفكيراً ، حقيقة أو مجازاً ، وهذا لا ينفي وجود التفاوت الذي غالباً ما ينشأ بين أديب وأديب ، أو كاتب وكاتب ، أو مستقبل ومستقبل ، أو بين فن أدبي أو علمي وفن أدبي أو علمي آخر ، فقد " كانت اللغة العربية في أكثر المقالات والكتب المتخصصة ، وفي المسرحيات النثرية والشعرية والروايات والقصص ، تنهمر من أقلام الكتاب الفهماء لا يعوقه عجز فيها ولا يحده تخلف منها عن ركب الحياة والحداثة وما يستجد فيهما من أفكار ومعان واتجاهات ومذاهب . " (٢٥)

وكان النتاج العلمي أو الأدبي الذي صيغ من تلك اللغة العربية ذات المستويات السليمة نافعا مفيدا مؤديا وظيفته في تكوين ثقافة تراثية لم تنقطع فائدته إلى يومنا هذا ، ولعل هذا الأمر قد دفع الكثيرين ومنهم ناصر الدين الأسد إلى التساؤل عن الأسباب التي تكمن وراء التباين والاختلاف في مستويات الإبداع الأدبي في الأوقات السابقة والإبداع الأدبي في الوقت الحاضر ، وبخاصة ما تعلق من تلك الأسباب بأداة التفكير والتعبير والاتصال والتواصل ، أي باللغة التي استعملها السابقون فأبدعوا أدبا حيا باقيا من حياة اللغة وبقائها ، أو باللغة التي استخدمها المحدثون فأبدعوا أدبا فيه من الشوائب ما جعله في أضعف مستوى من الأدب أو الفن الذي قبله ، وكون الأمر متعلقا باللغة ، فإن ذلك كان من الأمور التي دفعت ناصر الدين الأسد إلى البحث فيها ودراستها والوقوف على كثير من ظواهرها وقضاياها ، وكانت مواقفه منبعثة من كثير من التساؤلات والتحليلات .

ويتساءل عن بعض القضايا التي تدخل في جوهر اللغة ، كقضية المعاني وقضية الدلالات وقضية الأفكار وقضية الأحاسيس المرتبطة بالعربي الذي يقف وراء ثمر اللغة وتطورها ، ليجعل من

(٢٥) الأسد ، ناصر الدين ، اللغة العربية وقضايا الحداثة ، مرجع سابق ، ص ٩ .
١٠٦

آداب أمته العربية وثقافتها سجلا حافلا يحفظ لها لغتها ، فتساؤلاته تنبع من اللغة وتعود إلى اللغة ، وبخاصة تلك اللغة الأدبية والعلمية والفنية التي تبقى بقاء الفكر والمضمون والشكل والمظهر اللفظي والمدون الذي أبدعته العقول المستنيرة التي يهيمها أمر لغتها ، ويدفعها ذلك إلى الحفاظ على تلك اللغة وفي أفضل مستوياتها ، ومن هذه التساؤلات المثيرة للبحث والجدل ما ورد في قوله : "وما هي هذه المعاني والدلالات والأفكار والأحاسيس التي تكمن في اللغة : في حروفها المستقلة وفي ألفاظها المفردة ثم في جملها ؟" (٢٦)

وهذا يعني أن هناك أهدافا تكمن وراء غو اللغة وتطورها ، منها ما هو معلن مقصود ظاهر ، ومنها ما هو غير معلن وغير مقصود وباطني ، وكلاهما يتحقق بتحقيق الآخر إذا ما تمت اللغة وتطورت واتسعت مجالات توظيفها واستخدامها ، وإذا ما انجلت آفاقها وأبعاد مستوياتها ، ويمكن أن يتأتى تحقيق هذه الأهداف المسيرة لمراحل غو اللغة العربية من خلال ما لدى أفراد الأمة العربية من معرفة ودراية وخبرة في علوم اللغة العربية ، ومن كفايات لغوية تبعث على التحصيل اللغوي والأداء اللغوي الصحيح للتعبير والتواصل بين أفراد الأمة ، ولتحقيق رسالة اللغة العربية في جميع مجالات الحياة ، ويستدعي هذا الأمر أن ننظر بعين ناصر الدين الأسد التي ترى اللغة العربية لغة واحدة ، وذلك في قوله : " هذه اللغة العربية الأدبية الواحدة منذ أن عرفناها في الشعر الجاهلي إلى يوم الناس هذا عند من يعرب بها ولا يعجم ، ويعبر بها ولا يجمجم ، من أصحاب البيان المين ، غير المغرب ولا المهجين ، ووصفها بـ (الواحدة) لا ينفي غوها وتطورها وتجدها في ألفاظها وفي أساليبها . " (٢٧)

(٢٦) الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة اللغة وهوية الأمة ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٢٧) الأسد ، ناصر الدين ، اللغة العربية وقضايا الحداثة ، مرجع سابق ، ص ٢ .

فاللغة العربية التي استمرت طويلا ، وكما خبرها ناصر الدين الأسد " : كائن حي ينمو ويتجدد ويموت ، وهي تتطور وتنمو في أساليبها وألفاظها ، وقد تستحدث ألفاظاً لم تكن من قبل في اللغة ، بل قد يتطور اللفظ الواحد ليؤدي معاني لم تكن تستعمل من قبل ، وكذلك تستقبل ألفاظاً من لغات أخرى لتدل على معان جديدة عليها يفرضها تطور الحياة ذاتها ، وما تتعرض له من مؤثرات ومتغيرات . " (٢٨) لا شك في أنها كانت تشكل الدوافع والأسباب التي جعلت " اللغة العربية لغة حية وقد كانت على مدى عصورها لغة أدب وعلم ، وكانت بحكم طبيعتها الاشتقاقية قادرة على أن تتماشى مع العصور ، وتواكب كل تطور ، وهي - كما يؤمن ناصر الدين الأسد - تنمو وتتطور فتستعمل ألفاظا لغير ما كانت تستعمل له ، وتستحدث ألفاظا لم تكن من قبل في اللغة ، وتستقبل ألفاظا من لغات أخرى لتدل على معان ليس في اللغة ألفاظا منها تدل عليها ، كما قد تندثر بعض ألفاظها وتموت حين تغدو تلك الألفاظ من الغريب المهجور . " (٢٩)

لا يفصل ناصر الدين الأسد بين نمو اللغة العربية التي تكتب والتي يتحدث بها وتطورها وتحديثها ، ولذلك ، ليس غريبا أن يكون فهمه لهذا الأمر مؤديا إلى اعتبار اللغة وحدة واحدة في مستوى الحديث بما وفي مستوى الكتابة بما ، " وبهذا الفهم الواسع لمسألة اللغة ، والتعامل معها على أنها كائن حي يحمل شروط حياته واندثاره ، يتولى ناصر الدين الأسد الحفاظ على الجوهر في ثقافتنا العربية الإسلامية ، ويرى أن تجدد اللغة كان مرافقا لكل العصور . " (٣٠) وبذلك ، فإن ناصر الدين الأسد لا يخرج اللغة من دائرة الثقافة ، ولا يخرج الثقافة من دائرة اللغة ، ويتعامل معهما على أنهما من مشكاة واحدة ، تضيء إحدهما سبيل الأخرى ، ليصنع من ذلك دليلا على أن اللغة

(٢٨) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ١١٦ .

(٢٩) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٣٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٧ .

العربية واحدة ، ومصدرها واحد ، ومرجعيتها واحدة ، وما ينتج من ثقافة وآداب وعلوم وفنون باللغة العربية ، مصدره واحد ومرجعيته واحدة ، وكلاهما يعود إلى لغة ذات بيان ، وهي لغة القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين ، وهذا " دليل على أنها حقاً اللغة الواحدة ، وهو حين يدل على وحدتها إنما يدل على أصالتها وتماسك شخصيتها ، وعلى قدرتها على البقاء وعلى الحياة المستمرة ، وذلك من خلال قدرتها على النمو السليم النابع من ذاتها ، المحكوم بأصولها وقواعدها ، والشأن في الألفاظ المستجدة التي يستحدثها العصر للوفاء بحاجاته هو الشأن نفسه في الأساليب ، فإن لاستحدثاتها أصولاً وقواعد من القياس ، والذوق اللغوي ، والإلف في السمع ، وما يتصل بكل ذلك من مثل القدرة على الشيوخ والإفهام مع الحاجة الحقيقية إلى هذا الاستحداث . " (٣١)

إن النظر إلى الظواهر اللغوية قديمها وحديثها أمر واجب للوقوف على عناصر اللغة العربية ومكوناتها كوحدة واحدة ، وعلى ما يستعمل منها في نظم وصياغة وتأليف وتركيب النصوص والفنون الأدبية والعلمية والفنية ، لما تشتمل عليه من ألفاظ وعبارات قد تخصص بأدب أو بفن أو بعلم معين وقد تقيد به ويقيد بها ، " ولا ينفي استحداث ألفاظ لم تكن من قبل في اللغة ، ولا ينفي استعمال ألفاظ لغير ما كانت تستعمل له ، أو استعمال ألفاظ من لغات أخرى لتدل على معان ليس في اللغة ألفاظ منها تدل عليها أو كانت فيها تلك الألفاظ وقبلت - لسبب ما - أن تضيف إليها لفظاً من غيرها للمعنى نفسه أو لمعنى قريب منه ، ولا ينفي موت ألفاظ كانت تدل على معان فابتعدت الحياة عن هذه المعاني وعن ألفاظها فأصبحت تلك الألفاظ من الغريب المهجور أو الممات . " (٣٢)

(٣١) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ١١٦ - ص ١١٧ .
(٣٢) الأسد ، ناصر الدين ، اللغة العربية وقضايا الحداثة ، مرجع سابق ، ص ٢ .
١٠٩

وربما يكون هناك تداخل بين كلمتين في اللفظ والدلالة ، ولم يظهر ذلك التداخل إلا عند استعمالهما في جملة أو تركيب لغوي أو سياقي ، فيتم الرجوع — عندئذ — إلى معاجم اللغة وكتب علوم اللغة وكتب التفسير وكتب الحديث للوقوف على المعاني التي لكل لفظ من اللفظين خارج إطار السياق التداولي اللغوي ، ولاختيار المعنى المتلائم مع السياق الذي وضع فيه كل لفظ منهما ، لإزالة ذلك التداخل ، فيكون توظيف اللفظين مناسباً ، ويكون مشتملاً على استمرارية تطويرية لألفاظ اللغة العربية التي كانت تستعمل قديماً ، ويراد لها أن تظل حية ومستعملة في الوقت الحاضر وفي المستقبل .

لا يمكن النظر إلى اللفظ ومعانيه من حيث وروده في معاجم اللغة فحسب ، إذ لا بد من النظر إليه حسب وروده في النصوص التي تضمنته وتم استعماله في سياقاتها وتراكيبها ، سواء أكانت نصوصاً قديمة تراثية أم كانت نصوصاً حديثة فيها من الحضارة والحداثة شيء ، كما أنه لا بد من الوقوف على مدى التداخل الذي يقع بين معاني اللفظين في العمق والدلالة لا في الظاهر والسطحية ، وهذا كان قد ذهب إليه ناصر الدين الأسد عند معالجته لبعض المسائل اللغوية وبعض القضايا اللغوية ، وبخاصة ما يتعلق منها باللغة الأدبية والفنية التي لا يستعملها إلا الأدباء والكتاب والعلماء ، ويقول في هذا الصدد : " فنحن نرى من هذه النصوص مبلغ التداخل في معاني هذين اللفظين ، فهما بمعنى واحد أو بمعنىين متقاربين جداً لا يكاد ظاهر النصوص يميز بينهما " (٣٣)

(٣٣) الأسد ، ناصر الدين ، أعراب وبداية ، بحث لقي على مؤتمر الدورة الثانية والأربعين ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مصر ، من ٢٢ شباط إلى ٨ آذار ، ١٩٧٦م ، ص ٣٦٢

إن التداخل بين بعض ألفاظ اللغة العربية قديم قدم هذه اللغة وقدم مستخدميها ، وقد أسهم هذا التداخل في البحث عن إيجاد معيارية لغوية فكرية تحكم العوامل المؤدية إلى هذا التداخل ، رغم أنه يخدم الأدب والفنون والعلوم ، وبخاصة الشعر والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع وعلوم اللسان أو علوم اللغة وعلم التفسير وعلم الحديث ، ولذلك وجد " أن القدماء أنفسهم في مؤلفاتهم اللغوية والأدبية والتاريخية والبلدانية لم يقفوا عند هذه الألفاظ وقفات متأنية تكشف عن حقيقة مراميها ودلالاتها ، بل جاءت بعض هذه الألفاظ - فيما يبدو لنا الآن - متداخلة الدلالات يشيع بينها الخلط والاضطراب بين التعميم والتخصيص ، والتقييد والإطلاق ، حتى أصبح تمييزها وتحديد عسيرا ، يحتاج إلى تكلف جهد شاق لتمحيصها وفحصها ، ولا يتأتى ذلك إلا لمن عاش في بعض هذه البيئات وشهد صورها الحديثة ، قبل انطماس جميع معالمها ، وإن كان ذلك يتطلب حذرا شديدا حتى لا تتغلب أحكام الحاضر ومقاييسه على ماض قد يختلف عنه من بعض جوانبه كما يتطلب بصرا دقيقا بمعرفة وجوه التشابه ووجوه الافتراق بين البيئات في العصور المختلفة . " (٣٤)

ومع تقدم علوم اللغة العربية ، وخاصة علوم النحو والصرف والدلالة ، تقدم الأدب والنقد الأدبي حتى شمل نقد اللغة الفنية كلغة تشكل الأدب بجميع فنونه وأصنافه ، وأصبحت اللغة شريكة للثقافة في إيجاد التوازن بين الثوابت والمتغيرات أو الخصوصيات والعموميات في الثقافة ، مما بعث على البحث عن كل الموازين المعيارية التي تجعل اللغة قادرة على البقاء والاستمرار رغم بعض حالات الاختلاف التي وجدت بين لغة العلم ولغة الأدب ، وإن " ما نراه اليوم في العقل العربي من انقسام قائم بين لغة العلم ولغة الأدب ، وبين لغة الحياة ولغة التراث ، وبين لغة الضرورة ولغة الفيزياء والفلسفة ، وبين لغة العالم ولغة الحرفي ، وبين لغة هؤلاء ولغة السياسة ، كل ذلك يعمل على

(٣٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٦٠ .

قطع قنوات الاتصال في العقل العربي ، ويؤكد فيه النظرة التجزئية التراصفية لنظام العلم برمته وهو أمر طالما عانى منه نظام العالم العربي القديم بصورة أو بأخرى . " (٣٥)

إن الاحتكام إلى معيارية ثقافية لغوية أدبية أو علمية ضروري لاستجلاء ما عليه العربية من قيمة ثقافية حضارية تراثية ، وما هي عليه اليوم ، وقد " كانت العربية بهذه الصفة معيارية لاقتها بالمقدس والتراث . وجرت عليها نوااميس التطور فدخل على ألسنة الناطقين بها وجوه من اللحن ، وجهد الأوائل في تتبع لحن العامة والخاصة . وما يزال أهل العربية يرصدون ما تجري به الأقلام والألسنة فيتوقفون عند مواضع في أداء العربية ، أبنية وتراكيب وأعاريب ومفردات ، ويتنازعون في أمرها . " (٣٦)

ولعل هذا الوضع الذي اكتسبته اللغة الفنية الأدبية العربية في الوقت الحاضر هو الذي حدا بناصر الدين الأسد - وبغيره من الأدباء والنقاد واللغويين ، أمثال إحسان عباس ، وتمام حسان ، وكمال بشر ، ومحمود السعران ، ونهاد الموسى ، وغيرهم - إلى البحث فيها وفي خصائصها وأساليب الأداء فيها وفي المعايير الثقافية والفنية والأدبية النقدية ، وفي المستويات اللغوية ، كالمستوى الصوتي ، والمستوى التركيبي ، والمستوى المعجمي والدلالي ، والمستوى النحوي والصرفي ، والمستوى الفكري الثقافي ، ولذلك ذهب إلى القول بأن " اللغة هنا لا تعني المفردات والمصطلحات وحدها بقدر ما تعني روح المفاهيم وجوهر الأفكار القابلة للتداول والواجبة الانتشار على كل مستوى وصعيد . " (٣٧)

(٣٥) بدران ، إبراهيم ، في الفكر والثقافة والتقدم ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، مطابع الدستور التجارية ، عمان ، الأردن ، ص ٨٠ - ص ٨١ .

(٣٦) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، بحث : (ناصر الدين الأسد واللغة ، نهاد الموسى ، ص ٦٨ - ص ٦٩ .

(٣٧) بدران ، إبراهيم ، في الفكر والثقافة والتقدم ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

لقد حاول كل واحد من هؤلاء أن ينظر إلى اللغة العربية من زوايا معينة ، فأصدر أحكاما في بعض مسائلها وظواهرها وقضاياها ، إما مؤيدة مؤازرة لأحكام غيره ، وإما محللة مفسرة لها ، وإما امتدادا لها ، وإما معارضة لتلك الأحكام بالاستناد إلى معايير وقواعد بلغ فيها مبلغ التأويل في اللغة وفقهها مبلغه ، من حيث أصواتها ونحوها وصرفها ودلالاتها . " ولا يجوز أن تؤخذ هذه الأحكام على ظاهر نصها ، فما إلى هذا قصد أولئك الأعلام ، ولكنهم كانوا يدفعون عن العربية وتراثها غزوا يريد تدميرها ، وكل ما يعيننا من هذه الأحكام هو دلالتها العامة ... " (٣٨)

لقد وقف ناصر الدين الأسد مدافعا عن اللغة العربية في كل مجالاتها ، ذاهبا إلى قاعدة قداستها ، وإلى قاعدة استحكامها في وجودها وفي نموها وتطورها ، وفي إعجازها بلاغة وبيانا ووسيلة حفظت نفسها مع الزمن وحفظت ما أبدع فيها وبها من تراث ومن ثقافة ومن حضارة دل عليها تاريخ الأمة العربية وتاريخ الأمة الإسلامية ، كما ذهب إلى القول بأن " اللغة هي مستودع ثقافة الأمة وأدائها للتفكير ، ووسيلتها للتعبير ، وهي خصيصة من خصائص صاحبها ، المستعمل لها وميزان يوزن به فكره وعلمه . " (٣٩) ولا سيما إذا كان صاحب اللغة يمتلك ثروة لغوية أو معجما لغويا يستطيع استعمال ألفاظه وعباراته ، استعمالا له مع القديم صلة تجعله يستمر في حياته ، أو صلة تحييه من جديد إن كان قد تعرض إلى الإهمال أو النسيان أو ندرة الاستعمال وقلته لبعده عن مفاهيم الحضارة والثقافة الحاضرة ، ومما يساعد على ذلك وجود الكثير من ألفاظ اللغة العربية ومصطلحاتها التي كانت واستمرت آخذة مكافئا في الفكر والعلم والثقافة حيث إن " كثيرا من معالم صور هذه الألفاظ ، التي ظلت قائمة عصورا طويلة ، لا تزال مستمرة في حياة بيئاتنا إلى اليوم في

(٣٨) دور الألب في معركة التحرر والبناء / مؤتمر الأدباء العرب الخامس ، ١٥ - ٢١ شباط ، بغداد ، العراق ، بحث : (التراث والمجتمع الجديد) ، الدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٣٥٠ .

(٣٩) الأسد ، ناصر الدين ، اللغة العربية وقضايا الحداثة ، مرجع سابق ، ص ٥ .

غير الحواضر وأطرافها ، ولكن هذه المعالم أخذت منذ عهد قريب تختفي أو تغمى بحكم زحف الحضارة الحديثة وجهود التحضير المستمرة ، فإن لم نبادر منذ الآن إلى دراسة ظواهرها والاستفادة منها في فهم ما كانت عليه أمتنا ، خشينا أن تضيع عنا بعد حين وتعجزنا وسيلة المشاهدة والمعرفة الشخصية في تصور ما كان مما هو كائن إذا كانت مثله أو شبيها به . " (٤٠)

ويشير ناصر الدين الأسد إلى " أن بعض الذين كتبوا منا عن دلالات هذه الألفاظ ، لم يروا منها شيئا في حياتهم ، ولم يكونوا من أبناء البيئة نفسها ، فهم من أبناء الحضارة الذين عكفوا على كتبهم أمام مكاتبهم بين جدران غرفهم . ومهما يبذل مثل هؤلاء من جهد مقدور فإنهم عاجزون عن الوصول إلى حقيقة الفروق بين هذه الألفاظ وتصورها تصورا صحيحا . " (٤١) وأكثر من ذلك ، فإنه يذهب إلى " أن الإنسان لا يستطيع أن يفكر في شيء من المحسوسات المادية ولا من المعاني التخيلية إلا إذا كان لذلك الشيء لفظ يدل عليه ، حتى الغيبيات ، مثل : الملائكة والشياطين والجنة والنار ، لا بد أن تكون لها هذه الألفاظ والأسماء التي يفكر الإنسان من خلالها بتلك المسميات فيستطيع أن يتصورها في عقله وحسه ، بل يستطيع أن يصورها من خلال الفنون المختلفة كما فعل بعض الشعراء والرسميين والنحاتين . " (٤٢)

من الواضح أن ناصر الدين الأسد يأخذ بضرورة اللغة والقوانين الفاعلة فيها ، وما كانت عليه في السابق ، وما يجب أن تكون عليه في الحاضر ، لضمان ما ستكون عليه في المستقبل ، لتبقى اللغة السليمة المعبرة ذات الألفاظ والتراكيب السائرة في سياقات لغوية صورية معنوية دلالية إفهامية نظامية صحيحة تكفل للغة سيورتها في سياق تداولي فيه من الشروع والاستعمال ما يفصح عن

(٤٠) الأسد ، ناصر الدين ، بحث أعراب وبادية ، مرجع سابق ، ص ٣٦٠ .

(٤١) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٥٩ - ص ٣٦٠ .

(٤٢) الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة اللغة وهوية الأمة ، مرجع سابق ، ص ٢ .

الإبداع والتجديد حسب ما تقتضيه عوامل الثقافة والحضارة الحاضرة وظروفها ، وشاهده في ذلك ما كان من أحوال الأدب القديم وأحوال الأدب الحديث ، للاستفادة من خصائص اللغة العربية وقواعدها ، ومن الكفايات اللغوية والأدبية لدى أصحاب اللغة العربية الذين تلقوها وتعلموها وتفننوا في استعمالها وتوظيفها في ما قالوه أو كتبوه ، مثلهم في ذلك مثل من سبقوهم من الأدباء والكتاب والنقاد ، وعلى سبيل المثال الشعراء ، ولا أدل على ذلك من الشعراء في العصر الجاهلي ، إذ " لولا تفنن الشعراء الجاهليين في تطويع الألفاظ والتراكيب واستنباط الصور والأخيلة ، وانفتاح هؤلاء الشعراء على الثقافات المحيطة بهم أخذوا وعطاء ، وارتقاؤهم إلى مستوى أدبي رفيع وحد اللهجات المختلفة في لغة أدبية واحدة من حيث بناؤها النحوي والصرفي والبلاغي ، لولا ذلك لبقيت العربية لغة قبلية محصورة في بيئتها المحدودة ، ولما أتيح للعربية أن تصل إلى مستوى جعلها جديرة بحمل كلمات الله ورسالته ، ثم تفاعلت مع القرآن الكريم واستمدت منه روحا فتح أمامها آفاقا جديدة من التناول الثقافي والعلمي ."^(٤٣)

كما يتخذ من مواقف ثقافية أخرى غير المواقف الأدبية دليلا على ما حظيت به اللغة العربية من مكانة لغوية ومكانة فكرية لدى فئات أخرى في المجتمع العربي أتاحت للعربية فرص الاستمرار والنماء كما أتاحت لهم اللغة العربية نفسها فرص الاستجابة والتمكين في التعبير والدلالة والتواصل والإنتاج ، فأدت رسالتها كلغة فيها من القوة ما يضمن لها الاستمرار والبقاء ، وأدوا رسالتهم كحماة لها وكأدباء ومفكرين قادرين على تكوين الثقافة والحضارة القادرة على البعث والاستمرار وعدم التوقف ، ويؤكد ناصر الدين الأسد ذلك ، إذ يقول : " فما أحسب أحدا يماري في أن المفكرين والمصلحين والأدباء العرب في مختلف جوانب الفكر السياسي والاجتماعي

(٤٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢ - ص ١٣ .

والاقتصادي قد أدوا رسالتهم على أوفى وجه أتاحته لهم ظروف الحكم في بلادهم ، وإذا كان في أحد الجوانب تقصير فإنه راجع إلى غير اللغة العربية التي أسعفتهم جميعا إسعافا سمحا سخيا بالمصطلحات والتراكيب ومختلف أساليب التعبير عن أدق المعاني وأعمق الأفكار وأحدث الاتجاهات ، سواء أكان ذلك في المقالات والكتب المتخصصة ، أم في الأدب السياسي والاجتماعي بأجناسه المتعددة ، وخاصة المسرحية النثرية والشعرية والرواية والقصة ، ما كان من كل ذلك صريحا واضحا ، وما كان رمزا اقتضاه الفن أو اقتضته ظروف الحكم . " (٤٤)

ويميل ناصر الدين الأسد إلى وضع بعض العلل والأسباب التي كانت وراء هذين الجانبين من جوانب اللغة والحضارة ، وعدم الفصل بين تلك القضايا العصرية التي تملّي بأحكامها في غالب الأحيان على اللغة ومستخدميها ، فيكون في الأمر مشكلات وصعوبات تواجه الجانبين معا ، مع تفاوت لا بد كائن بينهما ، وفي هذا الصدد يقول الأسد : " أحسب أنني أصيب الحقيقة ، أو أقاربها ، حين أرى أنها تندرج في ثلاثة مسارب أساسية : قضايا العصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية من تحرر وحرية وعدالة وما يتصل بها ويتفرع عنها ويكملها ، وقضايا العصر التعليمية والعملية والتقنية (التكنولوجيا) وما يترتب عليها من مشكلات تفرض نفسها على اللغة وتقرّرها هذا رقيقا حينا وعنيفا في أكثر الأحيان ، ثم قضايا العصر الأدبية والفنية وما تستحدثه من أجناس ومدارس واتجاهات . " (٤٥)

ويريد ناصر الدين الأسد من هذا أن يبين بعض الجهود التي قدمها بعض العلماء والأدباء في حماية لغتهم وتطويرها وفي خدمة أمتهم العربية ، إذ يقول : " ولا شك أن هؤلاء العلماء الأجلاء

(٤٤) الأسد ، ناصر الدين ، اللغة العربية وقضايا الحداثة ، مرجع سابق ، ص ٨ - ص ٩ .

(٤٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٨ .

أسدوا إلى لغتنا فضلا كبيرا بما تتبعوه من وجوه الخطأ والصواب ، ولكن بعضهم أدخل نفسه وأدخلنا معه مداخل حرجة ، وضيق على نفسه وعلينا ، وركب مركبا صعبا وأراد أن يحملنا عليه ، ثم اعتسف الطريق . وقد وقع هؤلاء العلماء في بعض ما خطأوه وجرت أقلامهم ببعض ما نموا عن استعماله ، الأمر أوضح من كل ذلك ، وسبيلنا أرحب ، ولغتنا أوسع وأسمح ، ولا ريب أن كثيرا مما خطاه هؤلاء العلماء هو صواب صواب ، حتى لقد بتنا محتاجين إلى أن نردهم هم إلى الصواب ، لننفي من نفوسنا ما أصابونا به من تخرج حين نكتب ، بل من فزع خشية الوقوع في الخطأ مهما نبذل من جهد في التدقيق والتثبت .^(٤٦)

وكأني به يريد أن يشير إلى أهمية المنهج العلمي الذي اتبعه الأوائل في التعامل مع اللغة وفي التعامل مع النتاج العلمي والأدبي والفكري ، يأخذ ناصر الدين الأسد جانبا هاما من جوانب ألفاظ اللغة فيبحث فيه ، وذلك هو جانب علاقة اللفظ بالمعنى الواحد له أو بالمعاني المتعددة له ، معجميا وسياقيا وتركيبيا ودلاليا ، ومما قاله في هذا الموضوع كثير ومنه قوله : " ومما يدخل في هذا الباب أن بعض الألفاظ ذات معانٍ مجردة " أو " مطلقة " غير محدودة الدلالة ، فتصبح أقرب ما تكون إلى الشعارات التي يهتف بها الناس ويرددونها ، دون أن يفهموا أحيانا ماذا تعني ، أو دون أن يتفقوا على مدلولاتها ، فتصبح ذات مفاهيم مختلفة ، بل متناقضة ، حين يختلف المتحدثون بها أو السامعون لها .^(٤٧)

ولعله يريد أن يجعل المعاني اللغوية في مرتبة تساوي الألفاظ والكلمات الدالة عليها أو التي تعنيها ، حيث إنه يريد من المتلقي إمعان النظر في المعاني ليقف على قيمة النص الأدبية شكلا

(٤٦) معجم ومعجمات ، بحث للدكتور ناصر الدين الأسد ، مستخرج من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٢٥ ، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ١٩٧٩م ، ص ٥ .
(٤٧) الأسد ، ناصر الدين ، نحن والآخر : صراع وحول ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص ٤٢ .

ومضمونا ، فيقول : " ومن يمعن النظر في المعاني اللغوية للكلمات في الأدب يجدها تتمحور في ثانيا
تركيبها في الجمل والعبارات ، وكأن لها جانبيين : جانبا لغوياً فردياً وجانباً لغوياً جمعياً " (٤٨)

يختلف اللفظ في معناه المعجمي عن معناه السياقي حيث ينتقل من فردية المعنى إلى دلالية
المعنى حسب ميل وقصدية الكاتب أو الأديب ، فإذا ما انتقل فكر المتلقي إلى المعنى الباطن أو
الدلالي السياقي ، فلا بد من أن ينتقل في استيعاب الأفكار والمضامين في ضوء اختلاف اللفظ الوارد
ضمن السياق اللغوي ، وكل اختلاف في الفكر يؤدي إلى اختلاف في المشاعر والأحاسيس ،
وقوله " وهكذا اختلفت الفكرة أو اختلف الإحساس باختلاف الألفاظ التي تكتسبها " (٤٩)
ولا قيمة للألفاظ دون ورودها في نص تم نظمته وتأليفه وتركيبه بصورة صحيحة ، " فإذا كان ذلك
هو شأن اللفظة المفردة وشأن حروف المعاني حين تكون وحدها ، فإن اللفظة أيضا ، ومعها
الحروف ، تجتمع مع غيرها وتنظم مع ألفاظ وحروف أخرى ، فيتكون من تأليف الكلام ونظم
وسبكه في سياق الجملة أو الجمل نسق تعبري ، وهو ما يسمى (الأسلوب) ، وقد يسمى
الخطاب (DISCOURSE) ، فتسع حينئذ الكلمة لتصبح صورا بيانية باستخدام التشبيه
والاستعارة والكناية والتورية وأساليب المجاز المتعددة ، فتمتلئ بالمعاني والدلالات والأحاسيس وقد
يكون انضمام الكلمة إلى غيرها من الألفاظ الملحوظة بتقدير ألفاظ أخرى محذوفة يفهمها السامع أو
القارئ . " (٥٠)

ويرز دور اللغة العربية عند التأليف والنظم في النصوص الأدبية أو العلمية التي تشكل
مضمونا متصلا بمشاعر الكاتب المنشئ وأفكاره وخبراته ، ولذلك أثره الواضح في شيوخ ألفاظ

(٤٨) ضيف ، شوقي ، البحث الأدبي ، مرجع سابق ، ص ١٦ .
(٤٩) الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة للغة وهوية الأمة ، مرجع سابق ، ص ٤ .
(٥٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٥ .

اللغة ومعانيها ، وفي نقلها لخبرات ومعارف بأسلوب يناسب المتلقي والبيئة الثقافية ، والبيئة اللغوية التي يتعامل فيها مع غيره من أبناء مجتمعه ، وعند ذاك ربما " تجري الألسنة والأقلام من حين إلى حين بتعبيرات وألفاظ لا تلبث أن تشيع من خلال الصحف والإذاعات والتأليف شيوعا يستوقف الحريصين على سلامة اللغة ونقائها ، فإذا هم يطيلون البحث فيها ، والطواف حولها ليتحققوا من صحتها ومن أنها جارية مجرى كلام العرب في الاستعمال ، أو في القياس ، أو فيهما معاً ، وما أكثر ما صدر من كتب في القديم وفي الحديث ، بناها مؤلفوها على تتبع هذه التعبيرات والألفاظ ، وبيان ما فيها من خطأ والتنبيه على الصحيح الذي يجب استعماله مكانها ... " ^(٥١) وربما لا يكون الأمر كذلك ، إذ يكون النص سليماً خالياً من الأخطاء ، أو لا يكتب لتلك الألفاظ والتعبيرات الشيوع والذيع والانتشار في الوقت ذاته ، وإنما تشيع وتنتشر بعد حين وبعد استعمالها في مواقف ومواضع فكرية ولغوية ونصية متعددة .

ولما صار للغة دارسون ونقاد ، فقد صار باب الدرس والبحث مفتوحاً ، وبدأت الآراء تظهر بين مؤيد ومعارض ، وبين محلل وناقد ، وبين لغوي وأديب ، إلى أن اتسعت دوائر الاهتمام باللغة العربية وفضلها ودورها في بناء ثقافة وحضارة الأمة ، "... ومن أجل ذلك كثرت الكتب التي ألفها أصحابها للرد على مؤلفي الكتب السابقة ، وبيان ما وقعوا فيه من تسرع إلى التخطئة . وتوضيح وجه الصواب فيما ظنوه وهما أو مخالفاً لكلام العرب ولهم جميعاً الأجر والثواب إن شاء الله ، وما فتئت أطلب هذا الضرب من الثواب ، وأرجو أجر الاجتهاد ، ملقياً بدلوي بين الدلاء في ألفاظ شاعت ورأي غري أنها خطأ ، وكنت من الذين رأوا صوابها ، ونشرت بعض ذلك في مجلة

^(٥١) العشرينات والعشرينيات ، د. ناصر الدين الأسد ، (مسئل من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني) ع ١٤ ، مج ١ ، كانون الثاني ١٩٩٧ م ، ص ١٣٩ .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وأحب الآن أن استزيد من الخير فأواصل في مجلة مجمعنا الناشئ ما كنت بدأته في مجلة مجمعنا العريق . " (٥٢)

إن متكلم اللغة في كثير من الأحيان يدرك صحة اللغة التي يتكلم ويكتب بها ، وأحيانا لا يدرك ذلك المتكلم أو الكاتب ذلك ، وفي كلا الحالين يكون على مقدرة عالية أو متدنية في استخدام لغته ، ولكنها تتجلى في الأحكام التي يضمهرها أو يظهرها وهو يتكلم أو يكتب بلغته ، ويرى ناصر الدين الأسد تسمية لتلك المقدرة ، فيقول : " وتسمى هذه المقدرة على الإدلاء بالأحكام في ما يختص بأصولية الجمل ، بالحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة . " (٥٣)

ولذلك ، يضع الأدوات اللغوية مع الفكر العلمي في ميزان واحد ، ويعتبر " أن بديهيات الأمور تدل على أن الفكر المعق العلمي كان مقترنا في جميع الأحوال بتطور أدوات لغوية مناسبة العمق والتركيب ، وأن تطور الفكر العلمي كان مقترنا في جميع الأحوال بتطور أدوات التعبير وفي مقدمتها اللغة . " (٥٤)

ويرى ناصر الدين الأسد أن " الشأن في الكلمات هو الشأن نفسه في حروف المعاني ، أو إن شئت فقل إن الشأن في الحروف هو الشأن في الكلمات . فنحن حين نسمع كلمة (شامخ) أو (باذخ) أو (رائع) ، أو نقرأها ، وحدها منفصلة عن أي موصوف ، يتبادر إلى ذهن السامع أو القارئ معنى واضح أو يتبادر إلى نفسه شعور محدد . والأمر نفسه يحدث في الذهن وفي النفس مع سائر الصفات ، مثل : عظيم وكبير ، وصغير وحقير ، وجميل وقبيح ، وسواها ، فمعانيها كامنة في

(٥٢) للمرجع السابق نفسه ، ص ١٣٩ .

(٥٣) زكريا ، ميشيل ، بحوث السنية عربية ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ص ٤٨ .

(٥٤) بدران ، إبراهيم ، في الفكر والثقافة والتقدم ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

ذاتها ، يدل عليها اللفظ فور سماعه أو قراءته . وهي معان مطلقة رجة تنقيد بع ذلك بموصوف

محدد ؛ وهذا التقييد أو التنقييد بذكر الموصوف قد يحد من طلائعها ويضيق رحابتها .^(٥٥)

ويرى ناصر الدين الأسد أن الألفاظ وحروف المعاني من الأدوات اللغوية الفنية التي تدفع بقدرة المبدع إلى استحداث النتائج الأدبي الإبداعي بسبب من القدرة اللغوية والكفاية اللغوية التي تأخذ بنواصي اللغة لدى المتكلم أو الكاتب ، " فامتلاك ناصية اللغة شرط أساسي لا بد منه للمجددين فيها ، ولقد كانت اللغة العربية في كل عصر ملبية دواعي ما يستحدث من متغيرات عصرية تشمل كافة جوانب الحياة ، وكان (للترجمة والصحافة في أوائل عهدها في العصر الحديث فضل كبير على تطور هذه اللغة بما أدخلتا من ألفاظ وتراكيب ، وبما أحيتا من كلمات لتكون مقابلة - بأنواع انجاز المختلفة - للمصطلحات والكلمات الأجنبية ، وما ذلك إلا لأن المترجمين والصحافيين كانوا حينئذ من الأدباء أو علماء اللغة) " .^(٥٦)

وبناء على ما سبق من آراء ، يمكن الخلوص إلى نتيجة مؤداها أن ناصر الدين الأسد يدعو إلى وضع خطة قومية لتخطيط لغوي يرتقي بمستوى لغة الخطاب العربي وبمستوى الثقافة العربية التي تتخذ من اللغة العربية أداة لها ، كما يكون ذلك التخطيط شاملا لكل متكلمي العربية وتكوينهم اللغوي العربي السليم . ويرى - في عدة مواقف - أن " الوسيلة الوحيدة هي من خلال التعليم منذ سنوات الابتدائية ، بحيث لا يظل تدريس اللغة العربية محصورا في حصص محددة من خمس وأربعين دقيقة هي حصص اللغة ، ثم يفقد التلاميذ صلتهم بها في سائر الدروس في التاريخ والجغرافيا والرياضيات والعلوم المختلفة ، فلا يسمع التلميذ من معلميه إلا العامية ، بحجة أنهم يدرسون علما

(٥٥) الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة للغة وهوية الأمة ، مرجع سابق ، ص ٢ .

(٥٦) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٦٩ - ص ٧٠ .

لا لغة . ويستمر ذلك في مراحل الدراسة الجامعية ، فيتخرج المتخرج ليكون طبيباً أو مهندساً أو معلماً لغبر العربية ، أو مذياعاً ، واللغة عصية عليه ، لا يطاوعه استعمالها . فالداء في مدارسنا وجامعاتنا ، والعلاج أيضاً فيهما .^(٥٧) وذلك ليكون الجيل الذي يتحمل المسؤولية في حماية اللغة العربية قادراً على ذلك ، حيث إن أوضاع اللغة العربية وأوضاع المتكلمين بها لا تسر ناصر الدين الأسد ، ووفق ما أشار إليه من آراء واقتراحات تتعلق بالتخطيط اللغوي الذي يقرن بين دور العلم ودور اللغة بمقدار ما يقرن بينهما ، فإنه يرى " أن نظام العلم في داخل ذات اللغة بحاجة إلى تطوير لغة داخلية ، أو لغة علمية تتجاوز فيها الاعتبارات التقليدية للغة ، ويخضعها إلى معايير ومقاييس وتحديدات خاصة به ، تبدئ بتحديد المعاني بشكل لا يصلح ولا يقبل معه المجاز أو صور البلاغة أو المترادفات ومروراً بتوليد معان جديدة للكلمات ، وإعطاء ظلال المعاني معان خاصة جديدة ، وانتهاء بالاشتقاقات والتركيبات والإشارات والاختصارات والرموز . وتتطور نظام العلم تصبح هذه اللغة الداخلية أو اللغة العلمية جزءاً لا يتجزأ من نظام العلم ذاته ومن جوهر المعرفة العلمية برمتها . على أن العلمية الخاصة المتنامية من شأنها أن تقلل من الحواجز والتغريات بين اللغة المتداولة وبين اللغة العلمية ، وذلك لإتاحة الفرصة للتفاعل المعرفي بين طرفي اللغة : الإنسان العادي والعالم ."^(٥٨)

ولعل التخطيط اللغوي الذي يقترحه الأسد وفي الإطار القومي العربي يجنب اللغة ومتكلميها بعضاً من أضرب الخلل والخطأ والفساد في اللغة والمعنى والفكر ، إلا أنه يرى أن " من الطبيعي أن يتسرب الفساد ويتطرق الخطأ إلى بعض ألفاظ اللغة أو أساليب العبارة عند بعض الناس

^(٥٧) مجلة المنتدى ، ١٠/٣ / ١٩٨٨ م ، حوار مع الدكتور ناصر الدين الأسد وزير التعليم العالي ورئيس المجمع الملكي ، ص ٨ .

^(٥٨) بدران ، إبراهيم ، في الفكر والثقافة والتقدم ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .

في كل عصر من العصور ومنها هذا العصر الذي نعيش فيه خاصة بين جبهة المتعلمين الذين يتأثرون بما يقرأون مما تدخله العجمة وتشوبه آثار الترجمة . أما أن تجمع الأمة كلها دون استثناء - في أي عصر - على استعمال كلمة في لغتها تجري في بنائها على بناء مثيلاتها التي تعد من الكلام الصحيح الفصيح ، ثم يأتي من يخطئ تلك الكلمة ، فهذا أمر يدعو إلى التوقف أولا ، وإلى النظر ثانيا ، ثم إلى الإمساك عن العجلة في التخطئة آخر الأمر .^(٥٩)

وإذ أوافق الرأي ، وأذهب في هذا الأمر مذهبه ، فإنني أعتقد أن من أسباب ارتكاب الأخطاء يعود إلى اتباع مناهج في التعبير وأساليب في الكتابة والتأليف تبعد عن خصوصيات اللغة العربية وأساليب التعبير بها ، كما يعود إلى تقليد غير العرب في مناهجهم وفي التعبير وأساليبه في الكتابة والتأليف بلغاتهم الأجنبية ، لأنهم يطبقون علوم اللسان ونظريات في اللسانيات تتوافق مع لغاتهم ولا تتوافق مع اللغة العربية في كثير من مستوياتها وخصائصها وعلومها ، فالأمر يزيد الهوة بين كتابة من يعتمد اللغة العربية دون إخضاعها إلى نظريات لسانية عند الغير ، وبين كتابة من يعتمدها وهو يخضعها لتلك العلوم اللسانية والبلاغية والأسلوبية والنقدية ، فشتان ما بين النهجين ، حتى في مستويات تعلم وتعليم اللغة العربية . " ولعله ينكر على الذين اتخذوا هذا المنهج فج تطبيق المقولات اللسانية التي طورها اللسانيات الحديثة على العربية وظواهرها ، لعله ينكر عليهم استبهم عباراتهم عن المفاهيم الكلية التي يصدر عن عنها وما يعتري بعض معالجاتهم من التحكم . وهو يلوذ في هذا الإنكار بمطلبه في وضوح الأسلوب ، وبموقفه في خصوصية العربية ."^(٦٠)

(٥٩) بحث (وديان ولودية) ، ناصر الدين الأسد ، نشر في مجلة مجمع اللغة العربية ، ج ٢٩ ، ١٩٧٢م ، القاهرة ، مصر ، ص ٣٨ .
(٦٠) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، بحث : (ناصر الدين الأسد واللغة ، د . نهاد الموسى ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

إن كثيرا من الأخطاء ترتكب بسبب عدم الوعي وعدم الإدراك للأبعاد اللغوية والدلالات المتأتية من استخدام ألفاظ وتراكيب ومصطلحات في كثير من النصوص ، حيث تنبه بعض العلماء واللغويين إلى الكثير من الألفاظ والتراكيب والمصطلحات ، التي تخضع لتلاعب لغوي تركيبى ودلالي .

إن الخطوة اللغوية القومية التي يدعو لها ناصر الدين الأسد تعتمد على تعليم اللغة العربية بروح فيها تجديد وانفتاح مع الحذر والتحيز ، وتعتمد على التركيز على التراث ومصادره التي تشتمل على كنوز لم تتم الاستفادة منها حتى الآن بالشكل الواسع والصحيح ، ولو تمت الاستفادة منها في تعليم الناشئة التعليم المطلوب لاستطعنا الارتقاء بمستوى المثقف وبمستوى اللغة الفنية الأدبية والعلمية التي نستعملها والتي تحفظ لنا ثقافتنا وحضارتنا ، ولأمكن لنا مسايرة الركب الثقافي الحضاري الذي يتسارع فيه العلم والأدب والثقافة الإنسانية بسرعة لا قدرة للمبطل أن يواكبها أو يجارها .

ويقول الدكتور أحمد محمد الضبيب^(١) : " وعلى الرغم من أن الدكتور الأسد يؤمن بالتجديد ويفتح النوافذ أمام جميع الآراء ، فإن نزعة الحذر والتحيز تجعله لا يميل إلى التوسع بلا سند ولا يفتح مصاريع الأبواب بلا حجة ، يقول في ديباجة بحثه بعنوان (حماس وحماسة) : (وإذا كنا لا نقر مذهب التسرع إلى التخطئة ، لأنه يحجر على العلماء والكتاب ، ويحول بين اللغة والتطور في مسار طبيعي ، وينفي عن اللغة ألفاظا هي منها في الحقيقة ، فلا بد من التنبيه إلى خطر

(١) قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد ، ج ١ ، بحث (قراءة في المنهج العلمي للدكتور ناصر الدين الأسد) ، د. أحمد محمد الضبيب ، ص ٢٣٠ .

المذهب المخالف الذي يدعو إلى التوسع في قبول ألفاظ كثيرا ما تكون على قياس غير صحيح خلفاء

بعض عناصره ، وأركانه الأساسية ، وحين لا تدعوه حاجة حقيقية إلى قبولها) . " (٦٢)

ويركن ناصر الدين الأسد في آرائه التي أفصحت عنها دعوته إلى الخطة العربية القومية بأسلوب واضح أحيانا وغير واضح أحيانا أخرى ، إلى أن اللغة العربية قوية قادرة واسعة مستمرة وتستطيع أن تلبي كافة احتياجات ومتطلبات الفكر والتعبير العلمي والأدبي والفني والثقافي والحضاري وبالبصيرة الصحيحة الواضحة الكاملة ، ولذلك نجد يكرر في أكثر من موضع في نتاجه الأدبي حبه لها واعتزازه بها وثقته فيها ، ولعل ذلك نابع من إيمانه بقداستها المرتبطة بقداسة القرآن الكريم الذي نزل بها ، ولارتباطها العميق بالتراث العربي الأصيل ، فنجد يقول بهذه الصورة وبصور أخرى ذات تعبيرات وأفكار مماثلة ، ومن ذلك قوله ، على سبيل المثال لا الحصر ، : " ... ولكن اللغة العربية التي نعرفها ونكتبها ويتحدث بها فصحاؤنا إنما هي لغة واحدة مستمرة ممتدة على مدى سبعة عشر قرنا . وكثير ما نقرأ شعرا جاهليا وأمويا وعباسيا فنحس كأنه كتب في أيامنا هذه ولا حجة لمن يستشهد بأبيات فيها كلمات غريبة وتراكيب مستعصية في وصف الصحراء أو حيوانها أو ما يشبه ذلك من الموضوعات التي انفصلت عن حياتنا ، وأصبحت غريبة عنا ، فانفصلت بذلك ألفاظها وتعابيرها وأصبحت عسيرة على فهمنا ، فهذا ارتباط طبيعي بين الموضوع والتعبير أو بين المضمون والشكل ، ونستطيع أن نختار مئات النماذج من شعرنا ونثرنا خلال العصور المتعاقبة من مانوس الكلام ومفهوم المعنى ، وننشئ عليها أطفالنا ، ونربي من خلالها أذواقهم ، ليمرسوا - في المراحل المختلفة - بأسرار بيان لغتهم ، ويألفوا بهجة ديباجتها ونصاعة تعابيرها ، بدل الاغتراب عنها ، والتخبط فيما يلقنونه من بعض هذه الأساليب الحديثة التي

(٦٢) حماس وحماسة ، بحث للدكتور ناصر الدين الأسد ، مسئل من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٣٤ ، ١٩٧٤م ، ص ٣٧ .

ارتضخ أكثرها العجمة . وارتضع الصعق ، فألفاظها - حين تتفرق - عربية ، ولكنها تتناكر وتتنافر حين تجتمع في جملة متصلة . " (٦٣)

ويدعو ناصر الدين الأسد إلى التمسك باللغة العربية الفصيحة والرجوع إليها واستخدامها في الحياة اليومية وفي التعلم والتعليم وفي الكتابة والإبداع في جميع أنواع الإبداع والتأليف والإعلام بكافة وسائله ، إذ لا تقدم في ثقافة الأمة بدون لغة يفهمها ويستخدمها جميع أبناء الأمة ، ولأن اللهجات المحكية المحلية العامة لا تخدم الأمة وثقافتها بالقدر الذي تخدمه فيهما اللغة العربية الفصيحة ، ولذلك يقول ناصر الدين الأسد : " ومن هنا فإن الرجوع إلى اللغة الفصحى والتخلي عن اللهجات المحلية هو واجب على المسلمين تحقيقه للعمل على الحفاظ على العربية الفصحى ناصعة جليلة تحقيقاً لوعده الله تعالى بالحفاظ على القرآن الكريم . " (٦٤)

لقد فجع ناصر الدين الأسد في دراساته ومؤلفاته فحجا يعالج فيه كثيرا من المسائل والقضايا اللغوية ، وبعده أساليب ، لينتهي إلى تمييز الصواب من الخطأ ، والحث على استعمال الصواب ، خدمة للغة العربية ولأبنائها الذين لا غنى لهم عنها ، ويتطرق الدكتور أحمد محمد الضبيب (٦٥) إلى هذا الموضوع ، فيقول عن إسهامات ناصر الدين الأسد فيه : " وهو في معالجاته اللغوية يتخذ القياس - كما يقول - أساسا لهذه المعالجات ولكنه يبدأ به ولا ينتهي إليه بل يرى في استعمال القياس خطرا إذا لم ينتبه إليه الكاتب أدى به إلى مزالق تجعله بعيدا عن البيان العربي . ويشرح ذلك بقوله : (فهذا باب الحرص فيه أدعى ، والحذر منه أوجب ، لأنه متصل بروح البيان العربي ، وقد كان مدخلا لكثير من الخطأ والوهم ، ومدرجة للعجمة والهجنة ، حتى إنني رأيت فيما

(٦٣) الأسد ، ناصر الدين ، مسائل في العربية وتعلمها ، ص ٩ - ص ١٠ .
(٦٤) جريدة الدستور ، تاريخ ٢٠ / ٦ / ١٩٩٧ م ، حوار محمد حربي ، ص ٢٦ .
(٦٥) قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد ، ج ١ ، بحث (قراءة في المنهج العلمي للدكتور ناصر الدين الأسد) ، د . أحمد محمد الضبيب ، ص ٨٢ .

كتب بعض الكاتبين - وهم منا قريب - ما يروهم أنهم يتحدثون عن ألفاظ بأعيانها ويستشهدون لها بشواهد من كلام العرب ، هي صحيحة في مواضعها التي استشهدوا بها ثم لا يلبثون - قياسا على ذلك - أن يذهبوا إلى تصويب استعمالها في أساليب وعبارات محدثة ، والنظم غير النظم ، والاستعمال غير الاستعمال ، فخفيت عنهم في الاستدلال دقائق ولطائف هي في الحقيقة سر النظم فانتهوا بنا إلى شيء لا يمت إلى العربية بسبب" (٦٦)

ويتخذ في معالجاته اللغوية أيضا ركيزة عدم الفصل بين اللفظ والمعنى أو ما اصطلح عليه (الشكل والمضمون) فقال : " فالفصل بين اللفظ والمعنى أو بين الشكل والمضمون ، كما يقول النقاد المحدثون ، وتقديم المعنى واعتباره الغاية ، واعتبار اللغة وسيلة فحسب - هو فهم غير سليم (للعملية) الفنية التي تتم فيها ولادة اللفظ مع معناه ، والمضمون مع شكله ، في وجدان المتفنن معا في آن واحد ، ثم إن الألفاظ بجرسها وظلالها وإجاءاتها هي من صميم العمل الأدبي ، أما التطويل والتكرار والمرادفات - إذا كان في اللغة ترادف حقا - فكل ذلك له أثره في التصوير والتلوين ، وفي التعبير عن الحالات النفسية والمواقف المختلفة على أن يكون الأديب أديبا متمكنا حقا فيستخدم اللفظ حين ينبغي أن يستخدمه ويضعه في مكانه الذي لا ينوب فيه لفظ آخر عنه" (٦٧)

ومن منهجه كذلك دعوته إلى التأيي وعدم التسرع فهو يقول : " وإذا كنا لا نقر مذهب التسرع إلى التخطئة لأنه يحجر على العلماء والكتاب ويحول بين اللغة والتطور في مسار طبيعي ، وينفي من اللغة ألفاظا هي منها في الحقيقة ، فلا بد من التنبيه إلى خطر المذهب المخالف الذي يدعو إلى التوسع في قبول ألفاظ كثيرا ما تكون على قياس غير صحيح لخفاء بعض عناصره وأركانه

(٦٦) حماس وحماسة ، بحث للدكتور ناصر الدين الأسد ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .
(٦٧) الأسد ، ناصر الدين ، الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، ١٩٥٧م ، ص ٨٢ .
١٢٧

الأساسية ، وحين لا تدعو حاجة حقيقية إلى قبولها ، وخاصة إذا لم يجتمع في هذه الألفاظ الأمران المتكاملان اللذان أشرنا إليهما . وعلى هذا لا بد من التثبت من دقة المقياس ، ومن سلامة خطوات المقياس حتى تكون الطريق لاجبا والهدف أمما . «(٦٨)

وأحسب أنه يفصح عن أمر لم يتنبه إليه بعض النقاد ، وبخاصة النقاد اللغويون ، وهو ما يكون بين اللغة نفسها ومتكلمها أو الكاتب المبدع بها أو فيها ، وقد دعا هذا اللقاء أو الرباط الذي يلتقي أو يرتبط به المبدع مع لغته بالاتصال باللغة وحوار المبدع ، ولعله أول من يشير إلى هذا الأمر بالإفصاح عنه ، كما أفصح عنه الدكتور عبد الرحمن ياغي بقولسه : " وعلى هذا فالاتصال باللغة وحوار المبدعين مع اللغة يقتضي الوعي على حركة اللغة منذ خطواتها الأولى حتى مراحل بنيتها وعلاقاتها ودلالاتها وتصوراتها وقيمها في مراحلها الأخيرة . . بل يقتضي القدرة على تحليل مراحل هذه الحركة . . وتعليل التوقف أو التجدد أو التطور أو النمو . . وإدراك عوامل الشد والجذب والتعويق أو الدفع والمد والانساع والمضي إلى الأمام . . ومعرفة عوامل البقاء وعوامل الفناء في هذه الحركة ! وهذا تكون صلتهم الواعية باللغة . . وحوارهم الحار مع اللغة . . وعلاقتهم الجدلية بالحركة اللغوية . . قادرة على الإبداع . وهذا النوع من العلاقة مع اللغة تتم المنجزات الأدبية المتفوقة . . وهذا النوع من العلاقة يتم اختراق البنية اللغوية إلى القضية المتوهجة . ولا تتم عملية الإبداع على وجهها الصحيح إلا حين يكون الحوار حاراً . . حوار المبدع مع قضيته الخاصة التي تمتد بها من أدق الخصوصيات حتى يخترق بها الآفاق ويصل بها إلى أعماق الأعماق الإنسانية والآفاق الفسيحة .. هذا الحوار الحار الحاد كحد السكين . . ولا ينتج عن هذا الحوار

(٦٨) حماس وحماسة ، الدكتور ناصر الدين الأسد ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .
١٢٨

عمل إبداعي أدبي إلا إذا تم الحوار في الوقت ذاته وبالدرجة ذاتها من العمق والحرارة والحدة الراحية مع اللغة . . " (٦٩)

ومن الجدير بالذكر أنه يضمن دعوته إلى التخطيط اللغوي الصحيح الذي لا غنى عنه في الحاضر والمستقبل ، أقول : يضمن دعوته ضرورة العمل على التجديد والتحديث في كل مجالات الحياة ومنها مجال اللغة بكل أبعادها ووظائفها واستعمالاتها ، وأن لا خوف من التجديد إذا كان بالأسلوب الصحيح وفي المجال الصحيح ، وفي هذا الصدد يقول : " الذين يخافون تجديد اللغة مخطئون ، لأن العرب والمسلمين في كل عصورهم لم يخافوا التجديد ، وتاريخ الشعر العربي يكشف ذلك إلى حد بعيد ، فالشعر الأموي يختلف عن الجاهلي والعباسي يختلف عن الأندلسي ، وهناك مفردات تموت وأخرى تتولد ، وهذا أمر طبيعي ، فمن الشائع أن اللغة كائن حي ينمو ويكبر ويتجدد ويموت أيضا . " (٧٠)

ومن الأبواب التي رأى فيها مجالات للبحث والدرس والتجديد ، كان قد تناولها في دراساته وأبحاثه ، يمكن أن نذكر استعمالات جارية ، خطأها بعض المشتغلين بالتصحيح وذهب هو إلى تصحيحها أو تسويقها .

وكما سبقت الإشارة ، فإن له منهجه في الدراسات والأبحاث المتعلقة باللغة ، وهو كما يقول الدكتور نهاد موسى : (٧١) " يلتزم هذا المنهج تطبيقا . وأول ما يقتضينا هذا المنهج - كما يقرر ناصر الدين الأسد في بحثه : اللغة العربية وقضايا الحداثة - أن تحدد ألفاظ جانبي العنوان تحديدا يتفق مع ما نتوخاه من الوضوح والإفهام ... ويشرع في تحديد المقصود باللغة العربية على

(٦٩) جريدة الرأي الأردنية ، ع ١١٢٦٥ ، تاريخ ١٣ / ٧ / ٢٠٠١ م ، مقالة بعنوان (البنى اللغوية وثوريتها في الأعمال الروائية) للدكتور عبد الرحمن ياغي ، ص ١٠ .

(٧٠) مجلة الأهرام العربي ، زاوية فن وثقافة ، حوار لجراه محمد حربي مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٧١) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، (ناصر الدين الأسد واللغة) د . نهاد موسى ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

هذا النحو : " فاللغة العربية ... هي هذه اللغة العربية الأدبية الواحدة منذ أن عرفناها في الشعر الجاهلي إلى يوم الناس هذا عند من يعرب بها ولا يعجم ، ويعبر بها ولا يجمع ، من أصحاب البيان المبين : غير المغرب ولا المهجين .. " (٧٢)

ويصف الموسيقى في هذا المقام حال الأمة وحال اللغة العربية ، فيقول : " غلب على أهل هذا الزمان تساهل في أمر العربية حين يكتبون ، وقد تفشى التساهل في تأليف المشتغلين بالعربية أنفسهم ، فأعقب ذلك ظاهرة من التهاون في ضبط النص المكتوب ، وخاصة ما يعرض فيه من الأبنية الملبسة والمشتبه من أسماء الأعلام ... الخ . " (٧٣) ولعله يريد من هذا الوصف فتح باب من أبواب التحديث والتجديد في الثقافة العربية وفي اللغة العربية ، بادئا من نفسه ومن وعيه وإدراكه لما هو الحال عليه ، ومقدما للباحثين والمهتمين والمختصين انموذجا رسم ملامحه وصورته ومنهجه على غير بعض النماذج التي رسمها غيره من الأدباء والكتاب والمختصين والعلماء ، فهو في منهجه " يتحرى ضبط ذلك بعناية الحريص المدقق . إنه لا يركن لأول خاطر ، ولا يطمئن إلى ترك الصيغ الملبسة ، والأعاريب اللطيفة ، والأعلام المحتملة يتلجلج فيها قارئه . وتلك ظاهرة ظاهرة فيما يصدره من نصوص وبحوث وهي تشبه أن تكون ميسما نوعيا فارقا ، أو فيصلا في فرز الباحثين على مستوى الأداء . " (٧٤)

وفي أعماله تلك ، أثار اهتمام من قرأوا نتاجاته الأدبية واللغوية ودرسوها ، فوصلوا إلى عمق منهجه وإلى أساليبه في الدرس والمعالجة وإلى ما يدعو إليه من آفاق يمكن لكل دارس أن ينظر

(٧٢) الأسد ، ناصر الدين ، اللغة العربية وقضايا الحداثة ، مرجع سابق ، ص ٢ .
(٧٣) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، بحث (ناصر الدين الأسد واللغة) د . نهاد الموسى ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .
(٧٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٦ .

إليها ويفتح أبوابها .^(٧٥) كما وصلوا إلى كثير من آرائه التي عاج فيها بعض القضايا والمسائل

اللغوية ، وبعض أسرار اللغة العربية ، بأسلوب التحقيق اللغوي الذي يدخل في باب متون اللغة ،

وليس التحقيق المعني به تحقيق النصوص الأدبية .^(٧٦)

ولعل اقتصار الدراسات والأبحاث اللغوية على التحليل والنقد فقط دون التحقيق اللغوي

المطلوب ودون تعلم وتعليم اللغة العربية بالصورة الصحيحة ودون استخدامها بوجهها الفصيح ،

إضافة إلى عوامل أخرى ، قد أدت جميعها ، وكما يرى ناصر الدين الأسد ، إلى ضعف اللغة العربية

في الوقت الحاضر ، وهذه العوامل وغيرها فهو يرى أن ضعف اللغة : " فرع من أصل كلي يتناول

جهودا متوالية ، بدأت منذ محاولة استجلاب أنظمة فكرية وثقافية خارجية مع مؤسساتها ، بدعوى

أنها الوسيلة لإدخال هذه الأمة في الحياة المعاصرة والحضارة الحديثة . وقد اقتضى ذلك بطبيعة الحال

إلى تدمير الأنظمة والمؤسسات الثقافية الأصيلة التي تتصل بنفوس هذه الأمة فضعنا في فراغ

أفقدنا الثقة بأنفسنا وبتراثنا وحضارتنا ، ثم بلغتنا . " ^(٧٧)

لقد رأى ناصر الدين الأسد أن استعمالات اللغة تتفاوت في النصوص ، وتختلف في

الاستعمال ، بسبب أن مستخدمي اللغة العربية يخلطون في بعض الأحيان بين الألفاظ ، ويستعملون

بعضها لتدل على معان يقصدونها ودلالات يهدفون إليها ، إلا أنهم لا يختارون اللفظ المناسب

للفكرة أو للمعنى أو للدلالة المناسبة ، وكما يقول الأسد : " وجعل بعض العلماء الألفاظ التي بمعنى

واحد تنقسم إلى ألفاظ متواردة ، وألفاظ مترادفة . " ^(٧٨) إلا أن الواقع في النصوص يقول غير

ذلك ، فما بالناس باللغة الفصحى التي يقول الأسد في شأنها : " استعمال كلمة

^(٧٥) انظر : خليل ، إبراهيم ، ناصر الدين الأسد والتحقيق اللغوي ، بحث ألقاه في ندوة التكريم التي أقامتها رابطة الكتاب الأردنيين صيف عام ٢٠٠٤ م ، تكريما للدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٣ .

^(٧٦) انظر أيضا : المرجع السابق نفسه ، ص ٣ - ص ٤ .

^(٧٧) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٤٦ - ص ٤٧ .

^(٧٨) نمارة ، إبراهيم مصطفى ، رؤية في لغتنا العربية ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م ، ص ٢١٣ .

الفصحى ، لأن الفصحى صيغة تدل على أعلى المراجع ولا أعتقد أنها موجودة إلا في كتاب الله ودون ذلك في بعض الشعر الرفيع . ولكن حسبنا أن نقول " الفصيحة " أو السليمة . هذا مطلب عظيم أيضا إذا وصلنا إليه .^(٧٩)

ويشعر الأسد بالانحراف الذي سار بالناس نحو استعمال لغتين أو مستويين في اللغة العربية ، وهما ؛ مستوى لغة العامة أو البيت أو لغة الشارع ، ومستوى اللغة الأدبية أو العلمية أو الرسمية أو لغة التدوين والكتابة الفصيحة ، حيث قال : " صحيح أن لغة البيت ولغة الشارع هي مستوى آخر من مستويات اللغة ، التي تسمى اللهجة العامية ، وأنا أعتبر أنها مستوى من مستويات اللغة .^(٨٠)

ورغم ما بين تلك المستويات من فوارق ، فإنه يعدها من مستويات اللغة التي لا تقلل من قيمة اللغة العربية ، فيقول : " هذه كلها مستويات لغوية . وأنا دائما أؤكد أنه لا خصومة بين اللغة الفصيحة واللهجات العامية . اللهجات العامية موجودة في كل العصور وموجودة عند جميع الأمم في كل لغاتها . ومن يعرف اللغات الأجنبية يدرك هذه الحقيقة . وفي بعض البلاد الأجنبية من الخلاف بين لهجاتها العامية ولغتها الأدبية ، أكثر بكثير مما بين اللهجات العامية واللغة العربية الفصيحة .^(٨١)

وكما ذكرت في موضع سابق من هذا الفصل ، إن ناصر الدين الأسد يريد تخطيطا لغويا يحفظ للغة العربية قيمتها ومكانتها ودرجات استخدامها وتوظيفها في الحياة العملية وبالدرجة نفسها في الحياة الأدبية والأكاديمية والرسمية .

^(٧٩) مجلة العربي ، ع ٥٢١ ، نيسان ٢٠٠٢ ، مقالة بعنوان اللغة العربية تنبل الآن على أيدي أبنائها ، زاوية وجهها لوجه : ناصر الدين الأسد وجهاد فاضل ، ص ٧٢ .

^(٨٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٢ .

^(٨١) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٢ .

" كما أن عنايته الفائقة باللغة العربية وقيمتها ، ورؤيته الثقافية في فلسفة التعليم عناوين أخرى على طريق عطائه . " (٨٢)

ورب قائل يقول إن هذا السبيل كان منذ القديم في الثقافة العربية أو في اللغة العربية أو في المدرسة العربية ، إلا أن الذي يقال اليوم في هذا الباب لا يعدو أن يكون استمرارا أو توضيحا لما كان في السابق ، وذلك من حيث إنه لا بد من إيجاد الخطط اللغوية التي تحمي اللغة العربية وتحمي المتكلم بها على مر الأيام " وكان الأقدمون فريقين في هذه السبيل : متشددا لا يعتد إلا بالوجه الأفصح المتواتر في المنقول ، أو الأقيس في الأصول ، ومتساهلا يقبل كل ما جاء في لهجة عربية أو كان له وجه في تخريج النحاة . " (٨٣)

ولا جرم أن " التصحيح اللغوي ضرب من البحث في العربية متصل منذ رسم أهل العربية صفتها ، ووضعوا قواعدها إلى يوم الناس هذا . وقد قامت صفة العربية على ائتلاف عريض انتظم لهجات مختلفة كانت تسود في مواطن الجزيرة عند ظهور الإسلام ، كما انتظم أطوارا من حياة العربية امتدت ثلاثة قرون ونيفا مما فسح للتعدد في وجوه الظاهرة الواحدة . وتداول أهل العربية هذه المادة وصفا وتقييدا فاختلفوا في كثير من وجوه تفسيرها . " (٨٤)

وليه في تاريخ اللغة ومستوياتها المعجمية والدلالية آراء ونظرات ، ومنها أنه " يعرض لجهود بعض المحدثين في العامي الفصيح ، وهو منحى في البحث يجهد في استقراء ألفاظ تجري على السنة العامة ، ويأنف أهل العربية من استعمالها على الرغم من أنها تؤول إلى نسب متقدم في الفصيح . وهي جهود تقصد إلى ما يشبه المصالحة بين العامية والفصيحة . وينبئ اعتناؤه بهذا

(٨٢) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، مرجع سابق ، تقديم إبراهيم عز الدين ، ص ٨ .
(٨٣) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، بحث (ناصر الدين الأسد واللغة) د. نهاد الموسى ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .
(٨٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٨ .

الضرب من البحث عن نزعة إلى التوسعة والإسماح . وهي نزعة حقيقة بالترويج ؛ إذ بذلك يفتني بعض العربية ببعض ، وتستأنس العامة بالفصيحة إذ يجدونها تقترب منهم ، وإن كانت الازدواجية السائدة في العريسة تجعل استعمال تلك الألفاظ في سياق استعمال الفصح مستهجنا .^(٨٥)

كما أن له آراؤه في طرائق وأساليب تدريس اللغة العربية ، واعتبر هذه القضية التربوية قضية لغوية " وفي بحثه (مسائل في العربية وتعلمها) ينكر ناصر الدين الأسد على بعض التربويين في تعليم العربية ما يتخذون من (نظريات في تعليم اللغة) مما عند غرنا ومما لا يتفق وطبيعة لغتنا وخصائصها ، ومما هو عندهم أكثر من التجارب التي يحصرون تطبيقها في مدارس تجريبية محدودة وقد يرجعون عنها ، ولكنها تظل عند بعض الطلبة الذين يدرسون هناك من حقائق ثابتة يروجون لها حين يعودون إلينا على أنها أحدث النظريات التي ستصلح حال التعليم في بلادنا . " ^(٨٦)

ويدعو وفق ما يراه لازما إلى " دراسة أساليب التعليم في ثقافتنا ، والاستفادة من تطور الأساليب الحديثة في تعليم اللغات دون أن نفسر لغتنا على ما يخالف طبيعتها . " ^(٨٧) ولا شك في أنه يرى الحق في ما ذهب إليه ، حيث يقول الدكتور نهاد الموسى في هذا الصدد : " ولعل من الحق أن كثيرا من مستخلصات تلك النظريات - وإن قام في البدء وبالضرورة على لغات بأعينها - لعل كثيرا من مستخلصاتها تجاوز تلك اللغات الخاصة وجرد أصولا كلية نافعة في تفسيرات إضافية مستأنفة لظواهر في العربية وغيرها ، فيما نرى . " ^(٨٨)

ومن مستخلصات تلك التجاوزات في تلك اللغات ، يركز على قضية المصطلحات ، وذلك بسبب خصوصيات كل لغة منها " وهنا ينبه إلى ضرورة التمييز بين قضية المصطلحات وهي

^(٨٥) المرجع السابق نفسه ص ٧١ - ص ٧٢ .

^(٨٦) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٣ .

^(٨٧) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٣ .

^(٨٨) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٤ .

ليست لغوية قدر ما هي حضارية تتصل بالأمة التي تخرج وتُصنع ، بينما التدريس والكتابة لغة أجنبية هي قضية إرادة ولغة ، والعربية في إطار من التراث والسيرة اللغوية والمشكلة الحاضرة قادرة على استيعاب العلوم .^(٨٩) إذ شكلت هذه القضية فيما بعد مشكلة لغوية أخرى تتعلق باختلاط الدلالات بين الألفاظ والمصطلحات ، ولذلك اختلت واضطربت المعاني وما تشكله من أفكار ومفاهيم وثقافة وحضارة .

" ومن هذا العامل الأخير وهو اختلاط دلالات هذه الألفاظ واضطرابها في كتب القدماء . " ^(٩٠) كان منطلق المشكلة التي ترتب على وجودها مشكلات أخرى ، منها ما كانت النظريات اللسانية أو نظريات فقه اللغة قد وجدت له تخریجا لغويا ، ومنها ما لم تجد له حلا أو تخریجا لغويا حتى الآن ، وبقي الاحتكام إلى تعدد ازدواجية اللهجات في اللغة الواحدة كاللغة العربية التي تكثر لهجاتها رغم انحدارها من اللهجة / اللغة العربية الأم ؛ حجازية كانت أو يمنية . وقد سبق أن بينت بعضا من آراء ناصر الدين الأسد في هذا الموضوع ، وبخاصة رأيه في اللفظ من حيث اختلاف المعنى والدلالة .

ومن آرائه أن بعض الألفاظ والمفردات والمصطلحات قد تخصص وقد تقتصر على معنى واحد أو على أكثر من معنى ، فتقيد بعد تخصيصها واقتصارها على ذلك المعنى ، ويشيع استعمالها وينتشر ، ويبقى لها مدلولها بين ألفاظ ومفردات ومصطلحات اللغة التي تؤدي وظيفتها في نقل الفكر والتواصل بين الناس . إلا أنه - وكما يرى ناصر الدين الأسد - لا بد من التفاوت اليسير بين مدلولات هذه الألفاظ باختلاف العصور .

(٨٩) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة مرجع سابق ، بحث (ناصر الدين الأسد : بين التراث والمعاصرة) د. عبد العزيز

الدوري ، ص ١٧ .

(٩٠) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٧٨م ، أعرب وبإدب ، ناصر الدين الأسد ، ص ٣٦٠ .

هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى ، فإنه يبحث في قضية أفراد وتشية وجمع المفردات اللغوية ، وبخاصة تلك التي يتداولها الناس على وجهها المؤلف المستعمل والشائع حتى ولو كان خطأ ، فذهب إلى تخطئة من أخطأوا وإلى تعزيز من أصابوا وأصلحوا ، ورأى أن يبحث في التراث عن صواب تلك الاستعمالات في العربية ؛ قديمها وحديثها ، فوجد أن بعضها كان قد استعمل وتدوول على الألسنة عند العامة ، وعند الخطباء والشعراء وحفاظهم ورواقهم ، وهو الأمر الأول في هذا الموضوع ، كما وجد أن بعضها الآخر لم يكن متداولاً ولا مستعملاً إلا في عصور متأخرة من عمر الأدب العربي ، فاتخذ من القياس أداة لتثبيت الصواب فيه ، دون تخطئة منه لأحد ، ولذلك ألفناه يقول : " إن مفرد كل جمع من هذه الجموع عربي صحيح ، وأن صيغة جمعه - الذي ذهبوا إلى تخطئته - هي من الصيغ التي جاء على مثالها جموع عدد كبير من المفردات بنيت على بناء هذا المفرد نفسه . حتى كانت هذه الصيغة قياسية مطردة - فيما نص عليه القدماء أنفسهم - أو كالمطردة لكثرتها ، وإن لم نجد هذا الجمع ذاته فيما وصلنا من كلامهم . " (٩١)

وعلى صعيد آخر من بحثه في مثل هذه الظواهر والمسائل اللغوية ، يذهب إلى وضع اللفظ وشيوعه فيقول : " هذان الأمران المتكاملان معاً هما : شيوع اللفظ شيوعاً عاماً غالباً على ألسنة أهل العصر وأقلامهم ، في جميع الأقطار العربية ، وشيوع صيغته وبنائه في ألفاظ كثيرة أخرى تشترك معه في الخصائص والأركان . مما ورد عن العرب وشاع في استعمالهم . " (٩٢)

فاعتماده على سياق الظاهرة تاريخياً يجعله يأخذ بالقياس أولاً ، ثم بالشيوع والاستعمال ثانياً ، ومع ذلك ، فإنه يقول : " وإذا كنا نبدأ بالقياس ونعتمد عليه - بالمعنى الذي وضحتاه ، فإننا

(٩١) حماس وحماسة ، ناصر الدين الأسد ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٩٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٧ .

لا تنتهي إليه ، ذلك لأننا لا نعتسف الطريق فننتهي إلى وضع قاعدة عامة مطردة تشمل كل ما جاء على هذه الصيغة سواء أكان من الألفاظ الشائعة في الاستعمال في عصرنا إن لم يكن مستعملاً شائعاً ، فهدفنا ليس اختراع قواعد جامدة تخضع لها اللغة كلها بحجة التيسير والتقريب ، وإنما هدفنا الاستئناس والاحتجاج بنظائر كثيرة مما ورد في كلام العرب ، للفظ يشيع استعماله في هذا العصر بين العرب كافة ، وإن لم ينقل هو نفسه إلينا ، والاستدلال من ذلك على صوابه بعد أن جرى على الألسنة وفي الكتابة واستساغه ذوق العصر .^(٩٣)

ولذلك ، جاء اهتمامه بها لقيمتها ولدورها في بناء الثقافة والحضارة والأجيال التي تحملها كرسالة لا بد من الحفاظ عليها لتبقى حية تنمو وتنمي من يتمسك بها ويعمل بها ، ويجعلها دليلاً في علمه وأدبه وسائر فنونه التي تصير تراثاً ممتداً امتداد الأجيال في الأمة ، ولذلك قال ناصر الدين الأسد : " يجب أن ندرك أن أية لغة هي كائن حي ينمو ويتطور ، وليس من شك أن اللغة العربية نفسها اختلفت في بعض ما دخلها من ألفاظ وتعابير في العصر الأموي والعباسي وما تلاهما من العصور ."^(٩٤)

إن نظرتة إلى الدراسات اللغوية كانت تدل على أنه غير راض عن مستوياتها وطرائقها وأهدافها وإجراءاتها ، وتدلل على أنه يجب التمييز بين أساليب ومناهج تلك الدراسات والأبحاث ، لتعطي نتائجها بما ينعكس بالصواب على اللغة ومتكلميها ، ولعله يعزو ذلك إلى عدم وضوح مفهوم الدراسة اللغوية عند الكثيرين الذين اتخذوا من هذا العلم موضوعات للبحث والدرس ، ولذلك ، فإنه يلتقي مع الدكتور محمود السعمران في الرأي في هذا الموضوع ، حيث يقول الدكتور

(٩٣) المرجع السابق نفسه ، ٣٨ .

(٩٤) مقابلة أجرتها مجلة الشرقي مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، ١٠٢٤ ، ١٩٨٤ م .

محمود السعران : " فمفهوم الدراسة اللغوية عند كثير ممن لم يتصل بالعلم الجديد عن قرب ، أنها ذلك النشاط التقعيدي normative الذي يستهدف معرفة صحيح الكلام وجيده كتابة ونطقا ، ووضع (قواعد) تميز صحيح الكلام من خطئه وجيده من رديئه ؛ (قواعد) متعلقة بهجاء اللغة و(نحوها) ومفرداتها و(بلاغتها) وما أشبه هذا ؛ (قواعد) تعلم الناشئة صحة الكلام وجودته وتتخذ مقياسا للحكم على الصواب والخطأ ، والجيد والرديء ."^(٩٥)

وقد أدرك ناصر الدين الأسد أن بلاغة اللغة المتأتية من التقعيد عندما دعا إلى تيسير النحو والصرف تعليما وتعلما تؤدي إلى امتلاك ناصية اللغة ، وامتلاك ناصيتها يؤدي إلى البيان والبلاغة واستعمال الحقيقة في الحقيقة والمجاز عند القصد إليه ، سواء إطالة أو إيجازا ، ليكون للغة قيمة أدبية فنية ، وليكون لها اتساع في استيعاب الأفكار والمعاني والأحاسيس بما تقتضيه أحوال المقام .

ويلتقي ناصر الدين الأسد في جانب من هذا مع الدكتور شوقي ضيف ، وبخاصة في التعريب والترجمة ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور شوقي ضيف : " وهذا الإيجاز في كلمات الأدب وما يرافقه من سيولة المعاني واتساعها هو الذي يجعل ترجمته ونقله من لغة إلى لغة من أشق الأشياء وأكثرها عسراً وصعوبة ، لأن المترجم لا يستطيع مهما كان بليغاً في لغته أن يؤدي إليها ألفاظ الأديب الأجنبي تماماً لما يسمها من إيعاز وسعة " ."^(٩٦)

أما الدكتور الأسد فإنه يقول : " وكان للترجمة وللصحافة في أوائل عهديهما في العصر الحديث فضل كبير على تطور هذه اللغة بما طوعتا منها للمعاني الجديدة ، وبما استحدثتا فيها من الأساليب لا تخرج عن طبيعتها وحقيقة جوهرها ، وبما أدخلتا من ألفاظ وتراكيب ، وبما أحيتا من

(٩٥) السعران ، محمود ، علم اللغة ؛ مقدمة للقارئ العربي ، ط ١ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ص ١٧ .

(٩٦) ضيف ، شوقي ، البحث الأدبي ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

كلمات لتكون مقابلة - بأنواع المجاز المختلفة - للمصطلحات والكلمات الأجنبية . وما ذلك إلا لأن المترجمين والصحافيين كانوا حينئذ من الأدباء أو علماء اللغة . " (٩٧)

" أما الدكتور نهاد الموسى فقد تتبع لغة الأسد ونعتها نعوتا طيبة ومميزة ؛ فالأسد في رأيه ينهض مثالا فائقا في استعماله الفصحى في خطابه الشفوي في الحياة اليومية والعامة . وله في خطاب المشافهة هذا ميزة ظاهرة في أن مبنى العبارة على مقاييس العربية الفصيحة عنده لا ينفك عن معناها على مقتضى الفكرة التي يزجها ، فالمبنى والمعنى يندغمان لديه في تلقائية ، وتنقاد له العبارة مواتية ، ويرسلها بطواعية . " (٩٨)

كما يمكن الخلوص إلى القول بما يراه الأسد ، إذ يقول : " فاللغة العربية فيما نرى قد وفّت الأمانة وأدت الرسالة ، واستجابت لقضايا الحداثة على اختلاف أنواع هذه القضايا . وربما كانت أكثر اللغات قدرة على ذلك حين يتعهدا أبنائها ويحيون بها فتحيا بهم ، أما حين يحاول غير الفارس أن يمتطي الجواد الأصيل ، فيتأبى عليه ولا يمكنه من سرجه ولا عنانه ، ثم يقذف به ، فإن الجواد لا يوصف حينئذ بأنه صعب المراس ، ولا يقع اللوم عليه ، وإنما على المدعي المتكلف ما لا يحسن . " (٩٩)

إن آراء ناصر الدين الأسد في اللغة العربية كثيرة ومتنوعة ومتلونة تنوع وتلون القضايا اللغوية التي اهتم بها ودرسها ، وما ذلك بغريب عليه ، وما هو بالصعب الشاق عليه ، لأنه الغيور على لغته العربية القومية المقدسة ، ولأنه يعتقد بضرورةها بالقوانين الفاعلة فيها ، ولأنه يرى بالنظر إلى الأصل والفرع منها نظرة التفحص والتأويل ، ونظرة حمل اللفظ والمعنى على اعتبار أنهما من

(٩٧) اللغة العربية وقضايا الحداثة ، ناصر الدين الأسد ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٩٨) ناصر الدين الأسد في عين البصيرة من العلماء ، د. عبد القادر الرباعي ، بحث ألقاه في الندوة التكريمية التي أقامتها رابطة الكتاب

الأردنيين صيف عام ٢٠٠٤ م ، تكريما للدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٧ .

(٩٩) اللغة العربية وقضايا الحداثة ، ناصر الدين الأسد ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

أدوات اللغة ، لتكون اللغة السليمة المعبرة بألفاظ سائرة في سياقات لغوية سليمة تؤدي إلى أن يكون لهذه العربية خصائص في فصاحتها وفي لهجتها ، تلك الخصائص ذات الأسناد العلمية والعقلية والنقلية ، وذات الدقة في الضبط والتتبع والقواعد المستنبطة في نحوها العلمي ونحوها العملي وفي بياها وبلاغتها وإعجازها ، إذ في ذلك حماية لها وحفاظ عليها ، ودفع لها لتساير تطورات الحضارة الإنسانية بشكل عام والحضارة العربية بشكل خاص ، وفي ذلك انعكاس لها على جميع النتاجات الأدبية والعلمية والفنية كأداة فنية وكوسيلة للتعبير لها صفة اللغة الأدبية العلمية الفنية في الأدب والعلوم والفنون ولدى جميع المتعلمين والمثقفين والكتاب والأدباء والنقاد واللغويين والعلماء الذين ستركون تراثا زاخرا للأجيال العربية والإنسانية القادمة ، وناصر الدين الأسد في طليعة هؤلاء ، منحه الله الصحة والعافية وأمد في عمره .

الفصل الثالث

الخصائص الفنية والأدبية في لغة ناصر الدين الأسد الفنية وأسلوبه الأدبي

- اللغة الفنية ؛ وصف وتعريف
- خصائص اللغة الفنية في أعمال ناصر الدين الأسد
- الخصائص الأسلوبية في أعمال ناصر الدين الأسد

الفصل الثالث

المبحث الأول

اللغة الفنية في الأدب ؛ تعريف ووصف

تظهر ثقافة الأمة في صور شتى ، وأكبر صورة وأوضحها تكون في أدب هذه الأمة بكل فنونه وفروعه وأشكاله ، ولا يكون الأدب أدبا إلا إذا كان مرسوما بأداة قادرة على الاستجابة لما يريده الأديب الذي تنطلق حاجاته من حاجات أمته . وبالضرورة تكون تلك الأداة هي نفسها أداة التواصل بين أفراد الأمة وفي مختلف مستوياتها ، ومعروف أن اللغة هي أهم أدوات الاتصال والتواصل بين أفراد الأمة ، فيها يكتب ويلقى أدب الأمة ، وعندئذ يطلق على تلك الأداة أو الوسيلة التي هي لغة الأمة اللغة الأدبية أو اللغة الفنية أو اللغة الأدبية الفنية .

" واللغة تكون لها ميزة تنافسية باستعمالها في الكتابة استجابة لاحتياجات قائمة ، وهذا يحولها بالتالي إلى لغة مكتوبة على نحو تدريجي ، واللغة - بإعطائها صورة مكتوبة - تكتسب بعدا يجعلها بشكل موضوعي أكثر فائدة من اللغات غير المكتوبة ، والأدب يساعد على تراكم قيمة اللغة المكتوبة ، ومن هنا فأول لغة مكتوبة تكتسبها المجموعة الاجتماعية يصعب بالتالي استبدالها ، لأن اللغة المكتوبة المرسخة تكون ذات قيمة بذاتها . " (١)

(١) كولماس ، فلوريان ، اللغة والاقتصاد ، سلسلة عالم المعرفة ، ع ٢٦٣ ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، ترجمة : الدكتور أحمد عوض ، مراجعة : عبد السلام رضوان ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، مطابع الوطن ، الكويت ، ص ٢٧٣ .

فإطلاق وصف من هذه الأوصاف يختلف باختلاف المفهوم المراد والمعنى المقصود الذي

يفهمه ويقصده من يطلق هذا الوصف أو يسمي تلك التسمية لتصير فيما بعد مصطلحا يشيع في الاستعمال .

فاللغة التي يستخدمها متكلمها عند التعبير عن فكره ، ووفق معايير تضمن سلامة اللغة وفصاحتها ودقتها في مستوى الصوت وفي مستوى التركيب وفي مستوى قواعد اللغة من نحو وصرف وفي مستوى الدلالات التي ترمي إليها ، هي اللغة التي يمكن أن تسمى اللغة الفنية أدبية كانت أو غير أدبية .

لقد اختلفت وتعددت الآراء عند اللغويين وعند النقاد في تعريف تلك اللغة الفنية ووصفها ، فقد انطلق كل رأي من تلك الآراء حسب وجهة نظر صاحبه المبنية على منطلقاته وايدئولوجيته الثقافية ، والمبنية على رؤيته لوظائف اللغة وأدوارها في بناء العلاقة بين أفراد المجتمع للتواصل ضمن إطارات اجتماعية ولغوية وتربوية وسلوكية واقتصادية وسياسية وتاريخية وفنية إبداعية ، فيأتي الرأي معبرا عن وضع اللغة في حدود تلك المنطلقات .

من الصعب وضع تعريف جامع مانع لمصطلح اللغة الفنية الأدبية ، ولكن من الممكن وضع تعريف يقرب المقصود من هذا المصطلح ، وعليه فإنه يمكن تعريفها بالقول بأنها تلك المادة اللغوية المكونة من الأصوات والحروف التي تتركب منها الألفاظ والجمل والنصوص المعبرة عن فكرة أو مفهوم أو معنى أو خيال أو شعور ، بحيث تكون بنائية تلك المادة اللغوية سليمة صحيحة فصيحة لا تخرج عن معايير قواعد اللغة في نحوها وصرفها ، وعن معايير أسلوبية التعبير في الإبداعية عن المعاني

والأفكار ، ومن حيث إشراك المتلقي في تفعيل تلك اللغة التي بني التركيب أو النص اللغوي من مادتها .

إن المتحدث أو الكاتب المجيد هو الذي يختار لغته لتكون في مستوى اللغة التي تتميز بجودتها وقيمتها في الأسلوب والبلاغة والدقة ، كما اعتقد أن اختيار الشكل الأدبي أو الفن الأدبي له دور كبير في جعل تلك اللغة التي استعملها الكاتب أو المتحدث لغة يتميز بها أسلوبه وتتميز به ، والعلاقة بين هذين الأمرين لا تنفصل عن العلاقة بينهما وبين موضوع الحديث أو موضوع الكتابة .

فالكاتب أو الأديب معني بالدرجة الأولى بتحديد موضوعه وما ينضوي تحته من معان وأفكار ومشاعر يريد نقلها نقلا مؤثرا في المخاطب على اختلاف مستويات لغته وثقافته ، كما هو معني بتحديد الشكل الأدبي الذي يريد بناءه ليكون القالب الذي يرسم الفن الأدبي بالصورة التعبيرية المناسبة ، لأن لغة المقالة لها خصائصها الفنية ، ولغة المسرح لها خصائصها ، ولغة القص أو الرواية لها خصائصها ، ولغة الشعر لها خصائصها ، ولغة التاريخ والتأليف والتدوين لها أيضا خصائصها ، ولغة النقد والتحليل والوصف لها خصائصها ، ولذلك ، فإن المعايير والأسس التي يحتكم إليها الأديب عند الكتابة تجعله باحثا بالدرجة الأولى عن الألفاظ والجمل والشكل التعبيري الأدبي في الوقت نفسه الذي يكون فيه باحثا عن المعاني والأفكار التي يريد بيانها والإفصاح عنها ، ويتوقف الأمر في الإجابة والإحسان على الكفاية اللغوية وعلى القدرة على المواءمة بين المعاني والأفكار وبين الألفاظ المعبرة عنها في إطار نص لغوي يشكل خطابا قابلا للنقل والتأثير .

فالعملية إذن ، لا تقف عند حدود اللغة نفسها ، كما لا تقف عند حدود المعاني وحدها ، وإنما تقف عند قدرة المتحدث الكاتب الأديب وكفايته في فهمه للمعاني وفي اللغة التي يستعملها أداة

ووسيلة للتواصل والتعبير ، عندئذ يمكن وصف تلك اللغة ، ويمكن الوقوف على محدداتها وعناصرها وضوابطها ومستوياتها ، كما يمكن إصدار الآراء والأحكام القيمة التحليلية والنقدية والتقويمية فيها وعليها أو في المضمون الذي عبرت عنه أو دلت عليه ، أو في الشكل الأدبي شعرا كان أو نثرا وعليه إن كان يمتاز بخاصية مناسبة الشكل للمضمون ، أو خاصية مناسبة الفن الأدبي للمقام .

ولقد رأى حازم القرطاجني أن اللغة هي جوهر العملية الإبداعية ، " وأن الإبداع يكمن في توظيف اللغة توظيفا جماليا يقوم على مهارة الاختيار وإجادة التأليف ، إلى أن انتهى إلى القول بأن (القول في شيء يصير مقبولا عند السامع في الإبداع في محاكاته وتخيله على حالة توجب ميلا إليه ، أو نفورا عنه بإبداع الصنعة في اللفظ ، وإجادة هيئته ومناسبته لما وضع يازاته) . " (٢)

ويلتقي القرطاجني مع ابن طباطبا في بعض الجوانب التي ذهب فيها الأخير مذهبا آخر ، وذلك من حيث خلو النص من الحشو اللغوي ، وعدم التباعد بين الكلمات وأخواتها ، وانتظام معاني المفردات ضمن المعنى العام للسياق النصي ، وكان لما قاله ابن طباطبا : " ... ولا يجعل بين ما قد بدأوا وصفه أو بين تمامه فصلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه ، فينسي السامع الذي يسوق القول إليه ، ... ، فلا يباعد كلمة عن أختها ، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها . " (٣)

ولما كان أي فن من فنون الأدب اجتماعيا بالدرجة الأولى ، فاللغة اجتماعية أيضا على اعتبار أنها لغة الجماعة الكلامية التي تتكلم بهذه اللغة ، ويكون كلامها من خلال أنماط لغوية قابلة

(٢) جامعة فيلادلفيا ، تحليل الخطاب العربي (بحوث مختارة) قدمت في المؤتمر العلمي الثالث الذي عقته جامعة فيلادلفيا عام ١٩٩٧م ، تحرير : د . غسان عبد الخالق ، مراجعة : د . صالح أبو أصبع ، بحث (الخطاب للنقد وآليات الإبداع الشعري ص ٣١١ - ص ٣٢٢) ، د . حامد صالح الربيعي ، ص ٣٢٢ .
(٣) ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ص ١٢٩ .

للتحويلات الأدائية ، في ضوء قواعد اللغة التي تستند إلى ما فيها من نحو وصرف ، ولذلك وجد أن العالم اللساني تشومسكي صاحب النظرية التوليدية التحويلية يركز على الكفاية اللغوية لدى متكلم اللغة وعلى القدرة الذهنية الموجودة في أذهان أبناء الجماعة اللغوية الواحدة ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور سمير استيتية : " ذهب العالم اللساني تشومسكي ، وهو صاحب النظرية التوليدية التحويلية إلى أن اللغة لها جانبان أحدهما ذهني وهو يمثل القدرة الذهنية الموجودة في أذهان أبناء الجماعة اللغوية الواحدة ، وهذه القدرة هي التي تمكن أبناء الجماعة اللغوية من ابتكار الأنماط اللغوية ، وتوليد بعضها من بعض ، وقد سمي تشومسكي هذه القدرة (الكفاية) ، وأما الجانب الآخر فهو الجانب الأدائي ، وهو الذي يمثل الأداءات المنطوقة التي يمارسها أبناء الجماعة اللغوية ، وقد سمي تشومسكي هذا الجانب (الأداء) ، ويتمثل هذا الجانب في التحويلات التي نمارسها في أداءاتنا الكلامية ، من حذف وزيادة ، وتوسعة وتضييق ، وتقديم وتأخير ، وإحلال كلام محل غيره . " (٤)

وكلما كان التدرج من فكرة إلى أخرى في العمل الأدبي الواحد ، كانت اللغة أقرب إلى القدرة على التأثير في المتلقي ، وإثارة خياله ، فتكون بذلك قد وسمت النص بدرجة عالية من الفنية والإبداع ، فيجمع النص من خلال اللغة بين رؤية الأديب الكاتب والواقع الذي تصوره تلك اللغة ، ومن شأن هذا أن يؤدي إلى لذة خطابية يحسها ويلتذ بها مؤلف النص ، ويحدث لذة لدى المتلقي ، ومصدر اللذتين واحد وهو التشكيل اللغوي الذي تشكل به النص أو الخطاب الأدبي .

ولذلك فإنه - مهما كان نوع النص - " لا يرقى إلى مصاف الأدبية إلا بتوافر الخصائص الفنية التي تؤهله إلى امتلاك مقومات جماله في ذاته ، هذه المقومات التي تشكل نظامه وتحقق لقارئه لذة تغييه عن إدراك كل مثير خارج النص ، فيستقطب النص كل مداركه ووجدانه ويصبح مدار اهتمامه بل

(٤) استيتية ، سمير شريف ، علم اللغة التعليمي ، ط١ ، د. ت. ٠ ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، إربد ، الأردن ، ص ٨٥ .

يعزله عن محيطه بسحر تواصله ، ولطف مؤانسته ، فلا يترك مجالاً للمتلقى للإعراض عنه ، وفي هذا المقام لا تصبح لغة النص وسيلة تخبر عن أشياء خارجها ، وإنما تصبح تخبر عن ذاتها ، فتقطع الكلمة في النص صلتها بمرجعيتها لتخلق مرجعية جديدة قلمها سياقات النص وأنساقه اللغوية ، وإنتاجه للمعنى لدى تلقي النص يكون بالمعرفة ، وهذه تحصل باللقاء والمدارسة ، وبالتراكم من الخبرات المباشرة وغير المباشرة . " (٥)

وأية لغة فنية أدبية تنتج معنى أو صورة تتألف من عدة عناصر لتأخذ وضعها الاتصالي بين أفراد الجماعة الكلامية ، ووضعها الإيصالي بين المرسل والمستقبل . فأما العناصر التي تأخذها في وضعها الاتصالي ، فإنها تتعلق باجتماعيات اللغة أكثر مما تتعلق بفنياتها ومبانيها ومعانيها ، ولذلك يلجأ الكثير من الكتاب والأدباء والمثقفين إلى الاعتماد على عناصر اللغة التي تشكل وضعها الإيصالي الإبلاغي ، وذلك لأن " عناصر اللغة في وضعها الإيصالي المعتاد لا تؤدي وظيفتها الدلالية والجمالية بدون علاقات التنظيم والتألف والتفاعل وضبط الهيئات والأوضاع والمواقع والنسب والأدوار ، كما تعجز عناصر الموقف ومكوناته عن تحقيق إظهارها فنيا وجماليا بغير القوة التشكيلية التي تبدع فعلا . " (٦)

ولذلك فإن العبارات المنتجة في النص " تنشأ من حسن الاختيار للألفاظ ، وحسن التأليف بينها ، بحيث توحى بالمرح ، أو بالحزن ، وبالرضا أو الغضب ، أو غير ذلك بما يريد الشاعر ويتفق مع الغرض وتكون بمنزلة الموسيقى المصاحبة (تشبيه الموسيقى التأثيرية أو التصويرية التي تصاحب المشاهد المسرحية ، وتميى الجو النفسي للموقف) التي تهيى وجدان السامع بتقبل المعنى ،

(٥) تحليل الخطاب الأدبي ، مرجع سابق ، بحث (مفارقة الخطاب الأدبي للمرجع ، د. نور الدين السد ، ص ٣٠٧ .
(٦) قوقزة ، نواف ، نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، صدر عن وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، ص ٦٨ .

والإحساسات وتنشأ من تكرار حرف خاص ، أو تقارب مخارج الحروف ، أو اجتماع ألفاظ ذات جرس خاص . " (٧)

ولا يتوقف الاختيار خلال عملية إنتاج الكلام أو النص المكتوب ، لأن المرسل في كل مرحلة من مراحل إنتاج النص يعتمد " إلى اختيار صيغ معينة للتعبير عن معانيه ويجوز ارتباطها - بحسب العرف والتقليد اللغويين - بعضها ببعض ، أو غيرها في التركيب المعين ، أي أن الاختيار يرمي إلى اختيار ما تصلح به العبارة من الوجهة النحوية التركيبية . " (٨)

وكلما كان المرسل ذا بيان فإنه لا يخرج في تشكيل لغته الفنية عن المقصود بالبيان في اللغة ، ولا بد من أن يكون واعيا تمام الوعي لمعنى البيان ومؤداه ، والذي هو عند البلاغيين والنقاد يعني : " تأدية المعنى بأساليب عدة وطرائق مختلفة وإنه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه أو الاستعارة أو المجاز المرسل أو العقلي ، أو الكناية . " (٩)

وهذه عملية من عمليات اللغة الأدائية الفنية تتم في مرحلة الإنشاء أو الإنتاج للنص الأدبي .

فالنص الذي يتميز باللغة الأدائية الفنية اللاتفة يحدث بتلك اللغة لذة التشكيل اللغوي التي تمت الإشارة إليها ، حيث " إن اللذة الخطابية تحدث من عجائبية التشكيل اللغوي للخطاب ، وتحدث من خلال تحقيق الخطاب وظائفه وأهدافه التي يسعى إليها ، وهي إثارة انفعال المتلقي وإمتاعه وإكسابه فائدة مهما كانت طبيعة هذه الفائدة ، فقد تكون في تزويد المتلقي بفكرة فلسفية أو تربوية أو أخلاقية أو دينية أو قيمية ، أو تعرض قضية برؤية اجتماعية ، أو تقدم بعدا إنسانيا

(٧) أبو مغلي ، سميح ، والفار ، مصطفى محمد ، الأصول في اللغة العربية وآدابها ، ط ١ ، ١٩٩٠ م ، دار القدس للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ١٦٢ .

(٨) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٥٧ .

لظاهرة من الظواهر التي تشغل الإنسان ، وتشكل هاجسا في حياته ، وقد تزيد الذات المتلقية خبرة معرفية وتفتح أمامها آفاقا جديدة لتأمل كينونتها وماهيتها ، فتضع أولى خطوات الذات في طريق المعرفة اللانهائي . " ^(١٠) فالعامل الأساس هو تلك اللغة الأدبية الفنية التي استعملها منتج النص ، ولولا ما تميزت به وتحدت به لما كان لها ذلك الدور في جماليات النص وفي جماليات الإبداع في موضوعه ، ولما كان لها دور في جذب واستقطاب المستقبل ووضعه موضع التأثير بما تلقاه .

ويتصل موضوع النثر بموضوع الشعر في هذا الباب ، إلا أن للشعر مزايا تفرد به عن النص النثري الأدبي ، يتعلق معظمها بالوزن والقافية ، وبالمعاني والصور الشعرية الذهنية التي تكون أوسع في الشعر منها في النثر . إلى جانب الموسيقى التي تسمى موسيقى الشعر ، وهي ذات مستويين ؛ مستوى الموسيقى الظاهرية ، الاستفادة من ظاهر اللفظ في صوته وتركيبه ، ومستوى الموسيقى الداخلية ، الاستفادة من معاني الألفاظ والمقاصد التي وضعها الشاعر في إطارات تختزن صوراً ذهنية ، ومشاعر وانفعالات تأثيرية تأثرية ، تنبئ عن لذة الشاعر المولدة للذة المستقبل ، وعندئذ يصدق الحكم الذي يفيد بأن " الموسيقى عنصر جوهري في الشعر ، وأهم عناصر الإيحاء فيه : إذ تجعل النفوس أكثر تأثراً به ، واستجابة له ، ولا شك أن الإيقاع هو طريق التعبير الانفعالي . وموسيقى الشعر إما ظاهرة ، وإما خفية ، أما الظاهرة فتتمثل في الوزن والقافية ، وأما الخفية فتتمثل في الألفاظ الموحية والتعبيرات ذات التناسق والانسجام ، والذي يمنحها قوة وإيقاعاً جميلاً . " ^(١١)

(10) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، مفارقة الخطاب الأدبي للمرجع ، د. نور الدين السد ، ص ٣٠٢ .

(11) أبو مغلي ، سميح ، وزميله ، الأصول في اللغة العربية وأدائها ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

" ولذلك فإن أبنية الألفاظ ، وأوزان الكلام هي وحدات موسيقية ، وهذه الأوزان الموسيقية هي التي أضفت على اللغة العربية جمال الإيقاع وحلاوة النغم وطلاوة الجرس ، وجعلتها لغة شاعرية موسيقية ، وهذه ميزة اختصت بها اللغة العربية دون سواها من اللغات . " (١٢) فعلى سبيل المثال يقول الدكتور حامد صالح خلف الربيعي في هذا الأمر : " وأغلب الظن أن المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) قد كان متأثراً أشد التأثر بما توصل إليه سابقوه في ميدان علم الشعر ، مفيداً منه في صياغته لنظرية عمود الشعر ، التي لا تخرج في تصويره عن سبعة عناصر ، خصها في قوله : (إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف ، ... ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتنامها ، على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما ، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل باب منها معيار ...) . " (١٣)

إن المقاربة في التشبيه ، فإنها في وجه مقابل للمفارقة اللفظية ، والمفارقة التصويرية في النص الأدبي ، لأن المقاربة هي من مقتضيات التشبيه على اعتبار أن " التشبيه في الأصل عبارة عن عقد مقارنات بين أشياء يحكمها مبدأ التمايز ، وليس النماذج . " (١٤)

وفي هذا الشأن ، فإنني أرى أن ما يصدق على الشعر يصدق على النثر ، وأن النثر يكون أكثر تميزاً إذا ما اتصفت لغته التشكيلية بهذه العناصر ذات الأبواب التي لكل منها معياره ، وأرى

(12) المرجع السابق نفسه ، ص ٤٢ .

(13) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (الخطاب النقدي وآليات الإبداع الشعري) ، د. حامد الربيعي ، ص ٣٢٠ - ص ٣٢١ . والنص الذي اقتبسه الربيعي (أنهم كانوا ... ولكل باب منها معيار) مأخوذ من شرح ديوان الحماسة ، ج ١ ، ص ٩ ، للمرزوقي .

(14) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (الخطاب البلاغي وتأويل النص) ، د. خليل عودة ، ص ٢٤٠ .

أن ذلك مرجعه للنثر ، والنصوص النثرية التي تؤيد ما ذهبت إليه من رأي كثيرة في التراث الأدبي العربي .

أما ابن طباطبا (ت ٣٢٢هـ) فإنه كان " يحاول في كتابه (عيار الشعر) تقديم مفهوم للشعر ، وتأسيس عيار لعملية الإبداع في هذا الفن في حدود قواعد الصنعة ، ولهذا ركز على فنية الصياغة اللغوية ، ولم يفرق بين أن يستقي الشاعر معناه من أشعار السابقين ، أو من النثر ، أو ما يتداول على ألسنة الناس ، أو كتب الحكمة ، فإلهم عنده هو صياغة تلك المعاني في لغة مؤثرة ، وهذا التصور قاده إلى محاولة استنبات آلية للعملية الإبداعية . " فأساس الأمر عنده اللغة الفنية المناسبة أدبيا وفكريا وإبداعيا . واعتقد بأن اللغة المحددة في النص بسبب اختيار المؤلف السليم تؤدي إلى تحديد المعاني والدلالات التي تكون الفكرة والثقافة . و " لقد تعرض الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد ... لمسألة في غاية الأهمية والخطورة لم يتعرض إليها أحد من قبل بهذه الأهمية ، وهي مسألة تحديد معاني الكلمات والمصطلحات وتأهيلها في ضوء ما طرأ عليها أو ما صارت تعني في سوق الفكر والثقافة . " (١٥) فابن طباطبا يعنيه الشكل أكثر من المضمون ، أما ناصر الدين الأسد فإنه يعنيه الشكل المحدد للمضمون ، وبخاصة المصطلحات والمفاهيم والمفردات الفضفاضة الواسعة في معانيها التي لا تظهر حسب القصد إلا بعد توظيفها في تركيب لغوي له سياقه ومقامه وأسلوبه .

وقد يكون للكلمة معنى إضافي لا يظهر إلا بعد توظيفها في تركيب لغوي له موقعه من السياق الذي أراده الكاتب لأداء فكرة ما أو دلالة ما ، " ونحن ، وإن كنا لا نفرق كثيرا بين المفردات وتركيبها وأسلوب استعمالها من الناحية اللغوية ، فإننا نود أن نلفت النظر إلى الكلمة

(١٥) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، مرجع سابق ، بحث (ناصر الدين الأسد وروح العصر) ، حسني عايش ، ص ١١٤ .

الواحدة التي كانت تعني شيئا في وقت من الأوقات صار لها معنى ، وقد يكون هذا المعنى إضافيا ، أي أنه زيد على ما كانت تحمله الكلمة من دلالة جديدة . " (١٦)

فالكلمة ذات بنية مستقلة في ذاتها ، ولها إيقاع خاص بها ، ويتغير كلاهما عند دخول الكلمة في تركيب أو نص ، وذلك من قبيل ائتلاف الوزن مع اللفظ ، وائتلافهما مع أوزان الألفاظ التي قبله والألفاظ التي بعده ، فيتحول الوزن ويتأثر الإيقاع ، ويظهر النبر والتنغيم عند الأداء والإلقاء والقراءة ، وهذا الائتلاف بأجزائه هو : " أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت لم يضطر الأمر في الوزن إلى نقصها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها ، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منها وهي الأقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه ولا إلى تقديم ما يجب تأخير ، وأن لا يكون الوزن قد اضطر إلى إدخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاج إليه ، إذا حذف لم تنقص الدلالة . " (١٧)

ولما كانت اللغة الأدائية في النص هي التي تبني النص ، فإن ذلك البناء النصي يكون قد جاء وفق أسس ومعايير ، وهذه الأسس والمعايير الخاصة ببنية النص هي : " جملة الموضوع ، وجملة الفقرة ، وبناء الفقرات ، والتسلسل والتدرج (التطور المنطقي) . " (١٨)

فأما جملة الموضوع فإنها " الجملة التي يدور حولها الموضوع كله ، فهي إذن الجملة المركزية في الموضوع ، وتكون هذه الجملة مركزة ومختصرة ومحكمة . ليس من الضروري أن يبدأ الموضوع

(١٦) مجلة (المجلة الثقافية) ، ع ٤ ، ١٩٨٤ م ، تصدر عن الجامعة الأردنية ، مقالة (في خطى العربية ، ص ٣٣ - ص ٤١) د. نقولا زيادة ، ص ٣٩ - ص ٤٠ .

(١٧) المناصرة ، عز الدين ، الشرقيات / قراءة مونتاجية ، ط ١ ، ١٩٩٢ م ، مكتبة برهومة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ٥٩ - ص ٦٠ .

(١٨) استثنائية ، سمير ، علم اللغة التعليمي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ .

بهذه الجملة ، لكنها من الضروري أن تبقى الموجه الذي يوجه سائر جمل الموضوع وأفكاره ، فهي الضابط والرابط الذي يربط جمل الموضوع كلها بالعنوان . " (١٩)

في حين أن بناء الفقرة يعتمد على عدة عوامل ، منها : " التناسق في طول الفقرات ، بحيث لا تكون إحدى الفقرات مكونة من سطر أو سطرين ، وفقرة أخرى مكونة من صفحة . ولا بد أن تنتبه مع ذلك إلى أن تقسيم الفقرات لا يعني تجميع عدد متساو أو شبه متساو من الجمل أو السطور في كل فقرة . الأمر أعمق من ذلك بكثير ، الأمر يتعلق بتنظيم الأفكار وتعلق بعضها ببعض ، وانتظامها جميعا في قالب واحد . " (٢٠) واللغة ذات السعة والتنوع في المفردات والمصطلحات والمفاهيم ، وذات التصوير والتخييل المستساغ ، هي التي تكون العامل الأول والأساس في نضج بنية كل فقرة من فقرات النص . ولذلك يظهر التطور المنطقي للجمل والفقرات ، والمقصود بذلك أن : " التطور المنطقي وصف يطلق على العمل الذي يتوافر فيه التسلسل والتدرج ، وهذان المفهومان : التسلسل والتدرج ، ليسا مترادفين كما قد يظن ، وإن كان مجال التشابه بينهما كبيرا . أما التسلسل فانتقال طبيعي من جملة إلى أخرى بينهما صلة من نوع ما . " (٢١)

إن تلك الجمل التي تجسد التطور المنطقي في النص لا تؤدي وظيفتها الفنية إلا إذا كانت تشتمل على قرائن لفظية ، وقرائن معنوية تتعلق بأصول الوظائف النحوية ، وقرائن حالية تتعلق بالإشارات وطريقة الأداء والانفعالات ، وقرائن خارجية تتعلق بظروف إنتاج النص ، لأن كل متكلم / كاتب يهدف إلى وضوح رسالته الاتصالية المضمنة في النص ، كما يهدف إلى مخاطبة الوجدان والعقل في آن واحد لدى المتلقي ليثير ذوقه الفني وفكره ووجدانه .

(١٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٧ .

(٢٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٨ .

" واللغة - بوصفها خاصية إنسانية وطريقة لإيصال الأفكار والتعبير عن الانفعالات والرغبات بوساطة نظام من الرموز المنتجة على نحو اختياري - فهي (بيت الوجود) ، و (لا يمكن أن يرى الوجود إلا من خلالها) . وباعتبار أن كل ما في الوجود علامات ، وعلامات الوجود تتحدد للكائن الموجود إذا استبانها ، وتنطق إذا استنطقها ، ولا تعبأ بمن لا يعبأ بها ، فهي صامنة ناطقة كالإنسان صامت كقيم وناطق مبين ، فاللغة بهذا المعنى ضرورة الوجود لتعدد ضرورتها وتنوع وظائفها ، والكتابة عن الوجود في الخطاب هي إعادة لصوغ الوجود . " (٢٢)

وإذا ما وجدت تلك القرائن المتعلقة بالجملة في النص أو الفقرة أو التركيب ، فإنه لا بد أن ثمة علاقات بين الكلمة ومعناها في الجملة الواحدة وبين الكلمة ومعناها في التركيب ثم في الفقرة ثم في النص ، وهذه العلاقات تتجلى في أنها مرتبطة بالعرف لدى المتكلم / الكاتب والمتلقي ، ومرتبطة بطبيعة الكلمة نفسها وطبيعة المعنى نفسه ، ومرتبطة بذهنية المرسل وذهنية المتلقي ، ومرتبطة بمدى إدراك المرسل لقيمة اللغة التي يكتب بها أو يتحدث بها من الناحية الفنية عند إنتاج النص ، فيلجأ إلى توظيف اللغة الدالة على الإيحاء بالمعنى ، واللغة التي لا تنافر بين ألفاظها ، واللغة التي تؤدي إلى المعنى اللزومي والمعنى الاستدعائي أو ما يسمى بالتلميح والإيهام ، واللغة التي تؤدي إلى المعنى العكسي أو ما يسمى بمفهوم المخالفة ، حتى ولو كانت في مستواها الحقيقي أو في مستواها المجازي مع الأخذ بعين الاعتبار المكان والزمان ، وعلاقات المشابهة المتمثلة في التشبيه بأنواعه والاستعارة بأنواعها والكناية بأنواعها ، كما لا يمكن إغفال ما للمحسنات البديعية اللفظية من أهمية في الجملة أو الفقرة أو النص ، ويتضح ذلك بجلاء في التضاد والطباق والترادف والجناس والسجع ، وما إلى ذلك من محسنات بديعية لفظية جعلت اللغة الأدبية الفنية في مستوى محكوم

(٢٢) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (مفارقة الخطاب الأدبي للمرجع) د. نور الدين السد ، ص ٢٩٦ .

بمعيارية أدبية فيها من سلامة اللغة وسلامة النص بمثل ما فيها من جودته وبلاغته وفنيته ووظيفته الاتصالية. فاللغة التي تظهر بهذه المظاهر ، وتتسم بهذه السمات ، لا بد أن تتحدد بمعاني ألفاظها وعباراتها ، وذلك حسب قصد منتج النص في الظاهر ، وحسب ما وراء النص في الباطن والخفاء ، وهذا لا يكشف عنه إلا عالم باللغة وخفاياها وأسرارها ودلالاتها ، كما لا يكشف عنه إلا ذو خبرة ومراس وفكر ، كما لا يكشف عنه إلا ناقد له في أمر النصوص الأدبية وفي أمر اللغة ، وبالذات اللغة الفنية ، باع طويل . ولذلك لا بد من التفريق بين مستويات المعاني التي تضمنتها تلك اللغة ، وفي هذا الحال فـ " إنه يلزمنا أن نفرق بداية بين نوعين كبيرين من المعنى : المعنى الإشاري أو المعنى المرجعي والمعنى التوقعي ، وينتظم تحت المعنى الإشاري أو المرجعي ثلاث فئات صغرى من المعاني هي المعنى بالمواضعة ، والمعنى التصويري والمعنى التمثيلي . كما ينتظم تحت المعنى التوقعي ثلاث فئات صغرى أخرى هي : المعنى التنسيقي أو النحوي (ما يليه النحو) ، والمعنى السببي ، والمعنى العملي أو التأثيري . " (٢٣)

فاللفظ والمعنى يأتلفان في اللغة الفنية التي ربما تكون متميزة بوضوحها وسلاستها وسهولتها ، وربما تكون على مستوى من مستويات التعقيد الذي هو : " ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد ، ولذلك سببان ؛ أحدهما يرجع إلى خلل في النظم والتركيب وهو التعقيد اللفظي ، وثانيهما يرجع إلى المعنى وهو التعقيد المعنوي . " (٢٤) ولزيد من التوضيح فإنه من الضروري بيان المقصود بالتعقيد اللفظي ، وهو : " أن تكون الألفاظ مرتبة لأعلى وفق ترتيب المعاني ، فيفسد نظام الكلام وتأليفه بسبب ما يحصل فيه من تقديم وتأخير ونحو ذلك كتقديم الصفة

(٢٣) مجلة فصول ، مج ٤ ، ١٤ ، تشرين الأول ، تشرين الثاني ، كانون الأول ، ١٩٨٣ م ، بحث (النقد الأدبي : ماذا يمكن أن يفيد من العلوم النفسية الحديثة ، إعداد : مصطفى سويف ، ص ٢٢ .

(٢٤) المراغي ، أحمد مصطفى ، علوم البلاغة ؛ البيان والمعاني والبديع ، ط ٥ ، د . ت ، المكتبة المحمودية التجارية ، القاهرة ، مصر ، ص ٢٩ .

على الموصوف والصلة على الموصول .^(٢٥) أما التعقيد المعنوي ، فهو : " خفاء دلالة الكلام على المعنى المراد من أجل ما عاقها من اللوازم البعيدة والكنائيات المفترقة إلى وسائط ، أو اللوازم القريبة الخفية العلاقة ، مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود فيعجز الكلام عن أداء المعنى . " (٢٦)

ولكن بعض البلاغيين فضل اللفظ على المعنى بحجة اللغة في أدبية النص واعتبرها أساسا في هذه الأدبية ، وهذا المفاد " ساقه العسكري مفسرا فكرة الجاحظ المعروفة في هذا الباب : (وليس الشأن في إيراد المعاني ، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفاته ، وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقاؤه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب والخلو من أورد النظم والتأليف) . " (٢٧)

فلا غنى ، إذن ، عن استعانة الأديب بالبلاغة وعلومها عند صياغته للغة الفنية التي يعتمد إلى استعمالها في النص الأدبي ، إن كان يريد لنصه مستوى عاليا من مستويات اللغة الفنية الأدبية ، وإن كان يريد له مستوى عاليا من مستويات الأساليب الإبلاغية ، وإن كان يريد أن يوصل رسالته بدرجة عالية من التأثير على المتلقي ، وهذا يتطلب أن يكون الأديب على علم بدرجة كافية بالبلاغة وعلومها وأساليب التعامل معها وتوظيفها في النتاج الأدبي الإبداعي الراقي ، وإذا ما عمل ذلك ، فإن دور البلاغة يصبح فاعلا ، وفيه - ولا شك في ذلك - " قد ترتبط الألفاظ بالمعاني دون أن تستقل المعاني عنها كما هو الحال في علمي البلاغة : البيان والبديع في علوم اللغة العربية القديمة ، وفي مباحث الألفاظ عند الأصوليين مثل : الحقيقة وإنجاز لإظهار بعد الصورة والخيال ، الظاهر والمؤول لاكتشاف أعماق النفس في فهمها للخطاب ، المحكم والمتشابه لاكتشاف ضرورة

(٢٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩ - ص ٣٠ .

(٢٦) المرجع السابق نفسه ، ص ٣١ .

(٢٧) الزبيدي ، توفيق ، جدلية المصطلح والنظرية النقدية ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، قرطاج ، ٢٠٠٠ ، ص ١٤١ .

الجهد الإنساني المتغير عبر الزمان لإيجاد دلالات متغيرة للخطاب بالإضافة إلى ثوابته ، والمجمل والمبين لإخراج المسكوت عنه بالإضافة إلى المنطوق به .^(٢٨)

وحيثما يقصد المتكلم تأكيد خاصية معينة أو إبرازها ، فإنه يعتمد إلى استعمال المصطلحات الدوقية ، والتي ربما قد تأتي " لتؤكد أن وقع النص لا يكون دون توفرها جميعا ، لأن بعضها نتاج بعض : (فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حالها من اللفظ الجيد الجامع للركة والجزالة والعدوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن للمعنى قدر) ، وهو ما يؤكد العسكري بقوله : (فإذا كان الكلام قد جمع العدوبة والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة ، واشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من حيف التأليف وبعد عن سماحة التركيب ، وورد على الفهم الناقب ، قبله ولم يردده ، وعلى السمع المصيب ، استوعبه ولم يمججه .)^(٢٩)

فاللغة الفنية المحدودة بألفاظها وتراكيبها ومعانيها لا تخرج عن موضوعها ولا عن المجتمع المتلقي لها ، ولا بد لها من التوافق مع العناصر الأيديولوجية التي تحكم فكر ذلك المجتمع بما فيه مستخدمها في الحديث أو الكتابة ، وبما فيه المتلقي ، ولذلك وجد أن اللغويين والبلاغيين والنقاد من العرب قد ربطوا بين النص بكل عناصره وبين الشرائح الاجتماعية والجماعات الفكرية التي كانت في المجتمع العربي ، ومن هؤلاء يمكن ذكر الجرجاني ، والزمخشري ، وابن طباطبا ، والجمحي ، وابن رشيق ، وحازم القرطاجني ، إلى غير هؤلاء من العرب . كما وجد من الغربيين من كان لهم الرأي في هذا الموضوع ، فأداروا عليه وفيه الدراسات والأبحاث مقتدين بالعرب الذين كانوا سابقين في هذا المجال ، حيث قد نسبت - على سبيل المثال - المدرسة النبوية إلى نفسها اكتشاف " أن الواقع

(28) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (تحليل الخطاب ، د. حسن حنفي ، ص ٢٩ .

(29) الزبيدي ، توفيق ، جدلية المصطلح والنظرية النقدية ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

الوحيد الذي يقوم عليه الفكر أو الأدب لا يخرج عن إطار الخطاب أو اللغة .^(٣٠) وقد " عني رواد المدرسة الجديدة بإبراز أهمية اللغة كنتاج اجتماعي مادي سابق على الكلام والتصورات والمعاني ، من ثم تصبح اللغة عنصرا ايدولوجيا أساسيا ، إن لم تكن تشكل الحامل الايدولوجي الرئيسي للتصورات الاجتماعية الكلية . " ^(٣١)

وهذا شكل من أشكال ائتلاف اللفظ مع المعنى ، لا تكون اللغة فنية بالمعنى المقصود إلا إذا تجسد فيها وظهر ، وتجسدت فيه وبانت ، وهو على عدة أنواع ، نذكر منها : " أولا : المساواة : هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلا ، فقال : كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر .

ثانيا : الإشارة : أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بإيماء إليها ، أو لحة تدل عليها ، كما وصف أحدهم البلاغة فقال هي لحة دالة .

ثالثا : الإرداف : أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ، فإذا دل على التابع أبان على المتبوع .

رابعا : التمثيل : أن يرى الشاعر إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر ، وذلك المعنى الآخر والكلام يثبتان عما أراد أن يشير إليه .

خامسا : المطابق .

سادسا : المجانس .^(٣٢)

⁽³⁰⁾ مجلة فصول ، مرجع سابق ، بحث (النقد البنيوي بين الايدولوجيا والنظرية ، محمد علي الكردي ، ص ١٤٤ .
⁽³¹⁾ المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٥ .

⁽³²⁾ المناصرة ، عز الدين ، الشعرية ، مرجع سابق ، ص ٥٩ - ص ٦٠ .
١٥٨

وعندما يطبق التكلم هذه الآليات النظامية التي تحرك اللغة المعجمية وتحولها إلى لغة لينة أدبية فإنه يكون قد منح اللغة فرصة لتكون ذات اتساع في المعاني والصور والدلالات ، " ولعل هذا الاتساع في معاني الكلمات الأدبية هو الذي جعل الأدباء من قديم يحملونها معاني كثيرة ، وتوضح ذلك المعاجم اللغوية حيث نجد للكلمة الواحدة معاني متعددة ، وهي ليست - كما يظن - معاني مترادفة ، إذ بينها دائما كميات من الاختلاف القليل أو الكثير في المعنى ، وكأنما توجد نواة تجمع بينها ، ومن حول النواة تتكون معان متفاوتة تحمل فروقا متقاربة أو متباعدة ، وكأن معنى الكلمة اللغوي غير منحصر ، وبجانب هذا المعنى للكلمات الأدبية يوجد معنى ثان هو المعنى البياني أو المجازي . " (٣٣)

ويتوقف تشكيل النص على قدرة تلك اللغة على الانتظام والاتساق داخل ذلك النص ، " وعندما يكون الشكل لغة يؤسسها الخيال وينحو بها منحى يعطل دور الكلمات في موضعها المعجمي المقرر بإعادة تشكيلها في وضع جديد لتتطوّر وتوحي وتشير إلى غير ما يشير إليه وضعها المعجمي ، فلا يكون ذلك إلا بالشكل الذي يكون تقنية تعبيرية متميزة ينطق النص أو العبارة أو الجملة من خلالها ليحقق الإثارة والإمتاع . " (٣٤) ويساعد على ذلك التأثير والإمتاع ما في اللغة ذاتها من معان غير بيانية أو مجازية كالمعاني الصوتية أو التنغيمية أو الإيقاعية أو الموسيقية ، وهذا ما أشار إليه كثير من النقاد القدامى والحديثين ، فذهبوا إلى أن في اللغة الفنية الأدبية ، وبخاصة اللغة الشعرية منها ، يكون " للكلمات الأدبية بجانب معانيها البيانية واللغوية معنى ثالث صوتي ، أو بعبارة أدق معنى موسيقي ، وهو معنى أجاز الأدباء إليه من قديم ، أنهم أرادوا أن يتلافوا ما في

(٣٣) ضيف ، شوقي ، البحث الأدبي ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٣٤) قوقزة ، نواف ، نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

كلماتهم من نقص في الأداء العاطفي ، فاحتالوا على إكماله بالجرس الموسيقي ، وبلغ الشعراء من ذلك الغاية ، إذ ما زالوا يصفون في نغمات ألفاظهم وعباراتهم حتى اكتشفوا الأوزان الشعرية . وتبعهم الكتاب يصفون ، منذ وجدوا ، في كلماتهم وأدائها الصوتي ملائمين بين حروفها وحركاتها ، وتكامل ذلك عند العرب في النظام النثري المعروف باسم السجع ، ولذلك كان ينبغي في الآثار الأدبية أن تعجب السامع لا من حيث المعاني فقط ، بل أيضا من حيث الائتلاف الصوتي للكلمات ، حتى يتكامل فيها الأداء العاطفي بما تنقله وتؤديه من الجمال الصوتي مما لا تستطيع نقله وأداءه المعاني الذهنية المجردة والأخرى البيانية التصويرية .^(٣٥)

وما من كاتب إلا ويستعمل في لغته الأدبية الفنية ضروبا من الكناية ، لأنه لا بد يريد " إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به إليه ، ويجعله دليلا عليه . " ^(٣٦)

ومن هذه الكنايات التي تستوعبها اللغة الفنية الأدبية لتحمل منها سمتها في فية النص وأدبيته ، ما اصطلاح البلاغيون على تسميته الكناية عن الموصوف : " وبها تذكر الصفة ، ويستر الموصوف مع أنه هو المقصود ، والصفة هي اللازم من الموصوف ، ومنها تنتقل إليه . " ^(٣٧) كما اصطلاحوا على الكناية عن الصفة : " وفي هذا النوع من الكناية يذكر الموصوف ، وتستر الصفة مع أنها هي المقصودة ، والموصوف هو الملزوم الذي تلزم عنه الصفة أو تلازمه ، ومنه تنتقل إليها . " ^(٣٨) واصلحوا أيضا على الكناية عن نسبة : " وبها يذكر الموصوف ، ويذكر معه شيء ملازم له ، وتذكر الصفة ، ثم تنسب هذه الصفة إلى الشيء الملازم للموصوف ، فهي إذن تخصيص الصفة

(35) ضيف ، شوقي ، البحث الأدبي ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(36) أبو العنوس ، يوسف ، المجاز المرسل والكناية ؛ الأبعاد المعرفية والجمالية ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ١٥٦ .

(37) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧١ .

(38) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٥ .

بالموصوف ، أو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه .^(٣٩) بالإضافة إلى ذلك فقد اصطالحوا كنايات ، منها ؛ " التعبير ببعض مصاحبات الشيء للدلالة بها عليه ، أو التعبير ببعض الأسباب للدلالة بها على الأشياء التي تحصل بها ، أو التعبير بالمكان للدلالة على ما يحل فيه أو يحدث فيه أو يستعمل له ، أو التعبير بالنتائج للدلالة بها على أسبابها . " ^(٤٠)

وفي اللغة الأدبية الفنية يتسارق التعريض مع الكناية في سياق النص ، ويكون ظاهرا لفظا ومعنى لأن " إمالة الكلام إلى عرض ، وهو الجانب والناحية . " وكذلك " أن نذكر جملة من القول نريد بها شيئا آخر ، ولكن هذا الشيء لا يفهم بطريق اللزوم كما في الكناية ، وإنما يفهم من السياق . " ^(٤١)

ويرى الدكتور يوسف أبو العدوس أنه " يمكن القول إن الكناية تختلف عن التعريض ، إذ إن الكناية هي الستر ، وهي أن تعبر باللفظ وتريد لازم معناه ، فهناك صلة بين اللفظ المكنى به والمعنى المكنى عنه ، حيث ينتقل الفكر من الملزوم إلى اللازم . " ^(٤٢)

وفي هذا الموضوع ، يستند الدكتور يوسف أبو العدوس في حديثه عن الكناية وأنواعها إلى آراء بعض البلاغيين السابقين ، ومنهم ابن الأثير . ^(٤٣) ويرى الدكتور عبد الحميد هندراوي في ترجمته لحياة ابن جني التي أثبتتها بعد مقدمته لكتاب الخصائص الذي حققه وصدرت طبعته الأولى سنة ٢٠٠٠م في هذا الموضوع أن اهتمام ابن الأثير كان منصبا على العلاقة بين المعنى والمبنى ، فقال هندراوي : " ولعل أهم ما تميز به بحث ابن الأثير لهذه النقطة أنه اهتم بوضع القيود والضوابط التي

(٣٩) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٦ .

(٤٠) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٩ - ص ١٨٠ .

(٤١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٨١ .

(٤٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٨١ .

(٤٣) انظر : ابن الأثير ، المثل السائر ، ج ٣ ، ص ٦٧ .

تحكم العلاقة بين المبنى والمعنى من حيث الزيادة والنقص ، وهل يصح القول باطراد قاعدة زيادة المعنى وزيادة المبنى أم أن هناك أحوالا لا يصح القول فيها باطراد تلك القاعدة ؟ . " (٤٤)

كما استند أبو العدوس إلى ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني ، فقال أبو العدوس : " ويرى عبد القاهر الجرجاني : (أن الكناية أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح ، وأن للاستعارة مزية وفضلا ، وأن المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة ... إعلم أن سبيلك أولا أن تعلم أن ليست المزية التي تثبتها هذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره ، والمبالغة التي تدعى لها في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها بخبره ، ولكنها في طريق إثباته لها ، وتقديره إياها . تفسير هذا أن ليس المعنى إذا قلنا : إن الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كُنت عن المعنى زدت في ذاته ، بل المعنى أنك زدت في إثباته ، فجعلته أبلغ وأكد وأشد . " (٤٥)

وهذه الكنايات كلها من صميم اللغة الأدبية الفنية التي تؤكد مفهوم النص الأدبي أو مفهوم الخطاب الأدبي الذي عمل كثير من البلاغيين على تفسيره وبيان مفهومه كعملية إبداعية فنية أدبية . (٤٦) إذ " إن إنتاج المعنى لا يكون بسبب تقرير الدوال بمدلولاتها وإنما يكون من تعارضاتها المتواصلة ومن تناقضاتها ليس على المستوى النحوي البنائي ولكن على المستوى الوظيفي ، وبقدر ابتعاد الدوال عن مرجعياتها في سياقاتها الأدبية المتزاخمة ، تتمكن من تحقيق أدبية الخطاب وإثارة المتعة والإدهاش في المتلقي ، ومن هذا المنطق فإنه لا يمكن الوصول إلى معنى محدد أو الوقوف النهائي على قصد مضبوط وقطعي ويقيني . " (٤٧)

(٤٤) ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق : د. عبد الحميد هندلوي ، مج ١ ، ط ١ ، ٢٠٠١ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ٢٥ .

(٤٥) أبو العدوس ، يوسف ، المجاز المرسل والكتابة ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

(٤٦) أنظر : تحليل الخطاب العربي مرجع سابق ، بحث (مفارقة الخطاب الأدبي للمرجع) ، د. نور الدين السد ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٤٧) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩٦ .

إن اللغة الفنية ذات ألوان مختلفة من التعبير ، وذات ضروب متنوعة من البيان ، وبها ومنها " يستطيع المتكلم أن يجعلها قبله أنظاره إذا أراد صياغة المعاني في القوالب التي يراها أليق بغرضه ، وأبلغ لمقصده ، ويحرك بها ما شاء أن يحركه من شريف المعاني التي تجيش بخاطره ، وتعلق بصدوره . " ^(٤٨) وعليه والحال كذلك أن يستعين بقواعد علم المعاني التي هي تعين على " كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له ، فبه نحتز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، فنعرف السبب الذي يدعوا إلى التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والإيجاز حيناً ، والإطناب آخر ، والفصل والوصل ، إلى غير ذلك . " ^(٤٩)

إن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحاجة إلى إتقان التركيب والتشكيل اللغوي بما يوجبه الائتلاف بين اللفظ والمعنى والوزن والقافية في الشعر ، وبين اللفظ والمعنى والأداء والنبر والتنغيم في النثر ، كما يحتاج إلى تحديد الألفاظ بأن تكون سمحة سهلة مخارج الحروف من مواضعها ، عليها رونق الفصاحة ، خالية من البشاعة ، سهلة العروض والإيقاع ، عذبة الحرف سلسلة المخرج والتصريع عند وضعها كقواف في أبيات في قصيدة ، مؤدية للمعاني المعبرة عن الغرض المقصود ، فيها من المجاز ما يزينها ، وعليها من استحسان الاستماع إليها ما فيه حلاوة المنطق وطلاوة المعنى ، كتوفرها على ألفاظ مسجوعة في التركيب ، " ولا يحسن السجع إلا إذا كانت مفرداته رشيقة خفيفة على السمع ، يخلو من التكلف ، بحيث لا تأتي الألفاظ على حساب المعاني ، وأن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة ، وأن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى جديد ، حتى لا يحدث تكرار . " ^(٥٠) والتكرار المقصود هنا هو تكرار المعنى

(٤٨) لمراغي ، أحمد مصطفى ، علوم البلاغة ، مرجع سابق ، ص ٣٢٦ .

(٤٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٤٤ .

(٥٠) أبو العنوس ، يوسف ، البلاغة والأسلوبية - مقدمات عامة ، ط ١ ، ١٩٩٩ م ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ١٤٩ .

أو الصورة أو الشعور ، ويكون في عدة صور وتشكلات ، أما اللغة الفنية بشكل خاص فلا بد من أن يكون فيها التكرير - وأطلق عليه البعض من النقاد التكرار - ما يشعر باللذة والاستمتاع ، وما يفيد التوكيد والإقناع ، فأما " التكرار على مستوى الصوت ، والكلمة والتركيب فيقوم بدور كبير في الإقناع ، وله تأثيره في نفس المتلقي ، سواء أكان التأثير إيجابيا أم سلبيا .^(٥١) ، وفيها من القرائن ما يميز خصائص جودتها وسماقتها التي تدفع إلى الاستزادة والطلب لا إلى النفور والملل .

ولا شك في أن مميزات الألفاظ والمعاني تنعكس على مميزات النص التعبيرية الإنشائية ، ومنها :

- ١- الإكثار من حروف الجر ، والاعتماد عليها في تنوع المعاني والإيقاع الموسيقي .
 - ٢- الجنوح إلى الترادف والإطناب .
 - ٣- الزعة التصويرية باستخدام أنواع البديع خاصة الطباق والجناس ثم السجع القصير الفقرات .
 - ٤- الموازنة بين كل جملتين متجاورتين باستخدام كلمتين مترادفتين في نهاية كل منهما ، وهذه الحيلة الفنية لجأ إليها ابن العميد حتى يقطع طول الجملة المسجوعة .^(٥٢)
- إلا أن لهذه الطريقة الإنشائية عيوباً وحسنات ، وتأتي بدراية من المتكلم ، إذ " العناية بتميق الألفاظ عيب الطريقة الإنشائية وحسناتها في آن واحد . هي عيبها لأن المبالغة في العناية بالألفاظ من طبيعتها أن تصرف صاحبها عن تحري المعاني ، والتثبت من الحقائق ، وهي حسناتها لأن

(٥١) مجلة الموقف الأدبي ، ع ٢٤٣ ، مرجع سابق ، مقالة (مقاربة سيميائية لقصيدة عربية ، من قلم محمد عزام ، ص ١٢٤ .
(٥٢) القواسمة ، محمد عبد الله ، مقدمة في الكتابة العربية ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، دار النشر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ٥٧ - ص ٥٨ .

هذه العناية من طبيعتها أن تغزر مادة الكاتب اللفظية ، فتوارد الكلمات على سن قلمه بلا تعمل أو كلفة ، فيجري قلمه في الكتابة جري لسانه بالكلام . " (٥٣)

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه العملية الإنشائية لا بد من مرورها بمراحلها اللازمة انطلاقاً من حركية اللغة في بناء النص ، وقد أشار بعض علماء اللغة إلى هذه العملية عند إنتاج الجمل وإنتاج التراكيب اللغوية وعند إنتاج النص أو الخطاب الإبداعي ، ومن هؤلاء الجرجاني ، والآمدي ، وسوسير ، وتشومسكي ، وعلى سبيل المثال ، " توحى وجهات النظر الإجمالية لتشومسكي والمنظرين الآخرين بأن للغات تراكيب قهوى مواضع مهما كانت قابلة للحركة بكل كلمة من كلماتها ، ومع ذلك فعندما تستخدم كلمة ما لأغراض أدبية ، فإنها توضع كذلك بضمن إطار كان يحول بينهما وبين التركيب الأكبر للغة ككل ، لتقلها إلى حد ما من مكانها في المعجم والنحو وعلاقتها بالتطور التاريخي . وثمة فرق بين الكلمة التي ترد في عمل أدبي والكلمة المستخدمة في اللغة الاعتيادية يشبه الفرق بين الأشياء في الأعمال الأدبية والأشياء في العالم الحقيقي . " (٥٤)

ويتوخى من ذلك أن يكون التركيب من الكلام الحسن ، أو كما ذهب سيوييه إلى تسميته بالكلام المستقيم الحسن الذي هو : " الكلام العربي السليم الصحيح الذي يراعى في تركيبه الأصول العربية أي الكلام العربي الجيد والمستقيم . " (٥٥) كما يتوخى من ذلك أن يراعى الكاتب بين طول الجمل وقصرها ، تبعاً لأفكاره ومشاعره التي يريد التعبير عنها ، وينبغي أن تكون الجمل وسطاً بين

(53) التونسي ، محمد خليفة ، فصول من النقد عند العقاد ، ط ١ ، دوت ، مطبعة دار الهنا ، نشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المشى ببغداد ، ص ٢١٩ .

(54) كورك ، جاكوب ، اللغة في الأدب الحديث - الحداثة والتجريب ، ترجمة : ليون يوسف وعزيز عمانويل ، ط ١ ، ١٩٨٩م ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، مطبعة دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، العراق ، ص ١٥٩ .

(55) زكريا ، ميشال ، بحوث السنية ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص ٤٤ .

الطول والقصر ، كما ينبغي أن تكون الأفكار والمشاعر متوازنة ، ليكون التيسير على المستقبل في الاستماع والفهم الجيد^(٥٦)

وكون أن الكاتب لا غنى له عن تجاوز الحقيقة إلى المجاز فإنه ولا شك سيلجأ إلى أن تكون لغته الفنية مستعينة بحركية اللغة المجازية ، وإلى أنواع من التشكيلات الاستعارية ليصل إلى مراميه وأهدافه ، فيعمل على إبراز دور الاستعارة في تكوين اللغة الفنية التي يستعملها عند عملية النظم والتركيب للعبارة والنص على اعتبار أن الاستعارة هي : " تحويل للكلمة أو المصطلح من بيئة فنية إلى بيئة فنية أخرى ."^(٥٧) أما النظم فهو : " الآلية أو التقنية الفنية التي تعتمدها الاستعارة لبلوغ الفاعلية والجمال والتأثير . وهو يجد ذاته نظرية تشكيلية تعنى بخصوصية العلاقات التي تؤلف بين الألفاظ بحسب خصوصية المعاني الجائلة في النفس المنتظمة في العقل ، بحيث تكون الاستعارة من خلاله تشكيلا لغويا لمعاني الفكر والحس والشعور ، فهي لغة خاصة مولدة من اللغة ، تحقق للفظ خصوصيته مثلما تحقق للمعنى تميزه وتأثيره في المتلقي الذي يكتسب منه معرفة وإدراكا ، وذوقا يفيض به النمط التشكيلي الذي يمنح الألفاظ ودلالاتها كفاءات خاصة تدل على أن اللغة حركة خلق متجددة ، ونماء دائم في توليد المعاني وإكسابها رونقا ."^(٥٨)

وفي ضوء هذا المفهوم للاستعارة ، وعلاقته باللغة التي تتركز عليها ، فالغالب أننا في الاستعارة " لسنا إزاء طرفين ثابتين متميزين ، وإنما إزاء طرفين يتفاعل كل منهما مع الآخر ويعدل منه . إن كل طرف من طرفي الاستعارة يفقد شيئا من معناه الأصلي ، ويكتسب معنى جديدا نتيجة لتفاعله مع الطرف الآخر ، داخل سياق الاستعارة الذي يتفاعل بدوره مع السياق الكامل للعمل

(56) أبو حمدة ، محمد علي ، فن الكتابة والتعبير ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، نشر وتوزيع مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن ، ص ١٤٨ .

(57) أبو العنوس ، يوسف ، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

(58) قوقزة ، نواف ، نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

الشعري أو الأدبي . وعلى هذا الأساس فنحن لسنا إزاء معنى حقيقي ومعنى مجازي هو ترجمة للأول ، بل نحن - في الحقيقة - إزاء معنى جديد تابع من تفاعل السياقات القديمة لكل طرف من طرفي الاستعارة داخل السياق الجديد الذي وضعت فيه .⁽⁵⁹⁾

إن اللغة الفنية في هذا الحال بحاجة إلى قدر من الكفاية اللغوية لدى الأديب الذي يحاول توظيف الأسلوب البلاغي المناسب بحيث " تكتسب اللغة بوصفها تشكيلا خصائص الحركة والتحول والخلق بعيدا عن تقريريتها وما فيها من ثبات وسكون ."⁽⁶⁰⁾

وعليه ، تأخذ الألفاظ والتراكيب مكانها في النص الأدبي وهي شيء من لفظ له ظاهر ، وشيء من معنى ودلالة خلف ذلك الظاهر ، إذ " تؤثر الاستعارة في مفهوم الثقافة اللغوية ودلالاتها ، إذ إن اللغات المختلفة تعبر عن أشياء وعواطف وأفكار معينة بواسطة استعارات متعددة الأشكال ، ومتنوعة المصادر ، ومن هنا فإن الصورة الاستعارية ربما تساعد الذاكرة على التوسط في شكل العلاقة الترابطية بين الأفكار المتنوعة ، وتساعد على خلق استجابات خلاقة نتيجة لخصائص تتميز بها الاستعارات ، ومن هذه الخصائص : الإيحاء ، والملاءمة ، والابتكار ، والجدة ، والتشخيص ، ثم علاقة الصور الاستعارية بالخيال ."⁽⁶¹⁾

ومن ذلك تبدأ علاقة اللغة الفنية بتشكيلاتها الاستعارية بعاملَي الزمان والمكان بالظهور لتلقي على الصور الفنية والمضامين والدلالات سمة تجعل قيمة فنية لكل من الزمان والمكان كجزء من عناصر اللغة ، وبالتالي كجزء من عناصر النص ككل ، " وهنا لا بد من التطرق إلى ظاهرة التكثيف الزماني والمكاني في انتخاب مفردات الصورة الاستعارية وتشكيلها ؛ ففي الصورة

(59) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (الخطاب البلاغي وتأويل النص ، د. خليل عودة ، ص ٢٤٠ .

(60) قوقزة ، نواف ، نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

(61) أبو الحدوس ، يوسف ، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

الاستعارية تتجمع عناصر متباعدة في المكان وفي الزمان غاية التباعد ، لكنها سرعان ما تأتلف في إطار شعوري واحد ، وهذا هو وجه الشبه بين العمل الفني والحلم ، ففي الحلم تتحطم الحدود المكانية والزمانية ، وتصطدم الأشياء بعضها ببعض معبرة عن النزعات المضطربة في نفس الشاعر ، عن الهواجس والمطامح ، عن التفكير الذي تمليه الرغبة . إن الصورة الشعورية ينبغي ألا تنفصل عن التفكير الكلي الشامل ، وإن لم ترتبط فيها المفردات المكانية والزمانية ارتباطا منطقيا ، فإن هذا الارتباط ما يزال ولا بد أن يكون خاضعا لمنطق الشعور . " (٦٢)

حيث لا بد في هذا المقام من فهم الأسس النفسية للكاتب ، للوقوف على اللغة الفنية وحدودها التي يستخدمها ، إذ تنعكس تلك الأسس على فهم الأسس النفسية التي يتضمنها الخطاب وعلى الصفات المميزة للغة الفنية المستخدمة ، حيث " يتضمن فصل الخطاب ، من الناحية البنيوية ، عناصر إنسانية وعناصر لغوية وعناصر بيئية مجتمعة وفكرية . وللوقوف على نظم الخطاب وقواعده وأبنيته واستراتيجياته ، يقتضي فهم كل من هذه العناصر فهما شاملا . ففي مجال العناصر الإنسانية (التي تضم كلا من المرسل والمتلقي) ، ينبغي التعرف على كينونة الفرد والمصادر الفطرية والناشئة للسلوك الإنساني ، إذ إن معرفة الإنسان بنفسه ساعده على ضبط أهوائها وتوجيهها إلى طريق العمل الصالح والسلوك القويم . وفي الحديث الشريف : " من عرف نفسه فقد عرف ربه " . كما أن معرفة الفرد بالآخرين تساهم في التعرف إلى أكثر أساليب الخطاب تأثيرا فيهم . وفي مجال العناصر اللغوية (التي تضم الجانب اللفظي ، فضلا عن عناصر اللغة المكتوبة المتضمنة في المفهوم الغربي لمصطلح الخطاب) ، يقتضي فهم بعض الأسس النفسية لنظريات الخطاب والاتصال ، التعرف إلى الصفات المميزة للغة المستخدمة للتأثير في كل نمط من أنماط الشخصية الإنسانية . وفي

(62) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣٠ .

مجال العناصر البيئية المجتمعية والفكرية ، يجب الإحاطة بعلاقة اللغة بالواقع المادي والمعنوي للفرد والمجتمع .^(٦٣) إذ لا تكون اللغة لغة فنية بالمفهوم الاتصالي وبالمفهوم الإبداعى الأدبي إلا إذا اتصفت بقدرتها على نقل المشاعر والأحاسيس ، وبذلك " فإن اللغة تحقق فيه وظيفتها التشكيلية من خلال عملية التحول الجوهرى في العلاقات بين الألفاظ وفي العلاقات بين الألفاظ والمعاني على وفق أدوار تحول وتغير وتبدل وتتفاعل بما تمليه طبيعة الموقف والرؤية وتيار الصيرورة فيها . ولا يمكن لأي عنصر من العناصر أن يشكل طبيعة ذات معنى إلا حين يأتلف في منظومة العناصر المتداخلة معه في نسج العلاقات المتماسكة ."^(٦٤)

إلى جانب الوظيفة التشكيلية للغة ، فإنها تحقق العلاقة بين الكاتب والنص الأدبي ، من خلال العلاقة الناشئة بين الألفاظ والمعاني ، ومن خلال استعمال اللغة أداة للاتصال بين الكاتب والمستقبل ، " والواقع هو أن اللغة ذاتها قد حظيت باحتفال واسع من قبل نظريات النص الحديثة واختلاف المناهج في التعامل مع علم الدلالة ونظرية علم العلامات ، إلا إن هذه الاتجاهات المتباينة أكدت جميعها على أهمية اللغة التي يتموضع النص ومؤلفه داخلها . ورغم أن الحياة المعاصرة قد أوجدت أكثر من وسيلة للاتصال والتفاهم ، فقد ظلت اللغة الأداة الأولى للاتصال الإنساني ."^(٦٥) وهذا لا يعدها ولا بأي وجه من الوجوه عن علاقتها الأكيدة بالأسس والعوامل والمجالات النفسية والانفعالية لدى الكاتب / المرسل ولدى المستقبل / المتلقي ، عدا عن طبيعة اللغة نفسها كلفة تعبيرية فنية أدبية من منطلق " أن مفهوم اللغة الأدبية ، على نحو ما تم طرحه في نظرية الأدب الحديثة ، لا يعدو أن يكون في الأساس بحثاً في خصائص لغة الشعر ، وبذلك يتم اختزال

(٦٣) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (الأسس النفسية للخطاب العربي) د. عصام نجيب ، ص ٧٧ - ص ٧٨ .

(٦٤) قوقزة ، نواف ، نظرية التشكيل الاستعاري ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

(٦٥) مجلة أفكار ، ع ١٢٧ و ١٢٨ ، تشرين الأول وكانون الأول ، ١٩٩٦ م ، تصدر عن وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، مقالة بعنوان : لغة النص ، د. عبد الستار جولا ، ص ٣١ .

الأدب في أحد أجناسه ، ويغدو الحديث عن طبيعة الأدب سردا لخصائص الأسلوب الشعري .^(٦٦) لما جعل الباحثين والنقاد ، منهم الاهتمام في موضوع أسلوبية اللغة في الشعر وأسلوبية اللغة في النثر ، " وقد حاول بعض الباحثين الأسلوبيين انتزاع هيمنة لغة الشعر على مفهوم اللغة الأدبية في أفق الاهتمام بلغة النثر ، باعتبارها لغة فنية ينبغي تقدير خصائصها الأسلوبية ، غير أن هذه المحاولات ظلت سجينة المعيار الشعري في تصورها عن الأسلوب ولم تفلح في بلورة تصورها للغة النثر بمراعاة الأصول الجمالية للأجناس النثرية ، وهكذا لم يتجاوز الاهتمام النقدي بلغة النثر ، عند هؤلاء ، أفق تطبيق مقولات بلاغة الشعر على جنس أدبي نثري ذي تكوين متميز . " ^(٦٧)

لقد اهتم كثير من النقاد المحدثين بلغة النص الأدبي في دراساتهم النقدية الأدبية ، واعتبروا دراستها ونقدها ضروريا ، على اعتبار أنها عنصر من عناصر النص الأدبي ، يحدد نوعه وجنسه الأدبي ، ويدخل في تشكيل أسلوبه البلاغي الأدبي ، " ويعتبر ميخائيل باختين الناقد الأسلوبى الذي دعا بوضوح نظري إلى ربط دراسة اللغة الأدبية بأصول الجنس الأدبي ومكوناته . " ^(٦٨) لما لذلك من ضرورة تقتضيها حدود اللغة الفنية التي تشكل الجنس الأدبي ومكوناته ، كما تقتضيها ضرورة التمييز بين اللغة الشعرية واللغة النثرية ، من مبدأ " أن التراكيب التي تستعمل في صياغة الشعر تختلف عن تلك التي تستخدم في صياغة الكتابات الأخرى ، باستخدام خاص للعلامات اللغوية لإنتاج الدلالة الأدبية . " ^(٦٩) فتوصف عندئذ كل لغة بوصف أو بنوع ذلك الجنس الأدبي رغم غرضه الذي قيل أو كتب فيه . " ويمكننا القول إن تصور القدامى للغة الأدبية كان يميله اعتبارهم

(٦٦) مجلة عالم الفكر ، مج ٣ ، ع ١ ، ٢٠٠١م ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، مقالة بعنوان : البلاغة ومقولة الجنس الأدبي ، د. محمد مشبال ، ص ٧٣ .

(٦٧) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٣ .

(٦٨) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٣ .

(٦٩) مجلة أفكار ، ع ١٢٥ ، حزيران - تموز ، ١٩٩٦م ، تصدر عن وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، مقالة بعنوان : من نحو الجملة إلى نحو النص : دراسة وتطبيق ، من قلم : د. إبراهيم خليل ، (ص ٨٤ - ص ١٠٨) ، ص ٨٩ .

لغة الشعر النموذج الأعلى ، فهي تجسد المثال الرفيع للفن اللغوي الذي قامت عليه البلاغة والنقد .^(٧٠) فتوسعت مجالات الدراسات البلاغية والنقدية ، وسار الدارسون والبلاغيون والنقاد فيها حسب مفهوم اللغة الفنية الأدبية لدى كل منهم ، وحسب النشاط البلاغي والنشاط النقدي الذي كان يتمتع به كل دارس أو بلاغي أو ناقد . فميخائيل باختين مثلاً " لاحظ أنه بعد الفترة التي تعامل فيها النقاد مع لغة النثر كأفها لغة عملية تواصلية لا يصح اعتبارها فنا لغوياً ، أعقبتها فترة أصبح فيها ممكناً طرح قضايا تحليل أسلوبية النثر الأدبي أو الرواية تحديداً ، غير أن هذه المكانة التي أخذت تحتلها لغة النثر الروائي في الأسلوبية - كما يضيف باختين موضحاً - هي التي أظهرت عجز الأسلوبية التقليدية عن الإلمام بالخصائص الأسلوبية للغة الجنس الروائي ."^(٧١)

لقد ذهب بعض النقاد والبلاغيين إلى أن للغة الفنية مستويين ؛ مستوى اللغة الأولى ومستوى اللغة الثانية ، ولكن كلا المستويين لا تعجز فيهما اللغة من أن تبلغ مقاصدها ودلالاتها من خلال وصولها إلى مستوى البيان والفصاحة ، ومن خلال اشتغالها على انجاز والاستعارة والرمز ، لأن " المبدع في ذلك يوظف طاقاته الفنية من أجل الارتقاء باللغة ، إلى مستوى بلاغي يتجاوز فيه لغة النص ، أو ما نسميه اللغة الأولى ، إلى مستوى اللغة الثانية ، وهذا يرتبط بالمستوى الفني الذي يكون عليه المبدع ، ومستوى التجربة الفنية التي يعايشها (إذ اللغة - مثلاً - تعجز أن تصل إلى مستوى الاستعارة والرمز والأسطورة في المراحل الأولى التي تمثل تجربة شاعر أو كاتب أو قصاص ، فمراعاة مستويات الخطاب الشعري شيء ضروري وأساسي) ."^(٧٢) هذا بالإضافة إلى أن "

(70) مجلة عالم الفكر ، مرجع سابق ، مقال : البلاغة ومقولة الجنس الأدبي ، محمد مشبال ، ص ٦٤ .

(71) للمرجع السابق نفسه ، ص ٧٣ .

(72) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (الخطاب البلاغي وتكوين النص ، د. خليل عودة ، ص ٢٣٩ .

استخدام الرموز يؤدي حتما إلى تلاحق الألفاظ والصور التي تساعد على الإيحاء والإفضاء بما هو خاص . " (٧٣)

وتزداد قيمة اللغة الفنية في النص كلما كانت تنبئ عن وجود علاقات التضمن والعضوية (الجزء - الكل) ، وكلما كانت تبعث على الترابط أو التماسك النصي وذلك لتوافر شروط تحكم ذلك التماسك أو الترابط في النص ، وهذه الشروط هي : " العلاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل ، والتطابق الإحالي ، أي أن يكون نفس الشخص متحدثا عنه في طرفي الجملة ، وتعالق الوقائع . " (٧٤) وإذا كان ذلك في تركيب وتشكيل اللغة الفنية في النص ، فإنها لا بد أن تكون لها دلالاتها المبنية على خلفية التداول للألفاظ والعبارات والمصطلحات والمفاهيم في الوسط الاجتماعي والوسط الأدبي منه على الخصوص ، فيفهم كل من المرسل والمتلقي دوره في تجسيد ذلك التداول الذي يظهر في عدة مظاهر متخذة عدة أشكال منها السياقات والأفعال الكلامية ، والأحداث المتبادلة التداولية ، والأفعال الكلامية الكلية التي تبعث على إيجاد طرائق الإبلالية والتفاهم والتواصل بين المرسل والمتلقي . حيث يتبين من ذلك أن ما كان متداولاً من لغة فنية في الخطاب أو النص كان متناسبا مع السياقات التواصلية ذات الاتساق النصي المفهوم ، كما كان النص ذا لغة فنية تشتمل على الضمائر والإشارات والأدوات المحيلة إحالة قبلية أو بعدية إلى بعض المقاصد والدلالات في النص .

" وبالإجمال ، فإن اللغة ، باعتبارها نسقا دلاليا لفظيا استراتيجيا في التواصل الإنساني ،

تتفوق عن باقي الأنساق الدلالية الأخرى بكونها - على حد تعبير (ر . بارط) - تمدنا بالمعنى ، بل

(73) مجلة أفكار ، العددان ٨٩ - ٩٠ ، نيسان - أيار ، ١٩٨٩ م ، تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام ، مقال: البعد اللغوي في الشعر الحديث / البعد الدلالي ، د . إبراهيم خليل ، ص ٧٤ .

(74) الخطابي ، محمد ، لسانيات النص ، ط ١ ، ١٩٩١ م ، الناشر : المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ص ٣٢ .

هي نموذج المعنى ، هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، فإن اللغة اللفظية بطبيعتها تؤثر ، ووجدت لتؤثر ، فخاصية المعنى وخاصية التأثير في اللغة الطبيعية تفسران لماذا لا يخلو كلامنا من حالات الاستدلال والحاجة ، ولماذا لا تخلو أساليب التعبير والقول من أفعال استدلالية وأدوات لغوية نحوية - لسانية تفصل أجزاء الجمل وتجمعات الجمل وتستسيغها العقول والمعايير المتعارف عليها لدى جماعة بشرية معينة . " (٧٥)

فالاستدلال والحاجة المرتبط بمفصلة أجزاء الجمل وتجمعات الجمل في النص يستدعي أن يشتمل أسلوب المتكلم / الكاتب على انزياح لغوي في لغته الأدبية ليتأتى له الوصول إلى قصديته من الكتابة أو الكلام بغية الارتقاء بمستوى لغة النص وبغية الإقناع بأفكاره وعواطفه ومعانيه ، ويتحقق له ذلك في حالة نظم وقول وإلقاء الشعر ، أما النثر فإنه قليلا ما يحظى بهذه الخاصية الفنية الكامنة في اللغة الأدبية ، رغم أن " وصف أسلوبية الانزياح للغة الأدبية بأنها انتهاك لنظام اللغة العادية صوتيا وتركيبيا ودلاليا ، لا يترجم الخاصية الأدبية للأجناس النثرية ، إنه وصف لطبيعة لغة الشعر . وفي هذه الحال لا ترقى هذه الأجناس في نظر أصحاب هذا المفهوم إلى تمثيل جوهر الأدب ، ولعل هذه النظرة القائمة على أفضلية الأسلوب الشعري أن تندر ما تنطوي عليه الأجناس الأخرى من خصوصية أسلوبية . " (٧٦)

إن تدخل أسلوبية الانزياح اللغوي في النص الأدبي لا تعتمد في كل الأحوال على كامل النص أو الفقرة كوحدة واحدة لها ما لها من المعاني والدلالات ، وإنما تعتمد على مجازية الألفاظ والتعبيرات السياقية والاصطلاحية بسبب الارتكاز الكبير الذي يكون على تلك الألفاظ حقيقة

(75) مجلة عالم الفكر ، مرجع سابق ، مقال : الحجاج والاستدلال الحجاجي ، عناصر استقصاء نظري ، أ. حبيب أعراب ، ص ١٠٦ .

(76) مجلة عالم الفكر ، مرجع سابق ، مقال : البلاغة ومقولة الجنس الأدبي ، محمد مشبال ، ص ٧٢ .

كانت أو مجازاً ، وعلى تلك التعبيرات السياقية والاصطلاحية كوسائل لغوية شكلية تصل بين العناصر المكونة لأجزاء الخطاب ، وحيث إن النص يقف وراء جمالية اللغة ، إذ " لا تستمد اللغة جمالياتها من تكوينها الذاتي فقط ، أي باعتبارها أصواتاً وتراكيب ومجازات ذات طاقة تأثيرية مباشرة ولكن أيضاً من علاقتها بالجنس الأدبي الذي تدعن له في صوغ أبنيتها ، إذ تصبح اللغة بموجب هذه العلاقة في أفق جمالي جديد ، حيث يعتمد المبدع إلى نسخ خيوطها واختيار ألوانها وفق ما يقتضيه هذا الإطار من مكونات وثوابت ، على هذا النحو تتحدد جمالية اللغة وأسلوبيتها بوظائفها التصويرية في سياق جنس أدبي محدد ، وكأن طاقة اللغة في التأثير تكمن في الجنس الأدبي نفسه ، باعتباره أداة فنية متميزة يناط بها توصيل رسالة إنسانية . " (٧٧)

فالوسائل اللغوية الشكلية محكومة بالجنس الأدبي أولاً من حيث اختيارها والقدرة على توظيفها لإحداث بنية خطابية نصية لها سماتها وخصائصها الأدبية والفنية والإبداعية ، ومن حيث المعاني التي تولدها ، وفي حالة التحدث والخطاب الشفهي فإن ذلك يتجلى بوضوح لدى المتكلم ، ويكون الخطاب في معانيه أكثر تأثيراً في المتلقي ، ولذلك أسبابه وعوامله ، " وأما من الناحية البنيوية فإن أولوية اللغة المنطوقة وأساسياتها تتجلى من خلال ملاحظة الفرق بينهما بشأن إمكانات الترابط بين عناصرهما ، فبنية اللغة المكتوبة تعتمد على مميزات شكلية يمكن تحديدها . وتعتمد بنية اللغة المنطوقة على مميزات صوتية يمكن تحديدها . لكن هناك اختلافاً بين الأصوات والحروف من حيث إن ترابط الأصوات بعضها ببعض يعتمد اعتماداً جزئياً على خصائص الأصوات نفسها (تراكيب

(٧٧) المرجع السابق نفسه ، ص ٥١ - ص ٥٢ .

معينة من الأصوات لا يمكن أن يصعب نطقها) ، وتعتمد جزئياً على تقسيدها تفرضها اللغة وحدها .^(٧٨)

ويعد هذا تكيفاً لغوياً فنياً تتميز به وتختص اللغة الفنية في حالات وضعها موضع الإبداع نطقاً أو كتابة ، وهو من صفات جودتها إذا كان على درجة عالية ، بحيث يجعلها لغة قابلة للتلوين اللفظ الذي يؤدي إلى التلوين العقلي في التخيل والتصوير والتفكير ، " ويمكن أن توصف لغة ما بأنها جيدة التكيف إذا كانت فيما يتصل بالاحتياجات الاتصالية لتحديثها وافية دلالية ، أي يمكنها - دون صعوبة - أن تدل على كل الأشياء التي يجب التمييز بينها لفظياً ، وموحدة بشكل كاف ، أي تكون للغة صورة مشتركة تكون مقبولة بشكل عام من جماعتها اللغوية ، ومتفاضلة بشكل كاف ، أي أنها توفر السبل للأساليب اللغوية الدقيقة المحددة وظيفياً . " ^(٧٩)

كما أن تلك الوسائل اللغوية الشكلية في اللغة الفنية الأدبية تستطيع أن تنتقل من المستوى أو المجال التعبيري الأدبي البحت إلى المجال أو المستوى العلمي أيضاً وذلك لوجود ألفاظ وتعبيرات اصطلاحية وسياقية في هذه اللغة الفنية تتعلق بالحضارة والثقافة ، وكلاهما يتكون من شقين ؛ شق إنساني أدبي ، وشق إنساني علمي ، والرابط بينهما الزمان والمكان ، وعناصرهما تشترك في اللغة والفكر والفلسفة والمنطق ، ولذلك يقفنا الحديث عن إمكانية تحول اللغة الأدبية الفنية من المجال الإنساني الأدبي إلى المجال الإنساني العلمي ، وإلى ما بينهما من فكر وفلسفة ومنطق ، تكون إمكانية واردة ، ومحتملة إذا توافرت الموجبات والعوامل والأجواء الإبداعية لذلك ، " في حين أن الحديث عن ألفاظ الحضارة الدارجة أو المقترحة ، هو حديث عن مفردات من حيث جرسها وإيجاءاتها

(٧٨) للشايب ، فوزي حسن ، محاضرات في اللسانيات ، ط١ ، ١٩٩٩ م ، منشورات وزارة الثقافة ، ص ٤٦ .

(٧٩) كولمان ، فلورين ، اللغة والاقتصاد ، مرجع سابق ، ص ٣٢٥ .

ودلالتهما وأصولها ، وقد تجددت هذه المفردات طريقها إلى اللغة الأدبية ، كما تجدد طريقها إلى اللغة

العلمية . وتجدد طريقها "إلى اللغة الفصيحة ، كما تجدد طريقها إلى اللغة العامية . " (٨٠)

ورب ناقد أدبي أو لغوي يقول بعلمية اللغة الأدبية في نص أدبي أو فلسفي أو فكري أو

منطقي ، بالقدر الذي يقول فيه بأدبية اللغة العلمية في نص علمي موضوعه موضوع علمي بحث ،

إذ يمكنه ذلك ، فإننا نعتقد بأنه " لا تكون اللغة علمية حتى تستوعب علم وفكر الأمة ، ويمكن

الناطقين بها من أخذ العلم واستساغته ، ثم تمثله والإبداع فيه ، لذا يجب أن تتوفر فيها شروط ،

أهمها : الوضوح ، وسلامة البيان اللغوي ، والإيجاز ، والقصد إلى حقيقة الأمور ، وعدم العناية

الكبيرة بالشكل ، والمنطقية ، والشمولية ، إضافة إلى وحدة المفهوم التركيبي للجملة

العلمية . " (٨١)

وليس في هذا المقام مجال للحديث عن اللغة العلمية وتحديددها ووصفها ، لأنها لغة تقريرية

معلوماتية أكثر منها لغة أدبية ومجازية ، ولا مجال فيها لتعدد معاني النص الواحد ، وخطابها خطاب

تغلب عليه سمات المنطق ، في حين أن الخطاب الأدبي يسير بأسلوبه ومضامينه بحسب اللغة الأدبية

التي كانت وسيلته وأداته ، ولذلك رأى كثير من العلماء أن " اللغة في الخطاب هي أساس المعنى

ومعنى المعنى ، واللغة نظام من الإشارات التي تعبر عن الأفكار ، وإن استقراء الظاهرة اللغوية دعا

الباحثين إلى اشتقاق بعض الشائيات التي عدت مرتكزات أساسية في البحث اللساني الحديث

(٨٠) مجلة مجمع اللغة العربية ، ع ٣٦ ، كانون - حزيران ، ١٩٨٩ م ، مقال : حول معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي ، د . عبد الكريم خليفة ، ص ١٢ .

(٨١) مجلة التراث العربي ، مرجع سابق ، ع ٤٢ - ٤٣ ، كانون الثاني - نيسان ، ١٩٩١ م ، مقالة : اللغة العربية والاصطلاح العلمي ، د . وليد سراج ، ص ١٤٢ .

وأهمها : اللغة والكلام ، التزامن والتعاقب ، الدال والمدلول ، علاقات التابع ، وعلاقات الترابط ،

وهذه الثنائيات سهلت العملية الوضعية الاستقرائية للظاهرة اللغوية وضبطتها . " (٨٢)

وذهب الكثير من النقاد والأدباء واللغويين إلى أن اللغة الأدبية الفنية لا تتوقف عند حدود

المعنى المعجمي ، وإنما تعتمد على ميل الكاتب وقصديته في بث معنى المعنى في التاج أو الخطاب

أو النص الأدبي ، واعتبروا " أن البحث عن المعنى ومعنى المعنى في الخطاب الأدبي هو حمل

الظاهر على المحتمل المرجوع بدليل يصيره راجحا ، ويكون ذلك بالبحث في الاحتمال الذي

يحتمله اللفظ أو الدال وتجاوز المدلول كما تحدده المعاجم ، لأن المعاجم تقيد المعنى وتحد من

انطلاقه بينما السياقات الأدبية والأنساق الفنية والجمالية تمنحه فرصة للتمويه والاختفاء ،

والمتلقي مطالب بإدراك المعنى المموه والمخفي وذلك ضرب من اللعب الجاد الذي يظهر المتلقي

من خلاله قدرته على فك أسرار تقنيات لعبة الخطاب الأدبي . " (٨٣)

وقد يبلغ الكاتب أو المتكلم أهدافه باللغة الفنية التي استخدمها في إنتاج النص أو

الخطاب ، وقد لا يبلغ ذلك ، وغالبا ما يتوقف الأمر على قيمة اللغة أدبيا وفنيا وجماليا ووظيفيا ،

وعلى ثقافة المتلقي اللغوية والأدبية والفنية والجمالية ، رغم " أن اللغة التوصلية المباشرة تحاول أن

تكون وفية في التعبير عن الواقع والأشياء ، وتحاول أن تقدم الدلالة عارية ومطابقة ، بينما اللغة في

الاستعمال الأدبي تقوم على الدلالة الإيجابية ، وهذه تحقق الوظيفة الجمالية للخطاب الأدبي وتحقق

من خلال ذلك الوظائف الانفعالية والتأثيرية وتجعل المتلقي يشارك في إنتاج المعنى . فوفاء اللغة

للمرجع والتزامها بالذهاب إلى توصيل معناه بصورة مباشرة هو ما نطلق عليه المعنى . وعدم وفاء

(٨٢) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (مفارقة الخطاب العربي للمرجع) ، د. نور الدين السد ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٨٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٠١ .

اللغة بتقديم المرجع بصورة مباشرة واللجوء إلى الإرجاء والتمويه على المعنى المباشر هو الذي يطلق عليه معنى المعنى ، لأن المتلقي يشارك في إنتاج المعنى ولا يستهلكه جاهزا .^(٨٤)

فالكاتب دائم التفكير في موضوعه قبل كتابته ، سواء أكان ناثرا أم شاعرا ، إلا أنه عند ابتداء مرحلة الكتابة أو مرحلة الكلام يحصر تفكيره في نطاق المعاني والأفكار والمعارف والمعلومات أكثر مما يحصر تفكيره في اللغة الفنية التي يتوصل بها إيصال رسالته إلى المتلقي ، وتبدأ في هذه المرحلة كفايته اللغوية وقدرته اللغوية وسليقته اللغوية بالتفاعل والتدخل في عملية إنتاج الخطاب أو النص ، ويبدأ أسلوبه بالتميز تدريجيا حتى يتجلى ويظهر بما فيه من قوة وسلاسة أو ضعف وركاكة ، رغم أن التفكير لم يتوقف عند الكاتب ، ولكنه كان في معظم تركيزه على الفكرة أكثر من اللغة . ولكن الشاعر يختلف عن الناثر قليلا في هذا الأمر ، وذلك لأن تفكير الشاعر المتصل اتصالا مباشرا مع العواطف والمشاعر أكثر من الفكرة والمعلومة ، وتفسير ذلك أنه " من الطبيعي أن تتركز وظيفة التفكير الفني في بناء النص الشعري بناء جماليا ، وما يقتضيه ذلك من التجانس والانسجام والاتحاد واللياقة والتكليف الدلالي ، وما إلى ذلك من خصائص اللغة الشعرية ، كل ذلك يحتاج إلى قدر من التقريب والجهد والمعاناة التي تمكن من اختيار أحسن العناصر اللغوية التي يتشكل منها الإبداع ، ويكون أداؤها أداء جماليا ، ويتفاوت الشعراء في ذلك كل بحسب موهبته وقدراته الإبداعية . " ^(٨٥)

فالمشكلة عند الشاعر أكبر منها عند الناثر ، لأن الأول محكوم بعدة أحكام وقواعد أخرى تكون هي المعايير الفنية الأدبية الجمالية التي تتحكم في نتاجه الشعري ، كالإيقاع والموسيقى

(٨٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩٧ .

(٨٥) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (الخطاب النقدي وآليات الإبداع الشعري) د . حامد صالح خلف الربيعي ، ص ٣٣٠ .

والأخيلة والصور الشعرية والعواطف والانفعالات الوجدانية ، وهذه المعايير نفسها موجودة عند النائر ونتاجه محكوم بها أيضا ، إلا أنها تكون في درجات - في كثير من الحالات الإبداعية النثرية - أقل من درجتها عند الشاعر ، شريطة أن يكون شاعرا مبدعا لا شاعرا يدعي الشعر والشاعرية ويزعمهما .

وتزداد المشكلة صعوبة إذا لم يدرك المتكلم / الكاتب (الشاعر أو النائر) كيفية فهم أنظمة ومستويات اللغة التي يستعملها كلغة فنية وليس كلغة عادية متداولة بالصورة الوظيفية الاجتماعية بين الناس ، إذ إن التواصل العادي بين الأفراد في المجتمع الواحد لا يتطلب وعي وفهم وإدراك هذا الأمر وما يتعلق به من أحكام ومعايير ، مع أن الأمر يخفف من المشكلة أو يحلها أو يلغيها إذا كان مستوى لغة التواصل مستوى عاليا ، وإذا كان للغة دور في إظهار أنظمتها التركيبية والتعبيرية التي يعيها الفرد المبدع في المجال الأدبي والثقافي في المجتمع ، وذلك لأن " اللغة أكثر أنظمة التعبير تعقيدا وأهمها في التعبير عن فكر الإنسان ، وهي أكثر الأنظمة اكتمالا وملاءمة بما تحمله من ثراء في الدلالة . " ⁽⁸⁶⁾ فتصبح بذلك اللغة ذات خصائص ومميزات كامنة في ذاتها وفي الجمل والتراكيب والعبارات والفقرات والنصوص التي توظف فيها تلك اللغة ، وتحول بتلك الخصائص والمميزات من اللغة العادية إلى اللغة الفنية التي تشتمل على أمارات وعلامات ودلائل وإشارات وحركات لغوية تشير إلى أنها فعلا لغة فنية أدبية أدت وظيفتها الإيصالية الإبلاغية والإتصالية الاجتماعية والجمالية الإبداعية ، هذا بالإضافة إلى أنه " تكمن ميزة اللغة في أنها تشمل دلالة العلامات المفردة ودلالات الخطاب في وقت واحد ، ومن هنا ، تستمد قدرتها الفائقة على خلق مستوى ثان من

(86) تحليل للخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (مفارقة الخطاب الأدبي للمرجع) د. نور الدين السد ، ص ٢٠٠ .

القول ، يمكن من صياغة قول دال حول الدلالة نفسها ، ونجد في هذه الملكة الميتالغوية أصل علاقة التفسير التي تجعل اللغة قادرة على استيعاب الأنظمة الأخرى . " (٨٧)

وبسبب من قدرة هذه اللغة الفنية على استيعاب الأنظمة الأخرى ، وعلى الأداء الوظيفي لها ، وبسبب من ما مسحت به الخطاب من صور ومجازات وبيان وإيقاع ، فإن الخطاب / النص يكون بالضرورة خطابا بلاغيا ذا مستوى تأثيري إقناعي وجمالي إبداعى له خصائصه ومميزاته الفنية الأدبية، لأن لغته كانت كذلك ، ولزيد من توضيح هذه الصورة التي هي في الأصل كانت صورة من صور لغة الخطاب ، فإنه " يمكن تحديد مستويات الخطاب البلاغي ، وفق تطورها في النص الأدبي ، ومراحل إنتاج الأديب ، في ثلاثة مستويات :

المستوى الأول : الصورة المفردة

المستوى الثاني : الصورة المتداخلة (المركبة)

المستوى الثالث : الرمز والأسطورة " (٨٨)

وتفسير ذلك أنه " في المستوى الأول ، تتوارد الصور المفردة في تشكيلاتها التقليدية المحددة (تشبيه - مجاز - كناية) وتشكل وسيلة خطاب أولى في النص الأدبي ، وهي مرحلة يقف فيها المبدع عند حد إثارة إعجاب المتلقي ، من حيث عقد مقارنات بين صور قريبة أو متباعدة ، والخروج باللغة من مستواها المعجمي الثابت إلى مستويات فنية جديدة . وهذا المستوى نجده بشكل واضح في المراحل الأولى من إبداع الأديب ، وقد يقف عند هذا المستوى من دون تطويره ، أو يكتفي به على اعتبار أنه وسيلة تعبير وحيدة في خطابه البلاغي . " (٨٩)

(٨٧) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٠٠ .

(٨٨) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (الخطاب البلاغي وتأويل النص) د. خليل عودة ، ص ٢٤٢ .

(٨٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٢ .

وكلما كان الكاتب حاذقاً في تكوين الصور الفنية المفردة ، وقادراً على التأليف بينها باللغة ذات المستويات الفنية التي توضح المقارنات بين تلك الصور ، فإنه ينتقل بعمله الأدبي إلى المستوى الثاني من مستويات نصه الأدبي ، وهو المستوى المتعلق بتداخل الصور الفنية في النص الأدبي ، وهو المستوى الذي " يتمثل في تداخلات الصور وتركيبها بمعنى أن الصورة البلاغية المستقلة لا تشكل وحدة خطاب قائمة بذاتها ، وإنما تتداخل مع غيرها من الصور بشكل يجعل عملية الإرسال أوسع وأشمل ، وبالتالي تضع المتلقي أمام احتمالات مختلفة من التأمل والتفكير والوعي بأبعاد الفكرة التي يخاطب بها الشاعر خياله . " (٩٠)

في حين أن المستوى الثالث المتعلق بالرمز والأسطورة فإنه ينتشر بكل عناصره وأرهافاته ومعطياته اللغوية والفلسفية والفكرية والمرجعية الثقافية والدلالة المشتملة على ما وراء المعنى وما وراء معنى المعنى ، مما يبعث على الحاجة إلى اللجوء إلى التأويل وفك شيفرة الرمزية للوصول إلى جوهر الأسطورة وأبعادها ، ومما يحدث في كثير من الأحيان تداخلاً في الصورة الأدبية والفنية التي رسمتها تلك اللغة الفنية الأدبية التي شكلت النص الأدبي . " وهذا التداخل في تركيب الصورة ، والتنامي في تكوينها ، يدفع بالخطاب البلاغي نحو اتجاه تطوير النص فنياً ، فالأديب لا يكفي بمجرد عرض الصورة ، أو وضع خطواتها العامة في قالب من التشكيلات الفنية المعروفة ، وإنما ينتقل بها إلى مرحلة أكثر عمقا ، تكون فيها الصورة بتداخلاتها وسيلة خطاب جديدة ، وتنتقل بالمتلقي من مجرد الإعجاب بالصورة ، إلى الانفعال بها ، والاندماج فيها " (٩١)

(٩٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٥ .

(٩١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤١ .

ومن صور التداخل الذي يحدث بين مكونات اللغة الفنية ما يظهر في التجارب الأولى لدى الكتاب ، ولكن مع الزمن وتكرار تلك التجارب والتعمق في استخدام المجاز والرمز والأسطورة ، تبدأ تلك الصور التداخلية بالانحسار ، إلا إذا ظل الأديب متقوقعا في ظل ثقافة متجمدة وفي ظل لغة أدبية متحجرة ، وفي ظل استخدام الأساليب التقليدية في الخطاب ، مما يسيء إلى التجربة بالكامل ، وتبقى اللغة بعيدا عن مستويات اللغة الفنية ، وبذلك تتأثر تلك اللغة وتنحدر إلى درجة فيها من العجز ما يجعلها سطحية لا عمق فيها " إذ اللغة - مثلا - تعجز عن أن تصل إلى مستوى الاستعارة والرمز والأسطورة في المراحل الأولى التي تمثل تجربة شاعرا أو كاتب أو قصاص . فمراعاة مستويات الخطاب الشعري شيء ضروري وأساسي . " (٩٢)

أما إذا استثمر الأديب تجاربه الأولى في التعامل مع اللغة الأدبية في إنتاج النص الأدبي ، إلى أن يصل إلى إنتاج النص الأدبي في المستوى الإبداعي ، فإن الانعكاس الإيجابي يبدأ بالظهور تدريجيا على اللغة الفنية فيه ، وتبدأ حدود تلك اللغة تتحول إلى معايير وخصائص وسمات فنية إبداعية تحكم تلك اللغة وتسمها ، بغض النظر عن الأبعاد التي يرمي إليها الكاتب أو النص ، واحتمالية حركية اللغة الإبداعية تصبح واضحة في أثرها الذي يبعث على وجود التناسق النصي والانسجام في المعنى والتوافق في الدلالات ، والتابع في الصور " ومع ذلك هناك أبعاد واحدة في كل خطاب بصرف النظر عن أنواعه وانتمائه الحضاري . هناك مستوى اللغة ، حقيقة أو مجازا ، كلاما أو إشارة ، ألفاظا أو علامات . وهناك مستوى المعاني سواء أكانت مستقلة عن الألفاظ أم مرتبطة بها ، وسواء أكانت مطلقة أم نسبية ، اصطلاحية أم عرفية . وهناك مستوى الأشياء التي تحتل إليها اللغة ، العالم خارج

(٩٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤١.

الكلام ، والواقع خارج الألفاظ والذي يمكن أن يكون معيار لصدق الخطاب ، سواء أكان هذا العالم الخارجي عالم الأشياء أم عالم الأفعال .^(٩٣)

ومن خصائص اللغة الفنية أنها توفر للنص والتركيب سلطة سماها النقاد سلطة الخطاب ، واعتمدوا لها شرعية دعوها بشرعية سلطة الخطاب ، وهي " تستمد من تشكيله اللغوي ومكوناته البنيوية والوظيفية ومن صناعته الفنية وأبعاده الجمالية ونسيجه الأسلوبي وما يحققه من انتهاك للسياق المتواتر والمحدود فيجسد نظامه وفق أنساقه العلامية ، وهذا ما يجعل أدبيته علامة مميزة لتشكيل كلامه في بنية الخطاب . " ^(٩٤)

إن اهتمام الأوائل باللغة الأدبية الفنية صياغة ونظما وأداء ومعاني ومقاصد ودلالات كان بالغاً وموسعاً ، لأن النظر إلى اللغة كان مستنداً إلى ما تحقّقه تلك اللغة من خصائص ومميزات وسمات للعمل الأدبي الإبداعي مهما كان تشكيله اللغوي أو مهما كان شكله الإبداعي أو مهما كان مضمونه ومشمّله ، ومن ذلك الاهتمام نشأ ما يسمى بالمعايير ، سواء المعايير الواجب الأخذ بها في إنتاج النثر أو في إنتاج الشعر ، ودرج بعض النقاد على إصدار أحكامهم في ضوء تلك المعايير التي وضعوها وارتأوا أنها ستكون موجهة وقائدا للكتاب والأدباء والشعراء تقودهم وترشدتهم إلى تجنب ما لم يتطابق أو يتوافق أو يتسق أو ينسجم أو يتلاءم أو يتناسب مع تلك المعايير التي عدت عند البعض منهم أحكاماً لا يجوز الخروج عليها . وكل ذلك بسبب من اللغة الفنية وما تتطلبه معايير صياغتها ، فمثلاً ، إن " الصياغة اللغوية عند ابن طباطبا مقصودة لذاتها ، باعتبارها تشكيلاً فنيا تظهر فيه براعة الصانع (الشاعر) ، وذلك ما أكد عليه حين قال : (فواجب على صانع

(٩٣) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (تحليل الخطاب) د. حسن حنفي ، ص ٢١ .

(٩٤) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (مفارقة الخطاب الأدبي للمرجع) ، د. نور الدين السد ، ص ٣٠٤ .

الشعر أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة مقبولة حسنة ، متجلية لخبّة السامع له ، والناظر بعقله إليه ؛ مستدعية لعشق التأمل في محاسنه ، والمتفرس في بدائعه ، فيحسه جسما ويحققه روحا ، أي يتقنه لفظا ويبدعه معنى ، ويجتنب إخراجَه على ضد هذه الصفة فيكسوه قبحا ويبرزه مسخا ، بل يسوي أضداده وزنا ، ويعدل أجزائه تأليفا ، ويحسن صورته إصابة ، ويكثر رونقه اختصارا ، ويكرم عنصره صدقا ، ويفيده القبول رقة ، ويحصنه جزالة ، ويدينه سلاسة ... ويعلم أنه نتيجة عقله وثمره ليه وصورة علمه ، والحاكم عليه أوله . " (٩٥)

وكما تكون القدرة لدى منتج النص على تنظيم الأفكار ، فإن الضرورة تقتضي أن تساعدَه لغته التي يستعملها في نتاجه على تنظيم الأفكار ، أي أن تكون اللغة قادرة من سعتها على تنظيم الأفكار " تنظيما يجعلها قادرة على أن تستولي على أبواب القارئ ، وتصير بهم إلى النتيجة التي يريد الكاتب أو المتكلم أن يصل إليها معهم وبهم . " (٩٦)

وإذا ما كانت اللغة الفنية ذات معانٍ وصور وأخيلة تناسب في ذاكرة المتكلم أو الكاتب انسيابا دالا على أنها كانت مخزنة في ذاكرته ، وأنها كانت جزءا من خبرته وتجربته ، فإنها تكون اللغة المناسبة لأن تحقق البعد السلوكي الإنساني الفعال من منطلق أنها لغة إنسانية وأداة اتصال بين المرسل والمستقبل ولها تأثير إنساني واجتماعي ، فهي الفاعل الأول والخطاب أو النتاج هو الفاعل الثاني ، لأن " اللغة اتصال ، والاتصال بين الذوات ، والذوات أعضاء في مجتمع وفي نظام سياسي ، الغرض منه الترابط الاجتماعي ، والصراع أحد مظاهره ، أو التأثير في الناس وتوجيههم كما هو الحال في الخطاب الايديولوجي ، يكشف الخطاب عن صراع الأهواء والمصالح والإرادات والقوى

(٩٥) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (الخطاب النقدي وآليات الإبداع الشعري) د. د. حامد صالح خلف الربيعي ، ص ٣١٩ .

(٩٦) استثنائية ، سمير شريف ، علم اللغة التعليمي ، مرجع سابق ، ص ١٤٢ .

الاجتماعية والتنظيمات السياسية في حراك اجتماعي بالرغم مما قد يبدو على المجتمع من فترات سكون وحركة تاريخية تدفع بالمجتمع إلى الأمام أو تجذبه إلى الخلف في مسار تاريخي يحكمه قانون التاريخ .^(٩٧) وهذا بعد من أبعاد اللغة الفنية الأدبية التي تؤثر في السلوك الإنساني ، حيث إن القدرة على التأثير في هذه اللغة ترتبط بعناصر تكوين المجتمع والفرد جزء من هذا المجتمع ، " وقد أبرزت بعض الدراسات المعاصرة هذا البعد السلوكي للخطاب فاللغة ايديولوجية وقوة ، والخطاب يهدف في النهاية إلى التغيير الاجتماعي والثقافي ، لذلك كان تحليل الخطاب جزء من الوعي النقدي للفرد ومرآة للصراع الاجتماعي ويمتاز هذا البعد السلوكي للخطاب بأنه إنساني فعال يهدف إلى التطوير والتغيير ويقضي على الخطاب النظري المجرد المغلق على ذاته ، ويميز بين الوسيلة والغاية ، ولكنه أحيانا يوحى بالقهر والالزام والأمر الخارجي ، فيضيع السلوك الطبيعي بين الأمر والمأمور . وصيغة الأمر في العربية ثقيلة على النفس . وكثيرا ما تصطدم بالشعور بالحرية . " ^(٩٨)

ومع هذا ، فإنه لا بد من أن يكون في اللغة الفنية وجوه من البلاغة والتأثير ، أي أن يكون المتكلم ذا ملكة بلاغية ، وهي " ملكة يقتدر بها على التصرف في فنون الكلام وأغراضه المختلفة ، ببديع القول وساحر البيان ، ليبلغ من المخاطب غاية ما يريد ... " ^(٩٩) ومن عوامل اكتساب هذه القدرة أن المتكلم كان قد اكتسب القدرة على صياغة الأنماط اللغوية الراقية وابتكارها لتكون جزءا مهما من أسلوبه الذي يوصف بالبليغ ، " ولذلك ما كان لأحد أن يكتب بلغة جيدة ، وأسلوب بليغ ، لولا أنه يملك القدرة على ذلك ، لولا أنه تفرس بكتابة هذه الأنماط الراقية ، وعبر بها عما يريد . " ^(١٠٠) فقدورته النابعة من ملكته البلاغية تتعلق بفهمه لأسرار الكلام ، والقدرة على

(٩٧) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث(تحليل الخطاب) ، د. حسن حنفي ، ص ٢٥ .

(٩٨) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٣ .

(٩٩) المراغي ، أحمد مصطفى ، علوم البلاغة ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(١٠٠) استيتية ، سمير شريف ، علم اللغة للتعليم ، مرجع سابق ، ص ١٤١ .

التشبيه والتصور ، والقدرة على تحديد المعاني وتحليلها والشعور بها ، والقدرة على تخير العبارات الحسنة المتزنة التي تخرج اللفظ ذي المعنى من حيز إلى حيز نصي إبداعى آخر . وإذا ما تم ذلك فإن الغموض ينأى عن النص أو الفكرة أو المعنى ، مما يميز أسلوب الكاتب أو المتكلم في ذلك النص أو الخطاب بلغة فنية غير مغلقة ومنفتحة على الآفاق الموحية بما وراء المعنى أو ما يسمى بمعنى المعنى أو ما يقصد بالدلالة أو ما يسمى بما وراء الكلمات أو ما وراء السطور ، لأن تلك اللغة الفنية التي استخدمها الكاتب أو المتكلم موحية تغوص في الأغوار وتمتد إلى أبعاد تأثيرية فكرية شعورية تصويرية فيها من الألوان والظلال ما يجعل السامع أو القارئ ينسجم مع النص مهما كان موضوعه.

وتوصف اللغة الفنية بأنها ذات أبعاد تلتقي مع الواقع في عالم الأفعال ، وفيه " البعد الإنساني للخطاب الذي يبين أن الخطاب ليس مجرد صياغة لغوية ، (البعد الأول) ، وليس التعبير عن معان ، (البعد الثاني) ، وليس التحقق من صدقه في الواقع ، (البعد الثالث) ، بل هو اقتضاء فعل كما يقول الأصوليون ، نداء لسلوك، توجه نحو الممارسة ، ودافع للحركة والتغير الاجتماعي . " (١٠١)

ولا تخلو هذه اللغة الفنية في ضوء هذه الأبعاد من " استخدام الأدلة والبراهين والإثباتات والشواهد استخداما دقيقا ، بحيث لا يوضع الدليل في غير موره ، ولا يدفع الشاهد إلى غير موطنه ، وبحيث يكون البرهان قاطعا فغي الدلالة على ما يبرهن به عليه ، وبحيث يكون الإثبات غير قابل للاحتمال الذي يصرفه عن أن يكون إثباتا معقولا . " (١٠٢)

(١٠١) تحليل الخطاب العربي ، مرجع سابق ، بحث (تحليل الخطاب) ، د. حسن حنفي ، ص ٣٢ .

(١٠٢) استنبطية ، سمير شريف ، علم اللغة التعليمي ، مرجع سابق ، ص ١٤٢ .

فهذه الأدلة والإبانات والشواهد والبراهين تعد جزء من كيان لغته الفنية الكلي في أعماله الأدبية ، ويتوخى فيها جودتها وبلاغتها لغة واستعمالا ، كما أنها تثبت سلامة وصحة وقوة الكلام الذي يشكل النص ، حيث إن " سلامة الكلام التي هي سبب صحته وقوته هي أن يكون الكلام بحيث يشير إلى المبادئ والدلائل ، ويرمز إلى اللوازم والتوابع ، وبقيود الموضوع المحمول وكيفية يومئ إلى رد الأوهام ودفع الشبهات ، كأن كل قيد جواب لسؤال مقدر . "(١٠٣) وقد تطرق ابن خلدون في مقدمته إلى هذا الموضوع ، وعلل بعض القضايا اللغوية والأدبية المتعلقة به ، إذ يرى أن العلاقة بين الألفاظ والمعاني تتجلى في صناعة الكلام وتأليفه من حيث إن الألفاظ قوالب للمعاني ، وكذلك لأن " جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه ، باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها ، وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه ، على مقتضى ملكة اللسان ، إذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن ، بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه . "(١٠٤)

وينطلق ابن خلدون في مقولته السابقة من أن " اللغة في المعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها ، وهو اللسان . "(١٠٥)

واللسان فيه كل معطيات ومكونات وعناصر اللغة الفنية الأدبية التي لا يكون النص أو النتاج أدبيا فنيا إبداعيا إلا بها ، وتكون هذه اللغة الفنية لها مفهومها الواضح وحدودها المرسومة

(١٠٣) الإعجاز اللغوي والنحوي في القرن الكريم ، تحقيق : إحسان قاسم الصالحي ، ط ١ ، ١٩٩٦ م ، مطبعة النهضة ، بغداد ، العراق ، ص ١٥٦ .

(١٠٤) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، ١٤٠٦ م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٥٩٦ .

(١٠٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٥٦٥ .

وخصائصها ومميزاتها التي تختص بها وتميزها من اللغة المحكية العادية ، وما على الأديب في الشعر أو النثر وفي جميع الأغراض الأدبية وفي جميع مجالات الإبداع الإنساني إلا أن يكون فاهما وعارفا وواعيا ومدركا لكل هذه الأمور وبدرجة عالية من الفهم والوعي والإدراك والمعرفة والخبرة والممارسة لينتج ما تسمو به الذائقة الأدبية في عمليات إنتاج الأدب ، والذائقة الأدبية لدى المتلقي في عمليات الاستقبال والتحليل والتفسير والتأويل والنقد والتذوق الأدبي لكل ما يتلقاه ويستقبله ، عندئذ تكون تلك اللغة الفنية الأدبية قد استحققت تلك الخصائص والمميزات والحدود الأدبية بمقدار ما كانت فاعلة ومؤثرة في الثقافة المجتمعية والحضارة الإنسانية .

وبعد ، فما على الناقد اللغوي والناقد الأدبي إلا أن يكون ممتلكا لأدواته النقدية ولأساليبه النقدية الأدبية ، وأن يكون قادرا على إمطة اللثام عن تلك اللغة الفنية الأدبية وما اتسمت به من سمات وما اختصت به من خصائص وما حدث به من حدود ، عند قيامه بأية دراسة نقدية أدبية أو دراسة نقدية لغوية لأي عمل أدبي أو مجموعة أعمال أدبية صاحبها واحد ، وكما هو الشأن في هذه الأطروحة التي تهدف إلى دراسة اللغة الفنية في أعمال ونتاجات ناصر الدين الأسد الكاملة .

المبحث الثاني

خصائص اللغة الفنية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية

يمر الأديب كاتباً كان أو شاعراً بعدة مراحل تشكل عمره الأدبي ، كمرحلة النشوء ، ومرحلة التكوين ، ومرحلة الارتقاء ، ومرحلة النضوج والاستواء على السوق . وفي كل مرحلة من هذه المراحل يجد نفسه في مستوى أدبي له درجاته وخصائصه . ويجري هذا على كل مجالات الأدب التي يخوضها ، كما ينسحب على كل عناصر ومكونات مادته الأدبية التي أفرزتها حياته الأدبية . وكل أديب ناجح مدرك لرسائله الأدبية ، فإنه - لا بد في بعض المخطات من عمره الأدبي - يتوقف ليتأمل المراحل التي مر بها ، ويتفحص النتاج الذي أنتجه ، ويراجع فكره وفلسفته وثقافته ، ويدقق ويتحقق من أدواته التي استعملها في هذه النتاجات ؛ كاللغة الفنية الأدبية التي استخدمها في الشعر إن كان شاعراً ، أو في النثر إن كان ناثراً .

وفي كل ذلك تقف اللغة الفنية الأدبية في قيمتها اللغوية الشفهية والمكتوبة على رأس مكونات أي عمل من هذه الأعمال التي يضعها الأديب بين يديه وبين يدي غيره من الناس في هذا العالم .

وفي كل مرحلة من مراحل عمره الأدبي ، تأخذ هذه اللغة الفنية الأدبية موقعها الدال على مستواها الأدبي الإبداعي والفني ، بحيث يعرف ذلك المستوى في أي مرحلة من تلك المراحل من خلال خصائصها وسماتها ومميزاتها التي جعلت منها لغة تستحق أن تكون أداة أدبية فنية تضيف على

أي خطاب أو نص أو نتاج أدبي صفة الأدبية المصبوغ بالصبغة الفنية ذات الوظائف الاجتماعية الاتصالية التواصلية والثقافية والحضارية .

وبعبارة أخرى ، تظهر تلك اللغة الأدبية الفنية مادة من مواد الأديب التي يستقيها في المرحلة الأولى من مراحل نشأته التعليمية ، وما بعدها من مراحل حياته الأدبية ، ليصنع من نفسه الأديب الذي يقنع نفسه وذاته بمقدار ما يقنع الآخرين بشخصيته الأدبية وبالأدب الذي صدر منه وصدر عنه وأنتجه . وفي جميع الأحوال تظل لغته الفنية الأدبية في تطور مستمر إلى أن تتسع الدوائر التي تدور فيها خصائصها ومميزاتها وسماها اللغوية والفنية والأدبية والوظيفية بشكل ملحوظ ومفهوم ومحكوم بعدة معايير لغوية وأدبية ونقدية وثقافية ، وبوضع يسمح بدراستها والبحث فيها والوقوف على كل جوانبها ومجالاتها وخصائصها .

وقد وقف الدكتور سمير قطامي على رأي للدكتور ناصر الدين الأسد حول قضية مادة الأديب ، حيث قال الدكتور القطامي ^(١٠٦) : " أما ناصر الدين الأسد فقد طرح قضية : (من أين يستقي الأديب مادته ؟) ونص على أولئك الذين يظنون أن قراءة الشعر والأدب القديمين يمكن أن تجعل الناس شعراء وأدباء ، فالشاعر في نظرهم ما عليه إلا أن يعرف التفاعيل ويصب الألفاظ حسب وزن التفاعيل وهكذا يصبح شاعرا . فالأديب والشاعر في مفهوم الأسد هو شخص جباه الله دون غيره بنعمة الأدب ، فارتاد الآفاق وأخرج لنا نتاجا عذبا ، فهناك إذن جانبان : جانب الهي أو طبعي كامن في نفس الأديب مذكى يخلق وجانب مكتسب بالمزاولة والمران والدراسة ... وبالناحية

(106) قطامي ، سمير ، الحركة الأدبية في شرق الأردن منذ قيام الإمارة حتى سنة ١٩٤٨ م ، ط ١ ، ١٩٨١ م ، من منشورات وزارة الثقافة والشباب ، عمان ، الأردن ، ص ١٧٠ .

الثانية يفرز الأدب ويعمق ... فالأدب عنده إلهام وتجربة وإحساس وليس قوالب مصفوفة صماء ...

كما يشير إلى أثر البيئة في الأدب ، ويهاجم منتحلي الأدب وأدعياءه . " (١٠٧)

لقد اهتم النقاد القدامى بالأدب وأدواته ومعاييرها الفنية الأدبية ، وبالأديب الذي ينتج ويصنع الأدب ، ومن هؤلاء النقاد الجاحظ الذي " ينظر إلى الفعل الكلامي والأدبي نظرة شاملة تجمع بين عناصره وأجزائه ، فهو الذي يقول في (البيان والتبيين) : (أجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا كاملا وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان) ، ويقول الجاحظ : (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخفيف اللفظ وسهولة المخرج ، وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة من النسيج ، وجنس من التصوير) . " (١٠٨)

إن امتداد مدرسة الجاحظ إلى هذا العصر من حيث الزمان ، وإلى جميع أرجاء العالم العربي وإلى أوروبا من حيث المكان ، ليس بالغريب ولا بالمستهجن أو الصعب . وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الكريم خليفة : " مدرسة الجاحظ والمدارس الأدبية الأخرى قد انتقلت إلى أوروبا وعادت لنا بأثوابها ، فكثيرا ما كان يستشهد الدكتور طه حسين بأن الكاتب الشاعر الفرنسي (بوالو) - وهو من عصر التنوير ولد في القرن السابع عشر وتوفي في بداية القرن الثامن عشر - إنما يردد نظرية الجاحظ عن العلاقة بين المعنى واللفظ ، وكيف أنه إذا كان المعنى واضحا في

(١٠٧) اعتمد الدكتور سمير قطامي في هذا النص على ما ورد من قول يتضمن هذه المعلومات والأفكار والآراء للدكتور ناصر الدين الأسد ، والمنشورة في صحيفة الجزيرة الصادرة بعمان ، الأردن ، بتاريخ ١٨ / ٥ / ١٩٤٠ م .

(١٠٨) مجلة أفكار ، ع ١٤٦ ، تشرين الأول ، ٢٠٠٠ م ، تصدر عن وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، مقالة من قلم هاشم صالح سلامة بعنوان (دلالة اللغة الشعرية في الموروث النقدي) ، ص ٨ .

نفس الكاتب فإنه يعبر عنه تعبيراً صحيحاً واضحاً وتنهال عليه الألفاظ في يسر وسهولة كما تنهال على شفتي علامتنا الجليل الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد .^(١٠٩)

وإن ما يعني من هذا الرأي الذي يراه الدكتور عبد الكريم خليفة في هذا الموضوع هو موضوع أو قضية اللغة التي يعبر بها ناصر الدين الأسد عن المعاني الواضحة في نفسه كأديب والتي تنهال عليه ألفاظها وتراكيبها في يسر وسهولة . إذ سيبحث هذا الفصل في خصائص اللغة الفنية الأدبية التي وظفها واستخدمها ناصر الدين الأسد كأداة تعبيرية في أدبه ومؤلفاته وفي كل ما صدر عنه ومنه شفاها وكتابة من نتاج أدبي .

ناصر الدين الأسد لغة فنية أدبية تقع في صنفين : الصنف الأول هو اللغة الفنية الأدبية الشفاهية التي نطقها وتلفظ بها وتكلم بها وتحدث بها وفق معايير النظم الفني الأدبي ووفق معايير الإلقاء والخطاب والأداء والنقاش والمشافهة ، حيث " إن له في خطاب المشافهة مزية ظاهرة في أن مبنى العبارة على مقاييس العربية الفصيحة عنده لا ينفك عن معناها على مقتضى الفكرة التي يزجها ، فالبنى والمعنى يندغمان لديه في تلقائية ، وتنقاد له العبارة مواتية ويرسلها بطواعية ."^(١١٠) ، وتفصيل ذلك سيأتي في موضع لاحق من هذا الفصل .

أما اللغة الفنية المكتوبة عنده ، فهي تعبر عن قيمتها كلفة تحقق نفسها في كل زمان ومكان بجميع خصائصها ومميزاتها وسماتها الفنية الأدبية في كل أعماله المكتوبة والمدونة على صحائف مؤلفاته وكتبه التي ذكرت في الفصل الأول من هذه الأطروحة . وسيأتي فيما يلي تفصيل وبحث في تلك الخصائص والمميزات والسمات الفنية للغة الأدبية .

(١٠٩) النص مأخوذ من التقديم الذي قدم به الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة الأستاذ الدكتور نهاد الموسى قبل إلقاء بحثه الذي قدمه في الندوة التكريمية التي أقامتها مؤسسة عبد الحميد شومان للدكتور ناصر الدين الأسد صيف عام ٢٠٠٠م ، والتقديم والبحث منشوران في كتاب (ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة) وهو مجموعة من الأبحاث والدراسات التي قدمها عدد من العلماء والأدباء والنقاد في ندوة التكريم المذكورة ، والتقديم (ص ٦٣ - ص ٦٤) ، والنص في الصفحتين المذكورتين .

(١١٠) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، مرجع سابق ، بحث (ناصر الدين واللغة بدو . نهاد الموسى ، ص ٦٦ .

يذهب بعض العلماء إلى القول بوجود فروق بين القول المنطوق الإبداعي والقول المكتوب الإبداعي ، إلا أن الأديب المبدع لا يكون في لغته الفنية الأدبية فروق تذكر بين قوله المنطوق وقوله المكتوب ، وبخاصة ، إذا كان على قدر عال من الكفاية اللغوية ومن الأداء اللغوي ، وإذا كان يمتلك ناصية اللغة والأجناس الأدبية ، كما الشأن مع العلامة الأديب ناصر الدين الأسد . وفي هذا المجال يقول الدكتور صلاح فضل : " أما كيفية القول فهي البعد الذي يتصل بالفروق اللغوية الناجمة عن الاختلاف بين قول منطوق وآخر مكتوب ، فكل قول مكتوب يمكن أن يصبح منطوقا ، لكن ينبغي أن نلاحظ أن القول المنطوق يحتوي بطبيعته على جملة من الخصائص التي تتمثل في القول المكتوب ، ولا تقتصر هذه الفوارق على مجرد الاختلاف بين المادة الخطية والصوتية ، لكنها تتعدى ذلك إلى المستوى النحوي والمعجمي ، ويمكن أن يقال إنها نتيجة للاختلاف بين المواقف التي يتعين على اللغة المنطوقة والمكتوبة أن تؤدي وظائفها فيها ، والتقاليد المرتبطة بها ."^(١١)

لقد تبين أن تلك اللغة الفنية الشفهية عنده لا تختلف عن اللغة المكتوبة لديه على صفحات مؤلفاته ، فقد كانت لغته تعبر عن قيمتها كلغة تحقق نفسها في زمان التكلم بها ، وفي المكان الذي ألقيت فيه ، ولدى المتكلم بها ، والمستمع لها .

ومن هذه اللغة يمكن اكتشاف خصيصة من خصائصها ، من حيث إنها لغة فصيحة عالية توظيفية يمكن استعمالها في لغة الحياة اليومية ، " فإذا أردنا أن تكون اللغة الفصيحة لغة حياة يومية نستعملها في مواقفنا الكلامية كاملة دون تقعر وتوعر ، فما علينا إلا أن نتعلم من تلقائية الدكتور ناصر في حديثه واغترافه من معجم مانوس ، واستغلاله أقصى طاقات النمو فيما نتجه لتوسيعه على

(١١) مجلة فصول ، مج ٤ ، ع ١٤ ، تشرين الأول / تشرين الثاني / كانون الأول ، ١٩٨٣ م ، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، بحث للدكتور صلاح فضل بعنوان : من الوجهة الإحصائية في الدراسة الأسلوبية ، ص ١٣٣ .
١٩٣

المتكلمين باللغة .^(١١٢) فهي إذن لغة قابلة لإعادة استعمالها وتوظيفها بعد تعلمها وفهمها واستيعاب معجمها الذي هو معجمه ، وبعد توافر الإرادة على الاستفادة منها ، وبعد توافر الكفاية اللغوية والأداء اللغوي لدينا .

ثمة ارتباط قوي بين اللغة العربية الفصيحة التي تعلمها ناصر الدين الأسد وتلقى علومها ودرسها بعمق المتعلم الخب لها ، وبعث الدارس المتقن لها ، وبين وجدانه وعقله ، بحيث تكون هذه الثلاثية : التعلم ، ومعرفة علوم اللغة ، وإتقان اللغة تحدثا وكتابة ، متحدة لتكوين لغة تصدر عن العقل والوجدان في آن واحد . ولذلك وجدناه يقول في مقالة له بعنوان (الأدب ليس فنا) : " والوجدان الذي تصدر عنه الكتابة الفنية خاصة ، والنشاط الفني عامة ، ليس ساذجا بدائيا دائما ، بل قد تكون فيه عناصر فكرية ، وقد تبدو في نتاجه ثقافة واسعة متعددة الجوانب بعيدة الأغوار . ولكن هذه العناصر الفكرية وتلك الثقافة الواسعة لا بد لها - قبل ذلك - أن تبلغ من العمق والتغلغل والأصالة درجة تنصهر فيها انصهارا في الوجدان ، وتذوب فيه حتى تنساب في حناياه انسيابا تصبح معه جزءا أصيلا من تكوين هذا الوجدان ، ثم تندفق منه بعد ذلك مصبوغة بصباغة في نشاط وجداني سليم ."^(١١٣)

وهذه الخصيصة المتعلقة بانسيابية اللغة الفنية لديه وتدفقها تأتي متوازية مع الانسياب والتدفق الوجداني بكل ما فيه من المشاعر والأحاسيس والعواطف والقيم والاتجاهات والعادات ، بنفس القدر الذي تتوازي فيه مع المعاني والصور والأخيلة والعناصر الفكرية والمعرفية والمعلوماتية والثقافية التي انصهرت في ذاكرته ؛ الذاكرة قصيرة المدى والذاكرة طويلة المدى ، مثلما انصهرت

(١١٢) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، مرجع سابق ، تعقيب للدكتور جعفر عابنة على بحث الدكتور نهاد الموسى ، ص ٧٧ .

(١١٣) مجلة القلم الجديد ، ٦٤ ، شباط ، ١٩٥٣ م ، تحرير عيسى الناعوري ، ص ١٩٥ ، الأسد ، ناصر الدين مقالة بعنوان (الأدب ليس فنا) ، ص ٥ .

في ذهنه ؛ الذهن المتعلق بالصورة ، والذهن المتعلق بالمخيلة ، فانسابت وتدفقت وتلاحقت بحسب ما انسابت وتدفقت وتلاحقت وانتظمت فيه أداة التعبير ، ألا وهي لغته العربية الفصيحة التي حملت من التحويلات والتوليدات ما جعلها تتسم وتختص بأنها تلك اللغة ذات الانسيابية المتدفقة المنهالة بنظام معياري إبداعي فني أدبي تواصلتي ثقافي فكري حضاري لا يستطيعه إلا ناصر الدين الأسد وأمثاله من العلماء والأدباء في عصرنا الحاضر .

وفي هذا المقام ثمة سؤال يطرح نفسه ، وهو : من أين جاءت هذه السمة الفنية للغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية ؟ وينبثق منه سؤال آخر له علاقة وثيقة به ، وهو : هل تمثلت الانسيابية والتدفق في هذه اللغة الفنية في جميع نتاجات ناصر الدين الأسد الأدبية ؟ ويعقب هذين السؤالين سؤال ثالث لا بد منه كي تتضح الصورة ، وهذا السؤال هو : هل تمثلت الانسيابية اللغوية والانسيابية المعنوية والفكرية في نتاجات ناصر الدين الأسد الأدبية الشفهية والكتابية بنفس القدر والمستوى والدرجة والفاعلية والتأثير ، أم أن ثمة فروقا بين انسيابية اللغة والفكر والمعنى في الحال الشفهية عنه في الحال التدويني والكتابي ؟

إن الإجابات عن هذه الأسئلة مجتمعة ، تدل على أن هذه السمة الفنية للغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية لم تأت من فراغ ، وإنما لها أسبابها وعواملها التي أدت إلى ارتقاء مستوياتها إلى درجات تسمح بأن تتسم بهذه السمة ، وليس هذا المقام في هذا الفصل هو الموضع المناسب لذكر وبيان وتفصيل هذه الأسباب والعوامل ، لأن بعضها بل جلها قد أشير إليه وتم بيانه في مواضع أخرى في هذه الأطروحة . كما أن هذه السمة الفنية التي اتسمت بها لغة ناصر الدين الأسد الفنية قد تمثلت في لغته في جميع نصوصه الأدبية التي ضمتها نتاجاته الأدبية دون استثناء . وكانت هذه

السمة واضحة في لغته الفنية في حال إنتاج الأدب الشفهي وفي حال إنتاج الأدب الكتابي . ولا فرق بين لغته التي استعملها عند التحدث بها أو عند الكتابة بها .

وقد يصدق عليه وعلى لغته ما صدق على قدامى المبدعين من الشعراء والأدباء والنقاد ، الذين وصفهم وأبدى آراءه فيهم وفي ما نتج عنهم ، وذلك في قوله الذي يمكن إبراده شاهداً ودليلاً على أمرين : -

الأمر الأول : آراؤه في القدامى من الشعراء والأدباء والنقاد .

والأمر الثاني : الاستشهاد والاحتجاج بما قال على اتسام لغته بسمة الانسيابية اللغوية والانسيابية المعنوية والفكرية ، علماً أن النص التالي يصلح للاحتجاج به والاستدلال به على سمات وخصائص أخرى من خصائص لغته الفنية الأدبية ، إذ يقول : " وإذا كنا لا ننكر أن بعض الشعراء كانوا يرتجلون الشعر ارتجالاً وأن بعضهم كان يندلث منه الشعر اندلاثاً هيناً سمحاً ، وأن هاتين الطائفتين ، أو بعض رجالهما ، لا تضطرهم طبيعة هذا الضرب من الشعر إلى تقييده وإثباته بالكتابة - إذا كنا لا ننكر ذلك - فإنه لا بد لنا أن نترث قليلاً عند الفئة الأخرى من الشعراء وشعرهم ، وأن نتوقف عن أن نسحب عليهم حكم الضرب الأول . فنحن لا نفهم كيف يستطيع الشاعر الذي تمكث عنده القصيدة (حولاً كريئاً ، وزمناً طويلاً ، يردد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه ، اتماماً لعقله ، وتتبعاً على نفسه ، فيجعل عقله زمناً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ، إشفاقاً على أدبه ، وإحرازاً لما خوله الله تعالى من نعمته . . .) ، والشاعر الذي كان يعرض له في الشعر من (الصبر عليه ، والملاطفة له ، والتلوم على رياضته ، وإحكام صنعته نحو ما يعرض لكثير من المولدين . . .) والشاعر الذي كانت تكثر عليه القوافي فيذودها عنه ذيادة ، ثم ينتقي

منها الجيد انثناء ، وينظر إلى قوافيه وألفاظه نظرة الجوهري إلى لآله ! يعزل مرجأها جانبا ، يأخذ المستجاد من درها ، والشاعر الذي يتنخل كلامه تنخلا ، ويتقف ألفاظه وقوافيه حتى تلين متونها - نحن لا نفهم كيف يستطيع هؤلاء الشعراء أن يقوموا بهذا العمل العقلي الذي يستغرق هذا الوقت المديد دون أن يكون الشعر مقيدا أمامهم على صحيفة يرجعون إليها بين وقت وآخر : يزدون عليه أو ينقصون منه ، ويستبدلون لفظة بلفظة ، وقافية بقافية . وهل يصح بعد هذا أن نذهب إلى أن هؤلاء الشعراء الذين كانوا يصنعون الشعر صناعة ، بل يصنعونه تصنيعا ، ويعرفون من بحوره وقوافيه ولغته وإعرابه ما لا يكتسب إلا بالتعليم والدراسة ، هل يصح أن نذهب إلى أن هؤلاء الشعراء كانوا أميين ويستطيعون أن يقوموا بهذه العمليات المعقدة المتراكبة فطرة وطبعا ، والشعر معلق في ذاكرتهم لا يعدوها ؟ أحسب أن لا ، وأحسب أن الأرجح أن هذا الضرب من الشعر المنقح كان يفرض عليهم أن يقيده على ما كانوا يملكون من صحف الكتابة التي بينا أنواعها في فصل سابق .^(١١٤)

أما من الناحية الوظيفية للغته الفنية الأدبية ، المتعلقة بالناحية الاتصالية التواصلية كأداة لنقل المعرفة والخبرة والمشاعر والعواطف والصور ، فإنها كانت لغة تتميز بالتكيف مع جميع وظائفها الاتصالية لأنها تلي الحاجات الاتصالية بين ناصر الدين الأسد وجميع أنماط المتلقين لأدبه ونتاجه وإبداعه ، وأحسب أنني أرى في هذا الأمر ما رآه بعض الباحثين والدارسين والأدباء والنقاد والعلماء الذين تناولوا نتاجات ناصر الدين الأسد بالبحث والدرس ، ومنهم الدكتور إبراهيم عثمان الذي جاء في تعقيب له على بحث ألقاه الأستاذ حسني عايش في الندوة التكريمية لناصر الدين الأسد

(١١٤) الأسد ، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي ، وقيمتها التاريخية ، ط١ ، ١٩٨٨ م ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص ١٢٠ - ص

التي أقامتها مؤسسة عبد الحميد شومان صيف عام ٢٠٠٠ م ، والذي قال فيه : " لقد تناولت أعمال الدكتور الأسد قضايا كثيرة أعفاني الأستاذ حسني عايش من الإحاطة بها ، ولهذا سأقتصر على تناول بعض منها : أدى التكوين العلمي للدكتور الأسد واهتمامه باللغة والمصطلح ، وخبرته العملية إلى انشغاله بالتعليم ، ولا يقتصر اهتمامه باللغة والمصطلح على دورهما في قراءة الواقع والتعبير عنه فقط ، بل يمتد لدورهما في تشكيل حقيقة الواقع ومعناه وما يمكن أن يكون لهما من دور في تشكيل اتجاهات الناس ومواقفهم ، وهذه قضية خطيرة وهامة لما تتضمنه من فهم لدور اللغة وتوظيفها . اللغة واكتسابها شرط أساسي لوجود العقل والذات ، وبدونهما لا يمكن النمو المعرفي أو الذاتي أو الاجتماعي ، دون نظام رمزي للاتصال لا يمكن قيام الجماعة والمجتمع ، وبهذا تتضح العلاقة بين اللغة والتعليم ، وبين اللغة والفكر ، ثم بين اللغة والهوية الثقافية ومشكلة التعليم التي تناولها الدكتور الأسد وحللها . " (١١٥)

لقد كانت لغته في نتاجاته تنبئ في داخلها عن نفسية ناصر الدين الأسد الكاتب والمؤلف والمتكلم المبدع ، كما كانت تنبئ عن عقلية الفذة الواسعة الأبعاد والمعارف والعلوم والخبرات والقدرات ، وعن شخصيته المبدعة المتفردة بسلوكاتها وقيمتها وطقوسها وسماتها المميزة ، فقد أبانت لغته في مواضع كثيرة عن حضور ناصر الدين الأسد المتحدث الكاتب المبدع العالم في كثير من النصوص الأدبية والمؤلفات والنتائج التي أنتجها ، فأحضرته اللغة شخصا ونفسا وعقلا حضورا مميزا ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، نأخذ منها على سبيل المثال قوله : " ومع ما بذلت من جهد ، وأنفقت من وقت ، وحققه البحث من نتائج ، فقد كنت أحسن أنني أسير في طريق لا أكاد استبين

(١١٥) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، تعقيب للدكتور إبراهيم عثمان ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

فيها مواطن قديمي ، وأن علي أن أعود أدراجي ، ثم أبدأ بداية جديدة لا أخطو فيها خطوة إلا بعد
تثبت وتيقن . " (١١٦)

وقوله أيضا : " وقد بذلت أقصى الجهد في أن أتهج نهجاً علمياً خالصاً ؛ لا أميل مع هوى ،
ولا أتعصب لرأي ، ولا أتسف الطريق من أمامي اعتسافاً ، بل لعل من الصواب أن أذكر أنني ،
حين دخلت في الموضوع ، لم يكن يحفزني إلا الموضوع نفسه ، ولم يكن نصب عني غاية بذاتها
أتوخاها وأرمي إلى إقامة الدليل عليها ، غير الغاية المجردة التي سينتهي إليها البحث الموضوعي
وحده . فقد كان قلبي مع هذا الشعر حين كنت أقرأه ، وكان عقلي عليه حين كنت أقرأ عنه ،
فأردت أن أصل إلى يقين يجتمع عنده اقتناع العقل واطمئنان القلب معاً ، ولم يكن أمامي سبيل
لذلك إلا أن آخذ نفسي بتحري المنهج العلمي الدقيق ، والتزام حدوده التزاماً لا
ترخص فيه . " (١١٧)

وقوله : " وبعد : فإننا لا نريد أن نغبط هؤلاء نفر وأضرائهم حقهم : ولا أن نبخسهم
قدرهم ، وكنا نحب أن تقتصر على الاستشهاد بما استشهدنا به من شعرهم ، فهو مبین عن نفسه ،
وهو وحده خليق أن يكفينا مؤونة التعليق والتعقيب ، ولكننا في مجال البحث والدراسة ، وذلك
يقتضينا شيئا من التفصيل والتوضيح " (١١٨)

وقوله كذلك : " إن المقالة أو القصة أو القصيدة التي يكتبها الكاتب وينظمها الشاعر ، وهو
في حالته الشعورية الكاملة ووعيه التام ، يفكر في عناصرها تفكيراً عقلياً ، ويتأمل في أجزائها تأملاً
فكرياً ، وينتقي ألفاظها انتقاءً تالياً لمرحلة الفكرة ، وقد يعود على الألفاظ والصيغ والصورة

(١١٦) الأسد ، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي ، مرجع سابق ، ص ٦ .

(١١٧) للمرجع السابق نفسه ، ص ٧ .

(١١٨) الأسد ، ناصر الدين ، محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، د. ط ، د. ن ، ١٩٦٠ م ، ص ٢٦ .

بالتنقيح والتبديل . مثل هذه المقالة أو القصة أو القصيدة إنما هي أدب بالمعنى الذي قدمناه وتواضعنا عليه ليومنا هذا . " (١١٩)

فحضوره شخصا وعقلا واضح من خلال اللغة التي استعملها في هذه النصوص وغيرها من النصوص التي أنتجها ، ولا مجال لتحليلها في هذا الموضع من هذا الفصل ، لأن لغتها تنبئ عن المؤشرات والدلائل التي تؤثر وتدل على ذلك الثالث لدى ناصر الدين الأسد الذي يحضر بحضوره من خلال لغته ومن خلال فكره وإبداعه .

واعتقد أن نصوصا كثيرة تشير لغتها الفنية التي كتبها بها ناصر الدين الأسد إلى ما يحمله من ايديولوجيا وفكر وفلسفة ، فهو العربي القومي المسلم ، وهو الديمقراطي ، وهو المعتدل ، وهو الأبي الذي يرفض الظلم والاستبداد والغبن والجهل ، إلى غير ذلك من الفكر والفلسفة في الحياة .

وفي ضوء ما تنقله اللغة الفنية الأدبية من المشاعر والعواطف والأحاسيس ، فإن لغة ناصر الدين الأسد الفنية قد نقلت في ثناياها التي تتضمن كثيرا من الدلالات والصور والأخيلة المحملة بالعواطف والمشاعر ، والأدلة والشواهد كثيرة ، ويمكن إيراد أمثلة منها في هذا الموضع من هذا الفصل ، فمثلا يقول في قصيدة له بعنوان (أيها الليل) (١٢٠):

في الظلام العميق ذوبت حسي	وتحافت فوق أشلاء نفسي
أستعيد الماضي القريب وآسى	لهوى لا يفيد فيه الناسي
وإذا ما أردت طبا لروحي	من أساها وصلت يومي بأمسي

(١١٩) الأسد ، ناصر الدين ، الأدب ليس فنا ، مقالة مستلة من مجلة القلم الجديد ، مرجع سابق ، ص ٥ .
(١٢٠) مجلة الثقافة ، ع ٣٤٣ ، ١٩٤٥ م ، تصدر عن لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، مصر ، ص ٨٣٣ .
٢٠٠

وتنقلت بين أطلال روحي ورسوم ، من الصبا الغض ، درس

إلى أن يقول في خاتمة هذه القصيدة :

وتساميت فوق أحقاد نفسي وتحررت من تقاليد جنسي

وتنقلت في فضاء رحيب ليس فيه سوى عوالم قدس

يقصر الوصف عن بلوغ مداها وتعالى عن كل فكر وحدس

ملؤها الحب والصفاء ونفس قد تسامت عن كل شك وهجس

هذا مثال من شعره ، أما ما يمكن أن يقال عن عواطفه ومشاعره في نثره فإن الأمثلة غير عزيزة في نتاجه الأدبي ، ومن هذه الأمثلة نأخذ فقرتين من مقالة له بعنوان : (ندوات القاهرة الأدبية ؛ ندوة العقاد) ، حيث يقول : " رحاب ظليلة من الإيناس الطلق والبشاشة العذبة ، ومن العلم الواسع العريض والعقل الدقيق العميق ، والفكر النافذ البصير . وأشهد أنها ليست ألفاظا تصف ، ولا أوصاف تنمق - كما ألفنا كثيرا من الألفاظ والأوصاف - وإنما لكل منها مدلوله الواقعي الحي ، أحسست به - في هذه الجلسة - إحساسا ملك علي نفسي وما زالت ظلاله ترف رفيفا نديا في أقطارها .

أما الإيناس الطلق والبشاشة العذبة ، فقد اقتلعا من نفسي تلك الوحشة وذلك التهيب اللذين كنت استشعرهما منذ نزعت بي النفس إلى لقاء العقاد ، فقد كنت أعلم إنه لا يكاد يجد من وقته متسعا لغير البحث والدراسة والكتابة ، وأنه ضنين بوقته أن يهدر في غير طائل ، حريص أشد الحرص على ألا يقتحم خلوته مقتحم معتسف ، وألقي في روعي - لا أدري كيف - أن الأستاذ العقاد شديد الجبه ، قاطع اللفظ ، حديد الخطاب ، فعزمت على أن ألقاه في جمع حافل ، أحشر

نفسى مع القاصدين ندوته صباح كل جمعة ، استمع إليه ولا أتحدث ، وأراه وأراقبه من حيث لا يكاد يحس بمحضري ، واستأذنته بالهاتف ، وأخبرته أنني حريص على لقائه ، حريص على وقته ، وأني بين هذين الحرصين حائر ، ولا أجد لي مخرجاً من حيرتي إلا أن أزوره يوم ندوته مع القاصدين . وسكت سكوت التوجس ، وارتقت أن ترعد أذناي بهزيم مدو يتسق مع شخصية (الكاتب الجبار) وما نبث عنه ، فما راعني إلا صوت هادئ لين ، فيه اعتذار رقيق وترحيب جميل ... »^(١٢١)

توحي لغة ناصر الدين الأسد بانفعالاته ووجدانياته في أحواله ، لأن تفاعله مع نفسه وعقله من جهة ، وتفاعله مع قضايا مجتمعه وأمنه ، تفاعل قوي غير حديد العناصر والمكونات ، تفاعل بدأ معه منذ صباه واستمر إلى هذا الوقت ، وما يزال يبدي ذلك التفاعل في كل لقاءاته ومحاضراته وجلساته ونقاشاته وأعماله التي يؤديها في كل موقع يكون فيه .

وبذلك ، فإنه يجوز القول إن من خصائص لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية جذب مشاعر القارئ أو المستمع ، مثيرة لديه المتعة والرغبة في الحصول على الفوائد المعرفية والفوائد الوجدانية والفوائد السلوكية والخبرانية ، ودرجة الجذب تتوقف على المتلقي وما لديه من قدرات وخبرات وثقافة ، أما درجة الجذب الكامنة في اللغة نفسها ، فإنها في موضع عال على سلم درجات الجذب اللغوي الذي تتميز به اللغة الفنية الأدبية في أية لغة من لغات العالم ، فما بالنا عندما تكون تلك اللغة الأدبية هي اللغة العربية لغة البيان ، ولغة الإعجاز ، ولغة القرآن الكريم المقدسة من قداسة القرآن الكريم نفسه .

(١٢١) مجلة القلم الجديد ، ٨٤ ، نيسان ، ١٩٥٣ م ، تحرير عيسى الناعوري ، عمان ، الأردن ، مقالة بعنوان (ندوات القاهرة الأدبية ؛ ندوة العقاد) للدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٣٧ .

ورب سائل يسأل عن مدى مواكبة هذه اللغة التي استعملها تحدثا وكتابة ، لروح العصر ، وذلك للتغيرات والتطورات التي حدثت في شتى ميادين الحياة ، والأدب والدراسات والأبحاث هي من صلب الحياة الإنسانية ، وتحتاج باستمرار إلى لغة تستوعب هذه التغيرات والتطورات . فالحدثة اللغوية تتوقف على درجة غنى اللغة وقابليتها لاستيعاب الألفاظ والتراكيب والمصطلحات . وعندئذ ، تحدث الإجابة على التساؤل ، وتكون في مفاد القول بأن في لغة ناصر الدين الأسد الفنية حدثة تواكب روح العصر من حيث دلالاتها والتصورات والقيم التي تضمنتها دون أن تنفصل عن التراث ، ومن حيث دورها الإبداعي الحديث وانطلاقه من التراث ، إذ العلاقة بينها وبين التراث علاقة ليس فيها تناقض أو تضاد ، وبأنها اللغة التي اشتملت على الألفاظ والتراكيب والمصطلحات التي استحدثت في هذا العصر ، ويمكن أن يمتد استعمالها وشيوعها على الألسنة وفي الكتابات في المستقبل . وللتمثيل على ذلك يمكن إيراد النص التالي للاستشهاد به على الرأي السابق ذكره ، إذ يقول ناصر الدين الأسد : " كثيرا ما كانت مواقف الجمعية العامة للأمم المتحدة - وهي التي تعبر عن رأي المجتمع الدولي - مختلفة عن مواقف مجلس الأمن - الذي يعبر عن مصالح الدول الخمس الدائمة العضوية فيه - وكانت مواقف مجلس الأمن تختلف في القضايا المتشابهة بحسب مواقف الدول الكبرى من الشعوب التي تنتمي إليها تلك القضايا . وكذلك كان التعامل الدولي من خلال مجلس الأمن ودوله الكبرى يبدو فيه التفاوت والاختلاف ، فعلى حين كانت كثير من القرارات تهمل ولا تنفذ ، مثل القرارات التي تؤيد الحقوق الفلسطينية وتشجب مواقف إسرائيل ، نرى قرارات أخرى تحشد لها الجهود وتمارس فيها الضغوط من أجل عدم إدانة إسرائيل ، وفي حالات أخرى تحشد تلك الجهود وتمارس تلك الضغوط من أجل تنفيذ قرارات أخرى حتى يصل الأمر إلى

شن الحرب . فإذا كان العراق قد احتل بالقوة الكويت ، فهل من شك في أن إسرائيل قد احتلت بالقوة أرض فلسطين وقسما من سوريا ، هو الجولان ، وقسما من جنوبي لبنان . أليس التشابه واضحا في قضيتين إقليميتين لهما صفة دولية عوملتا معاملةتين وقيستا بمقياسين . وهل نستطيع أن نقول إن الاستيلاء على أراضي الآخرين بالقوة يكون حله - في ظل النظام الدولي الجديد - بالطرق السلمية فقط حين تكون إسرائيل هي التي فعلت ذلك ، وأن استعمال القوة وشن الحرب هما الوسيلة حين يكون التعامل مع طرف عربي ؟ إلا أنه لا سلام بغير عدل ، ولا عدل بغير مقياس واحد للقضايا المتشابهة . أليس هذا ما يجب أن يكون أساسا للنظام العالمي الجديد ؟ وبغيره لا معنى لترديد الحديث عن الضمير العالمي والقانون الدولي وحقوق الإنسان ، إذ ستضطرب حينئذ المقاييس ، وتختل القيم ، وتسود شريعة القوة ، وتصبح وحدها مصدر الشرعية الدولية . " (١٢٢)

لقد رأى ناصر الدين الأسد ببصيرته النافذة الناقدة كثيرا من الأوضاع الإنسانية الفردية ، وكثيرا من القضايا الإنسانية المجتمعية والدولية ، فوقف عندها وقفات طويلة ، مرة محللا مفسرا ، ومرة معللا باحثا عن الدوافع والأسباب وفيها ، ومرة دارسا ناقدا لها ، ومرة دارسا منتقدا لها ، حتى أصبحت لديه في كل موضوع أو قضية رؤية خاصة به ، حتى تجمعت عنده التأملات والرؤى التي بعثت على تكوين فلسفة ينظر بها بمنظار المنطق وبنار الحكمة إلى كل تلك القضايا ، فحملت لغته التي استعملها في كثير من نتاجاته ألفاظا وعبارات وتراكيب لغوية ونصوصا أدبية - بغض النظر عن موضوعها - تحوي في أبعادها وأغوارها كثيرا من تلك الرؤى الفلسفية والرؤى النقدية والرؤى الثقافية والرؤى الاجتماعية الإنسانية التي تحمل في ثناياها معالجات وحلول واقتراحات يمكن أن تسهم في اتخاذ القرارات وإصدار الأحكام السليمة الصحيحة التي تتوافق مع احتياجات

الإنسان العقلية والنفسية والاجتماعية والتعليمية والتربوية في المجتمع العربي والمجتمع الإسلامي والمجتمع الإنساني بشكل عام . ولعل النص التالي خير دليل على ما ذهب إليه ، إذ يقول الأسد : " بلغ من تأثير آراء الغرب عن موقف الإسلام من المرأة أن أصبح كثير من المسلمين أنفسهم - على عادة المغلوبين في كل عصر وفي كل أمة ، وبحكم مناهج التعليم ووسائل الإعلام - يرددون هذه الآراء ، دون أن يدرسوا أصل الموضوع في دينهم ويفهموا حقيقته ، ودون أن يدركوا أن كثيرا من آراء الغرب في عصرنا عن المسلمين ودينهم وتاريخهم إنما هي صدى لموقف الغرب - المعاصر - المتخوف من الإسلام عامة ، أو إسقاطات لثقافة الغرب على المفهوم الإسلامي ، أو استمرار لأحكام الغرب منذ القرون الوسطى الأوروبية ، وجهله حينئذ للإسلام أو تعصبه عليه ، وامتداد هذه الأحكام في كتابات الغرب إلى اليوم من غير محاولة جادة لمراجعتها وتمحيصها . وتتبع هذه الآراء والرد عليها يدخلنا في مباحكات ومساجلات يغني عنها أن نقف الموقف العلمي السليم فنعرض من القرآن والسنة النبوية وممارسات الصحابة رأي الإسلام ، غير غافلين عن أن مواقف بعض المسلمين في عصور البعد عن الإسلام الحقيقي ، في عصور التخلف الحضاري ، كانت مختلفة عن روح الإسلام ومبادئه وتعاليمه ، ولم يكن ما أصاب المرأة في عصور الانحطاط الاجتماعي إلا بسبب تخلف الرجل نفسه وللمرء أن يسأل - بعد الذي قدمناه من حقوق المرأة وحريتها ومكانتها الاجتماعية في الإسلام - ما هي الحريات والحقوق التي توفر للمرأة مكانتها الاجتماعية والعلمية والسياسية مما يمنعه الإسلام في القرآن والسنة الصحيحة وممارسات الصحابة والمسلمين الأول ؟ أما ما ورد في غير هذه المصادر - مثل بعض الآراء الفقهية - فإن المرء يأخذ منها ويدع . وليس هنا مجال ذكرها وتوضيحها ، وحسبنا أن نقول إنما فهم شخصي ومواقف خاصة : صحيحها

صحيح وفاسدها فاسد . ومعيار الصحة والفساد الاحتكام إلى كتاب الله والسنة الثابتة ، وليس إلى الشروح والتفاسير والتعليقات والأحكام التي هي من صنع بشر يصيون ويخطئون ، ويحسنون ويسينون . ولا بد من التذكير دائما أن الفقه غير الشريعة ، فهو بشري ، وهي إلهية ، ولا يجوز اتخاذ حجة عليها ، بل هي الحجة والمعتمد ، فما وافقها منه قبلناه ، وما خالفها رفضناه .^(١٢٣)

وأعتقد أن الحكم يكون صائبا إذا قيل إن لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية تسمو فوق لغة المثقفين - في كثير من المواضع في مؤلفاته - بما صورته من صور تعبيرية راقية تروق الذهن والخيال ، وبما رمزت إليه من رموز ، أو ما دلت عليه من دلالات ، أو ما احتوته من وجوه بيانية وبديعية وبلاغية ، عدا عن الأسلوب الأدبي الذي زادها سموا على اللغة الأدبية العادية . والمثال التالي هو جزء من نص مقالة للدكتور ناصر الدين الأسد ، نوردته للتمثيل والاستشهاد به فحسب ، إذ يقول فيه الأسد : " رعى الله أرض الكنانة ، فحيثما وليت وجهك فيها ، فثم مستراد خصب الفكر ، ومنهل عذب الروح والقلب ، ومورد صاف للأدب والعلم ، ومعرض حاشد للجمال والفن . وما عليك ، لتنعم بهذه الآلاء جميعها ، إلا أن تفتح أذنك فينسب فيهما النعم ، وتفتح باصرتك فينسكب فيهما النور ، وتفتح قلبك وروحك فتدفق إليهما مسابيل الفن ومسارب الأدب . ومن هذه المعارض الزاخرة التي ينعم فيها العقل والقلب ، وتعرض فيها آيات العلم والأدب : ندوات القاهرة ، وهي مجالس خاصة ، يتحلق فيها صفوة العلماء والأدباء وطلاب المعرفة حول علم شامخ من أعلام مصر في منزله : يرسل فيها القول إرسالاً طليقا لا كلفة فيه ولا سابق إعداد ، وإنما هو ومض الفكر وفيض الخاطر وانقذاح العاطفة ، حتى إذا انتهى مجلس القوم

(١٢٣) الأسد ، ناصر الدين ، نحن والعصر ؛ مفاهيم ومصطلحات إسلامية ، ط١ ، ١٩٩٨ م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص ٥٧ - ص ٧٤ ، حيث يمكن الرجوع إلى النص الكامل للفصل الثالث من هذا الكتاب ، وعنوانه (المرأة في الإسلام) .

وآذنوا بالانصراف ، أحسست أنك على كثرة ما تزردت في مجلسك ذاك ، ترد لمرآة الترهيب وأطالوا المكث ، طمعا في الاستزادة وانفضت الجلسة ، وبقيت وحدي مع الأستاذ الكيلاني ، فحدثني حديثا طويلا ممتعا عن كثير من ذكرياته الأدبية . إن في ذاكرة الأستاذ الكيلاني التاريخ الأدبي الحديث ، ولا بد من تسجيل هذه الذكريات ونشرها وإذاعتها بين الدارسين ، ففيها كثير لا تزال تجهله ، ولا بد لنا من معرفته ، ليتضح لنا تاريخنا الأدبي الحديث . " (١٢٤)

إن الوصف الذي جاء به ناصر الدين الأسد لأجواء هذه الندوة كان وصفا دقيقا عبرت عنه لغته الفنية بكل شفافية وعمق دلالة ، وإن تصويره لأولئك الصفوة من العلماء والأدباء ، كان تصويرا رسمته لغته الفنية لوحات زاهية ذات ألوان توحى " بمشاعر مستفزة ، واعتزاز بهذه الفرصة التاريخية ، ومن أجل ذلك ، لا بد أن تكون عبارته منتقاة ، وأن تخلق جملة في سماء البلاغة حتى تصل إلى ذروة الحدث . كما أن إعجابه الشديد بهذه الصفوة من الأدباء الذين يرسلون قولهم (إرسال طليقا) قد جعله يحتذي هذا النموذج في بناء شخصيته الأدبية ، فناصر الدين الأسد ممن يرسلون القول إرسالاً ، ولغته الفصيحة تنطلق بلا تكلف ، فتصيب موضوعها إصابة دقيقة بإيجاز بارع ووضوح تام . " (١٢٥)

أما مقالاته الأدبية التي كان ينشرها في الصحف أو بعض المجلات الثقافية ، فإنها كانت تنصب في أغلبها على الأحداث والوقائع الأدبية والسياسية والاجتماعية ، وكانت تتميز بأساليبها الأدبية المشوقة والمثيرة . " وفي مقالاته الأدبية تلك ، التي يمتد تاريخها بين الأعوام ١٩٤٦ م - ١٩٥٣ م ، تخلق لغة ناصر الدين الأسد ، وتتداخل فيها الذات بالموضوع ، مما يجعلها

(124) مجلة القلم الجديد ، ع ٢٤ ، ١٩٥٢ م ، مرجع سابق ، مقالة بعنوان : (ندوات القاهرة الأدبية ، ندوة الكيلاني) للدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٢١ .

(125) مظفر ، مي ، ناصر الدين الأسد ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٥٦ - ص ٥٧ .
٢٠٧

تتوافر على غنى المادة ، والتفاعل مع الموضوع ، وانتقاء اللغة . كما أنه ، من خلال وصفه البين لتلك الندوات ، كان يحيط القارئ علما بما كان يدور فيها ، فضلا عن نقله الأجواء المحيطة بهذه الجلسات ، والتعريف بمكان اللقاء والشخصيات الحاضرة فيه ، قبل أن يعطيه فكرة عن الموضوعات التي كانت تناقش هناك . " (١٢٦)

ومثال آخر يفيد في هذا المقام لتأكيد السمة التي تتسم بها لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية التي ذكرتها أنفا ، وهو نص من كتابه (القيان والغناء في العصر الجاهلي) ، والذي يقول فيه : " وقد عثرت في أثناء بحثي وتنقيبي فيما استطعت الوصول إليه من المطبوع والمخطوط على قيان ذكرن بأسمائهن ، ورويت عنهن أخبار مقتضبة . فاستهواني البحث ورحت أنقب تنقيب الحريص الجاهد عن كل ما يتصل بمن من قريب أو من بعيد ، وكان يغريني في أثناء بحثي أمل العثور على سير وافية لمن نستشف منها حياتهن وشخصياتهن غير أنني حين بحثت في مزودي لم أعتز إلا على أشلاء لقيان ، بعضها مبتور وبعضها مشوه مطموس ، ولكنها كلها تنطق بينة جليلة بما وراءها يوم أن كانت مخلوقات كاملة سوية . فأفردت لها هذا الفصل أجمع فيه شتيها وألم متفرقها ، فإن عجزت أنا - في نطاق الزمن الذي حددت نفسي به والمظان التي لجأت إليها - فإن حق البحث علي يقتضي أن أثبت ما وصلت إليه لعله يتيح لغيري فضل إتمامه . ثم إن هذه الأخبار المقتضبة المبثورة سيكون لها أصداء تتجاذب في الفصول التالية . فلم أجد مناصا ، لهذين السبين معا ، من إفراذ هذا الفصل . ولا بد من البدء بأقدم ما عثرت عليه من القيان ، وإن كنت أحس في نفسي صدوفا عن التردي في مهاوي القدم ، لأن السبيل إليه زلق لا تكاد تثبت فيها قدم ، ولا يملك المتردي فيها من زاد إلا هذه الروايات ، بل هذه الأساطير الماثورة في بطون الكتب العربية ،

(126) المرجع السابق نفسه ، ص ٥٦ .

وهي روايات يقف أمامها الباحث حائرا ، لا يستطيع أن ينفيا نفيًا قاطعا فيسقطها من البحث إسقاطا يطمئن إلى نتيجته فيستريح ويريح ، ولا يستطيع أن يقيم الدليل على صحتها فيتخذها نصا يستند دعواه ويركن إليه بحته ، وما أشبه الخابط في ظلام هذه الروايات بالمنتب يطيل التطواف والخطب ثم لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ... غير أننا - إن عز علينا الثبوت التاريخي والمنهج العلمي - لا نملك أن نغفلها لما لها من دلالة بينة ، كما ذكرت في مواطن متفرقة من الفصل الأول . وسواء أكانت حوادث تاريخية ثابتة أم أساطير اختلقت ولفقت فهي لا شك تشير إلى أن هؤلاء العرب في العصر الجاهلي الأخير أو في العصور التي تلتها كانوا يعرفون - معرفة لم نتمكن نحن من التيقن منها ، أو كانوا يحسون إحساسا غائما - ما تضمنته تلك الروايات والأساطير من إشارات وحوادث . وهي في بحثنا هذا تشير إلى علمهم أو شعورهم بقدم وجود القيان في الجزيرة العربية . " (١٢٧)

هذان مثالان من بعض نثره الأدبي ، أما المثال من شعره فهو بعض أبيات من قصيدة له بعنوان : (حنين ... وثورة ...) ، قدم لها بقوله^(١٢٨) : " حياة الشاعر قطعة من الماضي ، كلما تقدمت به الحياة أمعن في تلفته خلفه ، يستعين حلاوة الماضي على مرارة الحاضر . " والقصيدة هي :

يا نفس حسبك تذكارا وتحنانا	لا ينفع الذكر في استرجاع نجوانا
جنت شوقا إلى عهد الصبا فغدت	أشواقك الحمر أشواكا ونيرانا
لم تبق لي حاضرا أحيا بأنعمه	أو آتيا أرغبيه العيش فينانا

(١٢٧) الأسد ، ناصر الدين ، القيان والغناء في العصر الجاهلي ، ط٣ ، ١٩٨٨ م ، طبعة مزيّدة ومنقحة ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص ٧٠ .

(١٢٨) مجلة الثقافة ، ع ٣٨٠ ، نيسان ، ١٩٤٦ م ، القاهرة ، مصر ، ونشرت القصيدة أيضا في صحيفة (الجزيرة) في عددها رقم ١١١٣ ، الصادر يوم الجمعة تاريخ ١٢ / ٤ / ١٩٤٦ م ، ص ٤ .

نقلت عيشي إلى الماضي ولذته يا ليت ماضي فيها كان أزمانا !
أقتات بالذكريات الحمر ، أرشفه مستأنيا ، خوف أن أرتد ظمأنا
أجتريها كلما ضج الظما بدمي أو عادني لاعج الأشواق غرثانا
فصرت جزءا من الماضي أعيش به ولا أطيع له بعدا وسلوانا
حتى إذا عدت أحيا حاضري نفرت مني الحياة ، وأضحى العيش أشجانا
الليل يشهد كم حرقت هدأته بزفريتي ، فتمشت فيه نيرانا
وكم توسل طرقي للرقاد فما أصغى له قلبه القاسي وما لانا

إلى أن يختم قصيدته هاته - وعدد أبياتها سبعة وعشرون بيتا - بالأبيات التالية :

يا ساكني السفح من عمان إن لنا في حيكم رشأ نفديه عمانا
قد جاءني أنه يكي على سفري يا حبذا الدمع من عينيه هتانا !
وأنه يسأل الركبان عن خبري ويستزيد من الأخبار لهفانا
عمان جادك صوب الغيث ما خطرت ريح الشمالي تناجي فيك كثنانا
هل الزمان معيد فيك نشوتنا أيام كنا وكان الحب فينانا
إنا على العهد لا زلنا وإن عصفت بنا الليالي وسال القلب أشجانا

إن انحياز ناصر الدين الأسد إلى النثر الأدبي دون الشعر قد جعل لغته الفنية ،
بحكم العلم والخبرة والدربة والمراس والتطبيق ، ترقى بنثره إلى مصاف النثر الأدبي الراقي
الإبداعي ، إلى جانب كونها اللغة التي حافظت على ذلك الأدب . واعتقد أن هذه السمة
لا تخفى على أي باحث أو دارس لأدب ناصر الدين الأسد ، وذلك لأن " لغته الأدبية

محافظة - أرسقراطية - ترقى بالنثر إلى أعلى مراتبه ، تشتبك في نسيج محكم مكتنز
بالمعنى ، نابع في ذهن متقد ورؤية واضحة .^(١٢٩)

لقد خبر ناصر الدين الأسد لغته العربية التي أحبها منذ صغره ، وتنبه لعمق معطياتها ، ومع
الزمن سبر أغوارها ، وقلب وجوها ، وغاص في أعماقها ، وتذوق جمالها لغة وجمال الآداب التي
قيلت وكتبت بها ، وتأثر بوقعها في كل موضع كانت فيه من المواضع الأدبية الفنية ، واكتشف
ذخائرها وكنوزها وعظيم قدراتها ، ولما استخدمها في شعره ونثره ، قدم أدبا إبداعيا في أغراض
وقضايا كثيرة يعد امتدادا لكل أدب عربي رفيع سبقه ، حيث توسل بهذه اللغة الفنية التي أمسك
بكل أزمة فنياتها وأدبياتها ووظائفها في كل مجالات الحياة ، مما أدى إلى أن يقدم أدبا قائما على حس
لغوي سليم ، وعلى بيان جلي ، وعلى فصاحة عالية المراتب نطقا وكتابة ، فكانت اللغة التي توسل
بها قد أسهمت من خلال ما فيها من المؤشرات الدالة على إسهامها الكبير في المحافظة على الأصيل
من التقاليد اللغوية والأدبية ، في ذلك الأدب الرفيع ، وفي تميزها بهذه الميزة المحافظة والميزة المكونة
والمشكلة للنصوص الأدبية المتنوعة والمختلفة في أغراضها وموضوعاتها ، فقد امتدت هذه الميزة إلى
أن أضفت عليها ميزة أخرى لها علاقة بها ، وهي أنها اللغة القادرة على تقوية البرهان والحجة التي
كان يدلي بها ناصر الدين الأسد ، كما كانت قادرة على دعم ذلك البرهان وتلك الحجة ، والعلاقة
بين الميزتين جاءت من سعة اللغة الفنية وقدرتها على التشكل والاتساق مع جميع عناصر الإبداع
الأدبي في مستواه عندما يكون عملية ، وفي مستواه عندما يكون نتاجا ، ولا تتأني

^(١٢٩) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

مثل هذه السمة إلا إذا كان الأديب قادرا على استثمار سعة لغته وقدراتها الوظيفية التواصلية ومستوياتها التركيبية والدلالية .

ورغم ذلك " فإنه ما يأتي به من الأمثلة والشواهد ، يرى أن على الباحث أن يحذر من الوقوع في إغراء المبالغات التي وقع فيها بعض الذين تعرضوا لمثل هذا الموضوع ، ويحذر من أوهام الألفاظ المتشابهة التي قد توحى بالأخذ أو السرقة . " (١٣٠) مما يسوغ الرأي بأنه كان شديد الحذر عند الاستدلال والاستشهاد والاحتجاج بما قاله أو كتبه غيره من القدامى أو المحدثين من الكتاب أو العلماء أو الأدباء ، بحيث كانت له لغته الخاصة به ، تلك اللغة التي تعد " لغة بلورية ، لا تغريب فيها ولا إعجام ، تسيل رقراقة مثل جدول نقي يظن المبصر فيه أنه يكاد يلمس أعماقه بيسر غير أن الغوص فيه مسألة أخرى . " (١٣١) ولذلك ، اتسمت لغته الفنية بأنها اللغة الواحدة مكتوبة كانت أو محكية التي " لا تنشق إلى لغتين ، يتحدث بها كما يكتبها بتلقائية ودون تكلف . " (١٣٢)

وفي هذا الصدد قال الدكتور عبد القادر الرباعي : " ولغة ناصر الدين الأسد - كما يلحظها من يقرأها أو يستمع إليها - لغة صافية صفاء الماء العذب الزلال ، موجزة إيجازا تقوى به غاياتها ، جميلة جمالا يقع منها على الأذن وقعا باهرا فتهتز لها ، وعلى القلب فيتشهي بها ، وعلى العقل فينتفتح عليها . وهذه المزايا في لغته هي التي شافت الدكتور عبد الكريم خليفة فيعبر بلغة واضحة جلية عن حبه لقراءتها ، وحبه لسماعها . " (١٣٣)

(١٣٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٧ .

(١٣١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٠ .

(١٣٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٨٠ .

(١٣٣) الرباعي ، عبد القادر ، بحث بعنوان (ناصر الدين الأسد في عين البصيرة من العلماء) ألقاه في ندوة التكريم التي أقامتها رابطة الكتاب الأردنيين للدكتور ناصر الدين الأسد صيف عام ٢٠٠٤ م ، ص ٧ .

وفي كل طور من أطوار الإبداع عند ناصر الدين الأسد ، يلاحظ أن لغته الفنية تزداد عمقا

ورونقا وتأصيلا ، لما تجده من عنايته بها ودقته فيها وحرصه عليها ، حيث يحليها ويوشحها ويزينها

ببعض ألوان الصياغة والنظم والتركيب والتأليف ، بما يجعلها تتسم بسمة اللغة التي تتطور وتنمو

على يديه ، وعن علم ودراية وحكمة وقصد ، فنجدها وقد زانها ما فيها من تطابق في المعاني أو

الألفاظ أو التراكيب أو الصور أو الانفعالات الوجدانية ، كما أنها قد حسنها ما فيها من ترادف ،

وقد اتسع مدى قابليتها لاستيعاب تراكيب جديدة غير مألوفة ولا مسبقة تشتمل على المشترك

اللفظي أو على مصطلح جديد أو على معنى مبتكر أو على صورة من صور الإبداع والتفنن في

طرح الموضوع أو القضية ، أو على شعور وعاطفة تثير وتدفع إلى المشاركة الوجدانية والمشاركة

الفكرية مع ناصر الدين الأسد في أدبه وإبداعه الذي جسده من خلال لغته الفصيحة البينة البليغة ،

التي زاد في حسن بنائها التعبير الجملي والتعبير النصي بما ورد فيهما من تكرارات صوتية لفظية

وتكرارات في الكلمات ذاتها أو مشتقاتها وتكرارات تركيبية ، وبما ورد فيها من مضامين

ومشتملات في مختلف الموضوعات والقضايا التي طرحها .

ولم يكن للسجع دور كبير في بناء جمل وتراكيب وعبارات الفقرة في النص ، إلا في القليل

من المواضع ، لأن الثروة اللغوية الهائلة التي لدى ناصر الدين الأسد ، كانت تسعفه في التعبير بكل

سليقة وطلاقة وكفاية ويسر وسهولة ، دون الحاجة إلى اللجوء إلى التزيين والتميق والتزيق في

الألفاظ وفي التراكيب والعبارات ، ومع ذلك فقد كان في بعض لغته الفنية سجع في بعض المواضع

من نصوصه الأدبية ، ولكنه كان سجعا سليقا وبدون تكلف ولا تصنع ، وكان سجعا يقع في

موضعه من التعبير في النص عفو الخاطر والطبع ومن غير تطيع .

وتجدر الإشارة إلى أنه كان يسجع أحيانا ، وسجعه مقصور على بعض المفردات المناسبة مع بعض المواقف ، وهو قليل متناثر ، وخفيف على السمع مقبول في الذوق ، ولا يظهر عليه التكلف والافتعال والانفعال ، فقد أعطى لفته الفنية مسحة البعد عن التكلف ، ومسحة القرب من السليقة والسجية والبديهة والقدرة والكفاية اللغوية ذات الأداء اللغوي السليم كتابة وشفاهها .

لقد اقتضت القدرة البلاغية عند ناصر الدين الأسد أن تشتمل لفته الفنية على ألفاظ تزيدها وجودا وحضورا وقوة ، لما فيها من وجوه البیان والبديع المؤدي لأرقى الأفكار والمعاني ، والمعرب عن أسمى العواطف والمشاعر ، ومن هذه الوجوه البيانية والبديعية ما وقفنا على ذكره ، وأما الذي يستحسن ذكره من هذه الوجوه في هذا الموضع ، فإنه يتعلق بالجناس بنوعيه ؛ التام وغير التام ، بحيث كان وجوده في بناء لغة ناصر الدين الأسد الفنية يتركز على إضفاء الرونق التشكيلي الذي كان بارزا في كثير من المواضع في النص الواحد ، وبخاصة في شعر ناصر الدين الأسد ، وفي بعض النتاجات الأدبية النثرية ، إذ لا يمكن غض الطرف عن هذا المحسن البديعي الذي لم يكن فيه تكلف أو تصنع وإنما كان عفو الخاطر وسليقيا في العبارات والتراكيب والنصوص .

وتميزت لفته الفنية الأدبية بوجود بنائية تركيبية فيها تحول من المتكلم إلى الغائب أو من المخاطب إلى الغائب ، بحيث يتحول ذلك الغائب إلى شاهد ، ذلك الشاهد الذي مسح اللغة بمسحة التلوين التعبيري الهادف إلى الإبلاغية والإفهام ، وإلى التأثير في المتلقي للبحث عن دلالات أعمق من المعاني والدلالات الظاهرية للألفاظ والتراكيب في النص الأدبي مهما كان موضوعه وغرضه .

ومن جماليات لفته الفنية من الناحية البنائية والتركيبية ، وجود الجمل المعترضة في كثير من المواضع والمواقع في التراكيب والتعبيرات والفقرات في النص الأدبي الواحد ، وبصورة لافتة للنظر

وللفكر . ولكن هذه الجمالية اللغوية والتعبيرية ، تعد جمالية نصية إبداعية أيضا ، فتأخذ موقعها ،
وتؤدي غرضها ، وتحقق الغاية التي قصدها ناصر الدين الأسد منها ، علما بأنها كجملعة معترضة لم
تؤثر على التركيب ولا على المعنى ولا على الفكرة التي كان يقصدها ناصر الدين الأسد في الفقرة
الواحدة أو في النص الأدبي الواحد .

هذا ، بالإضافة إلى أنه كان لجملة التعريض أثر كبير في التعبير عن معنى آخر يفهم من
سياق النص ، كما كان لها دور في الإبانة والتوضيح أو التفسير أو التعليل ، أو دور في الربط
والوصل بين معنيين مفترقين ، أو في تكملة معنى أو فكرة لم تكتمل في موقعها من النص .

واختصت لغته في كثير من النصوص الأدبية بدواها غير المقيدة بالمدلولات المعجمية ، حيث
كانت تتغير الدوال والمدلولات بحسب السياقات التي تكون فيها ، لأن معاني الكلمات
والمصطلحات كان فيها تحديد وتوجيه وتوظيف جعل اللغة الفنية وأهلها لأن تكون اللغة التي تصنع
فكرا وثقافة ، ومن ذلك التحديد ، أيضا ، كانت الجمل مركزة ومختصرة في بعض الأحيان ،
وطويلة في أحيان أخرى ، مع إمكانية الوقوف عند جملة الفقرة أو جملة الموضوع بسهولة ويسر ،
إلا في بعض الحالات التي كان فيها تركيب في المعنى أو الفكرة ، أو كان تكرار في بعض الألفاظ
والعبارات أو في بعض المعاني التي كان الأمر في كشفها والاستدلال عليها من الصعوبة بمكان
للعثور على جملة الفقرة أو جملة الموضوع البؤرية أو المركزية في الفقرات أو في النص الأدبي ككل .

لقد وظف ناصر الدين الأسد الترادف في لغته الفنية الأدبية ، وظهر ذلك من خلال الإتيان
باللفظ أو التركيب اللغوي الدال على المعنى أو الصورة أو الفكرة ، في حالة ما إذا أراد أو قصد أن
يعبر عن شيء في نفسه أو في ذهنه فيه له قصد أو هدف يرمي إليه بأسلوب يعتمد على الإشارة أو

الإيماءة أو التلويح أو التلميح إليه دون التصريح ، مما جعل هذه العملية تضيف على لغته الفنية سمة لغوية جمالية تنبئ عن قدرتها على التعبير وإبلاغ المرام والمقصد .

أما في بعض الأحوال ، فقد كان للتمثيل دور في بناء لغته الفنية ، بحيث يعبر بجمل وعبارات عن معنى معين أو فكرة معينة ، وظاهر الكلام يدل على معنى آخر ، والعكس صحيح أيضا ، حيث كان في لغته إيهام أو تقوية لمعنى من المعاني أو فكرة من الأفكار يدل عليها ظاهر اللفظ ، ويريد الأسد معنى غير الذي دلت عليه الألفاظ في ظاهرها ، كقوله مثلا : " وقد يكون مما تلتقي عليه الآراء المختلفة أن الأنظمة الأخلاقية والاجتماعية والسياسية تنمو من داخل الأمة ، وتتطور من عناصر تراثها وشخصيتها ، وقد تستفيد مما يدور في العالم من حولها ، ولكنها لا تفرض على الأمة من الخارج ، وخاصة إذا كان الفرض يبلغ مبلغ التدخل العسكري والقوة المسلحة . لأن ذلك يولد - عاجلا أو آجلا - رد فعل معاكسا ، يرفض هذا التدخل وما يحمله من قيم ومفاهيم ، وستكون هذه القيم والمفاهيم - في حالة القهر والاضطرار - محض مظهر خارجي زائف ، لا يملك القدرة على التغلغل إلى جذور الأمة والتأثير فيها ، ويقتصر وجودها على قشرة خارجية هي طبقة من المتفعين أو ذوي الشخصية المشوهة والثقافة المستجلبة ."^(١٣٤) فهذه اللغة لا يفهمها ويدرك مراميها وأبعادها ودلالاتها ، إلا من يعرف حقيقة أحوال الأمة العربية ، ومن يقدر على تشخيص الأمراض الحضارية المعاصرة التي أصابتها بفعل اتصالها مع الأمم الأخرى .

وكذلك قوله :

(١٣٤) الأسد ، ناصر الدين ، نحن والآخر ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .
٢١٦

في المحراب

محراب الطهر أقدسسه أدنوه منه .. لا ألمسه

لم يقربه قبلي بشر أو تطمع فيه هواجسه

وإذا ما مد له نظرا بالسوء ارتد ينكسه

وإذا ما هم بمنقصه بآت بالخسر وسأوسه

ثم يقول :

أسعى وأطوف في وجل فلعل طوافي يسلسه

وتبوح عيوني والهة بحديث الحب تخالسه

وظللت أصلي مبتهلا وأعيد دعائي أهمسه

حتى رقت لي مهجته وامتد أمامي مجلسه

فدخلت حمى المحراب ضحى وسقتني المتعة أكؤسه^(١٣٥)

وهذه اللغة الشعرية لها معانيها الظاهرة ، ولكنها تبطن ما لا تظهر ، وتحتاج إلى الغوص في

أعماقها للكشف عن دلالاتها التي تكمن في ما وراء الألفاظ والتراكيب والسطور .

ولذلك ، فقد كانت لغته الفنية قادرة على التمويه على ضعاف التحصيل والفهم والوعي

والإدراك ، وعلى ذوي الثقافة المتوسطة وما دونها ، ولم تكن كذلك على ذوي الثقافة العالية أو

على الأذكياء وذوي التحصيل اللغوي والمعرفي الجيد فما أعلى .

(١٣٥) لقد أكرمني الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد وتفضل بترويدي بجميع مؤلفاته ونتاجاته الأدبية ، بما فيها جميع قصائده الشعرية التي قالها قبل سنة ١٩٩٨ م ، إذ كان بعضها منشورا في صحف ومجلات أردنية وعربية في أوقات سابقة ، وبعضها الآخر لم ينشر بعد ، وهي مرقونة على الآلة الكاتبة ، وأشير هنا إلى أن بعض القصائد التي لم تنشر قبل السنة المذكورة سابقا ، قد أوردتها الناقد أحمد المصلح في كتابه الذي ألفه عن ناصر الدين الأسد والموسوم بـ (ناصر الدين الأسد ناقدا وشاعرا) ، ط١ ، ٢٠٠٢ م ، من منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن . والقصيدة وردت في هذا الكتاب ، ص ١٣٣ - ص ١٣٤ .

ومن السمات الغالبة على لغته الفنية أنها كانت خالية من كل أشكال التعقيد اللفظي ، ومن كل أشكال التعقيد المعنوي ، بحيث غلبت على الألفاظ التي كان يختارها العذوبة والجزالة ، وذلك بحسب المقام ومقتضى الحال في التعبير والمعنى والفكر وفي الموقف ، كما جمعت ألفاظه التي كان يركب منها كلامه الملفوظ أو المكتوب بين السهولة والرصانة ، وقلما يقدر أديب أو كاتب على الجمع بينهما في جملة واحدة أو فقرة واحدة أو نص واحد . حتى اتسمت ألفاظه وتراكيبه بالسعة في اللفظ والسعة في التركيب ، مما ساهم في خلق فضاء نصي أدبي تميز بسعة المعنى الأدبي فيه . ذلك الفضاء الذي كانت فيه معاني الألفاظ والتراكيب والتعابير والجمل والفقرات إشارية في بعض النصوص الأدبية ، لما فيها من المعاني المرجعية ، والمعاني التصويرية ، والمعاني التمثيلية ، والمعاني بالمواضعة . والمعاني التوقعية ، ولا سيما المعاني التيسيقية ، والمعاني السببية ، والمعاني العملية أو ما يقصد به المعاني التأثيرية .

ولعل التناسق في طول الفقرات كان من أهم المميزات النصية التي أسهمت في تشكيل لغته الفنية بشكل كلي أضفى على النص رونقا تشكليا له فوائده ومزاياه ، سواء على الكاتب أو على المتلقي أو على الموضوع موضوع النص أو على الموضوع الجزئي موضوع الفقرة الواحدة في النص الأدبي الواحد . لأنها اللغة التي تميزت بائتلاف منظومة العناصر التركيبية التشكيلية المتداخلة في نسج من العلاقات التماسكة ، ذات المطابقة بين الكلام ومقتضيات المقام والأحوال ، تلك المطابقة التي تمثلت في التقديم والتأخير ، أو الحذف أو الذكر ، أو الإيجاز ، أو الإطناب ، أو الفصل ، أو الوصل .

وبشكل عام كانت تتميز لغته الفنية بقلّة استعمال وتوظيف الحسّنات البديعية اللفظية ،
وبالتشكيل البنائي التراكمي والإيجابي في تكوين النص الأدبي المنسجم مع كل المعايير الأدبية .

أما التشخيص وعلاقة الصور الاستعارية بالخيال فقد كان لهما أثر في تميز لغة ناصر الدين
الأسد الفنية بمميزات تتعلق بذلك التشخيص الفني الدقيق المثير الدافع للتأمل والتفكير والتصور
والتخيل التمثيلي والتشبيهي والاستعاري ، مما أدى إلى أن يكون في لغته الفنية استيعاب واضح
لتحويلات في الكلمات والألفاظ تنقلها من بيئة فنية إلى بيئة فنية أخرى ، فهي ، إذن ، لغة فنية
حاملة للمعاني البيانية والجازية ، وبذلك ، فقد حقق الجاز للغته الفنية مهاراتها الفنية الإبداعية التي
طالما كان فيها خروج عن المألوف وتجاوز للمعيار الذي انبثق من سعتها وطاقتها وقدراتها التي
تعلقت بوجود علامات لغوية وقرائن لفظية ومعنوية تساهم في إنتاج الدلالة الأدبية ، وفي مجالي لغة
الشعر والشاعرية ولغة النثر والأدب بصفة عامة .

كما تبين بعد البحث والدراسة أنها اللغة الفنية التي امتازت بالحركية المتجددة في توليد
المعاني والصور والأخيلة التي تنساب في الذاكرة ومنها انسيابا يلتقي مع الوجدانيات وما فيها من
عواطف ومشاعر وأحاسيس وقيم تربوية وسلوكية وخبرات علمية معرفية وثقافية خدمت اللغة ،
واللغة خدمتها وقدمتها بميثتها المعقولة والمقبولة للمتلقى بكل أنماطه وأطيافه ومستوياته .

إنها اللغة الفنية التي كان فيها ضروب من البيان المنسجم المتوافق مع القوافي في قصائده
الشعرية التي ائتلف فيها المعنى مع القافية ، كما ائتلف فيها اللفظ مع الوزن العروضي ، وائتلف
فيها المعنى مع الوزن العروضي أيضا ، حتى تمكنت لغته الفنية الشعرية من أن تتميز بالموسيقى
الشعرية داخليا وخارجيا ، وذلك راجع إلى حسن اختيار البحر ذي الوزن الموسيقي ، ذي القافية

المؤثرة ، وذو الإيقاع الذي إذا وقع على الأسماع أطربها وأشجى نفوسها وخلق ألبابها ، بسبب من النبر الذي في بعض ألفاظ أبيات القصيدة أو من التنعيم المرتبط بإيقاع الألفاظ والتراكيب وجرسها الموسيقي الحافز للمشاعر والعواطف في النفوس والدافع للمخيلة كي تتخيل وللمصورة كي تصور وللعقل كي يتأمل ويفكر .

إن انسيابية الكلمات والجمل والعبارات وتدفعها على لسان ناصر الدين الأسد وعلى قلمه قد ظهرت في يسر وطواعية في لغته الفنية التي تميزت بنظام تشكيلي لأصوات حروفها في خطاب ناصر الدين الأدبي ، الذي جعل من هذه اللغة الفنية الأدبية وتوظيفها اللغة التي تحقق الغايات الجمالية التأثيرية لدى صاحبها ولدى المتلقي على حد سواء .

وعطفا على ما سبق يمكن القول إن العبارات بمكوناتها وعناصرها وعبر تشكيل الفقرات النصية وتشكيل النص الأدبي بأكمله ، تحيل على نفسها باحتلالها المرجعيات اللفظية والمرجعيات التصويرية والمرجعيات التفسيرية والمرجعيات التحليلية والمرجعيات الدلالية ، التي لا تتفق فيما بينها كمرجعيات متلازمة ، وإنما كانت كل مرجعية منها تبدو حيناً بوضوح ، وتختفي حيناً آخر . وقد ظهرت المفارقات المرجعية للألفاظ والتراكيب والجمل الناتجة عن الحروف والرموز في كثير من النصوص ، وذلك راجع إلى تعدد المرجعيات الممكنة لهذه الحروف والرموز في لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية .

ومن يتعمق في دراسة هذه اللغة الفنية في أدب ناصر الدين الأسد ، يجد أنها في كثير من المواضع فيها انزياح أسلوبى عن النمط التعبيري المتواضع عليه ، لأنه كان يعتمد إلى استحداث

تراكيب لغوية وتعبيرات وجمل فيها من التفنن الصياغي والنظمي ما يشبه التلاعب بالألفاظ لتكوين تشكيل نصي معبر عن ما لديه من معان وأفكار ومعلومات وقيم ومشاعر وعواطف .

إن ذلك الانزياح المرتبط بالمفارقات اللفظية والمفارقات المعنوية في نصوص ناصر الدين الأسد الأدبية مبعثه تلك المرجعيات المتعددة المتنوعة والمختلفة المصادر ، حيث شكل انحرافا عن الرمزية الفرعية في اللغة العربية الفنية بكل عناصرها التكوينية ، مما أدى إلى ظهور تلك المفارقات الناتجة عن استعمال الألفاظ والتعبيرات السياقية غير العادية وغير المتداولة وغير المستهلكة على السنة العامة أو متوسطي الثقافة والأدب والقدرة اللغوية ، ولكنها عادية ومتداولة لدى ذوي القدرات اللغوية العليا ، وذوي الثقافة العالية ، والأدباء والعلماء سواء من قبيل قدامى الكتاب والمؤلفين والمصنفين والعلماء أو من قبيل المحدثين منهم ، وبعبارة أخرى حاول ناصر الدين الأسد أن يكون له لغته الفنية الخاصة بما فيها من أسلوبية اعتمدت انزياحا له أشكال انحرافية لفظية تركيبية تصويرية معنوية ميزت أسلوبه العام في الطرح والتفسير والتحليل والمناقشة وإصدار الأحكام النقدية على الأعمال الأدبية التي كانت موضع دراسة أو بحث أو مناقشة أو نقد في أعماله الأدبية .

وبناء على ذلك ، فقد تميزت لغته الفنية بألفاظها المفردة المأنوسة البعيدة عن الغريب والسوقي والوحشي الذي يثقل على الألسنة وتنفر منه الأسماع .

كما كانت لغة ناطقة موحية بغير المعنى المعجمي من خلال الجملة أو من خلال العبارة أو من خلال النص الأدبي ككل . ولذلك ، فقد جاءت جملها وتراكيبها وتعبيراتها على ألوان مختلفة فيها مقاربات لفظية ، أو فيها مفارقات لفظية ، توسع دائرة الفهم والاستيعاب لدى المتلقي ، سواء عند السماع أو عند القراءة أو عند البحث والتحليل والدراسة .

فالتشكيل التعبيري المتضمن للانزياح اللغوي الذي يحتوي على المقاربات والمفارقات اللغوية الأدبية والتصويرية في لغته الفنية كان على درجة عالية من القابلية للاستساغة والتقبل والرغبة في الاستزادة من سماعها أو قراءتها ولو لمرات عديدة ، إذ كلما ازداد السامع لها سماعا ، أو أعاد القارئ قراءتها ، تحركت ذائقته الفنية والأدبية ، وسرت في قلبه مشاعر تسمو به إلى درك النشوة والطرب الأدبي والاهتزاز السروري ، وجال خياله في فضاءات تلك الصور الأدبية ، وذهب العقل في الفهم والإدراك والغوص في أعماق المعاني والأفكار والدلالات إلى أبعد مما كان عليه الحال لديه عند السماع أو القراءة للمرة الأولى . وكل ذلك ما كان ليكون لولا أن ذلك الانزياح كان ذا ألوان متعددة بسبب كفاية ناصر الدين الأسد اللغوية ، وبسبب امتلاكه ناصية اللغة الأدبية ، وبسبب طلاقته وأدائه وسليقته التي كانت وراء التفتن في تنويع التعبير سواء على مستوى الألفاظ والمصطلحات أو على مستوى الجمل والعبارات أو على مستوى فقرات النص الأدبي الواحد .

ولما كان في لغته الفنية تجانس بين الألفاظ ، فقد أدى ذلك التجانس إلى خلق نوع من الانسجام بينها يمثل ما صنع من الاتحاد بينها في الجملة أو العبارة أو النص ، مما كان له أثر إيجابي في تكثيف دلالات تلك الألفاظ أو الجمل أو العبارات أو الفقرات في النص الواحد ، ومن ثم في الموضوع الأدبي الواحد من أعماله الأدبية . فالتكثيف اللغوي في لغة ناصر الدين الأسد الفنية ، بنوعيه ؛ اللفظي والدلالي ، قد أسبغ على النصوص صبغة إيجابية من حيث الشكل العام للنص ، ومن حيث التدرج المنطقي ، والتسلسل المنطقي في فقرات النص وفي الجمل والتراكيب ، ومن حيث الغرض العام للنص الأدبي .

إن أية قراءة من القراءات المذكورة سابقا تكشف - وببسر وسهولة - عن ظاهري التكثيف الزماني والتكثيف المكاني في لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية ، مع تضمن تلك الأسماء الزمانية والمكانية لكثير من الإشارات والإيحاءات والدلالات التي ترتبط بعمق الفكرة أو عمق الموضوع الأدبي ، بمثل ما ترتبط به مع الصور والأخيلة البيانية والبلاغية والمشاعر المتعلقة بها .

ولا شك في أن هذه اللغة الفنية الأدبية قد اشتملت على اللسان المطبوع البعيد عن التكلف ، فجاءت تلك اللغة كاملة الطبيعة ، وفيها سجية تضي على النصوص والموضوعات والخطابات المسحة الأدبية والإبداعية التي تتمثل في ما أفادت به وما أفادته تلك الجمل والعبارات والفقرات التي زينتها ضروب التحسين والتزيين في بعض المواضع ، ووشحتها برونق الفصاحة ، وغنتها بالأسجاع في القليل من المواضع ، ووازنت بينها وبين حمل الكلام وتقسيمه بالأقسام المختلفة الأحكام ، وألبستها ألبسة التورية بالمشارك اللفظي الدال على الخفي في معانيه وبشت فيها روح القوة في المطابقة بين المتضادات والمتجانسات من الألفاظ والمعاني ، فتحصل للكلام بما رونق من الإبداع ، ولذة في الأسماع ، وذائقة فيها حلاوة ، واندماج مع الفكر والمعنى والصورة بعثه ما تحصل لها من طلاوة ، وإعجاب ينم عن التوحد والتمثل مع ما تميزت به من حسن بلاغة وصفاء جمال ، حتى يظهر لكل مستمع لها أو قارئ لأعمال ناصر الدين الأسد الأدبية أن هذه اللغة الفنية الأدبية قد أسهمت في اكتشاف بعض المعلومات والأفكار الجديدة في الموضوعات الأدبية التي عاجلها ودرسها وبحث فيها بتعمق الباحث المتمكن الخبير ، أو أسهمت في الكشف عن بعض الأساليب والطرائق الإبداعية التي لم تكن تخطر على بال الكثير من الكتاب والأدباء والمبدعين ،

ليتبعوها ، لولا أن أعمال ناصر الدين الأسد قد قادتهم ووجهتهم وأرشدتهم إليها ، فراح البعض منهم يقلده ، وينهج نهجه ، ويخلدو حذوه ، في ما ينتج من أعمال أدبية وإبداعية .

وخلاصة القول ، إن لغته الفنية الأدبية الإبداعية لغة فريدة من نوعها ، لغة متميزة لها سماتها وخصائصها التي تختص وتتسم بها ، وقل من يستطيع أن يأتي بمثلها في أعماله ونتاجاته الأدبية.

المبحث الثالث

الخصائص الأسلوبية في أدب ناصر الدين الأسد

ينطلق كل ناقد في آرائه النقدية من نظرية نقدية أدبية يتبنى عناصرها وأسسها وقواعدها ومجالاتها وافتراساتها . وفي كل الأحوال نجد الربط بين اللغة التي تشكل منها النص أو الخطاب الأدبي والأسلوب الذي استعمله الكاتب . ونجده لا يخرج عن نطاق أسلوبية لغوية أدبية ، فيها من البلاغة والإبلاغية والتواصل والفهم والإفهام ما يدرجها في دراسة الظاهرة اللغوية ، بحثا عن التذوق اللغوي والتذوق الأدبي المعتمد على ما في اللغة وما في الخطاب أو النص من جماليات ، وفتيات أدبية إبداعية ، تستحق الوقوف عندها ، ودراستها وتحليلها وتذوقها ، والاستفادة منها على المستويين ؛ المستوى الشخصي التأثري الإمتاع والتواصل ، والمستوى النقدي الأدبي البحثي الأكاديمي ، في إطار مدرسة لغوية ما ، أو مدرسة أدبية ما ، وفي ضوء نظرية نقدية ما ، يحددها الدارس الناقد ، وإن لم يكن الكاتب ينتمي إليها أو ينضوي تحت لوائها أو ليس هو من أتباعها .

وعند كثير من علماء اللغة والنقد والأسلوبيين " تعد الأسلوبية مدرسة لغوية تعالج النص الأدبي من خلال عناصره ومقوماته الفنية وأدواته الإبداعية ، متخذة من اللغة والبلاغة جسرا تصف به النص الأدبي ، وقد تقوم أحيانا بتقييمه من خلال منهجها القائم على الاختيار والتوزيع ، مراعية في ذلك الجانب النفسي والاجتماعي للمرسل والمتلقي ، ومن ثم فإن الدراسة الأسلوبية عملية نقدية ، تركز على الظاهرة اللغوية ، وتبحث في أسس الجمال المحتمل قيام الكلام عليه . " (١٣٦)

(١٣٦) أبو العدوس ، يوسف ، البلاغة والأسلوبية ؛ مقدمات عامة ، ط١ ، ١٩٩٩م ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ١٨٤ .
٢٢٥

على اعتبار أن الأسلوبية : " فرع من اللسانيات الحديثة ، مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية ، أو للاختبارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون والكتاب في السياقات (البيئات) غير الأدبية . " (١٣٧)

لقد تناولت الأسلوبية عددا من القضايا اللغوية والأدبية الإبداعية في كثير من الدراسات والأبحاث النقدية والأدبية ، حتى أصبح من خلال هذه الدراسات والأبحاث أن تحديد الأسلوب " يعد من أبرز قضايا الأسلوبية المعاصرة ، حيث قدمت في هذا الشأن جملة من الصيغ النظرية المتباينة سعيا لضبط هذا المفهوم ، الذي أصبح موضوع هذا العلم اليافع ، الذي نشأ في حضن اللسانيات ، وإن كانت جذوره في البلاغة القديمة . ولا يعدم الباحث في تراثنا البلاغي العربي أفكارا صالحة لأن تكون مبادئ أو أسسا لتفكير أسلوب عربي . " (١٣٨)

ويعتد الأسلوب مكونا مهما من مكونات النص الأدبي الإبداعي ، وفي هذا المجال يرى الناقد محمد مشبال أنه " ربما كان تحديد الأسلوب ، باعتباره (اختيارا) من بين إمكانيات عدة أو بدائل كثيرة متاحة للمبدع ، يمثل إحدى أبرز الخصائص لضبط ماهية الأسلوب الأدبي ضبطا يقوم على مراعاة المكون التجنيسي ، ذلك أن مفهوم الاختيار الذي يفيد اتساع مجال الحرية أمام المبدع في إنشاء الكلام ، يفيد من جهة أخرى مجال القيود المفروضة عليه . " (١٣٩)

إن الكاتب المبدع هو الذي يحسن اختيار الأسلوب المناسب لكتابته الإبداعية في طرح موضوع أو قضية ما ، أو في تحليل ما أو في دراسة ما ، ولا يكون له ذلك ، أو لا يتأتى له النجاح في ذلك إلا إذا كان يدرك ما معنى الأسلوب ، وما عناصره ، وما أدواته ، وما أركانه ، وما

(١٣٧) المرجع السابق نفسه ، ص ٥٥ .

(١٣٨) مجلة عالم الفكر ، مج ٣٠ ، ع ١ ، سبتمبر ٢٠٠١ م ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مقالة بعنوان (البلاغة ومقولة الجنس الأدبي) من قلم محمد مشبال ، ص ٥٥ .

(١٣٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٥٥ .

أنواعه ، وذلك من حيث إن الأسلوب في اللغة يعني شيئاً وفي الاصطلاح يعني شيئاً آخر ، ولكنه في معنيه علاقات وارتباطات تقوي المفهوم المقصود بالأسلوب في أي عمل أدبي فيه من عناصر الإبداع ما يؤهله لأن يحقق جمالياته وأهدافه التواصلية والإبداعية .

وعليه ، ففي اللغة : " يطلق لفظ الأسلوب في اللغة العربية إطلاقاً مختلفة ، فيقال للطريق بين الأشجار أسلوب ، ويطلق على الفن ، والوجه ، والمذهب ، الشموخ بالأنف ، وهو اسم لعنق الأسد ، ويقال كذلك في مقام تعريف طريقة المتكلم في كلامه . والمعنى الأخير أنسب هذه المعاني لما نحن بصدده ، وهو الفن والمذهب مع التقييد لا على الإطلاق . " (١٤٠)

أما الأسلوب في الاصطلاح اللغوي والأدبي فإنه لفظ يطلق على " الطريقة الكلامية التي يملكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه . وهو المذهب الكلامي الذي ينفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده . وهو الطابع الكلامي الذي ينفرد به المتكلم كذلك . " (١٤١)

إن التعريف القائل بأن الأسلوب هو " أية طريقة خاصة لاستعمال اللغة ، بحيث تكون هذه الطريقة صفة مميزة لكاتب ، أو مدرسة ، أو فترة زمنية ، أو جنس أدبي ما . " (١٤٢) يربط بين الشكل والمضمون من جهة ، وبين الجنس الأدبي وموضوعه من جهة أخرى ، لتحقيق أغراض وغايات إبداعية من جهة ، ولمعالجة قضية وجدانية أو فكرية أو علمية أو ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية أو إنسانية من جهات أخرى .

ولما تعددت الآراء في تعريف الأسلوب الأدبي كأداة أو كطريقة تؤدي وظائفها في التواصل وفي المجالات الأدبية الإبداعية ، فقد برز في المدارس النقدية وفي الدراسات والأبحاث " من يرى أن

(١٤٠) مجلة أبحاث اليرموك ، مج ١١ ، ع ١٤ ، ١٩٩٣ م ، منشورات جامعة اليرموك ، بحث (أثر التحولات الأسلوبية في تغيير الإعراب في الآيات القرآنية والشواهد الشعرية) من قلم يحيى القاسم ، ص ١٠ .

(١٤١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٠ .

(١٤٢) أبو العدوس ، يوسف ، البلاغة والأسلوبية ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

الأسلوب تضمن **connotation** ؛ وهذا يعني أن كل سمة لغوية تتضمن في ذاتها قيمة أسلوبية

معينة ، وأنها تستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص أو الموقف . ويتخذ التحليل الأسلوبي عند

أصحاب هذه النظرة شكل دراسة للعلاقات ما بين الوحدات اللغوية وبيئتها وسياقها . " (١٤٣)

كما أن هناك من يرى أيضا أن الأسلوب " هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية . والنظم هيئة

تحصل عن التأليفات اللفظية . ولما كان الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ وجب أن يلاحظ

فيه حسن الاطراد والتناسب والتلطف في الانتقال . " (١٤٤)

أما الناقد محمد أحمد القضاة ، فقد رأى أن مفهوم الأسلوب له علاقة وطيدة بصاحبه ،

الذي يريد إيصال ما لديه من المشاعر والأفكار والمعاني إلى المتلقي ، فقال موضحا رأيه في هذا

الموضوع : " وحين نتحدث عن الأسلوب ، إنما نعني التركيب والبناء وتسلسل الأفكار ، لهذا

فالأسلوب هو طريقة تعبير الإنسان عن نفسه ، ولذلك فالأسلوب في بعض وجوهه هو ما تظهر به

المعاني جليلة قوية مؤثرة ، به تعرف شخصية الأديب وخصائصه الفنية ، بما ينفثه فيه من روعة التعبير

وجمال التصور ، ودقة التفكير ، وبما يثثه فيه من حرارة العاطفة ، وبديع الخيال ، إذن ، الأسلوب

هو الأديب ، والأديب هو الأسلوب ، ويحكم على هذا الأسلوب الذوق المدرب ، وصلة البلاغة

بالأسلوب أو الصورة هو أن الأسلوب مظهر الهندسة الروحية لهذه المملكة النفسية كونه يمثل طريقة

التفكير ، ويذهب التعبير أو الصورة الكلامية التي يتمثل فيها تفكير الأديب وتعبيره ، بل إن

الأسلوب هو خلق مستمر : خلق الألفاظ بواسطة المعاني ، وخلق المعاني بواسطة الألفاظ . " (١٤٥)

(١٤٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٢ .

(١٤٤) المناصرة ، عز الدين ، الشعرية ، قراءة مونتاجية ، ط ١ ، ١٩٩٢ م ، مكتبة برهومة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(١٤٥) مجلة صوت الجبل ، ع ١٧ ، تشرين الأول ١٩٩٢ م ، تصدرها وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، مقالة بعنوان (اتجاهات البلاغة في العصر الحديث) من قلم : محمد أحمد القضاة ، ص ٨٩ .

واعتبر البعض أن " الأسلوب عنصر آخر من عناصر البناء اللغوي لا يقل أهمية عن العناصر الأخرى السابقة ، فالتلاعب بالألفاظ واستعمالها على أساس المجاز ، أو الاستعارة ، أو الكناية ، أو غير ذلك من ضروب البيان والبديع ، بحيث يكون للفظ الواحد دلالة مختلفة في كل تركيب أو سياق ، له أهميته ودوره في إثراء اللغة وإضفاء الجمال عليها . " (١٤٦)

ومما سبق ، فإنه لا بد من أن يكون لكل أسلوب صورة تميزه من غيره من الأساليب الأخرى ، لكنها لا تخرج عن إطار الصورة الكلية لجميع الأساليب ، تلك الصورة الكلية التي " تمثل فيها العلاقات النحوية من حيث تركيب الجملة ، ومن حيث إن لكل أسلوب طريقته الخاصة في استخدام هذا النحو في الشعر والنثر ، وهكذا لا ينفصل مفهوم الأسلوب عن مفهوم النظم . " (١٤٧) على اعتبار أن " النظم هو التشكيل بأبعاده الفنية والجمالية ، ذلك أن الصياغة والنقش والتجوير والتصوير والوشى فنون لا تقوم إلا على مبدأ التشكيل ماهية وطابعا وغرضا . " (١٤٨) ويحسن بنا أن نخرج على وجهة نظر المدرسة التوليدية التحويلية التي تنظر إلى موضوع الأسلوب على أنه عنصر من عناصر النظام اللغوي ، حيث دجت هذه المدرسة في النصف الثاني من القرن العشرين بين العلوم اللسانية وعلوم البلاغة ، أو ما أطلقت عليه علم الأسلوب ، أو علم الأسلوبية ، إذ أشارت دراسات وأبحاث لسانية معاصرة إلى التغيرات التي طرأت على بعض النظريات اللغوية التي تبناها هذه المدرسة ، وبخاصة ما يتعلق بموضوع التكامل اللغوي في العلوم اللسانية الحديثة ، ولم يعد هناك فصل عند هذه المدرسة اللغوية بين العلوم اللسانية والنظريات النقدية الأدبية التي اتخذت من علوم البلاغة والأسلوبية مجالا تدور في أفلاكه اللغوية والأدبية ،

(١٤٦) أبو مغلي ، سميح ، وزميله ، الأصول في اللغة العربية وآدابها ، ط ١ ، ١٩٩٠ م ، دار القدس للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ١٧

(١٤٧) أبو العدوس ، يوسف ، البلاغة والأسلوبية ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

(١٤٨) قوقزة ، نواف ، نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد ، مع دراسة تطبيقية في شعر عمر للنص ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

فصار " يعرف هذا الأسلوب في علم اللغة المعاصر بالتحويلات الأسلوبية ، وقد ذكر نعوم تشومسكي ، صاحب نظرية التوليد والتحويل ، أن التحليل الأسلوبي ينطلق من مفهوم خاص للأسلوب ، وهو أن الكاتب يستخدم أنواعا معينة من التحويلات في لغته ، ولا سيما التحويلات الاختيارية بحيث تصبح هذه التحويلات مميّزا أسلوبيا عنده ؛ لأن هذا الاختيار دون غيره ، إنما هو في الأصل استغلال لطاقت اللغة الكامنة في النظام اللغوي بتحويلات معينة . "(١٤٩)

وهذا التعريف يؤدي إلى القول إن " الأسلوب هو حصيلة تفاعل المبدع مع مجالي الحرية والقيّد ، فبقدر ما يكون حرا في الاختيار ، تخضع هذه الحرية لمجموعة من الأعراف والتقاليد الأدبية التي يتقوّم بها الجنس الذي اختار الكتابة في إطاره . وينبغي ألا يفيد هذا أن مفهوم (الجنس) قيد يشد إليه الإبداع ويمنعه من حرية الحركة ، ولكن ما نتوخى إثباته هنا أن مفهوم (الاختيار) ليس مطلقا . "(١٥٠)

ومن ذلك يمكن القول : " إن النصوص الكتابية هي غمط من الأسلوب ، والأسلوب في تفرد كالإنسان من حيث فروقاته . ولهذا رد علماء اللغة المسلمون الوحشي من الكلام إلى وحشية في النفس . "(١٥١)

إن الواقع الأدبي العربي يثبت في كل حين أن " اللغة العربية مشهورة بتنوع أساليب التعبير فيها ، وبكثرة مجازاتها وجمال فنون القول فيها ، حتى لقد أسماها البعض باللغة الشاعرة . "(١٥٢)

(١٤٩) مجلة أبحاث اليرموك ، مرجع سابق ، بحث (أثر التحويلات الأسلوبية في تغيير الإعراب في الآيات القرآنية والشواهد الشعرية) ، يحيى القاسم ، ص ١٧ .

(١٥٠) مجلة عالم الفكر ، مرجع سابق ، مقال (البلاغة ومقولة الجنس الأدبي) ، محمد مشبال ، ص ٥٥ - ص ٥٦ .

(١٥١) أبو حمدة ، محمد علي ، فن الكتابة والتعبير ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(١٥٢) أبو مغلي ، سميح ، وزميله ، الأصول في اللغة العربية ولادها ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

كما أن " تعدد الأساليب راجع إلى اختلاف الموقف ، وطبيعة الموضوع ، ومقدرة المتكلم وفنيته . " (١٥٣)

فالعلاقة بين اللغة والموضوع والجنس الأدبي والأسلوب التعبيري والكاتب علاقة متعددة العناصر والأركان والوجوه ، كما أنها علاقة في صورة شبكة من العلاقات الجزئية ، تتجلى كل واحدة منها في صورة أو في عدة صور بعد التام كل العناصر المكونة للنص الأدبي وبعد اكتمال ولادته ونموه ونضجه . " والحق أن الربط بين الأسلوب والجنس الأدبي يمثل مجالا من مجالات الدرس الأسلوبي المعاصر ، حيث تتجاوز الأسلوية الأدبية دراسة كاتب أو عمل مفرد أو الخصائص المميزة لمجموعة من الكتاب ولحقة معينة ، إلى دراسة أسلوب جنس ما . " (١٥٤)

ولذلك ، فقد صار " يعد القول بمعيّار الجنس الأدبي في تشكيل اللغة إقرارا بتعدد الأساليب ، إذ يصبح لكل جنس أدبي أسلوبه البنائي الخاص به . " (١٥٥)

وكلما تقدمت عجلة الإبداع الأدبي وتطورت فنونه ، وكلما أدرك الأدباء والكتاب قيمة المعطيات الحضارية التي توجد الإبداع وتخلقه ، كلما أصبح " من الطبيعي أن تتطور الأساليب الأدبية ، فتتنوع وتختلف باختلاف : (العصور التي تعاقبت في البيئة الواحدة ، أو في العصر الواحد في البيئات المختلفة . غير أن هذا التنوع والاختلاف في الأساليب إنما كان يجري على غط أصيل من اللغة ذاتها ، ويدور في فلكها ، ويتحرك في داخل إطار يحسكه أن يفلت أو ينحرف ، وهو دليل على أنها حقا اللغة الواحدة ، وهو حين يدل على وحدتها إنما يدل أيضا على أصالتها وتماسك شخصيتها ، وعلى قدرتها على البقاء وعلى الحياة المستمرة ، وذلك من خلال قدرتها على النمو

(١٥٣) ليو العدوس ، يوسف ، البلاغة والأسلوبية ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

(١٥٤) مجلة عالم الفكر ، مرجع سابق ، بحث (البلاغة ومقولة الجنس الأدبي) ، محمد مشبال ، ص ٥٧ .

(١٥٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٥٦ .

السليم النابع من ذاتها ، المحكوم بأصولها وقواعدها ، والشأن في الألفاظ المستجدة التي يستحدثها العصر للوفاء بحاجاته هو الشأن نفسه في الأساليب ، فإن لاستحدثاتها أصولا وقواعد من القياس ، والتذوق اللغوي ، والإلف في السمع ، وما يتصل بكل ذلك من مثل القدرة على الشروع والإفهام ، مع الحاجة الحقيقية إلى هذا الاستحداث (١٥٦) .

لقد تعددت التسميات أو التصنيفات للأساليب التعبيرية والأدبية والإبداعية ، ومن هذه الأساليب ؛ الأسلوب المجرد " الذي لونه واحد ، وخاصته الاختصار والسليقة والسلامة والاستقامة فهو أملس سوي ، ومحل استعماله المعاملات والمخاورات والعلوم الآلية . " (١٥٧)

والأسلوب المزين الذي خاصيته " التزيين والتنوير ، وتهيج القلب بالتشويق أو التنفير . والمقام المناسب له الخطابات كالممدح والذم وغيرهما والإقناعات ونظائرها . " (١٥٨)
وهناك الأسلوب العالي الذي خاصيته " الشدة والقوة والهيبة والعلوية الروحانية . ومقاومة الإلهيات والأصول والحكمة . " (١٥٩)

فالكاتب - إذن - يختار لفته ويختار أسلوبه من بين الأساليب الكتابية الإبداعية المتنوعة ، ويتوسم به الإفهام والإبلاغية وبلوغ القصيدة ، والإثارة والتفكير والتأمل والمتعة والتذوق الفني والأدبي لديه ولدى المتلقي . فمن كان كاتباً ذا ذائقة عالية فائقة فإنه يدع أدبا يثير ذائقة المتلقي ومتعته ويدفعه إلى الفهم والإدراك والتفاعل مع ما يتلقى أو يقرأ ، " إلا أن التذوق يرتبط ببلاغة الصورة لا العبارة ، وجمال الأسلوب لا نوعه كما يرتبط بالكشف عن الألوان التي تحدد ظلال الكلمات والجمل ، وتبرز قوة الفكرة والمعنى وتبسط جمال التركيب وحلاوة العناصر اللفظية

(١٥٦) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٦٨ - ص ٦٩ .
(١٥٧) الصالح ، إحسان قاسم ، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .
(١٥٨) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٦ .
(١٥٩) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٦ - ص ١٥٧ .

المكونة له ، حيث إن معارض الجمال الأدبي لا تستوعبها مصطلحات البلاغة ولا أحكام النقد

الجزئية الانفعالية الآنية فهي آفاق رحبة وعوالم ساحرة ، وإيحاءات جميلة أخاذة واختيارات لفظية

وتعبيرية توحى لها لحظات الإبداع الرائعة ، وأوقات الإلهام المجهدة المضنية .^(١٦٠)

كما أن ذلك التدوق يعتمد على القوى اللغوية والفكرية التي تربط بين الأسلوب وخصايصة

التعبيرات والتراكيب اللغوية ، التي ربما اتسقت في أسلوب كان الالتفات محوره وبؤرته ، أو كان

التمثيل ركيزته وخصايسته ، أو كان الأسلوب الحكيم موجهه والمسيطر عليه .

ومن خلال هذه المنظورات الأدبية واللغوية والنقدية ، فقد تبعت أعمال ناصر الدين الأسد

الأدبية بما فيها الأعمال الأكاديمية ، مبتدئاً من مقالاته التي نشرها في الصحافة الفلسطينية والأردنية

أثناء دراسته بالقاهرة ، فتبين لي أن لناصر الدين الأسد أسلوباً أدبياً له مميّزاته وخصايصه ، ذلك

الأسلوب الذي كانت بداياته تشير إلى أنه أسلوب أدبي يحمل رسالة ناصر الدين الأسد الأدبية ،

وينبئ عن مواهبه وقدراته وإمكاناته اللغوية والفنية والأدبية . فالبدايات الأولى التي ارتسمت فيها

معالم كثيرة واضحة من معالم الموهبة والقدرات الأدبية الإبداعية ، ومن معالم أسلوبه الأدبي ،

تجسدت في ما كتبه من شعر ونثر ، فعلى سبيل المثال ما كتبه عن ندوات القاهرة الأدبية ، التي منها

تلك الندوات التي كانت تعقد في دار المرحوم محمود محمد شاكر ، وفي هذا الصدد تقول الكاتبة

مي مظفر : " ويخص ناصر الدين الأسد بالذكر الندوات التي كانت تعقد في دار المرحوم محمود محمد

شاكر ، العلامة الفذ في التراث العربي ، وخاصة الشعر الجاهلي ، لكونها أكثر الندوات فائدة له .

ويستشف من مقالاته أنه كان يؤم هذه المجالس ، وينقل جانباً مما يدور فيها من حديث ، فضلاً عن

^(١٦٠) محجوب ، عباس ، مشكلات اللغة العربية ، حلول نظرية وتطبيقية ، ط ١ ، ١٩٨٦ م ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، قطر ، الدوحة ، ص ١١٩ - ص ١٢٠ .

نقله الأجواء المحيطة بهذه الزيارة ، بدءاً من التعريف بمكان اللقاء ، والشخصيات الحاضرة فيه ، دون أن يهمل ذكر الأحاديث التي كانت تدور أثناءها . وبأسلوب صحفي مشوق ، غير تقليدي ، ينقل صورة حياة القاهرة الاجتماعية والثقافية ، إلى قرائه في عمان والقدس . وعلى غرار هذا النهج يمضي ناصر الدين الأسد في وصف الحياة الثقافية في القاهرة ، وبأسلوب بليغ يجمع بين اختزال الجملة وسعة الصورة ، في مقالاته الشهرية المذكورة آنفاً ، التي ظهرت خلال السنتين ١٩٥٢ - ١٩٥٣ م ، في مجلتي (القلم الجديد) التي كانت تصدر في عمان ، و(الثقافة) التي كانت تصدر في القاهرة . " (١٦١)

وينبئ عن قابليته للتطور والتنوع والتجدد في أعماله ونتاجاته التي دلت الأساليب التي وظفها فيها على ذلك . " فكأنه حين يكتب يتحدث إلى نفسه من خلال حديثه الموجه للقارئ أو المستمع ، وهذا ما يجعل من دراساته وأبحاثه - عامة - مادة غنية مليئة بالحياة ، تخاطب العقل والنفس معا . " (١٦٢)

ومن أسلوبه الأدبي العام ، ومن الأساليب الخاصة ببعض الأجناس الأدبية التي أبدع فيها ناصر الدين الأسد ، يتبين أنه كان يتخذ الأسلوب المبني على اللغة العالية الفصيحة ، وعلى نزعات وجدانية ممزوجة بترعات عقلانية تتفاعل في النص بنظام تفاعلي لغوي أدبي فكري وعقلي ونفسي وثقافي واجتماعي يخلق أدبا في الفن والإبداع والذائقة الفنية والأدبية والنقدية . ولذلك ، فقد كتب كتابه (القيان والغناء في العصر الجاهلي) وكتابه (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) وهو يغلب عليه وعلى أسلوبه في الكتابة المنهج الموجه بكل عوامل الرعة العقلانية ، أكثر من عوامل

(١٦١) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(١٦٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٥٤ .

الترعة الوجدانية ، وبدا ذلك واضحا في كل فصول الكتابين المذكورين ، " وعلى الرغم من الترعة العقلانية التي تقف وراء المنهج العلمي المتبع في جمع النصوص وقراءتها وتمحيصها بدقة وعناية لاستخلاص النتائج ، فإن تفاصيل هذا البحث الشائق آسرة بتسلسل موضوعها ، ولم أجزائها المبعثرة ، ولمس جذورها الفارسة في الأعماق المجهولة . فقد تتبع الباحث مسيرة الغناء العربي بدءا من الحداثة حتى ظهور هذا الفن متكاملا تردده القينات ، وتنشد ألقانه في مجالس الأنس والطرب ."(١٦٣)

وكرر أسلوبه نفسه عندما كتب كتابه (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) ، إذ كان التزامه بالترعة العقلانية في منهجه وفي أسلوبه أكثر من ذي قبل ، واستمر في هذا المسار إلى آخر أبحاثه ودراساته وكتابه الإبداعية ، مع وجود تلوين أسلوبه يتطلبه الموضوع والموقف الأدبي والمهدف من الموضوع .

هذا ، بالإضافة إلى أن هذه الترعة العقلانية لدى ناصر الدين الأسد قد ظهرت في بعض كتاباته ومؤلفاته ومحاضراته على هيئة أخرى أبرزها فيها بأسلوب يدل على التهكم والسخرية ، فقد سخر له كفايته اللغوية ليبيد مواقفه وآراءه وقضايا الأمة من خلال بحثه في مواقف المؤرخين الأجانب وتفنيد آرائهم فيها وإبطال تأثيرها على أبناء العرب والعربية ، مثبرا لهم ودافعا لعقولهم إلى الوقوف إزاء تلك الآراء والمواقف التي أوردها الأجانب في كتاباتهم ، ولكن بأسلوبه الأدبي ذي الأبعاد والأهداف والأعماق والدلالات ، والشاهد على حكمه وسخريته المقنعة من مواقف وآراء المؤرخين الأوروبيين ما ورد في كتابه (تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي) حيث يقول : " والأخبار عن تأثير الحضارة الإسلامية في أوروبا ، في العصور الوسطى أخبار

(١٦٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٣ - ص ٣٤ .

متفرقة ، أورد أكثرها بعض المستشرقين - ولهم لفضل والسبق - وروت أقلها الكتب العربية بعد ذلك . وهي في أغلبها أخبار عامة مبهمة لا تكاد تدل على كيان منسق متسلسل أولاً تكاد ترسم صورة واضحة للعالم ، فجاءت مجزأة مبعثرة ، انتهت - في مجموعها - إلى صورة باهتة لا يعلق منها في الذاكرة إلا تعميم غامض لا يدعو إلى الاقتناع ، وإنما يمر مرأً سريعاً حين يلامس الأسماع عند الحديث ، أو حين يخاليل الأبصار عند القراءة ، ثم لا يبقى إلا اليونان وعصر النهضة ، ولا نغمت هذين العصرين حقهما ، فهما جديران بالإعجاب ، ولكن الاقتصار عليهما وحدهما ، واقتطاعهما من مجرى التاريخ وتسلسله ، وعزلهما عن منابعهما وروافدهما ، هو الأمر الذي لا يتفق مع طبائع الأشياء ، ولا يرتضيه العلماء . وإن المرء ليدعش حين يتبع ما تفرق في بطون الكتب فيرى كثرة المعارف العلمية والأدوات والآلات والمواد العلمية التي انتقلت من العرب المسلمين إلى الأوروبيين، فكانت ركائز الحضارة الإنسانية المعاصرة ، منها : البوصلة ورسم الخرائط ووضع الكيت والأدلة البحرية ، والورق ، والأرقام وغيرها كثير . . . وكذلك فإن المرء ليدعش حين يتبع ما تفرق في بطون المؤلفات فيعرف كثرة الكتب التي ترجمت إلى اللاتينية من اللغة العربية مباشرة أو من خلال ما ترجم من العربية إلى اللغة العبرية ، ولكنه قلمأ يكشف الستار عن حركتها الحقيقية في الحياة العلمية وعن أثرها في العلماء في أوروبا ويزداد المرء دهشة حين يعرف مكانة اللغة العربية وأثرها الحضاري في أوروبا خلال القرون الوسطى الأوروبية ، وإقبال كثير من العلماء والمتعلمين على دراستها ، والكتابة والتحدث بها ، والاستفادة من كلماتها في المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة .

ولنا أن تصور مدى التأخر في مسيرة التقدم الإنساني لو لم يقدم العرب والمسلمون هذه المنح والهبات الحضارية منذ القرن التاسع الميلادي وما بعده^(١٦٤)

ولعل هذا النص يكون خير دليل على أسلوب ناصر الدين الأسد في موضوع سياسي ثقافي تاريخي حضاري ، ذلك الأسلوب الذي فيه التزعة العقلانية الممتزجة بالترعة السردية المملوءة بالتهكم والسخرية والاستغراب ، وأظن أنني لا ابتعد عن الصواب إذا عززت النص السابق بنص آخر ، لعله يوضح الصورة ويكشف عن بعض الخصائص الأسلوبية التي لم يكشف عنها سالفه . فقد كتب ناصر الدين الأسد وقال : " حوادث التاريخ شأنها شأن مظاهر الطبيعة - نتائج لمقدمات تمهد لها ، وقد تكون تلك المقدمات نفسها نتائج المقدمات قبلها . . . وكثيراً ما يكتفي المؤرخون بذكر النتائج دون مقدماتها ، فيقطعون الحدث عن أسبابه ، ومع تكرار ذلك ينسى جزء مهم من التطور الإنساني والتفاعل الحضاري ، وتنسب الأمور إلى فاعل واحد - شخص كان أو أمة - على حين لم يكن له في الحقيقة من فضل إلا الإسهام في مرحلة واحدة من مراحل تطور العلم أو المعرفة أو الاكتشاف أو الاختراع ، وهكذا تجاهل أكثر المؤرخين الأوروبيين تاريخ العلوم عند المسلمين حين أرخوا للعلم في عصر النهضة . وأسقطوا حقبة لا بد إثباتها لمعرفة التطور والتعاقب في نشأة الأفكار والأشياء ونسبتها إلى صاحبها ، فالعلم والحضارة عندهم نشأ في عصر النهضة . والمخترعون والمكتشفون والمفكرون والمبدعون هم رجال عصر النهضة وما بعده ، وإذا استمدوا شيئاً ممن قبلهم . " (١٦٥)

(١٦٤) الأسد ، ناصر الدين ، تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي ، ط١ ، ١٩٩٦م ، منشورات روائع المجلد لاوي ، عمان ، الأردن ، ص ٧٠ .
(١٦٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٩ .

لقد كان فإن أسلوب ناصر الدين الأسد متنوعا ذا ألوان تعكس قيمة اللغة الفنية التي وظفها في إبداعه الأدبي ، وتعكس شخصيته ونفسيته بما لهما من سمات وبما فيها من قيم ووجدانيات عاطفية وشعورية ، وتعكس قدراته وطاقاته العقلية وما ينتج عنها من عبقرية تجلت في العلم والأدب والثقافة والخبرة والحكمة ، حيث يمكن من كل ذلك الوقوف على الخصائص الأسلوبية التي اختلفت وتميزت بها الأساليب الأدبية التي توسل بها لتحقيق أهدافه الأدبية والفنية والإبداعية ، وهذه الخصائص بينها روابط وعلاقات تعود في بعضها إلى البنائية والتشكيل النصي والشكل الأدبي والجنس الأدبي ، وتعود في بعضها الآخر إلى المحتوى والمضمون وما في كل نص من تلك النصوص الأدبية من علم ومعرفة وأفكار وتأملات وتصورات ورؤى وآراء وأحكام اتسقت مع اللغة التعبيرية والتراكيب وانتظمت في منظومات لغوية تعبيرية أظهرتها بمظاهر التجديد والحدثة وبمظاهر التحليل والنقد ، وبمظاهر الإيضاح والبيان ، وبمظاهر الكشف والتفسير والتعليل ، وبمظاهر التقييم الداعي إلى التقويم والتوجه نحو الإبداع بكافة أشكاله وضروبه .

إن للغة دورا كبيرا في بناء الأسلوب الأدبي الرفيع في جميع الموضوعات وجميع الأعمال الأدبية والأكاديمية التي قدمها ناصر الدين الأسد ، تلك اللغة التي وقف على معجمها ومستوياتها وعلومها ، ليأخذ من كنوزها ، وليغوص في أعماق بحرها الزاخر ، إذ تبين فيما بعد أن " غوصه العميق في بحار اللغة العربية ، وتمكنه منها ، وكشفه لأسرار بيائها ، جعله قادرا على صياغة عبارات وجيزة ، دقيقة المعنى ، لا تكلف فيها ، تنطلق بسلاسة ويسر ، وحين يرتجل خطابه يأتي كلامه دقيقا وجليا ومترابا شأن أدبه المكتوب . " ^(١٦٦) الذي يزخر بالأصالة وبالصدق في الألفاظ والأسلوب والمعاني . إذ " ليس أحلى في السمع من الصدق ، ولا أدخل في القلب من

^(١٦٦) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

الحق ، ولا أعذب على اللسان وأجرى - تعبيرا عن الصدق والحق - من الكلم الطيب والحكمة والموعظة الحسنة ."^(١٦٧) حتى عدت هذه القيم التربوية الاجتماعية قيما أسلوبية لدى ناصر الدين الأسد ، يطبقها في إبداعه الخكري والمكتوب ، والدليل على ذلك ما قاله الدكتور حنون عبد المجيد في بحث له بعنوان (ناصر الدين الأسد والمنهج التاريخي) ، حيث قال : " عرفت الدكتور ناصر الدين الأسد أول مرة سنة ١٩٧٨ م عندما استمعت إليه يناقش رسالة تدور حول تحقيق ديوان شعر شاعر عربي قديم ، تقدمت بها طالبة إلى قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة ، فرأيته اسما على مسمى هيئة وفكرا ، وأهم ما شديني في مناقشته الدقة المنهجية والصرامة العلمية أولا ، ثم التفنن في تبليغ آرائه ، وأفكاره بالاعتماد على الجمع ما بين رصانة لغوية خليقة بمجدية أسد وسلاسة في الأسلوب خليقة بمبدع فنان ، وإثر ذلك بدأت أقتني ما تيسر لي من كتبه ، وأقرأ فيها من حين إلى آخر ، فوجدتها تتسم في مجملها بسمتين أساسيتين هما : - الميل إلى الموضوعات التاريخية ، أو معالجة الموضوعات المدروسة معالجة تاريخية ، ثم الالتزام بالروح العلمية والدقة المنهجية الأكاديمية ، فجمع بذلك بين المعرفة التاريخية والتذوق الأدبي في معالجة القضايا الأدبية ، أي الزم نفسه باتباع المنهج التاريخي في دراسة الأدب والتأريخ له ."^(١٦٨)

فالأسلوب عند ناصر الدين الأسد هو الشخصية الأدبية التي تقدم نفسها من خلال ما تنتج وتبدع بخطوات عملية علمية مدروسة ، ولذلك ، " فهو في معالجته العلمية للموضوعات الأدبية ، على اختلاف عصورها ، يطل بشخصيته الأدبية من خلال بنائه اللغوي الخحكم ، وأسلوبه السلس الممتع ، وفكره الخلاق ."^(١٦٩)

^(١٦٧) الأسد ، ناصر الدين ، نحن والعصر ، مرجع سابق ، ص ١٩ .
^(١٦٨) كتاب قطوف دانية ، (مجموعة أبحاث ودراسات مهداة إلى الدكتور ناصر الدين الأسد) ، تحرير الدكتور عبد القادر الرباعي ، ج ١ ، بحث (ناصر الدين الأسد والمنهج التاريخي) من قلم الدكتور حنون عبد المجيد ، ص ٤٣٩ .
^(١٦٩) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

هذا بالإضافة إلى أنه يجعل منهجه في البحث والدراسة والكتابة والحديث يحدد له أسلوبه المعتمد على اللغة شكلا ، وعلى الفكر مضمونا ، ليكون له المنهج في الأسلوب والأسلوب في المنهج ، عدا عن أنه " مع كل تعلقه في تناول موضوعه ، فإنه يترك دائما فسحة حرة يتحرك من خلالها لإظهار مشاعره ، بل يترك في كل ما يقدم من أدب جزءا من نفسه وروحه ، وهذا ما يجعل متابعته - أيا كان الموضوع - ممتعة للغاية . " (١٧٠)

ومما يزيد في متعة أسلوبه في موضوعاته الأدبية الدقة العلمية التي تنبئ عنها العبارات والتراكيب والجمل والفقرات في النص الأدبي ، متقيدا بالقيم البحثية والنقدية التي طالب بها غيره من الكتاب والأدباء والمؤلفين ، ومثال ذلك أنه " يكره التعاميم الفضفاضة والقفز إلى النتائج يكره أيضا التسرع دون تمحيص وبحث وتدقيق ، من ذلك انتقاده للشيخ إبراهيم اليازجي مؤلف كتاب (لغة الجرائد) الذي ذهب إلى أن جمع (نواد) هو الجمع القياسي لـ (ناد) ولكنه غير مسموع ولا مستعمل ، فقال الأسد (١٧١) : (وفي هذا الأخير تسرع واعتساف لأن اليازجي - في ظننا - لم يقمه على التبع والاستقصاء بل ينسبه إلى ظاهر ما ورد في المعاجم وكتب اللغة ، واعتمد فيه على شاهد واحد من الشعر تكرر في هذه المظان .) " (١٧٢)

ويعمد ناصر الدين الأسد بأسلوبه إلى إيجاد نوع من التماسك النصي في فقرات موضوعه وفي الموضوع بأكمله ، وضمن حدود النظم الأدبي الفني الإبداعي للكلم والعبارات ، بحيث كانت مكونات الوحدات النصية اللفظية والتعبيرية في متن النص أو الخطاب ذات توافق وانسجام وتراتب وترابط وتناغم والتام واتساق في مستوياتها اللغوية في كلية النص التي فيها مطابقة المقال للمقام ،

(١٧٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٧ .
(١٧١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مج ٢٧ ، فبراير ، ١٩٧١م ، مقالة بعنوان (نواد وأندية) للدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٩٠ .
(١٧٢) قطوف دانية ، مرجع سابق ، ج ١ ، (قراءة في المنهج العلمي للدكتور ناصر الدين الأسد) ، أحمد محمد الضبيبي ، ص ٢٢٧ - ص ٢٢٨ .

وفيها تناسق بين الحقيقة والجزاز ، سواء على مستوى البنية السطحية للنص أو على مستوى البنية العميقة له ، وفيها تحقيق لكل المعايير والشروط الواجب توافرها في النص من حيث الشكل والمضمون ومن حيث الفهم وإدراك المعاني التي كانت آخذاً بعضها برقاب بعض ، ومن حيث إدراك المتلقي للمرامي والأهداف التي كان يرمي ويهدف إليها ناصر الدين الأسد من ذلك النص .

لقد اختار ناصر الدين الأسد لغة فنية عالية ركب منها أسلوبه الأدبي ، تلك اللغة المعبرة عن رغباته وميوله وقصدياته ، التي يمكن استشفافها عند التحليل الأفقي للنص والتحليل العمودي له ، حيث سهل ويسر أسلوبه في الكتابة والحديث والعرض والتأليف مقروئية نصه الأدبي ، بإشراك المتلقي في النص والوصول إلى ما بين السطور وإلى ما وراء السطور بيسر وسهولة ، وحسب مستويات المتلقي ، الذي ساعده أسلوب ناصر الدين الأسد على الوصول إلى دوره القرائي ، أو السماعي ، في إعادة إنتاج النص لغة وتركيباً ، ودلالات ومعاني ، بطريقة وبآلية وبأسلوب غير الأسلوب وغير الطريقة وغير الآلية التي انتظم فيها النص ، وورد عليها من لدن ناصر الدين الأسد ، الذي اختار لنصه الأسلوب الميسر لمقروئية نصه وفهمه وإعادة إنتاجه .

لقد تشكل أسلوب ناصر الدين الأسد في كثير من مؤلفاته الأدبية من عدة عناصر تشكيلية أسلوبية ، منها اعتماده على عنصر النصية والتناص في أسلوبه الذي اعتمد فيه على أن النص — مهما كان طويلاً أو موجزاً ، ومهما كان كلياً أو مجزئاً ، ومهما كان موضوعه — وحدة واحدة ، مع قابليته للتمثيل التاريخي المرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل الداعي إلى درجة التناص العالية في النص بالأخذ أو الاقتباس أو التضمين فيه .

لقد اعتمد ناصر الدين الأسد في أسلوبه على تضمين نصوصه الأدبية جملاً وتراكيب وعبارات ، تشمل على قرائن لفظية وقرائن معنوية ، أسهمت في تكوين أسلوبه الأدبي ، الذي شكل العلاقات اللغوية في النسيج اللفظي ، وفي النسيج المعنوي ، المؤديين إلى حبكة لغوية ومعنوية متحدة ، تحتوي على رسالة فيها فكر ومضمون . وقد تنوعت هذه القرائن ، فكان منها ؛ الضمائر ، والأسماء الموصولة ، وأدوات العطف ، والجمل البؤرية ، والقضية المحور في النص وما ينبثق عنها من قضايا ثانوية ، والكلمات المحورية والبؤرية في العبارات والجمل ، وعلامات الترقيم التي تنظم الربط بين مكونات النص الأدبي ، وكلها تتعلق وترتبط بعنوان النص وبموضوعه العام .

وكان " من عاداته إذا ذكر أمراً في موضع ما أن لا يكرره في موضع آخر طلباً لتماسك الدراسة ، وإيجاز مادتها فالإيجاز لديه مقصود ، بدليل قوله في نهاية ترجمة قيس بن الخطيم^(١٧٣) : " هذه خلاصة ما حفظته لنا المصادر عن أسرة قيس ، اكتفينا فيها - كما اكتفينا في الحديث عن مترلته الفنية - باللمحة العابرة التي تغني عن التفصيل . " (١٧٤)

وحيث إن الترابط النصي يتطلب تطبيق الشروط والمعايير في بنائية النص ليكون معقولاً مقبولاً في شكله وهيئته ، وإذا محتوى ومضمون مترابط متماسك أيضاً ، فإن أسلوب ناصر الدين الأسد قد تجلّت فيه جميع المعايير والشروط الخطابية والنصية معتمداً على عناصر تشكيل النص الأدبي المفيد والممتع والإبداعي ، ومعتمداً على اللغة الفنية التي هي لب الأسلوب وجوهره ، كما كان أسلوبه " يتجلى أيضاً في اعتماد لغة البوح الذاتي ، وضمن تساوق اللفظ والمعنى ، والتكثيف ، وما قل ودل ، والبساطة والوضوح ، والصفاء والنقاء ، والسلامة اللغوية والنحوية ، والسلاسة

(١٧٣) الأسد ، ناصر الدين ، ديوان قيس بن الخطيم ، (تحقيق) ، ط٢ ، ١٩٦٧م ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ص ١٦ .
(١٧٤) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، مرجع سابق ، بحث : (ناصر الدين الأسد والتراجم) ، من قلم الدكتور عبد القادر الرباعي ، ص ٩٣ .

المنطقية التي تربط أول الكلام بوسطه ونهايته ، دون لف أو دوران ، أو تكرار ، أو تلاعب أو تعقيد . " (١٧٥)

وكان النص الأدبي عند ناصر الدين الأسد يتوافر على جميع المعايير الأساسية للبنائية النصية البعيدة عن التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي ، مع درجة من القابلية للتمتة أو التوسعة ، ومن القابلية للاختزال والاختصار والتلخيص والإضافة إليه ، ومع درجة عالية من القابلية للاحتجاج والاستشهاد ببعضه أو ب كله شكلا ومضمونا دون الإخلال بالبنية النصية الأفقية أو بالبنية النصية العمودية أو بالمعنى العام للنص الذي رفدته معان ثانوية متجذرة فيه ومنحدرة منه ، أو تجعل المتلقي قادرا على تنفيذ إشراكه في النص من خلال مقروئته التي وسع نطاقها أسلوب ناصر الدين الأسد في إبداع النص الأدبي .

ولعل القارئ أو الباحث يقف وقفات طويلة أمام أي نص أدبي من نصوص ناصر الدين الأسد ، عند القراءة الأولى ، ليصنف ويصف أسلوبه بخصائصه وسماته الأسلوبية الأدبية الإبداعية ، وكان ذلك الوقوف هو في حقيقته حيرة ، أسميها حيرة البحث أو حيرة الباحث ، ولست الوحيد الذي صادف مثل هذا الموقف ، وإنما هناك من صادف مثله قبلي ، فهذه الكاتبة مي مظفر ممن صادف الموقف وعانى منه ولو قليلا ، وهي التي تقول : " ولطالما تحيرت في إيجاد وصف لأسلوب ناصر الدين الأسد ، كلما اطلعت على مادة أدبية له ، أيا كان مبحثها . فهو ، على الأغلب ، ينطلق من ذاته باتجاه الموضوع ، يزوج القارئ في اشتباكه الأولي مع مادته ، فيصحبه رفيقاً يمضي معه

(١٧٥) مجلة عمان ، ٣٥ع ، أيار ، ١٩٩٨ م ، تصدر عن أمانة عمان الكبرى ، مقال بعنوان : (نحن والآخر د . ناصر الدين الأسد) من قلم أحمد مصلح ، ص ٢٣ .

في استقصاء جوانب ما يبحث عنه ، يحاوره ليشرکه في تساؤلاته وحيرته ، ثم يستدرجه لينغمز معه في أعماق ما يعبر فيه ، ويسحبه سحباً هيناً ليدله من بعد على اكتشافاته ونتائجها .^(١٧٦)

ولم يغفل ناصر الدين الأسد عنصر الزمان في أسلوبه العام ولا في أساليبه الخاصة عند إنتاج النص الأدبي وإبداعه ، فقد كان للزمان مكان في ذلك الأسلوب ، وتجلّى بالإشارة أو بالتلميح أو بالتصريح للتأريخ لشيء ما ، ويدل على ذلك ما أورده من قرائن لفظية ومعنوية ومن عوامل زمانية انتمت إليها لغة النص يمثل ما انتمى إليها أسلوبه ، ويمثل ما انتمى إليها الفكر المضمن في النص ، مما قوى ودعم الأسلوب وأضفى عليه مسحة الأخذ بعنصر الزمان كمكون ضروري ومهم من مكونات النص الأدبي . فكما تمثل المكان وتوحد معه ، فقد تمثل الزمان في التاريخ ، وحاكاه ، إذ " هو أبداً في حالة مناجاة تتفجر بالحس المأساوي لفرط التمزق الحاصل من تناقض الداخل والخارج . وقد يجد القارئ تمثله للتاريخ في قصائده التي يخاطب بها المدن ، كما يجدها في قصائده التي يرثي بها أحبائه ورفاقه الذين غادروا الحياة ، وترك فراقهم فراغاً مبهماً تتسع من جرائه دائرة الغربة التي ما فتئت تكبر مع النوائب . فكأنه يبيع لنفسه أن تنطلق حرة في إظهار المشاعر والتعبير عن لوعة المسكوت عنه ."^(١٧٧) فجاء أسلوبه قويا قوة تمثله للتاريخ بكل حركاته وسكناته ، وبأن ذلك في شعره ونثره ، ويؤكد ذلك المبدأ الأسلوبي لديه بما طبقه على نفسه في شعره ونثره ، ومثال ذلك قوله : " ... إذ ليس من طبيعة الأشياء أن تولد هذه الحركات فجأة وتبرز من الفراغ ، مهما تكن في ظاهرها كذلك ، بل لا بد أن تكون نتيجة لعوامل اجتماعية وفكرية متعددة استوفت تفاعلها واستكملت كيافها ، وقد تكون هذه العوامل خفية مستورة لا ينتبه إليها في حينها ، وقد

^(١٧٦) مظفر ، مي ، ناصر الدين الأسد يسافر في المدى ؛ ملاحم من سيرته ولديه ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص ٨٠ .

^(١٧٧) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

تكون ببطيئة التكون والنمو تتباعد بداياتها عن نتائجها فيصعب الربط بينها واستبالة تطورها ، وقد تكون متشابكة مع غيرها متداخلة في عوامل أخرى يشق تمييزها منها وإفرادها وحدها ، وقد تضع بعض أجزاء هذه العوامل وتمحي بعض معالمها مع الزمن بحيث تخفى على الباحث . بل إن عوامل النمو والتطور في المجتمع كثيرا ما تكون كذلك ، ولكن كل هذا لا يعني أنها لم تكن قائمة ، وعجزنا عن استبانها لا ينفي وجودها إذ قد يكون مرد ذلك إلى ضياع بعض مصادر الحقبة التي نؤرخها ، أو إلى نقص في طريقة التأليف وفي أساليب التدوين ووسائله حينئذ ، أو إلى تقصير في الجهود التي نبذلها لاستجلاء غوامض تلك الحقبة . " (١٧٨) فالأسلوب الخمل بالتعبيرات والمصطلحات الفكرية والاجتماعية والسياسية والتاريخية ، محمل أيضا بالعبء الزمني والتاريخي ، الذي أعطى للأسلوب الأدبي في النص جماليته وإبداعيته الأدبية المؤثرة في المتلقي مهما كان نوعه ومستواه .

وجعل ناصر الدين الأسد " رؤيته تقوم على الحجة والمنطق ، وتستمد من معايير إنسانية محددة ، وهو لا يرى الأحداث مجزأة ، بل يراها حلقة من سلسلة مترابطة متداخلة ، الواحدة منها تفضي إلى الأخرى . كما أنه لا ينظر إلى مفاصل الحياة إلا ويمسك من داخلها بخيط خفي يربط وحدة مصيرها ومصالحها المشتركة ، يميز نسيجها المتماسك . " (١٧٩) فيكون له بذلك ما يريد وما يهدف إليه .

وقد تجلّى ذلك عندما صدع ناصر الدين الأسد بالقول الفصل في قضية الشعر الجاهلي التي أثارها أستاذه طه حسين ، إذ " عالج الأسد هذه القضية - مثل غيرها - باستعراض مختلف أوجه النظر المتعلقة بها ، المؤيدة أو المعارضة لها ، ثم حللها وعللها بالاعتماد على الأدلة النقليّة

(١٧٨) الأسد ، ناصر الدين ، دراسات في الثورة العربية الكبرى ، ط ١ ، ١٩٦٨ م ، الشركة الأردنية العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ١٤٥ .

(١٧٩) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

والعقلية ليستخلص في النهاية الرأي الأرجح ،وبعدما أثبت بالحجة والدليل أن العرب دونوا أشعارهم تدوينا يتناسب مع وسائل حياة البداوة والحل والترحال وطبيعتها ، فيستهل كلامه بإقرار حقيقة تاريخية علمية مفادها أن مصطفى صادق الرافعي هو أول من شق من المحدثين العرب طريق البحث في هذه المسألة ، ثم استنتج أنه لم يخرج عن دائرة الأقدمين ، فهو لم يحمل النصوص ما لا تحتل ، ولم يعتسف الطريق إلى الاستنتاج والاستنباط والظن والافتراض ، ولم يجعل من الخبر الواحد قاعدة عامة ، ولا من الحالات الفردية نظرية شاملة .^(١٨٠) ، وقد استند الدكتور حنون عبد المجيد في آرائه التي أبداهها في هذا النص إلى ما ورد على لسان الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) حول شعر العرب في الجاهلية وتدوينه وما كانوا عليه من حياة بداوة ، ومعالجته لهذا الموضوع من خلال إجراءات وعمليات منهجية نفذها الأسد في معالجة تلك القضية في كتابه المذكور ، مشيراً إلى ذلك من خلال ما ورد في الصفحات (ص ٣٧٧ - ٣٧٩) .

وربما يكون واضحاً أن " من يقرأ هذا الكتاب يضع يده على الملامح الأساسية لأسلوب أدبي يجمع بين حيوية السرد ، ومنطقية الحجج ، وغزارة المصادر والمراجع . فالكتاب رحلة ممتعة صوب آفاق مجهولة من حياة الجزيرة العربية ."^(١٨١)

ومما يشد متقن ما سبق من آراء ويعززها ويدعمها ويثبتها ، ما رآه الدكتور عباس الجراري في ناصر الدين الأسد الشخص والأديب والعالم ، وفي أدبه وأعماله الإبداعية ، فقال : " وإذا كانت هذه الاتصالات قد نسجت بيننا علاقات فكرية وروحية متينة ، فلست أخفي أنني منذ

^(١٨٠) قطوف دانية ، مرجع سابق ، ج ١ ، بحث : (ناصر الدين الأسد والمنهج التاريخي) من قلم : حنون عبد المجيد ، ص ٤٤٧ .

^(١٨١) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

رأيتك لأول مرة ، شعرت بالاقتراب منك والألفة إليك ، مأخوذاً بوقار طلعتك ، وبجاذبية شخصيتك التي التقى فيها بجمال الأدب ، واجتمعت فيها سعة النفس ورحابة الصدر بصفاء الفكر وجودة الرأي ، مع ذهن حاضر وبداهة قوية وإحساس مرهف ولسان مطواع يسخر الخطاب ويمهد الصواب وبذلك القول لينقاد لك بين المنهج سهل المخرج ، فتجيد وتتفنن في غير تكلف ولا تعقيد ، حتى وكأنه يتابعك ويواتيك ، في لفظ سليم صحيح ، وتعبير مصقول فصيح ، وأسلوب بليغ واضح ، وفي نقاء يستفزع الغليظ والركيك والقيح ، تسحر سامعك إذا حدثت كما تسحر قارئك إذا كتبت ، وتجعل كلاً منهما يدهش لجمال عبارتك ويعجب لتمييزها عن المؤلف المتداول ، مذكرة بأساليب كبار الكتاب البلغاء ومشاهير الخطباء المفوهين الذين انصاعت لهم مقاليد البيان السلس المرسل ، فينفذوا به إلى القلوب قبل العقول ، ولست أبالغ إذا قلت إن التعبير الفني الجميل قد انساب لك لإخالك لا تبدع إلا شعراً ، بل حتى لإخالك لا تعاني في حياتك وفكرك غير هذا التعبير ، تملك ناصيته وتمزجه بالطريف من النوادر والرائع من النكات ، والحلو من الفكاهات والعذب من الدعابات ، تفيد بذلك كله وتحف وتمتع في نفس الآن " . (١٨٢)

هذا بالإضافة إلى أن أسلوب ناصر الدين الأسد قد تميز بحلية من اشتمال نصوصه على ما يدل أو يشير إلى أو يسمى عنصر المكان الذي لم يقل أهمية عن عنصر الزمان في تقوية ودعم أسلوب ناصر الدين الأسد في نصوصه الأدبية ، فكانت القرائن اللفظية والقرائن المعنوية تؤدي وظائفها الأسلوبية المرتبطة بالمكان على تنوعه واختلافه في المواضع في النص الأدبي ، حتى اتسم أسلوبه بقوة

(١٨٢) من الخطاب الذي ألقاه الأستاذ الدكتور عباس الجراري ترحيباً بالعضو الجديد الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد بأكاديمية المملكة المغربية سنة ١٩٨٨م ، وقد لقي الخطاب في الدورة الأولى لسنة ١٩٨٨م ، المنعقد في مدينة طنجة الواقعة في الفترة فيما بين ١١ - ١٣ أبريل ١٩٨٨م ، ص ٥ .

ومتانة ورصانة جعلت منه أسلوباً محققاً لكل عناصر التشكيل النصي الأدبي وأركانها ؛ بشقيه اللفظي والمعنوي .

وكونه قد أحيا بعض الألفاظ التي لم تعد متداولة بكثرة على الألسنة وفي الكتابات الأدبية ، فقد جعلت في أسلوبه إيضاحاً وقوة تأثيرية ، نابعة من شفافية الألفاظ والتراكيب ، ونابعة من مساهمة ما أورده من الكلام الحسن في لفظه ومعناه في وضوح الدلالة وخلوها من التعقيد المعنوي ، وفي مطابقة التعبير لمقتضى الأحوال ، مع اقتصار بعض التراكيب على معان خاصة غير واردة في الاستعمال اللغوي العربي ، ويكون بذلك " يرسم الشرط اللغوي للأسلوب في اختيار ألفاظ اللغة بتوالي حروفها ، وتناغم أصواتها ، وظلال معانيها ، واتساق نظمها معا ، وينزولها في مواقعها المقدرة لها ، بحيث لا تنزل غيرها منزلها ولا تحل محلها دون أن يتغير شيء مما ذكرناه ؛ من المعنى أو بعض ظلاله ، ومن الحروف أو بعض أحافها ، ومن نظم الكلام أو بعض تساوقه ، فيتغير بتغيره وقع اللفظ والأسلوب ؛ في الأذن فينبو عنه السمع ، وفي الفكر فيضطرب المعنى أو ينحرف ، وفي النفس فتضيق به ولا تطمئن إليه ، وفي الذوق حين لا يحس مذاق ونكهة ."^(١٨٣) الشيء الذي خلا من أسلوب ناصر الدين الأسد من حيث السمع الناتج عن وقع اللفظ والأسلوب ولم ينب في الأذن ، ومن حيث الفكر الذي لم يضطرب فيه معنى ولم ينحرف ، ومن حيث عدم ضيق النفس به والاطمئنان إليه ، ومن حيث الذوق الذي فيه كل المذاق الأدبي والنكهة الإبداعية .

ولما كانت " لغته حاضرة بين يديه ، تستجيب له طواعية ، سواء أكان يعبر عن خلجات نفسه ، أم يبحث في التراث ، أم يعالج قضية معاصرة ."^(١٨٤) فقد كان ينتقي من الأساليب ما

^(١٨٣) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، مرجع سابق ، بحث (ناصر الدين الأسد واللغة) من قلم : د. نهاد الموسى ، ص ٦٧ .

^(١٨٤) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

يسعفه في الوصول إلى أعلى درجات الوضوح ، إذ كان " يمثل الوضوح هاجسا مبدئيا ثابتا يجهد في تحقيقه في أدائه ، والأسلوب الواضح عنده هو الذي (ينقل الأفكار والمشاعر فيفهمها من تصل إليه ، ويؤدي مضمونا محددا بينهما صلة متلاحمة هي الصلة الطبيعية بين الأسلوب والمضمون . " (١٨٥)

إن أسلوب ناصر الدين الأسد المرأة يحكي الكثير ويدل عليه ، يحكي قصة الألفاظ والكلمات والتعبيرات الأدبية ، يحكي قصص المعاني والمشاعر ، يحكي ألوان الثقافة والحضارة ، يرتبها بإيجاز حيناً ، وبالإطالة أحيانا أخرى . " ولكن في أسلوبه أيضا الشيء الكثير من السرد الممتع ، والشواهد الشعرية ، والخواطر الخاصة ، أبدا يتسلل إلى نصوصه ، فيكسر حدتها العلمية ، ويخرجها من المنهجية الجامدة ، ذلك أن شخصية الأديب المبدع فيه هي التي تحدد أسلوبه ، فيخضع لها منهجه وليس العكس . " (١٨٦)

فهو يعرف ما يفعل ، وهو يضبط أسلوبه بطريقة نابعة من روح إبداعه الأدبي انطلاقا من عنوان الموضوع الذي يتحدث فيه أو يكتب فيه ، وانتهاء بآخر كلمة يقولها أو يكتبها ، فعملية ضبط الأسلوب عنده مرهونة في نجاحها بالمنهج الذي رسمه للموضوع الذي يكون قد اختاره للدراسة والبحث ، ويرسم عملية ضبط الأسلوب بالإجراءات التي يلخص بعضها بقوله : " ويحسن بالكاتب المدقق أن يبدأ بفحص ألفاظه ومصطلحاته وتحديد معانيها ، وتوضيحها ، والتأكد من تأديتها المعنى الذي يريده ، وقدرتها على الوصول إلى السامع أو القارئ ، ومخاطبة مراكز الفهم والافتناع لديه . " (١٨٧)

(١٨٥) (ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، مرجع سابق ، بحث (ناصر الدين الأسد واللغة) من قلم د. نهاد الموسى ص ٦٧ .

(١٨٦) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٨٠ - ص ٨١ .

(١٨٧) الأسد ، ناصر الدين ، كلمة بعنوان (هل يعطي حق التخل (شرعية) جديدة للاستعمار) ، قدمت إلى الدورة الثانية لأكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، من ١٤ - ١٦ أكتوبر ١٩٩١ م ، ص ١ .

هذا بالإضافة إلى بعض الإجراءات الضابطة الأخرى ، والواردة في قوله - على سبيل المثال - : " ولا أدعي أني أبدأ من فراغ ، بل إنني لمقر بفضل من سبقوني إلى الكتابة في مثل هذا الموضوع وقد يكون جهدي الحقيقي في لم شتات ما كتبوا ، وجمع متفرقه وتقييد شوارده ، وإجمال مفصله ، وتوضيح مبهمه ، ثم ترتيب كل ذلك في صورة تبرز معالم الموضوع وتطرحه لمزيد من الدراسة والنقاش ، مرددا دعاء الجاحظ في مفتاح كتاب البيان والتبيين : (اللهم إنا نعوذ بك من فتنه القول كما نعوذ بك من فتنه العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن .) " (١٨٨)

لقد اتضح أن من بين عمليات المنهج المعتمد على اختيار الأسلوب المناسب لبحث موضوع ما أن في أسلوبه ميلا إلى النقد ، والإبانة عن إيجابيات الموضوع الذي يعالجه وعن مواقع الضعف التي يعاني منها ذلك الموضوع الذي يبحث فيه أو يدرسه أو يعالج جوانبه ومجالاته ، وقلما كان يلجأ إلى الانتقاد .

فمثلا ، نجده يجسد ما رسمه من أسلوب ومن منهج في أعماله الأدبية ، فهو " حين يكتب عن عناصر التراث في شعر أحمد شوقي ، يبدأ ناصر الدين الأسد من ظاهرة التأثير والتأثر في الأدب عموما وتكرارها على مدى العصور ، فيرى أن الشاعر لا يكون شاعرا حقا إن لم يكن على إطلاع وثيق بتراث أمته ، ولا بد ، حينئذ : (أن تكون في شعره بالضرورة عناصر تراثية اكتسبها من اطلاعه على تراث أمته . " (١٨٩)

(١٨٨) الأسد ، ناصر الدين ، عناصر النهضة في الإسلام ؛ ملاح من التوجيه النفسي والتربية ، دراسة قدمت إلى الندوة الإسلامية الرابعة في القيروان ، تونس ، بمناسبة المولد النبوي الشريف ، من ١٤ - ١٨ شباط ١٩٧٨ م ، ص ٥ .
(١٨٩) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٢٦ - ص ٧٧ .
٢٥٠

وحتى تكتمل الصورة الممثلة لأسلوبه ، فإنه لا بد من الاستناد إلى ما قاله ناصر الدين الأسد نفسه ، حيث يقول : " ولم نشأ أن نخوض في هذا المظهر ، واكتفينا بأن أشرنا إليه من قبل إشارات مقتضبة ، وذكرنا أن تتبع الأمثلة على ما ذهب إليه بعض النقاد من مآخذ شوقي من غيره في الألفاظ والمعاني ، إنما هو جهد مضيع لا ينتهي إلى شيء ، وفي أغلبه أفعال كثير ، لا يدل من قريب ولا من بعيد على أخذ ولا على تأثر ، وإنما هي ألفاظ مفردة ومعان جزئية مشتركة لم تكن عند الشاعر التالي مثلما اكتست عند الشاعر السابق من أردية المعاني الكلي أو الصور المتكاملة أو الأخيلة ، التي يتميز بها شاعر من شاعر ، وتنسب إليه دون غيره ، فيكون حينئذ آخذاً إياها ، سارقاً لها ، ساطياً عليها " . (١٩٠)

وأعتقد أن الجزئيات التي كان ينظر إليها في الموضوع الذي يبحث فيه كانت تؤثر على أسلوبه في تشكله لحظة الكتابة أو الحديث والإبداع ، فلا يتركها دون أن يجعل منها أداة تزين الأسلوب وتضفي عليه الوضوح والاسترسال والتلوين التعبيري ، بحيث " يكتسب أسلوب ناصر الدين الأسد وهو يسترسل في وصف حياة هذا الشاعر المتقلبة المليئة بالمغامرة ، دفقا حيويًا يخرج فيه عن السرد الحيادي الذي التزم به في حديثه عن معظم التجارب الأخرى . فهو يصور فيه الشاعر الذي وجد في كل دقائق الحياة مادة للشعر ، فكتب عن الأرض والحبيبة بحرقة العاشق ، وصور حياة السياسة واللهو جادا أو مازحا ، فكان شاعرا ممثلا لبيئته أفضل تمثيل . وصوره الباحث شاعراً ينبض بالحياة ، فكان سباقاً إلى إبراز القيم الجمالية في شعره على نحو لم أقرأ له مثيلاً في الدراسات الأخرى التي تناولت حياة هذا الشاعر وشعره " . (١٩١)

(١٩٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٧ - ص ٧٨ .
(١٩١) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٣ .

كما يتبين من قراءة أسلوبه في نثره وفي شعره — وبخاصة في الشعر — أن في أسلوبه تكرارا هادفا إلى أسلوبية إبلاغية تستند إلى الألفاظ والجمل والتراكيب بغية تأكيد المعنى وتوضيحه وبألوان تكرارية مثيرة ومشوقة للمتابعة والاستمرار في التواصل مع النص وما فيه من مضامين ومحتويات .

ولا بد من القول في هذا السياق بأن ذلك قد اقتضى أن يوائم بين هذا النمط من الأسلوب والأسلوب العلمي في البحث والدراسة ، عندما يكون أمام موضوع يحتاج إلى الرأي والرأي الآخر ، ويحتاج إلى البرهان والحجة والدليل ، وحينئذ ، يأتي أسلوبه دالا على طريقته في طرح موضوعه والتعامل معه ومعالجته له ولما فيه من دلالات .

ويعكس منهجه العلمي الذي له خطواته وإجراءاته في الصياغة والتركيب والتشكيل والبناء والتعبير عن قصدية لها مضامينها ومشتملاتها . فيكون الرأي الأول أو الحكم الأول على نجاح أسلوبه وتميزه متمثلا في الإفادة بأن أسلوبه قد تميز بمناسبة الأسلوب للموضوع .

ولا أدل على ذلك من النصوص التي تكونت منها أشعاره وكتاباته ومحاضراته التي ألقاها ، ومن التراجم التي قدمها ، حيث " إن التراجم التي أغنى بها ناصر الدين الأسد المكتبات العربية كتبت بلغة صافية صفاء الماء العذب على الرغم من إيجازها وقوة عباراتها فضلا عن جمال وقعها على الأذن والقلب والعقل . " (١٩٢)

وتبين أن من خصائص أسلوبه الأدبي الموثوقية والتوثيق ، وفي هذا الصدد ، يقول الدكتور عبد القادر الرباعي : " وفي مجال موثوقية الرأي سجل الدكتور أحمد خطاب عمر للدكتور الأسد سعيه إلى إدخال الثقة إلى القارئ ، والاطمئنان إلى ما يقرأ ، بسوقه لكل قضية أدلة مستقاة من

(١٩٢) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، مرجع سابق ، بحث : (ناصر الدين الأسد والتراجم) من قلم د. عبد القادر الرباعي ، ص ٩٦

واسع الشعر والأخبار التاريخية ، حيث كان يقابل ويوثق ويتخير حتى جاء كتابه (مصادر الشعر الجاهلي) وثيقة تاريخية وأدبية صادقة .^(١١٣)

وامتدادا لما سبق من ذكر وإيضاح وتحليل للخصائص الأسلوبية في أدب ناصر الدين الأسد ، فإنه يستحسن الإشارة إلى أسلوبه المتنوع المتلون الذي جاءت عليه قصائده الشعرية ذات القوالب اللحنية والوزنية في بحورها العروضية ، حيث إن ناصر الدين الأسد قد سكب في قصائده ما كان يخالج داخلية ونفسه ، وما كان يخلب عليه لبه ، وما كان ينتجه عقله من فكر ، وما كان يتمثله في حياته من مثل وقيم ، وما يعيشه من ظروف وأحوال ، وما يتعايش معه من موجودات من حوله ، ومنها المرأة ، بحيث ظهر ذلك كله في قصائده بوضوح وبيان وبلاغة وإبداع ، ومن ذلك يمكن القول بأن هناك علاقة بين الإيقاعات والأوزان الشعرية والبحور العروضية في قصائده الشعرية ذات التأثير القوي ، وبين الأسلوب لدى ناصر الدين الأسد ، إذ بدا في شعره الهاجس الصوري والخيالي ، والهاجس الواقعي ، لأن أسلوبه في شعره يتميز ببنائية للغة فيها دور ، وللموسيقى واللحن والنغمة أدوار ، فتنوعت بتنوع مواقفه وتجاربه التي عاشها بشخصه وجسمه ونفسه وعقله وروحه ، خيالا وتخبيلا ، توحيدا وتمثلا ، تعقلا وواقعية ، شعورا وعاطفة .

إلا أن أسلوب ناصر الدين الأسد الشاب في شعره لا يختلف قليلا عن أسلوبه في شعره في المراحل التابعة لمرحلة الشباب في عمره الأدبي ، والشواهد في شعره على ذلك كثيرة ، "ويامكان المتبع لمسيرته الشعرية الطويلة ، أن يلاحظ خط التطور في شعره من خلال البناء الداخلي . فقصيدته الشابة المندفعة بعواطفها وجلجلة أصواتها ، وتيه شاعرها ، قد تحولت مع مرور الزمن إلى

^(١١٣) كلمة بعنوان (ناصر الدين الأسد في عين البصيرة من العلماء) ألّفها د. عبد القادر الرباعي في حفل التكريم الذي أقامته رابطة الكتاب الأردنيين للدكتور ناصر الدين الأسد في صيف عام ٢٠٠٤ م ، ص ٤ .

قوة مكثفة كامنة ، فهذا الصوت ، واكتنزت الألفاظ ، وتعمقت الرؤية . فقصيدته التي خاطب فيها المدينة العربية حين لم يكن قد بلغ العشرين ، وهي قصيدة شاعر نائر متمرد ، نجده قد عاد إليها بعد حوالي أربعين عاما ليكتسب خطابه هذه المرة قوة أخرى كامنة في عباراته الرصينة المنتقاة ، وقد فجرها مرارة الأحداث ، وخيبة الواقع .^(١٩٤)

ورغم طول الزمن ، فإنه كان يتطور وينمو في تجاربه وثقافته وأساليبه ونتاجاته الأدبية ، إلا أنه بقي ثابتا على ما لديه من ثوابت الطبع وثوابت الإبداع وثوابت إتقان فن صياغة الأدب الفاعل المؤثر الذي يستحق أن يوصف بقابليته للديمومة والاستمرار وطول البقاء . " وقد كشفت لنا القراءة عن أن الأسد شاعر مطبوع بتعبير النقاد القدماء ، وأنه يجيد صناعته الشعرية بالمقدار نفسه . ولئن غلبت على قصائده سمة الجزالة في اللفظ حيناً والرقّة والرومانسية الحاملة في الأسلوب ، والغنائية البارزة في الإيقاع الوزني الموسيقي والإيقاع الداخلي بين الصور والخيالات الجامحة حيناً آخر ، فثمة في قصائده ميل إلى استبطان الذات والعالم وتحويل مفرداتهما إلى واقعات نصية شعرية بتعبير النقاد المحدثين ، دون الإغراق في الغموض أو الرمز ، وعلى نحو يبدو فيه الحرص على الموازنة بين الحس الرومانسي الجميل ، والحس الواقعي المشحون بكثافة الفكرة وكثافة الانفعال / العاطفة وتجلياًهما الراقصة ودلالتهما . " ^(١٩٥)

لقد " ظلت القصيدة عند ناصر الدين الأسد محافظة على تقاليد الشعر العربي ، واستقرت على أسلوب كلاسيكي يستعير من الموروث نسقه وينأى بها عن الخطابية ، ومن الرومانسية ذاتيتها وحرارة مشاعرها بتحفظ يجعلها بعيداً عن العاطفة المفرطة . " ^(١٩٦) الشيء الذي يفيد في الخلو

^(١٩٤) مظفر ، مي ، جسر بين العصور ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .
^(١٩٥) المصلح ، أحمد ، ناصر الدين الأسد ناقداً وشاعراً ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، سلسلة كتب شهرية تصدر عن وزارة الثقافة عمان ، الأردن ، ص ٨٨ - ص ٨٩ .
^(١٩٦) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

إلى القول بأن استحسان شعره - واستحسان نثره - لم يكن نابعا من فراغ أدبي إبداعي ، وإنما كان ذلك الاستحسان له مسوغاته ، ولا سيما عندما يكتشف الباحث أو الناقد أو المتلقي - بصفة عامة - أن للأسلوب الشعري كان متعلقا أشد التعلق بتلك المسوغات والمبررات والأسباب ، وبخاصة عندما " تمضي القصيدة في التعبير عن ذات الفنان وإبراز سجايا الصديق الغائب ، لتكشف السطور البيض ، واللغة اللامحة ، فداحة الهم المسكوت عنه ، كما تكشف عن طبيعة الشاعر الذي يجد ، أمام المصائب الكبيرة ، أن بلاغة الصمت قد تعلو على كل حديث . وقد يغدو لهذا المعنى بعد أعمق حين نعلم أن ناصر الدين الأسد مر بظروف صعبة لم يواجهها بغير الصمت . " (١٩٧)

هذا في بعض المناسبات التي شكلت بعض المواضع والصياغات الأسلوبية الشعرية لقصائده الشعرية ، أما في بعض المناسبات الأخرى ومواقعها " وما بين الدعابة والجد تمضي هذه النماذج لتشير إلى أن الشعر كان مادة التعبير الأولى عن مشاعر ناصر الدين الأسد ومواقفه ، فهو على تنوعه وواسع انتقاله ما بين قصيدة معارضة وأخرى محاكية وثالثة وليدة حدث آني ، ظل يحمل ملامح فنية تستمد مادتها وروحها من القصيدة العربية المتوارثة في الديباجة الشعرية ونسيج القصيدة وموسيقاها ، وكانت قد اكتسبت ، في هذه المرحلة ملامحها الخاصة إلى حد كبير . " (١٩٨)

ويستدرجنا هذا إلى أن " ثمة أسئلة تواجه القصيدة من منشئها ، فتتحول من حوار ذاتي إلى حوار مع الزمن ومجريات الأحداث : حوار مع شيء خارج الذات قائم في مكان ما من العالم ، يظل يرتفع حتى يغدو سؤالاً في الوجود ، أو ما بعد الوجود ، فيصبح الماضي بديله الموضوعي الذي

(١٩٧) المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٤ - ص ١٠٥ .

(١٩٨) المرجع السابق نفسه ، ص ٨٩ .

يستعين به على إضاءة وجوم الحاضر . فهو أبدأ في حالة مناجاة تتفجر بالحس المساوي لفرط التمزق الحاصل من تناقص الداخل والخارج . " (١٩٩)

فجاءت بنائته الشعرية تعتمد على ضروب القول والتعبير المتنوعة المتعددة ، ولذلك ، فقد تميز أسلوبه بخصوصيات فنية أسلوبية ولغوية نتجت عن عمليات تنقله من ضرب تعبري إلى ضرب تعبري آخر في البيت الشعري الواحد أو في القصيدة الشعرية الواحدة ، أو في بعض القصائد التي تتقارب موضوعاتها وأغراضها ، حيث كان يتنقل من تعبير إخباري إلى تعبير استفهامي ؛ كالاستفهام بالسؤال البسيط المكون من جملة واحدة ، أو الاستفهام بالسؤال المركب الذي يحتوي على عدة جمل وتراكيب ، أو من أحدهما إلى تعبير تعجبي ، أو إلى تعبير تقريرى وصفي ، أو إلى تعبير استنكاري ، أو إلى تعبير تصويري تخيلي ، أو إلى تعبير تجريدي حوارى ، وجميع هذه الضروب من التعبير كانت تأتي على عدة صيغ وتراكيب أفصحت عنها الجمل المركبة وفق معايير لغوية وصرفية ونحوية ودلالية صحيحة وفصيحة ، تلك الجمل القصيرة أو الجمل الطويلة ، التي كانت جملا صغرى مركبة من المسند والمسند إليه وبعض حروف المعاني أو الروابط اللفظية ، أو كانت جملا كبرى مركبة من جمل صغرى مع وجود حروف المعاني والروابط اللفظية المناسبة أيضا ، إلى غير ذلك من ضروب التعبير اللغوي والإيقاعي الشعري التي لونت أسلوبه الشعري الممتد امتدادا طبعيا من ألوان أسلوبه الثري ، فكانت هناك المواطن الكثيرة من الوقف والنبر والإيقاع والإثارة القوية المؤثرة .

وخلاصة القول أن اعتماد الأسلوب عنده في كل الأحوال كان على جماليات اللغة ، مما جعله أسلوبا سهلا ، ولكنه صعب على التقليد والمحاكاة ، لما فيه من بلاغة تكمن " في قدرته على

(١٩٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٩٤ .

أن يقول الكثير الدال بالقليل المباشر ، " (٢٠٠) ولأنه كان يستدعي أن " يصلح ناصر الدين الأسد أفكاره الواضحة ورؤيته الجلية ببيان رصين مقتصد ، وأسلوب كلاسيكي رفيع ، قل أن تجد نظيره في يومنا هذا . " (٢٠١)

لقد شكل البعد الزمني مع البعد الذاتي وبعد الأنا الشعرية ثلاثية كونت شاعرية ناصر الدين الأسد ، " ونلاحظ من خلال هذه الثلاثية أنها تغري القارئ كي يتناولها في جانبها التاريخي ، ذلك لأن صاحبها الدكتور الأسد ، قد استقصى موضوعاتها في مسارها التاريخي القديم والوسيط والحديث والمعاصر ، ثم ينتقل من الحادثة التاريخية المتحققة والمدونة ، إلى التاريخ ، بمعنى الكتابة الجديدة للحالة التاريخية في تشكيلها المستمر واقعيًا ورؤيويًا . " (٢٠٢)

ولا يعزب عن البال أن " ثمة ميزة أخرى أسلوبية للثلاثية ، تضاف إلى ميزة التواصل الرؤيوي للتجربة الإبداعية الكلية للدكتور الأسد المسكونة بمحس التأسيس والتأسيس ووعي الذات وتأكيداتها على قمة الحضور الإنساني على خارطة الخطاب العالمي ، استنادا على أن ثوابت الإسلام ثوابت كونية مطلقة في الزمان والمكان ، وقدرة هذه الثوابت على مواجهة المتغيرات والمستجدات بفهم إسلامي يفسرها ويوضح بعض ما غمض منها ، ويربطها بأحكام الإسلام وحقيقة تعاليمه . " (٢٠٣)

فمن شعره - ومن نثره - يندفع من أسلوبه دافع قوي يدفع المتلقي إلى التأمل والتفكير والمشاركة والوقوف أمام " ثلاثية مترابطة موضوعاتيا ومنطقيا محكما ورؤية عقلانية نقدية نافذة ، وأسلوبا سلسا رقيقا ومشوقا ، ولغة معدولة ، تنشئ مقولاتها دون التواء أو فذلكة أو إسهال لفظي ... ويتم

(٢٠٠) مظفر ، مي ، سفر في المدى ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

(٢٠١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٠ .

(٢٠٢) مجلة عمان ، مرجع سابق ، بحث (نحن والآخر ود. ناصر الدين الأسد) من قلم أحمد المصلح ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢٠٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣ .

كل ذلك وفق منهجية علمية مبنية على طول خارطة الكلام وعرضها ، استقصاء واستقراء ومستخلصات نظرية وعملية .^(٢٠٤) تجلت في استعماله لبعض الفنون البديعية كالطباق والجناس والترادف ، وبالأسلوب الذي لا يقلد فيه من سبقه في الصور الناتجة عن تلك الفنون الإبداعية ، ولا يستعيرها من غيره . ودائما كان يميل في أسلوبه إلى استعمال الكلمات التي تجعل الموضوع الذي يتحدث فيه أو يكتب فيه حيا ب حياة لغته ذات الموسيقى والإيقاع والمعاني المجازية التي تجعل ذلك الأسلوب يدل على تناسب الموضوع مع موضوع القصيدة ودوافعها ومناسبتها ، ومع مشاعره وعواطفه ، ومع معانيه وصوره وأخيلته ، كما يدل على مناسبتها للأوزان الشعرية والبحور الشعرية التي اختارها لقصائده .

واعتقد بأن ذلك كان من الأسباب التي جعلت أسلوبه يتميز بالتلوين العقلي المبني على تلوين وتنويع التعبير عن المعنى الواحد أو الفكرة الواحدة أو الصورة الواحدة بعدة ضروب وصور وأشكال وأنماط وبنائيات أسلوبية بلاغية تعبيرية ذات قيم أدبية وفنية وإبداعية .

فقد تبين - وارتباطا وامتدادا لما سبق ذكره - أن في أسلوبه ضروب من التمثيل ، والتفنن في الإيجاز عندما يقتضي المقام ذلك ، وضروب من الإطناب في مواضعها ، وضروب من البيان ، وضروب من الجزالة ، وضروب من الرقة والسلاسة التي تفتن القارئ أو المستمع ، لأن أسلوبه جذاب يثير في نفس المتلقي شعورا بأهمية الانتقال إلى الجو الذي كان يعيشه الأسد عندما كان يكتب أو عندما كان يتحدث ، وبذلك فإنه يمكن القول بأن أسلوبه يدعو المتلقي إلى المشاركة العقلية والخبرائية والمشاركة الوجدانية لناصر الدين الأسد في ما صدر عنه عند التلقي وبعده . ولأنه كان - إضافة إلى ما سبق - يوظف المصطلح أو الاسم في أدبه بطريقة لها علاقة بانتماء ذلك

^(٢٠٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣ .

المصطلح أو الاسم إلى الموضوع الأدبي الواحد ، فتأتي الضروب من البلاغة والبيان تحتوي على المصطلحات والتسميات التي تدخل في تشكيل أجواء تلقي والفهم والاستيعاب والمشاركة الوجدانية التي انبثقت في نفس الكاتب قبل أن تنبثق في نفوس المتلقين الذين يصدر عن أحكامهم وتفاعلاتهم بصور وأشكال متنوعة ومتعددة في شأن ما تلقوه وما قرأوه أو شاركوا فيه وجدانيا وعقلانيا ، ليجدوا - كما وجدت - أن أسلوبه قد دل على توافر النصوص الأدبية التي أنتجها على جميع عناصر الخطاب العربي المعاصر من حيث التركيب ومن حيث التماسك والترابط النصي ، ومن حيث المرجعية ، ومن حيث الأهداف والميل والقصدية ، ومن حيث الالتزام ومراعاة المستويات الصرفية والنحوية والصوتية والتركيبية والدلالية في النص الواحد ، ومن حيث المضمون وما له من أهمية أكاديمية أو ثقافية أو حضارية في العصر الحاضر ، ومن حيث الفئات الاجتماعية والثقافية المستهدفة والموجه إليها هذا النص / الخطاب .

كما أنهم سوف يجدون في أسلوبه في أدبه أدلة على ثقافته الدينية ، حيث إن خطابه الأدبي ونصوصه الأدبية كانت تتشكل من أسلوبية تعتمد الاقتباس من القرآن الكريم ، وتعتمد التضمين من السنة النبوية الشريفة ، وتعتمد التناص من مؤلفات ومصنفات العلماء والأدباء ، بما في كل ذلك من تسميات ومصطلحات وقيم واتجاهات تنتمي إلى الثقافة الدينية بكل فروعها ومجالاتها .

وإجمالاً ، ومهما تنوع أسلوبه وتعددت صوره وأشكاله ، فإنه في الخلاصة يكون الحكم - الذي ربما يكون صائباً ، واعتقد ذلك مجزماً - بأن أسلوبه العام في أعماله الأدبية الإبداعية المتنوعة يعكس كفايته اللغوية ، وقدرته اللغوية الأدائية ، تحدثاً وكتابة ومرجعية وتوثيقاً ، وهذا الأسلوب

العام يعد من الأساليب التعبيرية الإبداعية الموفقة في تحقيق أغراض الكاتب والموضوع وفي الرفع من قيمة وإبداعية الأدب العربي بصفة عامة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الرابع

مستويات اللغة الفنية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية

المبحث الأول : المستوى الصوتي

المبحث الثاني : المستوى الصرفي والنحوي

المبحث الثالث : المستوى التركيبي

المبحث الرابع : المستوى الدلالي

الفصل الرابع

مستويات اللغة الفنية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية

تمهيد :

كانت اللغة الفنية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية وحدة متكاملة أسهمت مستوياتها اللغوية في إكسابها قيمتها الفنية والأدبية ومعناها الأدبي ، وهذه المستويات هي : المستوى الصوتي ، المستوى الصرفي والنحوي ، المستوى التركيبي ، والمستوى الدلالي . وتحددت هذه المستويات في مفرداتها وجملها وأصواتها وقوانينها اللغوية ، فاتخذ كل مستوى فيها إطاره الصحيح الذي جعله منتظما ومتسقا مع المستويات الأخرى .

إن هذه المستويات اللغوية تشكل البنيتين ؛ البنية السطحية والبنية العميقة للنص أو الخطاب الأدبي ، وكلها مرتبط ببعضه ببعض ، لأنها جوانب لشيء واحد ، ولأنها حلقات في سلسلة واحدة ، متصلة اتصالا وظيفيا تواصليا وأدائيا معتمدا على ما في اللغة من قدرات وطاقات وإمكانات جعلت لغة ناصر الدين الأسد اللغة الأدبية الفنية التي تحتاج إلى الدراسة المعمقة الوافية للوقوف على حدودها ودقائقها وأسرارها وفوائدها ، وذلك من عدة وجوه وجوانب ، منها جوانب مستوياتها المذكورة سابقا .

إن هذه المستويات اللغوية هي موضع الدراسة والبحث في هذا الفصل ، حيث سأفرد لكل مستوى منها مبحثا خاصا به من مباحث هذا الفصل ، قصد وصف لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية وفق كل مستوى من مستوياتها .

المبحث الأول : المستوى الصوتي

إن العلاقة بين الأصوات في اللفظة الواحدة تتوقف على عدة عناصر منها ؛ مخرج الصوت ، طبيعة الصوت ، زمن الصوت ، حركة الصوت ، معنى الصوت ووظيفته في بناء وتشكيل اللفظة أو الكلمة ، وتتحده جميع الصفات التي تتصف بها الأصوات لتكون الصوت الكلي للكلمة كتركيب لغوي له قواعده الصرفية والنحوية والتركيبية التي تؤدي المعنى المعجمي للكلمة . واجتماع الكلمة مع الكلمات حسب القواعد النحوية المعيارية يؤدي إلى توليد الجملة ، وربما أكثر من جملة واحدة ، والجملة مع الجمل الأخرى تشكل نصا مكونا من عدد من العبارات والتراكيب ، تجمع بينها العلاقات الصوتية والعلاقات النحوية والعلاقات التركيبية والمعنوية والدلالية .

وعند تحليل المستوى الصوتي الفني الإبداعي الأدبي في الكلمات والجمل والعبارات والفقرات والنصوص الأدبية عند ناصر الدين الأسد تبين أن هذا المستوى الصوتي يتصف بعدد من الصفات اللغوية الصوتية التي أنبأت عن ملاءمة تلك الأصوات اللغوية للألفاظ والمفردات والكلمات والتراكيب والعبارات كوحدات لغوية تشكل منها النص الأدبي ، كما أنبأت عن الوظائف الصوتية اللغوية التي كانت عنصرا مهما من عناصر التشكيل الأسلوبي الأدبي في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، إذ إن تلك الوظائف الصوتية اللغوية قد تعلققت بالبلاغة ومجالاتها في الجانب المعجمي والجانب الصرفي والجانب النحوي والجانب التركيبي والجانب البياني ، فكان لها الدور في إثبات صحة لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية وفصاحتها ، وفي إثبات إدلال تلك اللغة

على مدلولاتها ، وفي ملاءمتها ومطابقتها لمقتضيات الأحوال المقالية والمقامية في كل نص أو خطاب أدبي .

فالنظام الصوتي كمستوى من مستويات اللغة الفنية في النصوص لم ينفصل عن المستوى الصرفي والمستوى النحوي في المباني والتشكيلات النصية ، ولكنه اتحد معها واجتمع لتؤدي العبارات والتراكيب معانيها المقصودة منها ، ولتؤدي الدلالات التي رمى إليها ناصر الدين الأسد ، فصارت هذه المستويات وكأنها تشكل نظاما واحدا من أنظمة النص الأدبي الكلية ، وبخاصة في بنائية النص وشكله الأدبي .

لقد تولدت من الأصوات في لغة ناصر الدين الأسد الفنية أنماط من الجمل والتراكيب ، كان لكل نمط منها طابع خاص يتميز به ، ومنطق يعتمد في حال الحقيقة في التعبير أو التركيب أو الجملة أو النص ، أو في حال مجازية التعبير أو التركيب أو الجملة أو النص الأدبي ككل ، لأن المجاز له منطق وطابع خاص يجعل أركان نظام اللغة ، معجميا وإبلاغيا ودلاليا ، يكون خاضعا لمعايير الوضع ومعايير الاستعمال للغة ومفرداتها ومعايير العدول من عنصر من عناصر النظام اللغوي إلى عنصر آخر من عناصره ، ولذلك ، فقد أدى تضام الأصوات عبر منظومة الكلمة ومنظومة الجملة ومنظومة العبارة ومنظومة النص إلى تشكيل جمل وصيغ وأنساق لغوية فنية لها هيئاتها المضبوطة صرفا ونحوا وتشكلا ، فيها من التميز والجدّة والابتداع ما جعلها متلونة بألوان الفن اللغوي وألوان الجمال البلاغي الأدبي . وربما كان هذا المستوى الصوتي الفني أكثر وضوحا في شعر ناصر الدين الأسد أكثر منه في نثره .

لقد كان لتتابع الأصوات في الألفاظ والمفردات والتراكيب والفقرات المكونة للنص الأدبي أثر واضح في أداء المعنى ، حتى أن بعضاً من هذه الأصوات كان هو الدال الأساس على المعنى المقصود ، لما له من موضع حسن بين مواضع الأصوات في اللفظة الواحدة ، أو بين مواضع الأصوات في الجملة الواحدة أو التركيب الواحد ، ولما له من إيقاع وموسيقى مهيمنة على إيقاعات وموسيقىات الأصوات الأخرى المجاورة في المبنى اللفظي وفي المبنى التعبيري ، وفي المستويين ؛ مستوى البنية السطحية للنص ومستوى البنية العميقة له ، فجاء الكلام لفظاً وكتابةً ، شعراً أو نثراً ، عند ناصر الدين الأسد ، عبارة عن تراكيب ذات وحدات إيقاعية نغمية موسيقية أحكم الأسد تركيبها وتوليفها ، وجعلها مؤدية للمعنى كقطعة فنية موسيقية تسبق المعنى إلى قلب المتلقي حساً وسمعا .

إن لغة ناصر الدين الأسد الفنية تنطوي على بنى صوتية محكمة بالقواعد الصرفية والنحوية ، كونه يميل إلى معيارية اللغة ، إلا في حال إخراجها إلى العدول أو الانزياح الأسلوبى لتحقيق وجه لمعنى أو لدلالة ، إبلاغياً وبلاغياً ، واحتكاماً إلى مقتضيات دلالية عقلية منبثقة من التصوير الفني والتخييل الإبداعي لمألوفات أو معقولات لا يستساغ التعبير عنها إلا بالعدول أو بالانزياح الأسلوبى المعتمد بالدرجة الأولى على التناغم بين المقاطع الصوتية ، والاتساق بينها ، والتراتب المفضي إلى قبول التعبير والتركيب بحسب القواعد الصرفية والقواعد النحوية ، ولعل هذه الميزة التي تميز بها المستوى الصوتي في لغة ناصر الدين الأسد الفنية تعود إلى القيمة اللغوية التي أعطاها للغته ومعانيها ودلالاتها من خلال علاقات الصوت اللغوي بالأنماط اللغوية التي تكون منها الخطاب أو النص الأدبي عند ناصر الدين الأسد .

ويكمن هذا المستوى الصوتي الدال لغويا وفنيا في البعد الصوتي ، إذ كان ناصر الدين الأسد ينتقي من الألفاظ والعبارات والجمل ما تباعدت أصوات حروفها ، فلم يرد في أي نص من نصوصه الأدبية كلمات أو جمل أو عبارات تقرن بين صوت القاف وصوت الظاء ، ولا صوت الجيم وصوت القاف ، ولا صوت الزاي وصوت الظاء ، ولا صوت الزاي وصوت السين ، ولا صوت الزاي وصوت الضاد ، ولا صوت الزاي وصوت الذال ، ولا صوت الظاء وصوت السين ، ولا صوت الظاء وصوت الضاد ، ولا صوت الظاء وصوت الذال ، ولا صوت السين وصوت الضاد ، ولا صوت الضاد وصوت الذال ، إلى غيرها من الأصوات المتنافرة التي لا تآلف بينها في اللغة العربية ، إلا ما كان من الألفاظ الدخيلة أو المولدة أو المعربة أو الأسماء والصفات الأعجمية التي ليست بعربية ، ولم يكن ورودها في بعض النصوص الأدبية إلا إذا كانت في وضع اصطلاحي أو في وضع تسمية لمسمى ، أو في وضع استشهاد واحتجاج . ولكن هذا الأمر لا يؤثر على القيمة اللغوية للغة ناصر الدين الأسد الأدبية الفنية . أما بقية الأصوات اللغوية العربية التي تشكلت منها الألفاظ والعبارات والجمل ، فإنها حسب تأثيرها السمعي عند اللفظ ، أو حسب تأثيرها النفسي عند القراءة ، ذات إيقاع فيه ارتفاع أو انخفاض حسب الصفة الإيقاعية والصفة الموسيقية للكلمة وللجملة أو العبارة أو الفقرة في النص الأدبي الواحد ، كما أن لها لينها وعذوبتها في القلب والنفس بعد وقعها سلسلة رقيقة سهلة على الأذن والسمع . وعليه ، فقد شكلت هذه الأصوات اللغوية الفنية علامة من العلامات اللغوية التي انطوت عليها لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية ، لأنها لم تكن أصواتا مفردة تعامل معها ، ولكنها كانت أصوات كلمات وألفاظ ، وأصوات جمل وتراكيب ، وأصوات فقرات بنت وشكلت نصا وخطابا أدبيا .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تلك الأصوات اللغوية الفنية لم تحتفظ بخصائصها الصوتية اللغوية عندما تركبت في المقاطع والوحدات الصوتية البسيطة التي تكونت منها الكلمات ، ثم الجمل ، ثم العبارات ، ثم الفقرات ، ثم النص الأدبي الواحد بأكمله ، حيث إنها اكتسبت خصائص صوتية لغوية فنية أدائية جديدة ، بسبب تألفها في نسق وسياق تركيبى لا يتلاءم ولا يتوافق مع لفظه وقراءته احتفاظها ببعض خصائصها التي اختصت بها صوتيا ولغويا عندما كانت أصواتا مستقلة غير داخلية في أية بنية لغوية ، ولأنها عندما تتألف مع بعضها بعضا في لفظ أو تعبير صحيح فصيح ، تحكمها علاقات على أنحاء معينة من الترابط والتآلف ، وتحكمها قواعد وأصول تستدعي انقلاب بعضها إلى صوت جديد يتطلبه السياق الصوتي الإيقاعي اللفظي الذي يحكم التعبير كله وليس جزءا منه ، كما تستدعي تلك القواعد والأصول حذف بعض الأصوات إذا توفّر فيه وفي الصوت الذي يجاوره شروط معينة ، فيظهر الأثر في جميع أصوات التعبير أو الجملة أو التركيب أو النص ، وتستدعي تلك القواعد والأصول أيضا نطق مقطع صوتي في موقع في الكلمة أو التعبير أو الجملة بقوة نفس أكبر وبجهد عضوي أعنف من أعضاء جهاز النطق .

ولذلك ، فقد اعتمد المستوى الصوتي في لغته الفنية على الارتكاز الصوتي ، أو ما يطلق عليه النبر ، لأن كثيرا من الجمل والتراكيب والفقرات احتوت على كلمات فيها مقاطع شديدة البروز ، وطويلة الأصوات ، وعالية الوضوح ، وقوية الإيقاع والتأثير ، وسهلة المخارج ، ومتدرجة المخارج ، فكان فيها كل ذلك على مستوى المقطع ، وعلى مستوى الكلمة ، وعلى مستوى الجملة ، وكان ذلك معتمدا في كثير من النصوص الأدبية على أهمية الكلمة في الجملة أحيانا ،

وعلى أهمية الجملة في الفقرة بشكل خاص ، وعلى أهمية الفقرة وتراكيبها في النص الأدبي بشكل عام .

وبناء على ما سبق ، فإنه يمكن القول بأن المادة الصوتية في لغة ناصر الدين الأسد الأدبية الفنية تكمن فيها إمكانات تعبيرية فنية جمالية انبثقت مما فيها من تآلف وتوافق ، ومن ألعاب نغمية ، ومن إيقاعات دلت عليها الكثافات المقطعية وبعض التكرارات وبعض الفواصل الساكنة أو السكتات في الجمل الطويلة أو ما بين جملتين بسيطتين ، أو الوصلات بين الجمل الصغرى في الجمل الكبرى ، أو ما كان من موسيقى شعورية عميقة تأتي تالية ونتيجة للموسيقى الظاهرية للجمل والعبارات وللنص الأدبي ، وبخاصة في قصائده الشعرية ، وفي بعض النصوص النثرية التي تميزت بالوصف أو بالسرد ، أو كان للبلاغة وفنونها دور كبير في صياغتها وتركيبها .

واعتقد أن ناصر الدين الأسد قد استطاع توظيف النظام اللغوي بجميع وحداته لاختيار ما كان يريد من الصيغ الصوتية التي كان لها الدور التأثيري في المتلقي ، وذلك من خلال إجادته في توظيف الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة ، والصوائت القصيرة والصوائت الطويلة ، والأصوات الطباقية والأصوات غير الطباقية ، إذ طوعها جميعها في مواضعها ، وجعلها ملائمة لتنظيم النص الأدبي بطرق جديدة في تركيب الألفاظ والجمل ، متجاوزا بعض القواعد التي تحكم الأصوات المنفردة ، وحسب ما سمح له النظام اللغوي بذلك ، ومن هذه الطرق الجديدة بعض الانحرافات النطقية لبعض الأصوات في بعض الألفاظ والتراكيب في بعض الأبيات في قصائده الشعرية ، كما أن منها أنه لجأ إلى التساوي الصوتي في أصوات الكلمة المنفردة وفي أصواتها عند تركيبها مع الكلمات

الأخرى في الجملة ، مما أحدث التماثل بين الأصوات في التركيب الكلي والوزن العروضي لذلك التركيب .

لقد اعتمد ناصر الدين الأسد على السمات الصوتية للكلمة وما لها من دور فني في السياق التعبيري ، حيث توسع في اختيار الأبنية والتراكيب الصوتية ليصل إلى المطابقة والمواءمة بين تلك الأبنية والمعاني والدلالات والإيحاءات التي يريد لها أن تبلغ مداها في وعي وإدراك ومشاعر المتلقي .

ويمكن ناصر الدين الأسد من توظيف المحاكاة المباشرة والمحاكاة غير المباشرة في الكلمات والعبارات توظيفا صوتيا له دلالة غير المعجمية استوحاها الأسد من عالمه الفني الأدبي الخاص ،

ليمكن القارئ بعد ذلك من استيعابها بدوره كمتلقي يشارك في إعادة إنتاج النص ، من قبيل مقروئية النص التي تسمح للمتلقي بذلك .

وهذا يعني أن ناصر الدين الأسد قد جعل الأصوات بجميع تشكيلاتها تتفاعل بشدة وباستمرار مع السياق التعبيري ، حتى صار السياق نفسه دافعا للتشكيل الصوتي لأداء دلالاته ورموزه الفنية ، لأن تلك التشكيلات الصوتية كانت تشتمل على التفخيم في بعض المواضع ، وعلى الترقيق في مواضع أخرى ، أو تشتمل على الهمس أو الجهر ، وفي سياقات تشتمل على الانطباق في الأصوات أو الانفتاح فيها ، أو تشتمل على اللين الصوتي أو الاستطالة أو الإدغام أو الإظهار أو الإخفاء أو التنويم .

هذا ، إلى جانب إسهام العناصر الصوتية في تقديم المعاني التمثيلية ، وذلك من خلال ما أوحى به الأصوات في العبارات والتراكيب والفقرات والنصوص الأدبية من حالات وجدانية انفعالية شعورية لدى المتلقي . وربما كان الفاعل في هذه العناصر الصوتية التي قدمت المعاني التمثيلية

هو التفاوت بين الأصوات الساكنة والأصوات المتحركة في الجمل والتراكيب ، ذات التناغم الموسيقي والإيقاع الناتج عن الإئتلاف الحاصل بين مخارج الأصوات ، وربما من التفنن في تركيب الجمل وضروب القول وأنماطه المتنوعة المتعددة في النص الأدبي الواحد .

لقد حقق المستوى الصوتي بعناصره جميعها اتساقا بين الجمل في النصوص الأدبية عن ناصر الدين الأسد ، وبخاصة عند تكراره لبعض الأصوات المتشابهة في السياق التعبيري الواحد نتيجة لما كان يتمتع به من ذوق لغوي سليم ، ومن قدرة على الأداء اللغوي ذي الإنجاز البلاغي والأدبي الرفيع ، فكثيرا ما كان يراعي قواعد التشكيل الصوتي ، فلم يلتق في لغته الفنية ساكنان ، ولم تتأثر الأصوات بعضها ببعض ، وبخاصة في حالات الإدغام أو الإبدال أو الإعلال ، فجاءت قواعد توافق الأصوات العربية في لغته الفنية واضحة في تكوين النص أو الخطاب الأدبي ، كما جاءت متوافقة مع القواعد الصرفية والنحوية ، لما بينهما من الترابط الباعث على ضرورة التجانس الصوتي المؤدي إلى التجانس المعنوي في حال عدم طغيان أحدهما على الآخر .

وفي إطار المستوى الصوتي أيضا ، فقد تبين أن موسيقى الكلمة وجرسها كان لهما قيمتان فيتان لغويتان ؛ قيمة لغوية فنية خارجية وقيمة لغوية فنية داخلية ، القيمة الأولى قيمة تركيبية متعلقة بالميزة الصوتية لبنية الكلمة الواحدة ، أما القيمة الثانية فهي القيمة المرتبطة بالدلالة وعمق النص الأدبي لدخولها في الظاهرة الأسلوبية للنص الأدبي ، مما أضفى على ذلك جرسا جماليا كامنا في الكلمات ومن ثم في السياقات المعنوية للنص ، حيث كان واضحا الإيحاء الصوتي أو التداعي في معاني الحروف في النسق اللغوي الباعث على الوعي والإدراك والتأثر .

لقد مزج ناصر الدين الأسد في المستوى الصوتي للغة الفنية بين المخالفة حيناً والمماثلة أحياناً أخرى في بعض المواضع ذات التكرارات الصوتية في الكلمات أو في الجمل والعبارات ، مما انعكس ذلك على جماليات النص النثري والنص الشعري في أعماله الأدبية ، حيث تجلت هذه الجوانب في داخل النصوص الأدبية بمظهرين إثنيين : أولهما الجنس الصوتي ، وثانيهما الطباق الصوتي ، ففي النثر كان يتضح ذلك في حالات التركيب اللغوي المشتمل على الإتيان أو الجنس أو السجع ، وفي الشعر كان يتضح ذلك في القوافي وحروف الروي وبعض التكرارات اللفظية والتركيبية في القصيدة الشعرية ، وبذلك فقد جسد هذا المستوى الصوتي العلاقة بين أصوات الحروف في التراكيب عند الاستماع إليها وكتابتها بصورة صحيحة ، فترتقي بالاستماع أو القراءة إلى مستويات الجودة والتأثير بها والتفاعل معها سماعاً وقراءة وأسلوباً وثقافة .

لقد ارتبط التناسب في الصوت في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية بالثلاثية الموسيقية التي تجسدت في الألفاظ والتراكيب والجمل ، مع الاعتماد على أوزان الألفاظ الصرفية والأوزان العروضية بما في ذلك من الزخافات والعلل ، وبما فيها من ترقيق وتفتيح ، حتى برز عند السماع أو القراءة إيقاع على ثلاثة أضرب ؛ إيقاع الوزن ، وإيقاع النغم ، وإيقاع النبر ، مما أسهم في تكوين احساسات ومشاعر لدى المتلقي الذي يتلقى سماعاً أو قراءة النص الأدبي مجزأ ، ويتلقاه بجميع ما فيه من قوالب وتراكيب لفظية ومعنوية كانت أداتها اللغة الفنية التي وظفها ناصر الدين الأسد حاملة الجمل الإخبارية والجمل الاستفهامية والجمل التعجبية ، وصيغ النداء ، وصيغ التكرار المقضي إلى التوكيد ، مما جعل المستويات الصوتية ترقى إلى قدرتها على التأثير في خلق التصورات والتخيلات والأفهام والإدراكات والدلالات النابعة من تلك القوالب والتراكيب اللفظية والمعنوية ، إذ إن ما

كانت تحملها من تغيرات وتقلبات صوتية في مختلف المواضع في النص الأدبي كان واضح الأثر والنتيجة والفعل ، ويمكن وصف هذه الميزة التي تميز بها المستوى الصوتي في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية وتسميتها بالاستقرار الصوتي ، لأنه اشترك في النص كمستوى من مستوياته تحكمه أنظمة اللغة وقواعدها وصياغاتها القياسية الاستعمالية والتوليدية التي أحسن وأتقن ناصر الدين الأسد توظيفها ، فمكنها من أن تأخذ قيمتها الوجدانية الصوتية ، وقيمتها المعنوية الصوتية لدى الكاتب والمتلقي على حد سواء .

إن الصور الصوتية والوحدات الصوتية كانت تعتمد في تكوينها وتشكلها على التمرجات المنتظمة السلسلة النابعة من الموسيقى الداخلية ، وبخاصة في شعر ناصر الدين الأسد ، وفي بعض نثره الأدبي ، حيث كان المستوى الصوتي فيها واضحا سهلا في الإدراك حيناً ، وخفياً أحياناً أخرى ، ومع ذلك فقد كان في العبارات والتراكيب والنصوص روح جديدة تنفذ إلى النفس بالسماع أو القراءة ، بسبب حسن التقسيم ، وتشابه أوزان الجمل والعبارات ، والجناس التام حيناً والناقص أحياناً أخرى ، والتكرارات الصوتية والتعبيرية وبسبب من خلق الإحساس بالجو العام والجو الخاص اللذين كان يعيشهما ناصر الدين الأسد - عند الحديث أو الكتابة - ونقلهما من خلال أعماله الأدبية إلى السامع والقارئ والمتلقي بصفة عامة ، ولذلك ، فإنه يمكن القول إن العلاقة بين المستويات الصوتية وأوزان الكلم وأوزان البحور العروضية الشعرية ، كانت علاقة لها نتائجها الإيجابية على النص الأدبي - شعراً ونثراً - لدى ناصر الدين الأسد ، حيث تجلّت تلك العلاقة في صور متعددة ، منها ما انبثق من الجمل الصغرى ، ومنها ما انبثق من الجمل الكبرى ، ومنها ما انبثق من الجمل الطويلة ، ومنها ما انبثق من الأبيات الشعرية وأسطرها في القصيدة الشعرية ، ولا

سيما لما كان بحر القصيدة العروضية متناسبا مع نغمة مؤدبة إلى وصف أو حنين أو غزل أو خزن وتحسر أو حماسة أو إعجاب أو حوار أو استفهام . وساعد على تجلي ذلك ما كان من سجع أو ترصيع أو حروف روي أو قواف ذات تأثير ووقع على النفس في الإحساس أو على العقل في الإدراك والفهم والتصور والاستيعاب .

وختاما فإنه يمكن القول إنه كان للتابعات التنغمية الصوتية ، ولنماذج الارتكاز الصوتية ، وللاتلاف الصوتي ، وللتغيرات الموسيقية بكل أركانها ، وللأحكام والقواعد الصوتية التي تحكممت في الأنساق والنظم الصوتية ، وللصور والأخيلة الصوتية ، وللأوزان الصرفية والعروضية ، ولتلوين الصيغ الصرفية وموسيقاها ، ولمطابقة الأنساق الصوتية للمعاني والدلالات ، آثارها ونتائجها على تحقق المستوى الصوتي الفاعل المؤثر في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية التي تكامل فيها الأداء الفكري ، والثقافي ، والأداء العاطفي ، والأداء البلاغي والبياني والتصويري ، وعلى تحقق الانسيابية الصوتية التي تبلورت في يسر وسهولة وطواعية من خلال النظام التشكلي لأصوات الحروف ، ومن خلال الانسيابية اللغوية ، والانسيابية الفكرية والمعنوية لدى ناصر الدين الأسد ، وعلى تحقق المستوى الصوتي المنعكس بفاعلية وتأثير قويين على السامع أو القارئ أو المتلقي بكافة أصنافه ومستوياته .

المبحث الثاني : المستوى الصرفي والنحوي

تقتضي دراسة هذا المستوى اللغوي في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية الانطلاق من النظرة التكاملية بينه وبين سائر فروع اللغة ومستوياتها الأخرى ، كما تقتضي البحث في الجوانب المكونة لهذا المستوى ، للوقوف على وظيفته ونتيجته وأثره في تشكل النص الأدبي بصورة لا تناقض فيها ، وبصورة تنسجم مع قواعد اللغة العربية النحوية والصرفية ، وبصورة فيها بلاغة وبيان وفصاحة ، وبصورة فيها تفنن وإبداع وجمال .

ولن يقتصر البحث في هذا المبحث من هذا الفصل على وصف العلاقات التركيبية في الجمل والعبارات ، وإنما سيتعدى إلى وصف العناصر الشكلية والأبنية الصرفية التي خدمت العلاقات التركيبية والأجزاء التي تتركب منها أبنية النصوص الأدبية بما فيها من الكلمات والجمل وأشباه الجمل والعبارات والفقرات .

واعتمادا على أقسام الكلام في اللغة العربية ؛ الاسم والفعل والحرف ، فإنه لا بد من مراعاة أحوال مبانيها ذات التشكيلات والصور المتعددة المختلفة في لفظها ومعانيها ودلالاتها ، وأحوال بنائها وإعرابها في الجمل والعبارات اللغوية ، ليكون الوصف موضوعيا وظيفيا يقوم على إدراك الدور الذي تؤديه الكلمة في الجملة ، والدور الذي تؤديه الجملة في النص الأدبي .

لقد تميز المستوى النحوي والصرفي في لغة ناصر الدين الأسد الفنية والأدبية بما اشتمل عليه من تركيبات صرفية كانت تحكمها الترتيبات النظامية التي انتظم فيها الكلام والتعبير ، سواء على مستوى الكلمة أو على مستوى الجملة ومكوناتها ، فكانت أحوال أبنية الكلمة تتعدى من البناء أو الإعراب إلى الاعتماد على تحويل الأصل الواحد للكلمة الواحدة ذات الجذر اللغوي ذي الوزن

الصرفي إلى كلمات كثيرة ذات معان مختلفة تدخل في المعنى العام للنص الأدبي ، مع اشتراكها من بعض الوجوه المعنوية والدلالية والوجوه الإبداعية والبلاغية والتصويرية ، حيث كان من مظاهر ذلك التحويل تحويل المصدر إلى اسم الفاعل ، أو إلى اسم المفعول ، أو إلى اسم الزمان ، أو إلى اسم المكان ، أو إلى صيغة المثني ، أو إلى صيغة الجمع ، أو إلى إحدى صيغ الفعل ، إلى غير ذلك من الصيغ الصرفية ذات الصور الشكلية والبنائية ، والصور الوزنية التي يقتضيها الميزان الصرفي لها في اللغة العربية ، دون إغفال لما يطرأ على التحويلات البنائية الجديدة للكلمات من أحكام إعرابية تظهرها حركات الإعراب الدالة على الاتساق والتطابق بين الصيغ الصرفية والصيغ النحوية في لغته الفنية الأدبية ، وهذه الميزة دلت على اتساع وثناء معجمه اللغوي وثروته اللغوية التي كانت دائما تسعفه في التعبير والتصوير والتخييل وإثارة الوجدانيات والمشاعر بالشكل الإبداعي الأدبي وبالمضمون المفيد .

كما دلت هذه الميزة على أن الوحدات الصرفية قد قدمت جمل المعنى أو المفهوم الكلي بقوالب لفظية تركيبية متقيدة بقواعد النحو ، ومتنوعة في الصيغ وتصنيفها حسب ما فيها من قيم صرفية ، وحسب ما هي عليه من قدرة في التفريق بين القيم الجمالية نحويا وتركيبيا ودلاليا . ولعل ذلك راجع إلى النظام الصرفي للغة العربية الذي يشتمل على عدد من القواعد التي تحكم الأبنية ذات الصيغ المتنوعة التي تظهر في الأفعال والمشتقات وحروف المعاني . فقد كانت تلك الصيغ مناسبة للأوزان ومناسبة للمعاني ، ومناسبة للزمان والكيثونة في النص الأدبي ، ومناسبة للمكان ودلالاته ، ومناسبة للأحوال والصفات التي أضفت على الأسماء والمتبوعات أردية الوضوح والبيان والجللاء ، فأدت بالتالي وظيفتها من حيث فصاحة لغة ناصر الدين الأسد الفنية ، ومن حيث

صحتها ، ومن حيث إبداعيتها ، لأن توظيف الصيغ المشتقة من مصادرها توظيفا صحيحا ومناسبا في النص الأدبي يؤدي إلى اصطباغه بالصبغة الأدبية الفنية الإبداعية .

إن الصيغ الصرفية المرتكزة على ما فيها من قوالب وأوزان ، كانت تتوزع على أبنية الألفاظ والكلمات ، وعلى أدوات صرفية كانت تساعد دائما على تحديد أنواع وأنماط الجمل التي وظفها ناصر الدين الأسد في لغته الفنية ، كأدوات الاستفهام ، وصيغ التعجب ، وأدوات النداء ، والنواسخ ، وأدوات النصب ، وأدوات الجزم ، وأدوات النفي ، والضمائر بأنواعها ؛ الضمائر المستترة كقرائن لفظية غير ملفوظة تدل عليها الألفاظ الأخرى التي تتركب منها الجملة وكقرائن معنوية تفيد في قولبة المعنى أو الفكرة عند تحديد المسند والمسند إليه في الجملة المفيدة في النص الأدبي ، والضمائر المنفصلة ، والضمائر المتصلة ، مما أسهم في أن تكون تلك الصيغ الصرفية قد أدت وظيفتها اللغوية التركيبية المعنوية والدلالية في النص الأدبي .

وليس هذا فحسب ، فقد كان للتحويلات الصرفية ظهور في الصيغ التركيبية للكلمات والجمل من حيث صيغ التصغير وصيغ النسبة وصيغ أسماء المرة وصيغ أسماء الهيئة ، التي وردت في بعض الجمل والتراكيب والفقرات في النصوص الأدبية التي أبدعها ناصر الدين الأسد .

هذا بالإضافة إلى ما تجلّى في لغة ناصر الدين الأسد الفنية من صيغ تتعلق بالمجردات وبالمزيدات من الألفاظ والكلمات ، حيث حملت تلك الزيادات اللفظية على الصيغ المجردة اللفظية تأثيرها وقوتها اللغوية من هيئة التشكل والبناء اللفظي إلى هيئة التشكل والبناء التصويري والبناء المعنوي والبناء الدلالي للجمل والتراكيب والفقرات والنص الأدبي ، وذلك انطلاقا من القاعدة التي تقول : (كل تغيير في المبنى يؤدي إلى تغيير في المعنى) ، ويقودنا هذا إلى القول بأن ناصر الدين

الأسد قد تفنن في خلق وإبداع الصور الصرفية للكلمات والجمل والأسماء والأدوات في إجراء الإحالات اللغوية الكثيرة ، وفي استعمال حروف المعاني استعمالاً صحيحاً ، وفي الالتزام بلزوم الأفعال اللازمة في بعض المواضع ، وفي تعدية بعض الأفعال اللازمة في مواضع أخرى من النص الأدبي ، وفي التحويلات والتوليدات المتعلقة بتحويل الجملة من صيغة المبني للمعلوم في تركيبها ومعناها إلى صيغة المبني للمجهول ، توخياً للدقة في المعنى ، وطلباً للبلاغة والبيان ، وتحقيقاً للدلالة في أصولها التطورية في النص الأدبي ، فجاءت هذه الميزة الصرفية المرتبطة بالميزة النحوية مبرزة للمستوى الصرفي والنحوي الدقيق والملتزم والمؤدي لوظائفه اللغوية ووظائفه المعنوية والدلالية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية .

ولا بد من القول في هذا المقام ، إن الصيغ الصرفية التي اعتمدها ناصر الدين الأسد في لغته الفنية ، قد ساعدت على عصمة لسانه من اللحن ، وعلى إبلاغ لغته درجة التجدد والتقدم ومسايرة الثقافة والحضارة ، وعلى القدرة في توليد الجمل التي لم يألفها الناس من قبل في ما تلقوه من نصوص ونتائج أدبية سابقة ، وعلى إنتاج صور ذهنية ومشاعر وأحاسيس تسند النص وتدفعه إلى تحقيق وظيفته التأثيرية والإبداعية .

ولما كانت الجملة هي التركيب اللفظي والكتابي للكلمات والأدوات والحروف ، فإنها وحسب ما تقتضيه قواعد اللغة العربية ونحوها ، جاءت على صور منها : الجمل اللفظية العربية الصغرى ، والجمل اللفظية العربية الكبرى ، وأشباه الجمل ؛ كشبه الجملة من الجار والمجرور ، وشبه الجملة من المضاف والمضاف إليه ، وشبه الجملة من الظرف والاسم المجرور به ، ومهما كانت أنماطها وأساليبها التعبيرية ، فقد اتسق المستوى الصرفي والنحوي مع كل نمط من أنماطها ، ولا سيما

تلك الجمل الفعلية ذات الفعل الماضي في حالة النفي ، أو الجمل التعجبية ، أو جمل النداء ، أو الجمل الاستفهامية التي غالبا ما كان يستعمل فيها أسماء الاستفهام للدلالة على السؤال أو الاستفسار أو الاستفهام أو التساؤل ، أو يستعمل فيها أحد حربي الاستفهام : هل أو همزة ، أو جمل الشرط والطلب التي كانت ترد على لسانه أو من قلمه وهي ذات طرفين يتوقف انعقاد الطرف الثاني فيها على انعقاد وتمام وحدوث الطرف الأول منها بواسطة قرينة لفظية كانت إحدى أدوات الشرط ، سواء أكانت أداة جازمة جزمت فعل فعل الشرط وفعل جواب الشرط ، أو أداة غير جازمة لهما في اللفظ ، ولكنها عملت عملها في الأداء والوظيفة اللغوية التركيبية الفنية المؤدية إلى المعنى والفكرة والصورة الذهنية والشعور الذي يبدو فيه الارتباط الإبداعي مع المستوى الصرفي والنحوي في جانبه الجمالي ، لأن النحو ليس مجرد قواعد شكلية ، وليس مجرد تقدير إعراب وليس مجرد صحة الكلام أو خطئه ، وإنما هو أداة من أدوات الكاتب أو الشاعر يثمر إثمارا جيدا في إنتاج وإبراز الصور الذهنية والمعاني التي تأتلف داخل السياق ، ويدرك ذلك من أساليب ووجوه استعمال الكلام ونسجه نابضا بتلك الصور والمعاني والمشاعر والأحاسيس الوجدانية ، وكانت تلك الصور التركيبية التي مكنت ناصر الدين الأسد من بيان ما لديه من صور ذهنية كلية أو جزئية ، وما لديه من معارف وخبرات ، أدخل بعضها في تلك الصورة الذهنية ، وأخرج البعض الآخر خارج إطارها ، تاركا المجال أمام المتلقي ليكشف عنها وليكتشفها بنفسه وبذائقته الأدبية وبقدرته اللغوية في مواضعها في نصوص ناصر الدين الأسد الأدبية ، وكان له ذلك من خلال تلك الجمل والتراكيب التي انتظمت وتشكلت في منظوماتها اللغوية المحكومة والموزونة بقواعد الصرف وقواعد النحو في اللغة العربية الفصيحة الصحيحة المعبرة عما اقتضاه منشؤها ومنتجها في نصوص أدبية

كانت اللغة الفنية الأدبية أداتها التي اعتمدت على عناصر رئيسية في مجالها النحوي ، وهي : المسند إليه أو المتحدث عنه أو المبني عليه ، والمسند الذي بني عليه المسند إليه ، والإسناد أو وجه الارتباط ووجه العلاقة بينهما ، مما يجعلنا نقول بأن هذه العملية قد أدت إلى الارتقاء بلغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية في مستواها الصرفي والنحوي .

لقد وظف ناصر الدين الأسد الأسماء والأفعال وحروف المعاني في لغته الفنية بطريقة معيارية ، إلا في حالات بلاغية بيانية إبداعية ، ظهرت في بعض قصائده الشعرية التي خرج فيها عن نطاقات المعيارية الصورية التعبيرية إلى نطاقات اللغوية الإبداعية ، حيث قدم وأخر في إطار أصولية الجمل وتركيبها ، فقد ورد التقديم والتأخير في حالات ، منها : تقديم المفعول على الفعل والفاعل ، أو تقديم الخبر على المتبدأ ، أو تقديم الحال على صاحبها ، مما أحدث صوراً تعبيرية ودلالات نحوية ومعنوية لا تخرج على نطاق أصول وقواعد التركيب الجملي في النص اللغوي العربي ، وعرف غير المنصرف من الأسماء فانصرف ، وعبر عن الجمع بصيغة المفرد ، وعبر عن المفرد بصيغة الجمع ، وخاطب الحاضر بصيغة الغائب ، وتحدث عن الغائب بصيغة المخاطب ، وفصل ووصل ، ورد البدايات على النهايات والنهايات على البدايات ، وأحال اللفظ على المعنى والإيحاء على المعنى ، وأشار إلى الصورة لتنبثق الدلالة ، فكان بذلك الاستعمال اللغوي قد ربط بين الأبنية والتراكيب والتعبيرات ، بما فيها من جمل كبرى وجمل صغرى ، ربطاً صنع المقالة أو القصيدة الشعرية أو النص الأدبي كله ، وكان يبعث على شدة الاتساق ، وقوة الانسجام ، والتماسك والترابط النصي ، وتوافق الإحالات ، وبخاصة تلك الإحالات المعتمدة على استعمال وتوظيف الضمائر بكل أنواعها ، حيث اتسم المستوى

الصرفي والنحوي بسمة الدقة والوضوح والفاعلية في نصوص ناصر الدين الأسد الأدبية ، ومن وجهين : وجه معيارية اللغة الفنية ، ووجه بلاغية اللغة الفنية وبيانيتها .

ولذلك فقد وجد المستوى الصرفي والنحوي طريقه في جعل الجمل القصيرة والجمل الطويلة المتنوعة والمختلفة الأنماط تقبل حلول كلمات ومترادفات ومشتقات محل كلمات أخرى في نفس الجمل ، وتقبل التابع والتجاور من قبيل الإطناب والإطالة والتفصيل والبيان عندما كان يقتضي المقام ذلك ، وتقبل الإيجاز والاختصار عندما كان يحكم المقام بذلك أيضا ، دون إغفال لما لحروف المعاني من أدوار في تحقيق الصور والمعاني والمشاعر والدلالات المتأتية من مقبولة ومعقولة تلك الجمل التي تضمنها أي نص من النصوص الشعرية أو الشعرية الأدبية عند ناصر الدين الأسد .

وتميز هذا المستوى الصرفي والنحوي بأعمال ناصر الدين الأسد الأدبية بالمعيارية والضبط والدقة عند استعمال وتوظيف التابع والمتبوع في الجمل والتراكيب والعبارات المكونة لفقرات النصوص الأدبية ، وذلك من عدة وجوه حسب نوع التابع والمتبوع وحسب الألفاظ والتراكيب وحسب المعاني المقصودة ، حيث احتكم ناصر الدين الأسد إلى القواعد الصرفية والقواعد النحوية في اللغة العربية عند صياغة الجمل والتراكيب التي تشتمل على تابع من التوابع ، فتعامل مع العطف والمعطوف عليه بما تقتضيه شروط النظام اللغوي العربي وقواعده من حيث عطف المفرد على المفرد وعطف الجملة على الجملة وعطف شبه الجملة على شبه الجملة ، ذاكرة المعطوف والمعطوف عليه وفاصلا بينهما بإحدى أدوات العطف بقصد الجمع بينهما وبقصد ترتيبهما ، أو بقصد الترتيب والتعقيب ، أو بقصد التخيير ، أو بقصد إثبات المعطوف عليه ونفي المعطوف ، أو بقصد الإضراب عن المعطوف عليه وإثبات المعطوف إلى غير ذلك من القصدات والميول البيانية والمعنوية والإبلاغية

والدلالة التي قصدها ناصر الدين الأسد ، وأحيانا كان يحذف أداة العطف من التركيب مستعيضا عنها بفاصلة أو تعبير اعتراضى ينوب عن أداة العطف ، ولكن المعنى أو المعاني التي تتضمنها الجمل والتعبيرات والتراكيب تدل على وجود عطف ضمني بين ملفوظ ومعطوف عليه مذكور وملفوظ معطوف مذكور أيضا .

أما في باب التوكيد ، فقد أجرى ما تقتضيه علاقات التركيب والتوليف بين المؤكد والتوكيد بنوعيه : التوكيد اللفظي ، والتوكيد المعنوي ، إذ قليلا ما كان يستعمل التوكيدات اللفظية ، وكثيرا ما كان يستعمل التوكيدات المعنوية ذات الألفاظ المحددة في قواعد اللغة العربية والمضافة إليها ضمير يعود على المؤكد ويتعلق به ، وهذه الألفاظ التوكيدية هي : نفس وعين وكل وجميع وأجمع وكلا وكلتا ، هذا بالإضافة إلى التوكيد باستعمال ألفاظ مؤكدة مشهورة في اللغة العربية ، وهي : إن ، إن ، لام الابتداء ، نون التوكيد الخفيفة ، نون التوكيد الثقيلة ، القسم ، أما الشرطية ، أحرف التيسير ، أحرف الزيادة ، والتوكيد في الجمل الفعلية التي فعلها فعل ماضي بكلمة (قد) ، ضمائر الفصل ، تقديم الفاعل على فعله في المعنى . وكل ذلك كان مع توافر شروط إتمام العملية التوكيدية ، لفظيا وصرفيا ونحويا ، وذلك من حيث الأفراد أو الشئ أو الجمع ، ومن حيث التذكير أو التأنيث ، ومن حيث التعريف أو التنكير ، ومن حيث الحركات الإعرابية المتمثلة في الرفع أو النصب أو في الجر .

وفي باب النعت وتوظيفه ، فقد كان لمعايير المستوى الصرفي والنحوي العربي أهمية في تشكيل وتركيب اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد ، حيث كان التطابق حاصلًا بين ركني التابع النعتي ، أي بين النعت والمنعوت ، ولما كانت تتعدد النعوت لمنعوت واحد ، فقد كان يعتمد إلى ذكر

النعوت وبين النعت والنعت فاصلة أو أداة العطف الواو أو الفصل بين النعوت بفواصل إلا الفصل بين آخر نعتين يذكرهما بأداة العطف (الواو) .

وكان في حالات تقتضيها طبيعة المقال وطبيعة المعنى أو طبيعة الصورة ، يعتمد إلى إيراد النعت في صيغة جملة تتضمن صفة الموصوف ، والرابط بينهما القرينة المعنوية التي يدل عليها السياق التعبيري في الفقرة أو في النص الأدبي دون وجود فاصل بين الموصوف النكرة وجملة الصفة أو النعت .

وانتقل المستوى الصرفي والنحوي في لغة ناصر الدين الأسد الأدبية والفنية إلى تنظيم علاقة البديل بالمبدل منه في الجمل والتراكيب ، تلك العلاقة التي ربطت بين ركني التابع البديلي : البديل والمبدل منه ، وفي أنواع البديل : البديل المطابق وبديل البعض من الكل ، وبديل الاشتمال ، وعطف البيان الذي عده النحاة صورة من صور البديل المطابق ، وقد ظهر ذلك التطابق والتنظيم والضبط في توفير شروط التطابق بينهما من حيث التذكير أو التأنيث ، ومن حيث الإفراد أو الثنية أو الجمع ، ومن حيث التعريف أو التكرير ، ومن حيث حركات الإعراب ، مما جعل المعاني عميقة والصور الذهنية واضحة والأساليب البلاغية والإبلاغية والدلالات بعيدة عن الرتابة ومؤدية إلى ما قصده من غايات ودلالات في بنيتي اللغة والتراكيب ؛ السطحية والعميقة على حد سواء .

لقد ارتقى المستوى النحوي والصرفي في أعماله الأدبية ، باختياره اللغة التي تقبل التوليدات والتحويلات اللغوية والتركيبية ، وباعتماده على المعايير اللغوية القياسية والسماعية ، وبتوظيفه للأسلوب الإبلاغي المناسب ، إذ تجلّى ذلك في وضوح الصور التعبيرية وفي الجماليات الفنية في الجمل والتراكيب اللغوية ، وفي البناء النصي الأدبي ككل .

أما الأعداد وتمييزها وترتيبها وتذكيرها وتأنيسها ، فقد تعامل ناصر الدين الأسد بكل دقة وصحة وسلامة من حيث المطابقة ومن حيث المخالفة ، حتى اتسم المستوى النحوي والصرفي فيها بسمة الضبط والدقة والإحكام .

وفي هذا المستوى من مستويات اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد ، كان أثر حركات الإعراب واضحا من خلال ما تؤديه كل حركة منها من وظائف أساسية في اللغة وتراكيبها ، حيث ساعدت على إيضاح المعاني وإظهارها ، بعدما أن كانت قد وضحت وبيّنت وعرفت الصلات النحوية والعلاقات النحوية بين الكلمة والكلمة في الجملة الواحدة ، وبين الجملة والجملة في العبارة أو في الفقرة الواحدة في النص الأدبي الواحد .

واعتنى ناصر الدين الأسد عناية فائقة في صياغة لغته الفنية وتركيبها حسب معايير الصرف والنحو بركن المطابقة بين المعاني النحوية العامة للتركيب اللغوي ، وبركن التضام الذي اقتضى تلازم كلمتين متابعتين في الجملة الواحدة وتخص إحداها بالأخرى وتصلح أن تتموضع معها في التركيب الجملي ، سواء بوجود قرينة لفظية كحروف المعاني أو أدوات الشرط أو الأسماء الموصولة ، وغيرها من القرائن اللفظية التي تساعد على أن يكون التعبير صحيحا فصيحاً صادقا في معانيه ودلالاته ، دون أن يؤثر ذلك على رتبة وموقع الكلمة النحوي والإعرابي في نص الجملة أو التركيب ، إذ كثيرا ما احتفظت كلمات لغته الفنية بربتها المحفوظة في الجملة أو التركيب ، من مثل الموصول الذي احتفظ بربته من صلته ، ومثل حرف العطف إذا ذكر من المعطوف ، ومثل حرف الجر إذا ذكر قبل الجرور ، ومن مثل المضاف في موقعه وربته من المضاف إليه ، أما ما كان يحدث من قبيل التحويلات اللفظية والتركيبية في بعض الجمل والتراكيب ، فإن بعض الكلمات في بعض

الجميل والتراكيب اللغوية لم تحتفظ بمواقعها الأصولية ، فكانت رتبها غير محفوظة ، وظهر ذلك في رتب بعض المفاعيل من الفعل ومن الفاعل ، ورتب بعض الكلمات التي تقع مبتدأ من أخبارها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عنايته قد امتدت إلى عمليات الربط وإحكام العلاقة بين جميع أطراف التركيب اللغوي الواحد ضمن أصوليات الصرف والنحو العربي والمعايير التي تضبط النص وتجعله في الإطار الفصيح المبين والصحيح ، إذ ظهر ذلك في إحكام العلاقة النحوية والصرفية بين المتعاطفين ، وبين المستثنى والمستثنى منه ، وبين فعل الشرط وجزائه ، وبين الضمير والاسم الذي يعود عليه ، وبين اسم الإشارة والمشار إليه ، وبين المذكور وإعادة ذكره ، وبين المعرف وأداة تعريفه ، وبين المعنى الظاهر من التركيب وإعادة تركيبه في تركيب يليه يختلف عنه في ألفاظه ، مما أدى إلى تزيين وتجميل لغته الفنية وبالتالي نصه الأدبي بجماليات فنية إبداعية جمالية أدبية كان المستوى الصرفي والنحوي سببا في تكوينها وتشكلها ووجودها في النص الأدبي عند ناصر الدين الأسد .

وبناء على ما سبق ، فإنه يمكن القول - وبالتأكيد - بأن المستوى الصرفي والنحوي قد كان - في معياريته وضبطه وإحكامه للعلاقات الصوتية والتركيبية في اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد - له الدور المهم والكبير في إبراز ودعم وتقوية اللغة الفنية في عناصرها المتعلقة بالفهم والإفهام ، والمعاني والتصوير ، والمشاعر والأحاسيس ، والاتصال والتواصل بين ناصر الدين الأسد الكاتب والشاعر والمؤلف والعالم ، والمتلقي الذي تأثر سماعا وقراءة بالتشكلات التركيبية وبالمضامين والمعاني والدلالات التي كانت على سطح وفي أعماق وأغوار النصوص الأدبية التي أبدعها ناصر الدين الأسد .

ومهما يكن من أمر ، فإنه ليس من السهل الإلمام بكل جوانب هذا الموضوع إلماما تاما لا نقص فيه ، وحتى يتأتى الإلمام به وبكل تفصيلاته وجوانبه ومجالاته وبالدقة والقيمة الأدبية والفنية المطلوبة ، فإنه لا بد من تخصيص دراسة خاصة بهذا الموضوع في أعمال ناصر الدين الأدبية الكاملة . ولعل الذي لم استطع له حملا أن يقيض الله تعالى له من الباحثين والدارسين من يقدر على حمله ودراسته الدراسة الأكمل والأوفى من هذا المبحث في هذا الفصل من هذه الأطروحة .

المبحث الثالث : المستوى التركيبي

لقد اعتمد ناصر الدين الأسد في تشكيل لغته الفنية الأدبية على ثرائه الفكري ، وعلى ثروته اللغوية ومعجمه اللغوي ، الذي يعد بحق معجما أساسيا ثرا ، تأسست عليه الجمل والتراكيب والعبارات والفقرات والنصوص الأدبية بكل يسر وسهولة ، وبكل سلاسة وطلاقة ، وبكل انسيابية لغوية ، وبكل تقيد بالمعايير التعبيرية والإنشائية ، وبكل أداء لغوي سليم ، وبكل كفاية لغوية واقتدار على إنتاج النص الأدبي ، تكلما وكتابة . إذ تحدت المعاني والدلالات من خلال العلاقات التركيبية بين الحامل والحمول ، أو المسند والمسند إليه ، والساكن والمتحرك ، والمعرفة والنكرة ، والصفة والموصوف ، والمجرد والمزيد ، والمضاف والمضاف إليه ، والحروف والأسماء والأدوات ، والمذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع ، والبدل والمبدل منه ، والعطف والمعطوف عليه ، والحال وصاحبه ، والضمير والعائد عليه ، والمؤكد والتوكيد ، والجار والجرور ، والمستثنى والمستثنى منه ، حيث إن تلك العلاقات لم تظهر بوضوح إلا من خلال مواقعها ومواضعها في الجمل والتراكيب والتعبيرات ، التي اكتسبت قيمها التركيبية وقيمها التعبيرية وقيمها المعنوية وقيمها الدلالية ، وصحتها وسلامتها ، ومن خلال الأسلوب التعبيري الذي تجلّى في أعلى مستوياته الأسلوبية ، فكان النص الأدبي في أوضح مستوياته البيانية الإبداعية والبلاغية .

وبعد البحث والتقصي والدراسة تبين أن الخصائص التركيبية قد تجلت في الكلمات والمصطلحات والجمل والفقرات التي تكونت من المركبات الاسمية والمركبات الفعلية وحروف المعاني ، فتولدت لغة فنية ذات أصوات ومقاطع صرفية وقواعد نحوية وتراكيب وجمل تلتزم بالمعايير

الفنية الأدبية التي تساعد على الأداء الوظيفي للغة من جانبها الإبداعي .

وثّين أيضا أن ناصر الدين الأسد قد استخدم التضمين في الجمل والتراكيب ، ومنه كان تضمين الأفعال ، وتضمين الأسماء ، إذ كثيرا ما كان يأخذ فعل معنى فعل آخر ، أو يتعدى فعل بفعل حرف من حروف المعاني إلى مفعول ، أو يحل اسم محل اسم ، فيجعل التركيب أوضح وأقوى وأبعد دلالة ، لما لهذه التضمينات من آثار على تكوين وتشكيل المركبات الاسمية والمركبات الفعلية ، بحيث اتسعت دوائر التعبير اللفظية ودوائر الصور الذهنية ، وتداخلت في بعضها بعضا ، واتسقت في إطار السياق التعبيري واللغوي على هيئة سلاسل مكونة من حلقات لفظية تركيبية بينها التضام والتناسق والتناغم والتلازم والتراتب والانتظام والتسلسل والتدرج ، مما جعل النص الأدبي يتميز بحسن التركيب وصحته ، وجمال التعبير ودقته ، وبالعلاقات السياقية الإبداعية التي كان من مظاهرها ؛ مظهر العلاقة العادية بين المركب الاسمي والمركب الفعلي أو بين المركب الاسمي وحرف المعنى أو الأداة ، أو بين المركب الفعلي وحرف المعنى أو الأداة ، وبالتالي بينها جميعها في النص الأدبي الواحد ، ومظهر العلاقات السياقية الذي دل على استعمال تلك المركبات استعمالا غير مألوف وغير مسبوق ، ومظهر العلاقات الاصطلاحية الذي دل على أهمية المصطلح وتوظيفه في تركيب وتشكيل النص الأدبي ، فجاءت النصوص على بنيات وتكوينات وتشكيلات تؤدي الوظيفة التواصلية والوظيفة الإبداعية بما فيها من معان وصور ودلالات .

وعلى صعيد آخر ، فقد تبين ، أيضا ، أن النصية والتناص قد كان لهما دور كبير في المستوى التركيبي للنص الأدبي عند ناصر الدين الأسد ، حيث وظف الاقتباس من الآيات الكريمة من القرآن الكريم وأحلها في مواضعها وأماكنها الصحيحة دون الإخلال بالتركيب العام للفقرة أو للنص الأدبي ككل ، وكان يضع لها جملا وتراكيب تعد مهينة ومدخلا لتوظيفها في النص

الأدبي بقصد الاستدلال والاحتجاج والاستشهاد بما نصا وروحا ومضمونا ، كما ضمن بعض الفقرات في بعض النصوص الأدبية بعضا من الأحاديث النبوية الشريفة ، وكثيرا من أقوال الآخرين من شعراء وكتاب ونقاد ومؤلفين ، بقصد التحليل والتفسير والنقد والاستدلال والاستشهاد والاحتجاج بما ، واضعا إياها في مواضعها ومواقعها في البنية التركيبية للفقرة في النص الأدبي ، بعد أن يقدم لها بجمل وتراكيب وعبارات لها بها علاقات لفظية وفكرية ودلالية ، على اعتبار أن أي اقتباس لآية قرآنية أو أي تضمين أو تناص لحديث شريف أو قول أو رأي أو بيت من الشعر لا يجوز الابتداء به في بداية الحديث أو الكتابة في الموضوع الأدبي موضوع النص ، ولا في بداية الفقرة من فقرات النص الأدبي ، وإنما يجوز أن يكون في داخل متن النص أو في نهاية الفقرة من فقرات النص الأدبي ، شريطة توثيق ذلك الاقتباس وتخرجه والإشارة إلى ذلك التوثيق والتخريج في الهوامش المعدة لذلك ، وشريطة توثيق ذلك التضمين ، إما في متن النص أو في الهوامش التي تذيله في الصفحة التي ذكر فيها أو في نهاية الموضوع الأدبي الذي تضمن تلك النصوص الثرية أو الشعرية التي دخلت النص الأدبي عند ناصر الدين الأسد من قبيل النصية والتناص في العمل الأدبي كشواهد يحتج بها على لغة أو تركيب أو معنى أو فكرة أو صورة ذهنية أو دلالة قصدها ناصر الدين الأسد فدعمها بما يناسبها من شاهد أو حجة أو دليل أو برهان .

ومن يقف على هذا المستوى من مستويات اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد ، يجد أن الجمل ، سواء الجمل الطويلة أو الجمل القصيرة ، قد كانت إما خبرية أو إنشائية طلبية ، أو كانت جملا صغرى أو جملا كبرى ، فيها من التركيب ما يدل على ليونتها ومرونتها وقابليتها للتشكل

والتكون والتلازم والترابط والتماسك والأداء الوظيفي في فقرة واحدة أو في نص أدبي واحد أو في موضوع بحثي أو مقالي واحد .

وقد توصف المركبات الفعلية في الجمل والتراكيب بأنها كانت ذات توسعات أساسية وتوسعات بلاغية بيانية تجمع أجزاء المعنى وأجزاء الصورة الذهنية وأجزاء الدلالة لتتعلق بالتوسعات الأساسية التي اتصفت بها المركبات الاسمية في بنية الجملة وبنية العبارة وبنية الفقرة والبنية الكلية للنص الأدبي الواحد ، وذلك لأن علاقات الإسناد في الجمل الاسمية والجمل الفعلية كانت تمتد إلى استغلال وجود أشباه الجمل ووجود حروف المعاني والأسماء والأدوات لها وظيفة اقترانية تطابقية ترابطية بين أركان الجملة وأجزائها كوحدة لغوية واحدة ، وبين الجملة والجملة كوحدة لغوية نصية ، وبين الفقرة والفقرة كوحدة موضوعية في النص الأدبي الواحد ، ولأن علاقات التمرکز المعنوي والدلالي كانت تسمح بوجود تلك التوسعات الفعلية والاسمية من خلال الكلمات البؤرية والجمل المخورية والتشكل البياني والإبداع في النص الأدبي من غير لبس أو غموض أو إبهام في محتواه ومضمونه على المستوى الكلي وعلى المستوى الجزئي للجمل والتراكيب ومعانيها .

ويجوز القول بأن ناصر الدين الأسد كان يعن كثيرا في اختيار الخيارات التركيبية في لغته الفنية الأدبية ، بأساليب تركيبية غير مألوفة ، لعلها تصبح معروفة ومأنوسة وقابلة للتداول من قبل من لم يألّفوها ولم يستعملوها ولم يتداولوها ، فيأخذوها من خلال الاستماع أو القراءة متأثرين بدفقاتها العاطفية وبتياراتها الفكرية ، وبنغماتها اللحنية الموسيقية ، وبإيقاعاتها ونبقاتها المصاحبة للقراءة أو للاستماع ، لأنها كلمات وتراكيب وجمل لها هينات تركيبية ودلالية تخاطب الوجدان

والنفس وتخطب الروح وتخطب العقل والفكر ، وتحفز الجميع على الاستحواذ على الفهم والوعي والإدراك والمتعة واللذة القرائية واللذة السماعية .

ونظرا لما يتمتع به ناصر الدين الأسد من كفاية لغوية ، فيها من الانسياب والانثيال اللغوي والفكري والشعوري ، فإن قصديته كانت سليقية تنم عن حس لغوي مرتبط بسجيته اللغوية التي تتوافق مع التركيب الكلي للنص الأدبي .

هذا بالإضافة إلى أن المستوى التركيبي في لغته الفنية الأدبية قد كان يعتمد على البنيات التي تحدد نوع أو جنس الخطاب أو النص الأدبي ، كالبنية السردية ، والبنية البلاغية التي ظهر فيها مظهر التوازي بين عدد من الجمل كتراكيب انطلقت من وظائفها النحوية إلى وظائفها الدلالية ووظائفها البلاغية المتعلقة بأثر المقولات في المتلقي . أما البنى التركيبية ذات الأساليب التقريرية ، فقد كانت لها مظاهرها البنائية ومظاهرها التعبيرية ومظاهرها المعرفية اللغوية ومظاهرها التدليلية المنطلقة من الفطرة والبديهة والشعور والعقل والمنطق التحليلي والتركيب والعللي في إثبات الحقائق والآراء ، أو نفيها وفي الاستدلال والاحتجاج والبرهنة على ما يريد أن يثبت أو يقرره أو يذهب إليه ، حيث كانت في المستوى التركيبي مرتبطة ببقية المستويات الأخرى على اعتبار مراعاة ناصر الدين الأسد لشروط ومعايير لا بد من أن تتوافر في بناء الجمل والعبارات والفقرات والنصوص الأدبية وتركيبها ، وبهذا ، فقد كانت عمليات التركيب أو التأليف تركز على عمليات عقلية عليا وعلى صور ذهنية وعلى صور لفظية ، تجتمع جميعها لتؤلف بين عناصر التركيب اللغوي وعناصر تركيب النص أو الخطاب ، لينتظم في بنية فيها التجديد والتطوير والإبداع والفن والجمال .

كما تجلّى المستوى التركيبي في لغته الفنية في الأنساق التعبيرية الخطية الأفقية التي تعول على الكلمات المحورية والجمل المركزية في تشكيل وتكوين النص ، وفي الأنساق التعبيرية العمودية التي تعول على البؤر المعنوية والأفكار والمشاعر والانفعالات الوجدانية والصور الذهنية والدلالات المحمولة في الألفاظ والجمل والتراكيب ، وفي ما وراء تلك الألفاظ والجمل والتراكيب ، دون إغفال لأية علاقة من العلاقات الرابطة بين النسقين المذكورين معا ، وابتداء من عنوان النص ونسق بنيته ، ومرورا ببناء كل فقرة من فقرات النص ونسقه ، وانتهاء بالبنية الكلية للنص والأنساق التركيبية المنظمة لها ، ما ظهر منها وما بطن أي ما أبلغته من معنى أو مقصد ، أو ما دلت عليه من دلالة أو معنى خفي واستتر خلف المعنى الظاهر .

واتضح أن من مميزات المستوى التركيبي في لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية ، ميزة عدم استقلالية الكلمات والألفاظ بنفسها عن الجمل والتراكيب والفقرات المكونة للنص الأدبي كوحدة لغوية كلية لها موضوعها ولها معايير تركيبها وتكوينها وتشكيلها ، فقد تجسدت العلاقات بين اللفظة واللفظة والجمله والجمله والفقرة والفقرة من خلال تعلق الاسم بالاسم ، وتعلق الفعل بالفعل ، وتعلق الاسم بالفعل ، وتعلق الحرف بكل منهما ، وتعلقها جميعها بالسياق التعبيري وعناصره التي شكلت النص الأدبي كاملا على نظام ذاتي اختص به وحدد جنسه الأدبي ، وكان حسنا وملامتا له شكلا ومضمونا .

إن من ينظر في شكل وتركيب النصوص الأدبية عند ناصر الدين الأسد نظرة الدارس المتفحص ، يجد أن هناك علاقات تركيبية ، ربما يعتبرها - في رأيه - أنها علاقات في ظاهرها غير مألوفة ، ولكنها في حقيقة الأمر ، ليست غريبة ولا غير مألوفة عند من يعرف خفايا وأسرار اللغة

العربية ، وتضلع فيها وفي أعماقها ، إذ إن تلك العلاقات التركيبية هي علاقات يسمح بوجودها النص الأدبي عند العدول بالكلمات والعبارات عن أصولها التي وضعت لها ، وعند الانزياح الأسلوبي الذي يتجه بالكلمات والجمل اتجاهات تضعها في سياقات تعبيرية جديدة غير السياقات المتداولة على الألسنة والأقلام ، سواء في الشعر أو في النثر ، وهذا يعد عند النقاد من صلب أعمال الفن والإبداع اللغوي والأدبي والفكري والثقافي على حد سواء .

وبناء على ذلك ، فإن توسع ناصر الدين الأسد في متون لغته الفنية - اللغة التي تأخذ من القديم ومن الحديث وتمزج بينهما لتركيب ونظم الجمل والعبارات والموضوعات النابضة بحياة القضايا والمسائل والأمور التي تهم المتلقي - جعله يصهر الألفاظ والمفردات ليركب منها موضوعاته ونصوصه الأدبية ، لكل نص منها بنية كبرى تتشكل من البنى الصغرى التي تتوزع على أجزاء النص ، فمنها التي تكون في أول النص ، ومنها التي تكون في آخره ، ومنها التي تأخذ مكانها وموضعها فيما بين أول النص وآخره ، وكلها تتسق وتنظم في جملها وتراكيبها من ناحية ، وفي فقراتها ومباحث الفصول وأجزائه من ناحية ثانية ، وفي اتساق الفصول مع بعضها بعضا في الموضوع الواحد أو القضية البحثية والدرسية الواحدة من ناحية ثالثة . هذا إذا كان النص الأدبي دراسة أو بحثا أو تأليفا ، أما النصوص الأدبية الأخرى ، كالمحاضرات والمقالات والكلمات التي كان ناصر الدين الأسد يلقيها في المؤتمرات واللقاءات الأدبية والثقافية والعلمية وبعض المناسبات الأخرى ، فإن البنى الصغرى كانت هي الجمل والعبارات والتراكيب والفقرات المكونة لنص المحاضرة أو المقالة ، وعلى أية حال فإن الروابط والعلاقات بين هذه البنى الصغرى التي تكون البنية الكبرى للنص الأدبي بأجمعه ، كانت محكومة وخاضعة لقواعد صوتية وقواعد صرفية وقواعد نحوية وقواعد

تركيبية ، جعلت منها بنى مقبولة مستساغة لها وقعها وتأثيرها على المتلقي مهما كان مستواه العلمي والثقافي ، إذ النظرة للشكل والهيئة التي يمتاز بها النص الأدبي تدفع دائما صاحبها إلى النظر في موضوع النص ومضمونه ومحتواه .

أما البنى الكبرى في قصائده الشعرية ، فهي القصيدة الشعرية كلها ، ومطلعها بنية لها خصائصها ، وخاتمتها بنية أخرى لها خصائصها أيضا ، وربما تتكون وتركب البنية منهما من بيت شعري واحد ، أو من بيتين اثنين ، أو من ثلاثة أبيات على الأكثر ، هذا في حالة أن القصيدة الشعرية قد تتجاوز الأبيات الأربعة ، فتكون الأبيات الشعرية المكونة لمثن النص الشعري عبارة عن وحدات تركيبية انتظمت في تلك الأبيات الشعرية ، ذات الشطرين لكل بيت شعري منها ، وهي البنى الصغرى التي اتسقت وانتظمت وفق قواعد اللغة في نحوها وصرفها وتركيبها ودلالاتها ، ووفق قواعد قول الشعر ونظمه وصناعته ، ووفق قواعد البلاغة والبيان والمعاني والبدیع ، ووفق أساليب النص الشعري وبنائاته الشكلية ، ووفق أوزان البحور العروضية وإيقاعاتها وقوافيها وحروف رويها ، بما يشكل لها موسيقاها وأنغامها الخارجية ، وموسيقاها الداخلية التي تبعث التأثير في المتلقي .

أما في قصائده التي تكونت من بيت شعري واحد أو من بيتين شعريين اثنين أو من ثلاثة أبيات شعرية فقط ، فإن البنية واحدة ، وهي بنية كبرى في حد ذاتها ، ضمت المطلع والمثن والخاتمة ، وتركيبها الكلي هو التراكيب الجزئية من الكلمات والألفاظ والجمل التي تركيب منها البيت الشعري ، وما لها من أوزان عروضية وإيقاعات وأنغام وألحان وموسيقى ، وما لها من المعاني والصور الشعرية والصور البلاغية والبيانية ، وما لها من دلالات وأبعاد ، انسجمت جميعها

وتفاعلت في إطار تلك البنية الشعرية التي لا تبتعد عن البنيات الشعرية في القصائد والمقطعات الشعرية ذات الأبيات المتعددة أو القصائد المطولة عند ناصر الدين الأسد .

وبذلك ، فقد كان للبنى الشعرية عند ناصر الدين الأسد بعض الخصوصيات التي انفردت بها دون النثر الذي كان أيضا لبنياته وتراكيبه الكبرى والصغرى خصوصياته ومميزاته التركيبية التي أدت وظائفها في كلا الجنسين الأدبيين على حد سواء .

وتجدر الإشارة إلى أن القيم اللغوية للبنى الكبرى في النصوص الأدبية عند ناصر الدين الأسد ، قد جاءت من الكلمات ، ومن الجمل ، ومن الفقرات ، ومن العلاقات التي كانت بين الكلمات وبين الجمل وبين الفقرات ، حتى استطاعت أن تأخذ صفة العنصر المكون للنص الذي لا غنى عنه في تركيب النص الكلي ، إذ ما حذف أي عنصر مكون منها ، اختلت البنية التركيبية كلها واهتزت أركانها بحذف ذلك العنصر المكون لها ، وذلك راجع إلى مدى التجاور ومدى التلازم ومدى الإئتلاف ومدى التلاحم وقوة النسج التركيبي لجميع العناصر المكونة للنص الأدبي .

لقد أتاح المستوى التركيبي في النصوص الأدبية عند ناصر الدين الأسد الفرصة أمام الباحث والدارس والناقد المتمكن ، لتقدير بعض البنى الذهنية المنبثقة من البنى المنطوقة والمكتوبة في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، وكأنه يريد المشاركة في إعادة إنتاجها بالصورة التي تقرب له المفاهيم والدلالات والعواطف والصور البيانية ، كما تقرب له الأجواء الشخصية والنفسية والفكرية التي عاشها ناصر الدين الأسد عند القول شفاها أو عند انطلاق قلمه بالكتابة ، وذلك مرجعه إلى إسهام المستوى التركيبي للنص الأدبي في انقراءة النص أو مقروئته التي يعد المستوى

التركيبي ركن من أركانها الأساسية ، ومرجعه أيضا إلى ملاءمة المستوى التركيبي للمستوى الثقافي والمعرفي والخبراتي للباحث أو الدارس أو الناقد نفسه .

كما تميز المستوى التركيبي في نصوص ناصر الدين الأسد الأدبية بتشابه الأطراف ، حيث كان يختم نصوصه الأدبية وقصائده الشعرية بخواتيم تناسب المقدمات والمطالع فيها ، وكأنها في المستوى التركيبي لكل نص منها تشكل طوقا حلقاته البداية والنهاية وما بينهما من علاقات وروابط ، وكأنها أطر خارجية لمضامين داخلية أفرزتها تراكيب وبنى صغرى اتحدت فيما بينها لينتظم عقد النص من أوله (العنوان) إلى آخره (نقطة الوقف النهائية) التي تكتب بعد آخر حرف من حروف آخر كلمة من كلمات النص الأدبي ، شعرا كان أو نثرا .

لقد استطاع ناصر الدين الأسد أن ينظم الألفاظ والتراكيب والفقرات في النص الأدبي الواحد وهي ذات قوة تعبيرية وإبلاغية تستثير العقل والعاطفة من خلال ما تركبت منه من ألفاظ وكلمات بعضها فيه طباق ، وبعضها فيه جناس ، وبعضها فيه ترادف ، وبعضها فيه اشتراك لفظي ، وبعضها فيه تضاد ، وبعضها فيه مشاكلة ، حتى جاء المستوى التركيبي للبنى الصغرى في النص الأدبي متلونا بألوان تركيبية تنتمي إلى الأسلوبية الفنية الأدبية التي تعد وسيلة من الوسائل الأدبية التي اختارها ناصر الدين الأسد لإيصال ما يريد وما يرغب في إيصاله وإبلاغه وإفهامه إلى المتلقي ، من خلال إبداعه وقدرته اللغوية والفنية في الصياغة والنظم والصناعة الأدبية التي تنمي المشاعر والفكر والثقافة .

وبعد ، فإن الموازنة بين الجمل بكافة أنواعها وأنماطها قد تجلّت وكانت موازنة تنبئ عن أن المستوى التركيبي للغة ناصر الدين الأسد الفني يمتاز بالتوازن النصي الذي لا بد من توافره في النص

الأدبي الذي يرقى إلى درجات الفنية والبلاغية والإبداعية في الأدب العربي ، حيث كانت فقرات كل نص من النصوص الأدبية تتركب من جمل متوازنة متقاربة في كلماتها وألفاظها والحروف الواقعة بينها والروابط الرابطة بينها والقرائن التي تقرن وتنظم أجزاء الجمل ببعضها بعضا ، وقلما يجد الدارس جملا صغرى بين جمل كبرى ، أو أنماطا لجمل لا تنتمي إلى التركيب الكلي للبنية الصغرى التركيبية للفقرة الواحدة ، أو على الأقل لا تنتمي إلى البنية الكلية الكبرى للنص الأدبي الواحد ، مما جعل المستوى التركيبي يكون متوازنا في تراكيبه وتعبيراته وجمله ، ولا تفاوت في قصرها أو طولها ، لما لعدم التوازن والتفاوت من آثار سالبة على توازن المستوى التركيبي نفسه في النص الأدبي .

لقد تبين أن المستوى التركيبي في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ينتمي في أحد جوانبه على الجانب التكويني الذهني من الكينونة اللغوية ، بحيث يتفق مع الجانب الفعلي للغة الفنية ، ويكونان معا نموذجا تركيبيا فيه إبداع وحدائث وتطوير للأدوات والوسائل الأدبية والأساليب البلاغية التي تعمل جمالياتها الفنية من خلال مستويين لغويين اثنين يعدان من المستويات الأساسية للغة العربية ، أولهما معنوي غير مادي ، وهو المستوى الذهني النموذج الذي يتكون ويتشكل قبل القول أو الكتابة ، وثانيهما مادي ومعنوي ، وهو المستوى الأدائي المتمثل في المادة اللغوية المكونة للنص الأدبي ، ويتكون ويتشكل هذا المستوى قبل وأثناء عمليات القول أو الكتابة أو الإبداع ، وهذه الميزة التي امتاز بها المستوى التركيبي في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية تدعونا إلى القول إنه قد وضع المستويات التركيبية لنصوصه الأدبية في ضوء بنيات تركيبية في حالة تكون بنيات كبرى ، وفي أحوال أخرى تكون بنيات صغرى ، وكلها ظهرت وبانت وتجلت في جميع مستويات التركيب

في النصوص الأدبية عند ناصر الدين الأسد ، وهذه البنيات التي وجدت في تقاطعات النصوص الأدبية كانت تحتوي على أدوات وآليات فنية ووسائل أدبية استخدمها واستعملها ناصر الدين الأسد ، وبخاصة في التعامل مع النصية والتناص ، والتعامل مع الزمان والمكان ، وفي الخطاب أو الغياب ، وعند تشكيل الفضاء الإبداعي للنص الأدبي ، فكان هناك عدد من هذه البنيات التي تمثلت في : بنية التشابه ، بنية التوتر ، بنية الصراع ، بنية التضاد ، بنية التماثل ، بنية التناقض ، بنية النمذجة المعتمدة على عبقرية اللغة في خلق نماذج جديدة من البنى التعبيرية التي تعتمد على العدول أو الانحراف أو الانزياح الأسلوبي ، والتي ظهرت في شعر ناصر الدين الأسد أكثر مما ظهرت في نصوصه الأدبية الثرية .

وخلاصة القول أن جميع هذه البنى الخارجية التي كونت المستوى التركيبي للنص الأدبي عند ناصر الدين الأسد ، كانت تحتوي على بنى داخلية لا يكشف عنها إلا الدارس والباحث المختص ، وبخاصة عند عمليات الكشف عن المعاني والدلالات التي تدل عليها البنى بجميع وحداتها التركيبية في النص الأدبي الواحد ، كما يتم الكشف عنها من خلال أعمال الوجدان واستحضاره من لدن القارئ الذي يريد أن يحقق التوازن الانفعالي بين وجدانه وبين النص الذي يستمع إليه أو يقرأه .

ولا شك في أن المستوى التركيبي في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية لم يكن منفصلا عن سائر المستويات اللغوية الفنية الأخرى ، إذ كانت تخدمه ، وكان يخدمها ، وذلك في عدة جوانب ومجالات ، منها : مجال الجنس الأدبي ونوعه ، ومجال الغرض العام للنص الأدبي في الجنس الأدبي الواحد ، ومجال النظم والتركيب والصناعة اللفظية ، ومجال شكل النص الأدبي ، ومجال المضامين الأدبية الإبداعية التي جاء بها ناصر الدين الأسد ، تلك التي كانت في مستوياتها التركيبية تتسم

بحسن التأليف ، وبراعة الصياغة ، ودقة البناء ، وسعة الفضاء التعبيري والتصويري ، والانسجام في الشكل وفي المضمون .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع : المستوى الدلالي

لقد درج النقاد القدامى والمحدثون على دراسة مستويات اللغة الفنية الأدبية دراسة متكاملة لا فصل فيها بين المستويات اللغوية ، فيدرسون المستوى الصوتي مع المستوى الصرفي والنحوي والمعجمي ، ويدرسونها مع المستوى التركيبي ، ويدرسونها جميعها مع المستوى الدلالي لتلك اللغة التي استعملها الأديب - كاتبها كان أو شاعرا - في نتاجاته الأدبية .

ولكنني في هذه الدراسة حاولت أن أدرس كل مستوى منها على حدة ، دون أن تفصل الدراسة بينها فصلا تاما ، وذلك من أجل التمكن من تحديد بعض السمات الدقيقة والخصائص الفنية التي تبرز من خلال بعض القضايا والظواهر اللغوية التي كونت اللغة الفنية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، لعل تلك السمات والخصائص التي يتسم بها أي مستوى من هذه المستويات تساعد على إيضاح درجته وقيمه ومستواه الفني الأدبي والإبداعي ، كما تساعد على بيان مكوناته وعناصره وأركانه التي تحولت من مستوى اللغة العادية المنطوقة إلى مستوى اللغة فوق العادية المنطوقة والمكتوبة في النصوص الأدبية الشعرية والنثرية عند ناصر الدين الأسد ، ولعلها تساعد أيضا على الوصول إلى العلاقات الرابطة بين تلك العناصر والمكونات ضمن المستوى اللغوي الواحد ، والعلاقات الرابطة بين المستويات اللغوية جميعها ، وربما تعين على الوقوف على بعض الجوانب التي لم يتطرق إليها أولئك النقاد الذين كانوا يدرسونها كوحدة واحدة من وحدات اللغة الفنية الأدبية في العمل الأدبي الذي يدرسونه ، وإن تحققت هذه المهمة في هذا الفصل من هذه الدراسة ، فإن أحد أهدافها يكون قد تحقق من خلال هذه الجوانب التي ينتظر لها أن تكون صحيحة وقابلة للبحث والدراسة والمناقشة .

ويستحسن في البداية أن أشير إلى أن المستوى الدلالي في لغة ناصر الدين الأسد الفنية والأدبية جاء متنوعا ومتعددا في مجالاته وحقوقه وجوانبه التي كان لها أكبر الأثر في الملامح والسمات الفنية والإبداعية الأدبية التي اتسمت بها أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، حيث كانت تلك المجالات والحقوق والجوانب على هيئة خصائص وسمات دلالية ، وعلى هيئة ظواهر دلالية ، اتخذت كل هيئة دورها في التعبير عن قيمة المستوى الدلالي في النص الأدبي .

ولكنها كانت في الغالب الأعم تدور وتبدو من خلال المحاور الدلالية المتعلقة بالألفاظ والتراكيب والجمل والفقرات وموضوع النص وبنية النص الكلية ، كما كانت تبدو من خلال المستويات اللغوية الأخرى ، إذ إن تلك المحاور كانت تتركز في الاشتراك كمبدأ لغوي كان سائدا بين الألفاظ ، وفي المحور العقلي والتصوري ، وفي محور العلاقات والروابط بين الألفاظ والتراكيب والفقرات من جهة وبين ما اشتملت عليه من تأكيد أو بيان ، وما اشتملت عليه من إجمال أو تفصيل ، وما تضمنته من تعميم أو تخصيص ، وما احتوت عليه من مقتضيات أحوال لا بد للمقال من مراعاتها ومناسبتها ، وما حددته من علاقات بين الجزء والجزء ، أو بين الكل والكل ، أو بين الجزء والكل ، سواء في اللفظ والكلمة أو في الجملة أو في العبارة أو في الفقرة أو في النص بأكمله ، وما أبانت عنه من تعلق وترابط بين المقدمة والنتيجة أو بين السبب والنتيجة أو بين الدال والمدلول في إطار علاقات ينشؤها الأديب حسب معياريات الصوت ومعياريات الصرف والنحو ، ومعياريات التركيب الحسن ، ومعياريات اللغة البلاغية والإبداعية ، هذا بالإضافة إلى محور موضوع النص أو الخطاب المنطوي تحت لواء جنس أدبي معين ، ومحور ترتيب وتنسيق وتنظيم النص أو الخطاب الأدبي ، مع الأخذ بعين الاعتبار المستوى التداولي الذي وظفه الأديب في أعماله الأدبية ، وذلك من

حيث الدلالة المرتبطة بالتضام النفسي للأديب ، ومن حيث الدلالة المرتبطة بالجوامع الخيالية والتصويرية ، ومن حيث الأسئلة المقدرة التي تبحث عن إجاباتها في ما بعد معاني الألفاظ والتراكيب السطحية للوصول إلى معاني المعاني أو إلى الدلالات التي أنبأت عنها وأشارت إليها الأفعال الكلامية اللغوية المنطوقة أو المكتوبة .

ويقودنا هذا الأمر إلى البحث في الأطر السياقية التي كانت عليها التشكلات اللغوية والتعبيرية والتركيبية والنصية لكل الأعمال الأدبية عند ناصر الدين الأسد ، لما لها من علاقة بالحقيقة أو المجاز أو الاستعارة أو الكناية أو الأسلوب في النص الأدبي ، لأن السياق يعد من الأسس الرئيسية لتكون وتشكل الدلالة أو العلاقة بين الدال والمدلول ، ولأن الصلة بين التركيب والمعنى لا تتوقف عند ظاهر اللفظ والتركيب ، وإنما تتعداه إلى ما بعد المعنى وما وراء الكلمات أو السطور ، حيث إن ذلك مرتبط بقدرة اللغة الفنية التي استخدمها ناصر الدين الأسد في أعماله الأدبية على الإشارة والإيماء والرمز والإيحاء .

إن الدلالات التي اشتمل عليها المستوى الدلالي تأتي على قسمين : دلالات لفظية ، ودلالات عقلية ، ولكل منهما قرائنه وعلاماته اللغوية ، التي كانت تخفى في النص الأدبي حيناً ، وتظهر فيه أحياناً أخرى ، وظهورها واختفاؤها كان رهيناً بوجود أوجه البلاغة والبيان والبديع في لغته الفنية الأدبية ، لأن التراكيب والعبارات اللغوية كانت تؤدي المعاني الحرفية التي تدل عليها البنية السطحية للنص الأدبي ، أو كانت تؤدي المعاني غير المباشرة التي لا يتم الكشف عنها إلا بعد البحث والتدقيق والتمحيص في البنية العميقة - جزئياً و كلياً - للنص الأدبي .

ومن خصائص المستوى الدلالي في أعماله الأدبية أيضا أن التفاعل والتكامل والتعارض بين بعض الدوال ومدلولاتها ، قد كانت تحمل الأبعاد الدلالية الجديدة والمبتكرة التي تشكلت من خلال علاقات التضام والاتساق بين الألفاظ في الجملة الواحدة أو في التعبير الواحد أو في الفقرة الواحدة أو في النص الأدبي الواحد ، ويمكن أن يكون ذلك من قبيل التوسعات الفعلية والتوسعات الاسمية في البنى التركيبية الصغرى في النص الأدبي .

ولذلك ، فقد جاءت الدلالات في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية على عدة أنواع ، هي : دلالة الزمان والتاريخ ، دلالة المكان ، ودلالة الحدث ، ودلالة الشخصية والإنسان ، دلالة المعنى والموضوع ، ودلالة العلة والمعلول ، ودلالة القيمة الواقعية للغة ، ودلالة المعنى التوقعي للغة ، حيث كان المستوى الدلالي في لغته الفنية الأدبية يتفاوت ويتباين ويختلف - وذلك بحسب موضوع النص الأدبي أو بحسب الجنس الأدبي - من تركيب إلى آخر ، ومن جملة إلى أخرى ، ومن فقرة إلى أخرى ، ومن نص أدبي إلى نص أدبي آخر ، وحيث إنه كان رهينا بجنس الكتابة الأدبية التي تتحول فيها العلامات اللغوية من علامات لها دلالاتها اللغوية السطحية إلى علامات لغوية عميقة لا يمكن الكشف عنها إلا بعد التوصل إلى كنه وسر العلاقة بين المعنى الظاهر للغة الأدبية والسياق التعبيري الذي ورد فيه ذلك المعنى الذي قصده الكاتب ، ليكون مؤشرا إلى ما في نفسه وما في عقله ، وإلى ما يريد إبلاغه إلى المتلقي .

لقد ظهر التشكل الدلالي في هذا المستوى من مستويات اللغة الفنية من خلال المصطلح التعبيري أو المصطلح السياقي الذي وظفه ناصر الدين الأسد في لغته الفنية ، ونظرا لكثرة تلك المصطلحات والتسميات للمعاني والأشياء والمفاهيم ، فقد كانت التشكلات الدلالية المتولدة منها

تتلاقح وتتابع في بعض النصوص الأدبية وكأنها تيارات دلالية فاعلة لها قيمتها الدلالية من حيث مصدريتها ومرجعيتها ، ومن حيث العلامات اللغوية التي كانت محكومة بالسياق التعبيري ، ومنطلقة من قدرة ناصر الدين الأسد وكفايته اللغوية وأدائه اللغوي الذي مكنه من تحويل وإرجاع اللغة بما فيها من علامات لغوية نحو هدفه وقصده ونحو الشيء الذي كان يريد في التعبير أو في النص الأدبي ، مما أقام في الذهن تصورات ومدرجات واتجاهات وقيم ومعان أسست مرجعية اللغة المحكومة بالسياق التعبيري ، وحولت اتفاق المعاني حتى جعلتها على توافق يكسبها قيمتها المرجعية أيضا ، فكانت بذلك قادرة على إيصال المعنى وإبلاغ الدلالة اللغوية في الوقت نفسه .

فالتوسعات الاصطلاحية وعلاقتها بالجوانب الاجتماعية والنفسية والعقلية والثقافية كانت تؤدي دورا كبيرا في التشكل الدلالي في نصوص ناصر الدين الأسد الأدبية ، لأن ذلك راجع إلى عالمه الشخصي في جانبه الأدبي الإبداعي ، وإلى عالم الأشياء من حوله ، حيث أحالت هذه المدركات ؛ الحسية والمعنوية والشعورية جميعها ، اللغة الفنية إلى بنيات لغوية تولد دلالات اجتماعية ونفسية وعقلية ذهنية وخبرانية ثقافية تمكن المتلقي من ربطها بالواقع ، إن كان من ذوي النزعة الواقعية ، وبالخيال والتصور ، إن كان من ذوي النزعة المثالية ، حتى بات من الممكن تسمية مثل هذه الدلالات باسم الدلالات النموذج ، أو باسم دلالات الحياة والواقع ، لأن العلاقة بين الكلمة والتركيب اللغوي والفكرة أو الشعور والأشياء الخارجية المحيطة بالإنسان المنتج للأدب والإنسان المتلقي له لا ترى في تلك الكلمات إلا أنها مجرد تسميات أو مصطلحات لتلك الأشياء أو تلك الأفكار أو تلك المشاعر ، وهذا ما تجسد في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية من حيث مستويات

اللغة الدلالية ، لأن في لغته الفنية أسرار إبداعية أدبية لا يكتشفها إلا الراسخون في الأدب والإبداع والنقد وعلوم اللغة .

ومما ساعد على مثل هذه الدلالات المرتبطة بالمثل أو بالواقع أن الألفاظ والتراكيب والعبارات التي وظفها ناصر الدين الأسد في لغته الفنية قد اتخذت مواقع في النص الأدبي تمكنت من خلاله من نقل المعنى الحسي إلى المعنى المجرد ، وأحياناً من المعنى المجرد إلى المعنى الحسي ، وذلك عن طريق المجاز اللغوي أو عن طريق التشكلات الاستعارية أو عن طريق الكنايات ، أو من خلال السياقات التعبيرية والأسلوبية التي استعملها ناصر الدين الأسد في نصوصه الأدبية ، مما جعل المستوى الدلالي الكلي في هذه النصوص الأدبية يوحي بوجود دلالات معنوية متداخلة تستحق الكشف عنها والنظر في أبعادها ، وقد يعزى ذلك إلى ما كان بين الكلمات والكلمات أو الجمل والجمل أو العبارات والعبارات أو الفقرات والفقرات في النص الأدبي الواحد من علاقات بينها من جهة وعلاقات بينها وبين التداعيات والإسقاطات والارتباطات الفكرية والشعورية والنفسية والاجتماعية والفلسفية والمنهجية التي أنتجت المعاني المختلفة التي سمحت بوجود مجال وفضاء دلالي واسع غير محدد في نصوص ناصر الدين الأسد الأدبية .

ورب باحث يتوصل إلى ما في التراكيب والبنى النصية الأدبية - من خلال فضاء النص الذي حددته الأساليب المجازية والتمثيلية - من دلالات نتجت عن استقراء الغرض أو الموضوع العام في النص الأدبي ، وذلك عند الوقوف على ظلال التراكيب اللغوية ، وظلال أصواتها وإيقاعاتها وموسيقاها ، وظلال الصور الذهنية والشعورية التي ساعدت على الخروج عن واقع النص وارتداد فضاءاته والتحليق فيها والتصور والتخيل مع الكاتب وكأنه يشاركه أعماله الإبداعية والفنية

والأدبية ، ولذلك دل المستوى الدلالي في نصوص ناصر الدين الأسد الأدبية على أن فضاءه الشخصي وفضاءه الفكري وفضاءه الإبداعي قد ركز على رموز في الحياة لا يمكن تجاهلها ، ولا بد من توظيفها في العمل الأدبي ، كالشعر ، والمرأة ، والصدقة ، والأرض ، والإنسان ، والقيم ، وصراع الحضارات ، والبوح الذاتي ، والموت والحياة ، والقوة والضعف ، والغموض والوضوح ، حيث يستنتج ذلك عنده من جميع المستويات اللغوية التي كونت الدلالات اللزومية على الصعيدين : صعيد الدلالة الذاتية وصعيد الدلالة الموضوعية ، لأن المضمون الدلالي كان ينطلق من الإشارات والعلامات اللغوية على هيئة علاقات بين الكلام والأشخاص أو الأشياء أو الصفات أو الأحداث أو الأحوال التي كانت أصلا خارج النظام اللغوي ، وأدخلت فيه بعدما وظفها ناصر الدين الأسد في لغته الفنية الأدبية بإيجاده المبدع للعلاقات المرجعية بينها وبين اللغة في السياق التعبيري الذي يشحسن الرمز والإشارة بالإيحاء والدلالة إضافة إلى ما فيه من معنى أو مضمون ، ولذلك أضاف المستوى الدلالي إلى نصوصه الأدبية مزايا فيها من الفضيلة ومن الحسن ومن الرونق لا تتأتى إلا لأديب عالم من أمثال ناصر الدين الأسد .

ولا يفوتنا في هذا المقام ذكر ما للمستوى الدلالي في لغته الفنية من آثار إيجابية على منهج ناصر الدين الأسد العلمي في أبحاثه الأكاديمية ، إذ كانت البنى التعبيرية والبنى الأسلوبية تؤدي دورا في خلق الدلالات الإيحائية المنبثة في أرجاء فضاء النص الأدبي الأكاديمي ، والنص الأدبي الشعري ، بتوظيف أسماء الأعلام والأدوات والمواد واللوازم في تراكيب لغته الفنية ، حيث إن تلك الأسماء كانت تحمل بعض التداعيات المعقدة التي أنتجت فروعاً عرضية للمعاني التي كانت تعنيها ، فتحوّلت تلك التداعيات العرضية المعقدة إلى دلالات أثّرت المستوى الدلالي العام لأعمال ناصر الدين الأسد

الأدبية ، وهنا يمكن القول بأن التداعيات قد انتقلت من بين الكلمات ومعانيها إلى الكلمات ودلالاتها ، لأن تلك المعاني كانت تتلون بلونين : لون من المعاني الصريحة ، ولون من المعاني المضمرة .

وخلاصة القول ، إن المستوى الدلالي في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية لم يكن متوقفا على البنى النصية الأدبية ، وإنما انتشر حولها وقبلها وبعدها بمقدار ما انتشر فيها واتسع ، حيث كان نابعا من طبيعة ناصر الدين الأسد الفنية والأدبية ومن روحه وسماته ونزعاته ، التي تبتعد عن تكرار السابقين ، وعدم استهلاك ما لديهم ، وتدنو من جدران الواقع المحسوس والمرئي ، لتولد الجديد وتبدعه من الأعماق ، ومن الفضاءات الأدبية ، فكرا وخبرة ومعرفة وعلماء وشعورا ووجدانا وقيما وثقافة ، لها دلالاتها البكر ، التي كانت فيما بعد الألفاظ والتعبيرات والكلمات واللغة الفنية قوالب تجسدت فيها ، أو أبرقت من ضيائها في فضاء الإبداع وسماء الأدب الرفيع ، الجذاب المقنع ، المكون للثقافة ، الممتع المفيد ، وكأنها أضواء تنير دروب الأدب ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

الفصل الخامس

المصطلحات والتعابير الاصطلاحية والسياقية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية

إن موضوع المصطلحات والتعابير الاصطلاحية والسياقية يدخل في كل الأقوال والكتابات مهما كان نوعها ، فالأديب يحتاج إليها في صياغة نتاجاته الأدبية وبنائها ، والباحث في المجالات العلمية أو المجالات التقنية أو المجالات التجريبية والتطبيقية ، يحتاج إليها أيضا ، إلى غير هاتين الفئتين من الكتاب والأدباء والعلماء والباحثين والدارسين في شتى أنواع العلوم والآداب ، إذ إن لكل نوع من أنواع الكتابة والتعبير حاجة خاصة إلى المصطلح الخاص وإلى التعابير الاصطلاحية والسياقية الخاصة التي تنسجم مع طبيعة الموضوع الذي يعبر فيه صاحبه عما يريد نقله وإيصاله وإبلاغه إلى الآخرين في مجتمعه الصغير أو المجتمع الإنساني الكبير .

وفي هذا المقام ، يحسن أن نوضح ما المقصود بالمصطلح ، وما المقصود بالتعبير الاصطلاحية ، وما المقصود بالتعبير السياقي ، كي نقف على جوانب هذه الأقسام الاصطلاحية الثلاثة التي جوهرها واحد ، وصورها متعددة ، انطلاقا من أن أي مصطلح أو تعبير اصطلاحية أو تعبير سياقي ، هو لفظ واحد ، أو أكثر من لفظ واحد ، أطلق على مفهوم أو معنى أو دلالة ، وتم استعماله ثم شاع على الألسنة وفي الكتابات بطريقة تداولية تساعد على تحقيق الأهداف من القول أو الكتابة ، ويضفي على لغة الكاتب رونقا يجعل منها لغة فنية صالحة للموضوع وجنسه أو نوعه الإبداعي . ويرى ناصر الدين الأسد أن المصطلح " ليس مجرد حروف وأصوات ، بل هو (

مفهوم (و (تصور) ، وإشاعة مصطلح ما ، معناه إشاعة مفهومه وتصوره . " (١) كما يرى أن المصطلح اسم ، حيث ورد في أقواله في عدة مواضع من أعماله الأدبية عبارات وتراكيب وجمل تدل على رؤيته تلك ، ويمكن ذكر بعضها ، مثل قوله : " وقد ظهرت أسماء أصبحت تحتل مكانة عالمية ، تردد صداها خلال العصور ، وأثرت في تاريخ العلم ، وفي تطوير الفكر الإنساني ، مثل : أئمة المذاهب ، والمعتزلة ، ... " (٢) ، ومثل قوله أيضا : " وإنما يدخل في نطاق هذا البحث وما كان يسميه الجغرافيون العرب القدماء بالبحرين وعمان ، فالبحرين اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان ، وما دون ذلك جنوبا فكله عمان . " (٣) ، ومثل قوله كذلك : " لقد جعلوا الوطن العربي في بعض المؤتمرات والندوات ثلاثة أقسام - أو أوطان - متميزة ، بأسماء مختلفة ، هي الشمال الإفريقي ، والشرق الأوسط ، ودول الخليج . " (٤)

وتبين أنه كان يطلق على المصطلح كلمة (التسمية) ، حيث ورد ذلك في بعض أقواله وكتابات ، من مثل قوله : " ... وهذان التقسيمان الجغرافيان - مع تجاوزهما وتشابكهما - هما عالمان مختلفان كل الاختلاف ، اصطلاح على تسمية أحدهما بالعالم الأول ، وتسمية الآخر بالعالم الثالث . " (٥) ، ومثل قوله : " وإن التسميات إنما هي أداة من أدوات هذه الحرب أو المعارك ، يقصد بها إزالة أفكار ومشاعر ومفاهيم سابقة ، وإحلال جديد محلها يحقق تصورات مغايرة ، لأن

(١) هذا التعريف للمصطلح مأخوذ من الكلمة التي ألغاها ناصر الدين الأسد بعنوان (الأمم المتحدة وقضية الشرق الأوسط ، عدم تكافؤ الموازين والمقاييس في المسألة الفلسطينية) في الدورة الأولى لأكاديمية المملكة المغربية للمنقذة خلال الفترة الواقعة فيما بين ٢٢ - ٢٤ نيسان ١٩٩١م ، بمدينة الدار البيضاء بالمملكة المغربية ، ص ١

(٢) الأسد ، ناصر الدين ، بحث بعنوان (الإسلام والثقافة العربية في عالم جديد ، قدمه في ندوة عقدتها هيئة جائزة الملك فيصل العالمية بالقاهرة خلال الفترة الواقعة فيما بين ٢١ - ٢٢ كانون الثاني ١٩٩٥م ، ص ١٦

(٣) الأسد ، ناصر الدين ، بحث بعنوان (مقدمة لدراسة القبائل العربية في الخليج قبل الإسلام ؛ هجراتها وعلاقاتها بالقبائل الأخرى بالجزيرة العربية) وهو بحث مستقل من كتاب (دراسات عربية إسلامية) يحتوي على أبحاث ودراسات مهداة إلى إحسان عباس لعهد من المؤلفين والكتاب والأدباء والعلماء ، تحرير وداد القاضي ، من منشورات الجامعة الأمريكية في بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨١م ، ص ٣٩ .

(٤) الأسد ، ناصر الدين ، بحث بعنوان (الشراكة الثقافية والاجتماعية والإنسانية الأوروبية المتوسطية ، قدمه في ندوة (ما بعد برشلونة) التي عقدت في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، بالقاهرة ، خلال الفترة الواقعة فيما بين ١ - ٩ / ٩ / ١٩٩٦م ، ص ٥ .

(٥) أخذ هذا النص من الكلمة التي ألغاها الدكتور ناصر الدين الأسد في الدورة الأولى في أكاديمية المملكة المغربية للمنقذة في لشبونة بالبرتغال ، خلال الفترة الواقعة فيما بين ٣ - ٧ أيار ١٩٩٥م ، والكلمة بعنوان (مستقبل العلاقات الثقافية بين دول الاتحاد الأوروبي ودول الحوض المتوسطي) ، ص ٣

اللفظ أو المصطلح ليس مجرد أصوات أو حروف ، وإنما هو فكرة ومفهوم يراد منهما أن يتحولا - مع الإلحاح على استعمالهما بأساليب متعددة - إلى عمل وسلوك ومواقف في الحياة . " (٦) ، أو مثل قوله : " ولكن المدافعين عن تلك التسميات يرون أنها لا تعدو أن تكون تعبيرات جغرافية أو مناطق اقتصادية ، لا علاقة لها بالمشاعر الوطنية أو القومية . " (٧) ، أو كما قال : " ولتدل هذه التسميات على الحلم القومي الذي عمر القلوب والعقول ، ... ، " (٨) ، وكذلك قوله في موضع آخر : " يرى بعض الباحثين أن استعمال تسميات مثل : (بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط) أو (بلاد شرقي المتوسط) أو (أقطار جنوبي المتوسط) أو (الشرق الأوسط) أو (الشمال الإفريقي) إنما يقصد منها طمس الهوية العربية ، وتجاهل صفة العروبة لأقطار تمتد من المحيط غرباً إلى الخليج شرقاً ، كنا نسميها منذ نعومة أظفارنا (الوطن العربي) وأحياناً (البلاد العربية) أو (العالم العربي) . وحين كنا نتحدث عن إقليمين جغرافيين كنا نسميها (المشرق العربي) و (المغرب العربي) ، فكانت صفة العروبة ملازمة دائماً لهذه الرقعة من العالم ولتقسيماتها المختلفة ، فيقولون مثلاً (أقطار المغرب العربي وجنوبي أوروبا) . " (٩) ، أو عندما قال : " وهكذا استدرجنا بالأسلوب الأجنبي نفسه إلى الوقوع في غلط التفكير الأجنبي والحياة الأجنبية ، على حين كنا - بهذه التسميات - نسعى إلى مقاومة الوقوع في هذا الشرك ، ... " (١٠) ، وحين قال أيضاً - على اعتبار أن المصطلحات تسميات - : " ولم أستطع تفسير هذا التداخل في التسميات وفي المواقع إلا على أساس واضح من

(٦) المرجع السابق نفسه ، ص ٢ .

(٧) المرجع السابق نفسه ، ص ٢ .

(٨) المرجع السابق نفسه ، ص ٢ .

(٩) المرجع السابق نفسه ، ص ١ .

(١٠) الأسد ، ناصر الدين ، تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي ، ط ١ ، ٩٩٦ م ، من منشورات مكتبة روائع مجدلاوي ، صان ، الأردن ، ص ٢٩ .

التمييز بين التقسيم العسكري السياسي أو الإداري والتقسيم الجغرافي الطبيعي ، وكذلك التفرقة بين (كورة) و (جند) . ومع ذلك ، فالموضوع لا يزال محتاجا إلى مزيد من البحث والتدقيق ، لتأكيد ما ذهبت إليه ، أو لتغييره وتفسير هذا التداخل تفسيرا آخر يوضح الصورة ويجلو اختلاف التسميات والمواقع . " (١١)

وفي مواضع أخرى من تعبيراته وتراكيبه اللغوية في لغته الفنية في أعماله الأدبية كان ناصر الدين الأسد يصف المصطلح ويطلق عليه كلمة (التعبير) ، حيث ورد في قوله في أحد المواضع : " وإنما كان التعبير الدالّ على اليهود والنصارى هو (أهل الكتاب) كما في الحديث النبوي الشريف ، وقد شاع هذا المصطلح بين المسلمين وفي كتاباتهم ، وأصبح له في كتب الفقه أحكام وتفرعات . " (١٢)

وفي مواضع أخرى يقول فيها إن المصطلح (كلمة) ، حيث يقول في واحد منها : " إذا أخذنا معنى كلمة السياسة بالمعنى الشامل لها ، أي أنها تعني الحياة العامة ومصالح الناس ، وتطلعاتهم ، والتعبير عن آلامهم في الحاضر وآمالهم في المستقبل ، فإن الثقافة لا يمكن أن تكون مفصولة عن السياسة ، " (١٣)

وتبين أحيانا أنه يذهب إلى أن المصطلح (لفظ) ، إذ قال في موضع في أحد أعماله الأدبية : " ثم نشأت لفظة الأصولية ، وهي لفظة دسوها علينا ترجمة لما في لغتهم من مصطلح لظاهرة نشأت عندهم - لا عندنا - ثم عمموها علينا ، بل كادوا يحصرونها فينا ، وهي عندنا نسبة إلى علم

(١١) الأسد ، ناصر الدين ، بحث (البلقاء وقصبتها عمان في كتب الجغرافيين العرب) ، بحث مرقون على الآلة الكاتبة وغير منشور ، ص ٨

(١٢) الأسد ، ناصر الدين ، نحن والعصر : مفاهيم ومصطلحات إسلامية ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص ٤٠ - ٤١ .

(١٣) النص مأخوذ من حوار أجراه حسين الرواشدة ، ونشرته جريدة (الحياة) في عددها رقم ١٢٠٣٧ الصادر بتاريخ ١٩٩٦ / ٢ / ٧ ، ص ٢٠

من علوم ديننا يعتمد عليه الفقه كله ، ولا يكون إلا به ، ولكن اللفظ سرب إلينا ، فابتلعناه ، وأخذنا نردده ، واختلطت عندنا المعاني ، ثم نسينا المعنى الأصلي في علومنا وتراثنا ، ومن هنا كان خطر (المصطلح) ، فهو يأتي معبأ بالمعاني ، مشحوناً بالمضامين التي تغرب النفس وتقتلع الفكر من منابته وأصالته لترمي به في مهاوي الضياع . " (١٤)

وكما قال في موضع آخر : " ونحن نستعمل لفظ (الأقليات) على غير رضا منا ، فهو مصطلح غريب عن الإسلام وروحه ، ولم يستعمله أحد من المسلمين الأوائل ، ... ، ... ، وأدخلوا فيه جميع غير المسلمين مهما تكن عقيدتهم ، ونحن مضطرون إلى قبول مصطلح (الأقليات) الغربي ، ولكن لا بد من التبيه إلى أنه ومصطلح (أهل الذمة) غير متطابقين ، لأن الإسلام - في روحه وجوهره - لا يقر هذا النظام الغربي من وجود (أكثرية) و (أقلية) . " (١٥)

وكذلك حينما عبر عن استعمال الأقدمين من العرب للتعبير عن مصطلح ما ، فوصف المصطلح الذي أطلقوه وسماه باسم (لفظ) ، حيث قال : " وقد استعملوا (لفظ) الإعجام للدلالة على (النقط) الذي هو للتمييز بين الحروف المتماثلة والمتقاربة في الرسم . " (١٦)

ولكنه في جميع هذه التعبيرات والتسميات يقصد المعنى نفسه في توضيح مفهوم المصطلح واستعماله في اللغة الفنية التي وظفها في أعماله الأدبية . ولعله قد ذهب إلى ذلك لأنه من علمه وكفايته اللغوية ووعيه وإدراكه لقيمة المصطلح اللغوية والاشتقاقية والصياغية والتركيبية والتداولية ، وإدراكه لما يجب أن يكون عليه من دقة ، فمضى في كل أعماله الأدبية إلى استعمال المصطلح أو التعبير الاصطلاحي أو التعبير السياقي من خلال معرفته واستنباطه للعلاقات المصطلحية

(١٤) الأسد ، ناصر الدين ، نحن والعصر ، مرجع سابق ، ص ١٤

(١٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٤٠ - ٤١ .

(١٦) الأسد ، ناصر الدين ، بحث بعنوان (النقط والحرف العربي) ، قدمه إلى الندوة العلمية التي أقامتها جامعة اليرموك بمدينة إربد خلال الفترة الواقعة فيما بين ٨ - ١١ / ١٢ / ١٩٨٤ م ، بمناسبة مرور عام على وفاة المرحوم الأستاذ محمود الغول ، ص ٧

بين المصطلح والتركيب اللغوي الذي تكون جزءا منه ، ومن خلال معرفته واستنباطه للعلامات اللغوية المصطلحية والتعبيرية التي تساعد على توظيف المصطلح بصورة معبرة صحيحة .

وتقتضي الضرورة ، حتى يتحقق بعض من المراد والمقصود في هذا الفصل من هذه الأطروحة ، أن نعرض على نقطة مهمة ، لا بد من أن تأخذ موقعها لتتضح الصورة ، وليبين المطلوب ، وهذه النقطة تتعلق بتعريف المصطلح لغة ، واصطلاحا ، فالمصطلح " في اللغة من مشتقات الفعل (صلح) فاصطلح ، ومصدره (الاصطلاح) . " (١٧) ، أما في الاصطلاح العلمي والتداولي فهو : " المصطلح هو ما تعارف عليه العلماء في علم من العلوم أو فن من الفنون ، وهو عبارة عن اتفاق القوم وتصالحهم على وضع الكلمة لمعنى معين مراد منهم ، ولا بد في كل مصطلح من تجاوز المعنى اللغوي والخروج منه إلى معنى خاص ، ليكون مصطلحا ، وإلا بقي معنى لغويا عاما غير خاص بعلم . والمسوغ عسادة لنقل اللفظ من معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي وجود مناسبة بينهما . " (١٨)

وفي تعريف آخر له ، اصطلاحيا ، فإن " المصطلح هو اسم يطلق على شيء أو مفهوم معين في حقل من حقول العلم والمعرفة . وقد يتألف المصطلح من أكثر من كلمة . " (١٩)

ويرى فريق ثالث في تعريف المصطلح ، أن " المصطلحات هي مجموعة من الكلمات التقنية في علم من العلوم ، والتي تأخذ مدلولاً معيناً فيه يختلف عموماً عن معناه اللغوي . " (٢٠)

(١٧) مجلة اللسان العربي ، مج ١٧ ، ج ١ ، ١٧٤ ، ١٩٧٩ م ، تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط / المغرب ، بحث (المصطلح الكيميائي في التراث العربي) للدكتور جابر الشكري ، ص ١٥٢ .

(١٨) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٢ .

(١٩) المرجع السابق نفسه ، بحث بعنوان (التعبيرات الاصطلاحية والسياقية ومعجم عربي لها) للدكتور علي القاسمي ، ص ٣٢ .

(٢٠) يعقوب ، إميل ، كيف تكتب بحثاً أو منهجية البحث ، ط ١ ، ١٩٨٦ م ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، ص ١١٢ .

وتجدر الإشارة إلى أن المصطلحات - مهما تنوعت وتعددت واختلفت التسميات التي أطلقت عليها - ما هي إلا ألفاظ وتعبيرات وتراكيب لغوية تعبر عن مفهوم معين ، وهي " من الأمور الوضعية الاعتيادية ، فالكلمات لا يدل المصطلح عليها ، وفي المعاني العلمية لا تدل على تلك المعاني ، من حيث اللغة دلالة تامة ، فلذلك ليس من الضروري أن نترجم الكلمة المصطلح عليها ترجمة حرفية ، بل من الأوفق أن نتحرى الكلمة التي يمكنها أن تدل على المعنى المطلوب على أحسن الصور وأوضحها ."^(٢١) ، وذلك في حالة أن يكون الاصطلاح أو المصطلح أو الاسم أو التسمية للشيء أو للمعنى أو للصورة أو للدلالة منقولاً أو معرباً أو مترجماً أو مستعاراً من لغة أخرى ، أما في حالة اشتقاقه ووضعه من مشكاة اللغة العربية ، فإن الوضع مختلف ، لأن من طرائق وضعه في اللغة العربية ، طريقة الاشتقاق ، وطريقة النحت ، وطريقة التركيب ، عدا عن الطريقة الابتكارية الاستحدائية التي تعتمد على أصولية اللغة في جذورها اللغوية في الأسماء ووضعها بما يتلاءم مع المسميات ، وعندئذ ، فإن الاسم أو المصطلح المستحدث بأية طريقة من هذه الطرق المذكورة يأخذ طريقه إلى الاستعمال والانتشار والتداول ، أو لا يجد مجالا لذلك ، فيقف عند نقطة ولا يتعداها إلى أن يموت ويندثر كما تموت بعض الألفاظ في اللغة ، ومع ذلك ، فإنه " ومن المعروف أن المصطلح عندما يشيع ويكثر استخدامه في الكتابات والمناجزات الفكرية في مستوياتها المختلفة ، كثيراً ما يتعرض محموله المفهومي إلى تحريف أو تحوير ."^(٢٢)

وبالنظر إلى علاقة الألفاظ والمصطلحات بمضامينها ودلالاتها ، فقد قال ناصر الدين الأسد : " للفظ دالتان : دلالة لغوية ، ودلالة اصطلاحية ، تتفقان حيناً أو تقتربان ،

(٢١) أبو مغلي ، سميح ، والفار ، مصطفى محمد ، الأصول في اللغة العربية وآدابها ، ط ١ ، ١٩٩٠ م ، دار القلم للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ١٦٦ .

(٢٢) مجلة العربي ، ع ٤٩٨ ، ليار ، ٢٠٠٠ م ، وهي مجلة شهرية ثقافية تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت ، مقالة بعنوان (العولمة ولزمة المصطلح) من قلم الدكتور عز الدين إسماعيل ، ص ١٦٦ .

وتفترقان حيناً أو تبتعدان ، ولكن تبقى ظلال من الدلالة اللغوية في المصطلح
مهما تفرق الدالان .^(٢٣)

ويرى الأسد التنوعات اللفظية والاصطلاحية تكمن في البدائل اللفظية والبدايل
الاصطلاحية التي تأخذ مواقعها لما لها من أثر على التداول ، وعلى المتلقي والمستعمل لها ، حيث
يقول : " وأصبح كثير من الألفاظ والمصطلحات يجد بديلاً له من أجل تحسين صورة المضمون
وتجميلها ، أو من أجل تخفيف أثر ذلك اللفظ والمصطلح ووقعه في النفوس ."^(٢٤) ، هذا من جهة ،
أما من جهة أخرى فإن الأسد ينظر إلى المصطلحات الجديدة نظرة تنطلق من واقع الحال وظروفه ،
فهو الذي يقول : " فأصبحت المصطلحات الجديدة ألفاظاً تحتمل معاني مشتركة يمكن استعمالها
استعمالات مختلفة باختلاف الظروف والمصالح ."^(٢٥) وفي ظل معطيات الثقافات المتعددة والحضارة
المتسارعة ، فإنه " كثيراً ما نجد للمفهوم الواحد عدداً من المصطلحات في اللغة نفسها التي وضع
فيها المصطلح ، أحياناً يكون الاختلاف في المصطلح ناجماً عن اختلاف النظرة التي روعيت عند
وضع المصطلح ."^(٢٦)

وكعادة ناصر الدين الأسد في منهجه ، فإنه يوضح دائماً عنوان موضوعه ، ويوضح
ألفاظه ، ويبين مصطلحاته الخورية ، " وهو غالباً ما يشرع في معالجة موضوعه من أصله اللغوي ،
فيحتاج المصطلح ويداوره ، وينبش ذاكرته بما اشتمل عليه علمه الوافر باللغة العربية وآدابها ،

^(٢٣) النص مأخوذ من كلمة للدكتور ناصر الدين الأسد بعنوان (هل يعطي حق التنخل شرعية جديدة للاستعمار ؟) ، ألقاها في الدورة
الثانية لأكاديمية المملكة المغربية المنعقدة بالرباط خلال الفترة الواقعة فيما بين ١٤ - ١٦ / ١٠ / ١٩٩١ م ، ص ٣

^(٢٤) النص مأخوذ من بحث للدكتور ناصر الدين الأسد بعنوان (الهوية والعولمة) قدمه في الدورة الثالثة لأكاديمية المملكة المغربية
بالرباط خلال الفترة الواقعة فيما بين ٥ - ٧ / ٥ / ١٩٩٧ م ، ص ٦ .

^(٢٥) الأسد ، ناصر الدين ، نحن والآخر ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص ٤٨ .

^(٢٦) مجلة أبحاث اليرموك ، مج ١٠ ، ع ٢٤ ، ١٩٩٢ م ، تصدر عن جامعة اليرموك ، ليريد ، الأردن ، بحث بعنوان (نحو معجم لساني
شامل موحد - مشكلات وحلول) ، للأستاذ الدكتور سمير استيتية ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

معززا قوله بالشواهد من الآيات الكريمة ، والآيات الشعرية ، والأحداث ذات المدلولات السلوكية والأخلاقية . " (٢٧)

وسواء أكان الموضوع الذي يتحدث فيه الأسد متعلقا بالتراث أم كان متعلقا بموضوع معاصر ، فإنه يفضل دائما تحديد الموضوع ومفرداته وأركانه ولغته التي يبلغه المراد والهدف ، ودائما — وكما تبين ذلك من نتاجاته الأدبية — " تسعف الدكتور الأسد في ذلك حصيلته الفكرية والثقافية واللغوية التي تعينه على تحديد المصطلحات ومعانيها بدقة ، عبر استنطاق اللغة بأبعادها المختلفة ، الحسية والمجردة والنسبية والمطلقة والاصطلاحية والدلالية ، وعلى نحو يتيح إمكانات القراءة المتجددة التي لا تخل بثبات النص التراثي ، في ضوء أسئلة الراهن ومستجداته وإشكالياته . " (٢٨)

والأمثلة على تطبيقه لهذا الركن من المنهج العلمي لديه كثيرة ، منها ما قاله في مستهل كلمة له في إحدى الندوات : " يقتضي هذا العنوان أن نوضح ألفاظه ، وهي : الإسلام ، والتحديات ، والعالم المعاصر ، وقد صدرت عن كل واحد منها كثير من الكتب والفصول والمقالات ، فالتعريف بها في هذه المقدمة سيكون موجزا جدا يقتصر على العناصر الأساسية التي يمكن أن تترابط ، فتبين العلاقة بين أجزاء العنوان ، وهذه العلاقة هي المقصودة بهذه المحاضرة . " (٢٩)

(٢٧) مظفر ، مي ، سفر في المدى : ناصر الدين الأسد — ملامح من سيرته وأدبه ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص ١٣٥ .

(٢٨) مجلة عمان ، ع ٣٥ ، أيار ١٩٩٨ م ، تصدرها أمانة عمان الكبرى ، عمان ، الأردن ، مقالة بعنوان (نحن والآخر) ، والدكتور ناصر الدين الأسد (، من قلم أحمد المصلح ، ص ٢٣ .

(٢٩) النص مأخوذ من بحث للدكتور ناصر الدين الأسد بعنوان (الإسلام وتحديات العصر) ، قدمه في ندوة عقدت ببلجيكا خلال الفترة الواقعة فيما بين ١٣ - ١٥ / ٩ / ١٩٩٢ م ، ص ١ .

وحيث إن الأمر في هذا الفصل متعلق باللغة ، وبالمصطلح وبالتعبيرات السياقية والاصطلاحية التي استعملها ناصر الدين الأسد في لغته الفنية الأدبي ، فإنه لا بد من القول بأن هناك علاقة بينها وبين ما تواجهه المصطلحات اللغوية في اللغة العربية ، وبخاصة تلك المصطلحات التي كان الهدف من وضعها خدمة اللغة العربية وخدمة كل ما تستخدم وتستعمل فيه ، سواء في الحديث والكلام أو في الكتابة أو في الاستماع أو في القراءة ، وذلك انطلاقاً من " أن مشكلات المصطلح اللساني من الكثرة والتنوع ، بحيث إنما تحتاج إلى تصنيف ، فمنها المشكلات الوظيفية ، وهي التي يعاني منها الباحثون والدارسون بشكل خاص ، ومنها المشكلات التي تصحب المصطلح منذ لحظة وضعه ، وهذه يمكن تسميتها بالمشكلات الوضعية ، ومنها ما يتعلق بتصنيف المصطلحات ، تبعاً لاختلاف مضامينها ، وهذه نسميها : المشكلات التصنيفية ، ومنها ما يتعلق بتعريب المصطلح اللساني . " (٣٠)

أما مشكلة تعريب المصطلحات ونقلها إلى اللغة العربية ، فإنها مشكلة قديمة حديثة ، وربما تستمر ما دامت الحضارة في تقدم ، وما دام التعريب والنقل سائرين ، " ومع ذلك ، فإن المصطلح الغربي الذي ينقل إلى العربية ، قد ينقل بصيغ متعددة ، نعم ، قد يصح بعض هذه الصور من التعريب ، ولكن بعضها قد يكون غير مبني على نظر صحيح لمضمون المصطلح ، وحقائق المفهوم الذي يعبر عنه المصطلح ، ولست أغالي إذا قلت إننا قد نجد كل التعريبات التي عرب بها مصطلح معين غير دقيقة ، وربما كانت جميعها غير صحيحة . " (٣١)

(٣٠) مجلة أبحاث اليرموك ، مرجع سابق ، د. سمير استيتية ، ص ١٤٦ .
(٣١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٣ .

فالمشكلات الوظيفية هي على رأس قائمة المشكلات التي تواجه المصطلح ووضعه واستعماله وانتشاره وتداوله ، ولا سيما في الوقت الحاضر ، وقد أطلق ناصر الدين الأسد التعبير المناسب عن هذه المشكلة ، واعتبرها جزءا من الحرب بين الأمم ، وعدها تشبه الحرب ، بل هي حرب حقيقية ، سماها حرب المصطلحات والألفاظ ، والدليل على ذلك قوله : " وحرب المصطلحات والألفاظ حرب حقيقية يخطط لها خبراء دهاء ، وتُسْعَرُ أوارها وكالاتُ الأنباء من خلال وسائل الإعلام بالخبر والتحليل والتعليق ، ولا تلبث تكرر المصطلح حتى تشيعه ويستقر في العقول والنفوس ، فتستكين له وتخضع ، ومن كثرة تكراره تألفه وتأخذ هي بترداده ، مع أنه وضع أصلا وسيلة لغزو تلك العقول والنفوس وإضعافها . " (٣٢) كما أكد ما ذهب إليه عندما وصف الأمر بأنه حرب مصطلحات ، فقال : " ويرى بعض المتبعين لهذا الاختلاف أنه نوع من حرب التسميات والمصطلحات ، أو أنه إحدى معارك الحرب الثقافية . " (٣٣)

ولعل تلاعب الأمم الأخرى في ابتداع الأسماء والمصطلحات واختراعها وابتكارها وتركيبها تلاعب له مخططاته وأهدافه وغاياته التي تستهدف تقويض عقول ونفوس الأمم التي تقع في واجهات من غير واجهات تلك الأمم التي تسعى إلى الدخول إلى مكونات ثقافات وكيانات غيرهم ليفسدوها وليروجوا لبضاعتهن الثقافية ، فيدخلوا بلادهم باسم الثقافة واسم الحضارة ، وهذا ما شهده القرن التاسع عشر والقرن العشرون إلى أن امتد أمره إلى هذا القرن الذي نحن في بداياته الأولى ، ولذلك ، وجدنا ناصر الدين الأسد يقول : " وينبغي على ذلك أن نسمي الأشياء بأسمائها بصدق وإخلاص ، دون زيف ولا مجاملة . " (٣٤) كما وجدناه يقول : " ولذلك تأتي أحكام أحيانا غامضة

(٣٢) الأسد ، ناصر الدين ، (هل يعطي حق التدخل شرعية جديدة للاستعمار ؟) ، مرجع سابق ، ص ٣ .
(٣٣) الأسد ، ناصر الدين ، (مستقبل العلاقات الثقافية بين دول الاتحاد الأوروبي ودول الحوض المتوسطي) ، مرجع سابق ، ص ٢ .
(٣٤) الأسد ، ناصر الدين ، (الشراكة الثقافية والاجتماعية والإنسانية الأوروبية المتوسطية) ، مرجع سابق ، ص ٧ .

ومتباعدة بسبب غموض منطقتهم ، واختلاف هذه المنطقات ، حتى أصبح الباحثون في هذا الموضوع والمتحدثون عنه يتساءلون : هل من الأفضل أن تترك هذه الألفاظ والمصطلحات وأمثالها دون تحديد (ربما لأنها بطبيعتها غير قابلة للتحديد) ، وأن يتحدث عن بعض مظاهرها وتناجها وعلاقتها بغيرها ، اعتمادا على وجود قدر مشترك من الفهم بين المتحدثين عن هذه الألفاظ والمصطلحات ، يتيح توصيل الآراء إلى الآخرين مهما اختلفوا في التفاصيل والفروع . " (٣٥)

ولعل هذا الأمر كان من الأسباب التي جعلته يتنبه إلى خطورة الموقف من الألفاظ والمصطلحات التي دسها الغربيون علينا وعلى لغتنا وثقافتنا وحضارتنا ، إذ وقف ينتقد بعض ما فعلوه وبعض ما كان لدينا من ردود الأفعال التي قابلنا بها تلك المواقف الغربية التي أفست علينا بعض ثقافتنا وتواصلنا في نظر الغربيين أنفسهم ، وفي نظر البعض منا ، ولعله أيضا محق في رأيه في هذا الموضوع ، ويعرب عن ما في نفسه من امتعاض من بعض المواقف المتعلقة بهذه القضية الخطرة التي ساندتها بعض من أبناء العربية ، فثبتت موقفه من جانب من جوانبها ، وهو جانب المفاهيم التي تمت ترجمتها وترجمة ألفاظها ومصطلحاتها إلى اللغة العربية ، متخذًا من أحد موضوعاته التي يبحث فيها إحدى مسائل اللغة العربية ، حيث قال : " ومع ذلك ، فقد اعتسفنا الطريق وأصبحنا منبتين ، حين ترجمنا ترجمة حرفية ما استعملته اللغات الأجنبية من جموع هذه الألفاظ ، ثم دخلنا في تيه من الجدل في تخطيط هذه الترجمات وتصويبها ، ولم نرجع في كل ذلك إلى ما استعمله العرب منذ أقدم عصورهم للدلالة على هذه الألفاظ ، متوهمين أنها من المعاني العصرية المستحدثة التي لم ترد في كثير من كلامهم منذ الجاهلية ، وهي لفظة العقد نفسه - بغير جمع - مقرونة بالألف واللام ، وقد

(٣٥) الأسد ، ناصر الدين ، (الهوية والعولمة) ، مرجع سابق ، ص ٤ .
٣١٨

تجرد منهما في الشعر بخاصة ، إذا دلت القرينة على المعنى ، فقالوا : العشرين ، والثلاثين ، والأربعين إلى آخر العقود ، بدلا من العشرينات أو العشرينيات وأضربهما . " (٣٦)

ولمزيد من التوضيح والإبانة في موضوع الألفاظ والمصطلحات وقضاياها الإيجابية على واضعيها ، وقضاياها السالبة على من تفرض عليهم أو من يأخذونها طوعية واختيارا ، إذ لا بد من التداخل فيما بين المصطلح في مصدره وأصله ، وعند صاحبه ، وبين ترجمته ونقله ، وعند مستورده ونقله ، وهذا عده ناصر الدين الأسد جزءا من حرب المصطلحات والألفاظ التي هي جزء من الصراع والنزاع بين القوى في هذا العالم الذي أصبحت فيه الغلبة للقوي . فهو الذي يقول في هذا النص الذي نوره تاليا للاستشهاد به على الرغم من طوله ، لكنه فيه رأي واضح وصريح ومقنع يراه ناصر الدين الأسد في هذا الموضوع ، حيث يقول : " ومن تداخل المعاني واضطراب الدلالات : أن النزاع والصراع ينشآن عادة بين حقيين : حق متمكن أصيل ، وحق متوهم يكثر ترداده في النفس وتكراره على العقل ، حتى يثبت فيهما ويرسخ ويصبح كالتمكن الأصيل ، أو ربما أشد تمكنا ، فينشب النزاع بين فريقين كل يطالب بحقه ويدافع عنه . ولا يكون النزاع أبدا بين حق وباطل ظاهرين واضحين ، وإلا لكان الأمر هينا ، ولتوقف النزاع قبل أن يؤدي إلى الصراع ، إذ لا يدافع أحد عن باطل واضح ، ولا يحارب الناس في سبيله إلا حين يعتقدون أنه حق ، وحتى يصبح الحق المتوهم حقا متمكنا لا بد من تحسينه وتزيينه ، وحشد الحجج له ، وإقامة البراهين عليه ووضع الخطط والبرامج لإقناع النفس به ثم إقناع الناس . وهو ما تفعله عادة وسائل الأعلام المتعددة وأساليب التعبئة الفكرية والنفسية . " (٣٧)

(٣٦) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، مج ١ ، ع ١٤ ، كانون الثاني ١٩٧٨ م ، بحث بعنوان (العشرينات والعشرينيات) للدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ١٤٣ .

(٣٧) الأسد ، ناصر الدين ، نحن والآخر ، مرجع سابق ، ص ٤٢ - ص ٤٣ .
٣١٩

هذا بالإضافة إلى أنه يرى أن اللغة بما فيها من الألفاظ والمصطلحات تعد أداة من أدوات الحروب والاختلاف بين الناس ، منطلقا من قاعدة نفسية مؤداها انعكاس القول على الفعل والسلوك في حياة الإنسان .

وكثيرا ما تواجه المشكلات الاصطلاحية القارئ العربي ، من حيث غموض دلالاتها ، ومن حيث سوء ترجمتها إلى اللغة العربية ، حيث يرى ناصر الدين الأسد رأيته في هذا الموضوع ملقيا بالمسؤولية على النقاد ، إذ يقول : " إن هذه المصطلحات غامضة الدلالة جدا للقارئ العربي ، كما آثار الترجمة مصطنعة وواضحة فيها كل الوضوح ، ومشكلة النقد الحديث تتركز في أن نقادنا لم يستطيعوا الوصول - حتى الآن - إلى صياغة عربية واضحة ومفهومة لما درسوه عند غيرنا من الأمم الأخرى ، سواء أكان باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية . " (٣٨)

ويشير ناصر الدين الأسد إلى ما قامت به الجامعات اللغوية العربية ، وما قام به بعض الأساتذة وبعض المترجمين ، في حقل نقل المصطلح وتعريبه وترجمته ، حيث قال : " ومع ذلك ، فقد يسرت الجامعات والأساتذة والمترجمون أعدادا من هذه المصطلحات باللغة العربية ، ووضعت لها معاجم ، خاصة بكل علم وحده ، وعامة تجمع ما صدر منها في العلوم كلها حتى حقبة محددة . ويظل ما لم توضع له مقابلات عربية أكثر مما وضعت له تلك المقابلات ، وتزداد هذه الكثرة مع الأيام بسبب وضع مصطلحات أجنبية جديدة في كل يوم . " (٣٩)

وينطلق ناصر الدين الأسد في كثير من آرائه في هذا الموضوع من تاريخ اللفظ والمصطلح العربي ، ومن تأثره باللغات الأخرى التي رافده بعبعض مصطلحاتها وأسمائها ، لأن اللغة التي تجمع

(٣٨) جريدة العالم ، ٢٩٨٤ ، تاريخ ٢٨ / ١٠ / ١٩٨٩ م ، مقابلة مع الدكتور ناصر الدين الأسد .
(٣٩) مجلة فصول ، مج ٤ ، ع ٣ ، ج ١ ، نيسان وأيار وحزيران ١٩٨٤ م ، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بحث بعنوان (اللغة العربية وقضايا الحداثة) ، للدكتور ناصر الدين الأسد ، وقدم هذا البحث أيضا في مهرجان القاهرة الأول للإبداع العربي ، ص ١٧ .
٣٢٠

ألفاظها ومسمياتها ومصطلحاتها ، تحافظ عليها وتسهل تداولها وتفسح المجال لاستمرار حياة اللفظ والمصطلح ، مما يثبت الجانب التاريخي للغة ولما تضمنته واشتملت عليه من ألفاظ ومصطلحات ومسميات ، وبالنسبة للغة العربية التي جمعت ودونت في معاجم اللغة العربية ، كانت تحتوي على الكثير من الألفاظ والمصطلحات والمسميات التي ما زالت تستعمل إلى هذا اليوم ، ومنها ما دخل اللغة العربية من غريب المصطلحات وأجيبها ، ولكن ذلك لم يوقف استعمالها ، وإنما أصبحت وكأنها من اللغة العربية وإليها ، ورأيه في تاريخانية المصطلح والمسمى العربي أنه يبدأ مع تاريخانية المعجم العربي ، ولتوكيد ذلك ، فقد أشار إلى بداية إطلاق مصطلح المعجم ، إذ المعجم هو الجامع للألفاظ ومصطلحات اللغة ، فيقول : " ولسنا ندري متى بدأ إطلاق (المعجم) على الكتب التي تجمع ألفاظ اللغة مرتبة على حروف الهجاء ، وربما كان إطلاقها على بعض كتب الحديث والرجال قبل إطلاقها على كتب اللغة ، فأقدم ما نعرفه مما حمل اسم (المعجم) كان في المائة الثالثة للهجرة ، وهو (معجم الصحابة) لأبي يعلى (٢١٠ هـ - ٣٠٧ هـ) و (المعجم الكبير) و (المعجم الصغير) لأبي القاسم البغوي (٢١٣ هـ - ٣١٧ هـ) ، ثم توالى الكتب التي تحمل هذا الاسم ، وأصبح كثير من الكتب التي تتضمن معارف في اللغة أو الرجال أو البلدان ، مرتبة على نسق حروف المعجم تسمى معجما . " (١٠) ، وفي مواضع أخرى في أبحاثه ودراساته أشار إلى جهود القدامى والمحدثين في ألفاظ اللغة وفي المصطلح العربي على مختلف أنواعه وأصنافه ، وكان مما قاله في بعض آرائه في هذا الموضوع يستحق النظر والتحليل والدراسة ، كما يمكن الاستدلال والاحتجاج به لإثبات آراء ناصر الدين الأسد في قضايا المصطلح والمسمى والاسم

(١٠) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٢٥ ، تشرين الثاني ، ١٩٦٩ م ، بحث بعنوان (معاجم ومعجمات) ، للدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٩ - ص ١٠ .

وتاريخها واستعمالها وتداولها في اللغة العربية وما أضيف إليها من المصطلحات والأسماء من اللغات الأجنبية ، وفي هذا يقول ناصر الدين الأسد : " وقد أخذ المسلمون المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة في بدايات عصور الترجمة من اليونانية والفارسية والهندية ، كما كانت في تلك اللغات مع تعديل يسير يجعلها أكثر اتساقا مع طبيعة النطق العربي . ولم يجد المسلمون غضاضة على أنفسهم من جراء ذلك في دينهم أو دنياهم . ثم صاروا هم صانعين لتلك العلوم ، مخترعين لها ، ومستحدثين لمظاهر جديدة من الحضارة . فكان من الطبيعي أن يطلقوا على كل ذلك ألفاظا عربية ، كما كان من الطبيعي أن يأخذ غيرهم عنهم هذه العلوم والمبتكرات مع أسمائها العربية ، ولا تزال هذه الألفاظ العربية منتشرة في اللغات الأجنبية ، سافرة ومسترة . وكذلك لا تزال المصطلحات العلمية اليونانية والهندية والفارسية ماثلة في كتب تراثنا العلمي ، شاهدة على صحة هذه الظاهرة ، وصدق ما ذهبنا إليه . فلا يجوز إذن أن نخدع أنفسنا ونعترك في غير معترك . " ^(١١) ويتضح من هذا الرأي أن اللغة العربية قد أعطت اللغات الأخرى بعض ألفاظها وأسمائها ومصطلحاتها كما أخذت واستعارت منها ، وإنه لا غرابة ولا ضرر في ذلك على اللغة العربية .

وفي موضوع توحيد المصطلحات العربية واتخاذها منطلقا حيويا للوحدة الفكرية العربية ، يرى ناصر الدين الأسد رأيه في هذا الموضوع ، فيقول : " ... ، ولكني حريص على بيان أمرين جوهريين ؛ الأول : إن عدم وجود مصطلح علمي باللغة العربية أو عدم توحيد المصطلحات العلمية العربية المستعملة في الأقطار المتعددة لا يجوز أن يكون سببا في عدم استعمال اللغة العربية في التدريس والتأليف الجامعي ، لأننا نستطيع أن نقنّدي بأسلافنا في العصر العباسي الأول في زمن الرشيد والمأمون ومن تلاهما ، حين ازدهرت حركة الترجمة ، وخاصة من اللغة اليونانية ، فإنه لم

(١١) الأسد ، ناصر الدين ، اللغة العربية وقضايا الحداثة ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

يضعونها وقتاً في إيجاد مصطلحات عربية في بداية الأمر ، وإنما استعملوا المصطلحات اليونانية

وكتبوها بحروف عربية ثم أدخلوها في جمل عربية فقالوا مثلاً : ارثماطيقا وغراماطيقا ، وما يشبه

ذلك ، ومع ذلك ، حلت محل هذه الألفاظ الأجنبية ألفاظ عربية . والأمر الثاني : هو متصل أوثق

اتصال ، هو أن قضية المصطلحات ليست قضية لغوية ، وإنما هي قضية علمية حضارية ، فالذين

يبتكرون العلوم ويكتشفون النظريات ، ويخترعون المعارف هم الذين يضعون لها مصطلحات

بلغتهم ، والدنيا كلها تأخذ تلك المصطلحات منهم ، وحينما كان المسلمون والعرب أصحاب

حضارة عالمية أخذ الفرنجة عنهم مبتكراتهم ومخترعاتهم مع مصطلحاتها العربية ، ولا تزال هذه

المصطلحات العربية موجودة في اللغات الأجنبية الحديثة في مختلف ميادين العلوم ، ونحن الآن

نستورد العلم والتكنولوجيا ، فإذا قبلنا ذلك على أنفسنا ، فمن باب أولى أن نقبل استيراد

مصطلحات هذا العلم والتكنولوجيا ، وذلك لا يغير اللغة العربية بشيء ، وحين نصبح نحن صانعين

للعلم والتكنولوجيا ، فإننا سنطلق على ما نصنع مصطلحات وألفاظاً عربية ، يأخذها غيرنا عنا مع

علمنا وما نستحدث من تطبيقات هذا العلم ، وما دامت اللغة العربية لغة واحدة لا يختص بها قطر

دون قطر ، فإن الوضع الطبيعي أن يكون لها مجمع واحد ، والمجمع الواحد الذي من الطبيعي أن

يكون هو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومع أن فيه في الوقت الحاضر عاملين من مختلف البلاد

العربية ، فإن من الطبيعي حين يصبح هو المجمع الأصيل والوحيد أن يتوسع في اختيار أعضاء من

علماء العربية من مختلف الأقطار ، وتبقى المجمع الأخرى فروعاً لهذا المجمع الأم ، وإلا ازدوجت

الجهود في غير داع وازدادت البلبلة في وضع مصطلحات علمية متعددة في كل قطر قد تصبح في

المستقبل لغات علمية متعددة يصعب توحيدها . «(٤٢)»

(٤٢) جريدة الرأي العام الكويتية ، ع ٦٨١٣ ، تاريخ ١١ / ٤ / ١٩٨٢ م ، مقابلة مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ١٥ .
٣٢٣

وقد أشرت في فصل سابق من هذه الدراسة إلى أن التفكير اللغوي عند ناصر الدين الأسد قد احتوى في أحد جوانبه على بعض المعالجات التي قدمها ناصر الدين الأسد لكثير من القضايا اللغوية ، بحيث كانت تلك المعالجات تشتمل على التخطيط اللغوي والفكر اللغوي الذي يساهم في الارتقاء بمستويات اللغة العربية لجعل منها اللغة الفنية القادرة على أن تكون أداة قيمة وعالية المستوى عند التعبير والكتابة في أي موضوع وفي أي حقل من حقول الحياة . واستكمالا للحديث في هذا الموضوع ، فإنني أورد فيما يلي نصا قاله وكتبه ناصر الدين الأسد معبرا فيه عن وجهة نظره التي تبين جزءا من خطته اللغوية المتعلقة بالمصطلحات والأسماء ومعالجة بعض المشكلات التي تواجهها ، إذ كان رأيه في هذا الموضوع ردا على سؤال مفاده أن هناك اتهام دائم للغة العربية وهو عدم قدرتها على استيعاب طوفان مصطلحات العلوم الحديثة ومفاهيمها ، حيث يقول : " الخطوة العملية الطبيعية والأساسية التي لا بد أن نبدأ بها هي جعل اللغة العربية لغة التدريس في جامعاتنا . وبغير ذلك لا فائدة ترجى من وضع المصطلحات باللغة العربية ، وهي جهود مشكورة تقوم بها بعض مجامع اللغة العربية ، إضافة إلى بعض المؤلفين ، ولكن لا فائدة منها ، لأنها توضع ثم تحفظ بعد ذلك في الملفات أو في الأدراج . " (٤٣)

ولعله بنى رأيه هذا على معرفته باللغة ومدى قدرتها على مواكبة روح العصر ، وبما أن المصطلح هو جزء من اللغة ، فحياته من حياة ألفاظها المتداولة ، ولذلك ، وحتى يوضح لنا الصورة ، فإنه يضيف إلى ما قاله سابقا ، إذ يقول : " وحيات المصطلح شأنه شأن أي لفظ ، حياته في استعماله ، ولا يمكن أن يستعمل المصطلح إلا إذا أصبحت اللغة العربية لغة التدريس في جامعاتنا ، حينئذ ، قد نبدأ بمصطلحات أجنبية كما هي ، وكما فعل أجدادنا ، فهم لم يتوقفوا في

(٤٣) جريدة العالم ، مرجع سابق .

البداية طويلا عند المصطلح ، ولذلك ، استعملوا داماطيقا ارثاطيقا ، لوجيقا ... ومن ثم ، وحينما هضموا هذه العلوم ، وأصبح العلم علمهم ، وضعوا كلمة الحساب ، كلمة المنطق ، ووضعوا الألفاظ العربية التي أصبح بعضها تراثا إنسانيا عالميا داخل اللغات الأجنبية وما زال مستعملا فيها حتى الوقت الحاضر . " (٤٤)

ومما يزيد القناعة بسلامة رأيه وصحته أن قضايا المصطلحات لم تتوقف عبر الزمن ، ولم تكن اللغة العربية هي الصعوبة أو المشكلة الأساس من مشكلات وضع المصطلح واستيعابه واستعماله وتداوله ، وإنما الصعوبة والمشكلة الأساس في أمور تتعلق بدمج المصطلح في اللغة وفي كل مستوياتها : المستوى الصوتي ، والمستوى النحوي والصرفي ، والمستوى التركيبي ، والمستوى الدلالي ، عندئذ ، يمكن أن يكون المصطلح قادرا على الحضور في اللغة عند العامة والحضور في اللغة الفنية في العلوم والفنون والآداب والثقافة ، تحدثا وكتابة ، ولغتنا العربية التي استوعبت كل مستحدثات اللفظ والاسم والمصطلح هي اللغة التي كانت أداة ناصر الدين الأسد وغيره في الأعمال والنتاجات الأدبية ، وهي التي كانت تتركب من مركبات اسمية ومركبات فعلية وحروف معاني وأدوات وأسماء لغوية ، أدت من خلالها وظائفها الفنية والإبداعية والأدبية والعلمية ، علما أن تلك المركبات الاسمية والفعلية كانت في الجزء الأكبر منها هي من الأسماء والمصطلحات ، ولعل الاحتجاج بما قاله ناصر الدين الأسد في هذا المجال يدعم هذا الرأي ويعززه ويوضحه ويبعث فيه القوة ، إذ يقول : " لذا فالمسألة ليست قضية لغوية تتمحور حول قدرة اللغة العربية أو عجزها ، فهناك لغات كثيرة كانت قد ماتت مثل اللغة العبرية ، ومع كل هذا ، ومنذ سنوات قليلة أثر إنشاء الجامعة العبرية ، وإنشاء المعهد التقني في حيفا ، جرى الإصرار على أن تبدأ الجامعة والمعهد

(٤٤) المرجع السابق نفسه .

باستعمال اللغة العبرية ، وهي لغة ميتة حقيقة ، ولكن ، وفي خلال سنوات قليلة بسبب استعمالها في التدريس في الجامعات وفي البحث العلمي ، أصبحت اللغة العبرية الآن لغة حية ، بل لغة علمية أيضا ، تفي بأغراض التدريس الجامعي والبحث العلمي . فإذا كان هذا الحديث ينطبق على اللغة العبرية ، فلا شك أن اللغة العربية ، أولا : بماضيها الزاهي الذي استطاع أن يستجيب لكل متطلبات العلم في قرون متطاولة ، ثم بعد ذلك : في غناها وخصبها في مفرداتها وقواعدها ، لا شك أنها أقدر من غيرها من اللغات على أن تواكب التطور وروح العصر ، وأن تفي بحاجات المصطلح العلمي والأغراض العلمية .^(٤٥)

ويدعو ناصر الدين الأسد في غير موضع ، وعند التعامل مع المصطلحات والأسماء ، وعند استعمالها في التراكيب والجمل والفقرات والنصوص ، أدبية أو فنية أو علمية ، إلى تحري الدقة ، وتحقيق مدى صحة المصطلح ، من حيث الجوانب اللغوية والجوانب المتعلقة بالمفهوم والجوانب الدلالية فيه ، كما يدعو إلى ضرورة تحديد المصطلح تحديدا يفي بحاجة سائر ألفاظ اللغة إليه في التركيب النصي الواحد ، وتحديد ما يحتاجه إلى بقية الألفاظ السابقة عليه أو التابعة له في التركيب اللغوي النصي الواحد أيضا ، كي يكون في وضعه الصحيح وفي مكانه الملائم الذي يحصنه من الالتواء أو الانحراف التفسيري المفاهيمي والتصويري والمعلوماتي والتأويلي والدلالي ، وقد بين رأيه هذا في بعض المواضع في بعض نصوصه الأدبية عندما كان يقع المصطلح في مشكلة تتعلق بإيضاحه وتفسيره ، إذ يرجع ناصر الدين الأسد السبب في اختلاف تفسيرات المصطلح الواحد أو المصطلحات المترادفة أو الأسماء المتعددة للمسمى الواحد ، إلى عدم تحديد اللفظ أو المصطلح نفسه ، وإلى غموض التراكيب الذي يقول عنه الأسد إنه ربما يكون غموضا مقصودا ليتمكن

(٤٥) المرجع السابق نفسه .

أصحاب ومتداولوا ذلك المصطلح أو الاسم من التلاعب به وبالتراكيب التي ركب فيها أو وظف فيها ، ولتتمكنوا أيضا من تكييفه وتغيير تفسيره بما يتناسب مع مصالحهم ومصالح دولهم . واستدلوا على ما ذهب إليه ، وما رآه من رؤى وآراء ، وما حلله وفسره من مواقف الآخرين في استعمال بعض المصطلحات والأسماء والألفاظ والمفاهيم والتعبيرات اللغوية التي تحمل معان وأفكار ودلالات ، فإنه قد أشار إلى ابتعاد كثير من المصطلحات عن معناها اللغوي وعن دلالاتها ؛ الدينية أحيانا ، والجغرافية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، واللسانية ، أحيانا كثيرة ، فكانت بذلك غير واضحة ، ومتناقضة مع مصطلحات أخرى مرادفة لها أو تراكيب لغوية تؤدي الدلالات نفسها التي تؤديها تلك المصطلحات ، ومتشعبة ، وغير ظاهرة في مقاصدها ، وغير قريبة من قلوب وعقول المدركين والمختصين والواعين واللغويين والنقاد - في غالبيتهم - من أبناء العربية ، ومن يساندون مصالحهم وقضاياهم السياسية والمصرية من الأمم الأخرى . ومن الأمثلة على ذلك ، هناك الكثير مما حدث في هذا العالم ، و " لقد بين لنا الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد كيف تشتت المصطلحات والعبارات - المتعلقة بقضية فلسطين - انتباهنا ، وتبعدنا عن التفكير في الموضوع ، وضرب مثلا على ذلك بمقولة إزالة آثار العدوان - وهو بالمناسبة مصطلح عربي - بدلا من إزالة أسباب العدوان ، والنقل بدلا من الطرد ، وأضيف : ... والمستوطنات بدلا من المستعمرات ، وعرب إسرائيل بدلا من عرب فلسطين ، وإعادة الانتشار بدلا من الانسحاب ، ... ، وعندما نقبل المنطق نقبل صاحبه ودولته ومؤسساته . " (٤٦)

(٤٦) كتاب (ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة) ، مرجع سابق ، بحث بعنوان (ناصر الدين الأسد وروح العصر) ، حسني عايش ، ص ١١٥ .

لقد وظف ناصر الدين الأسد المصطلحات والتعبيرات الاصطلاحية والسياقية في لغته الفنية في أعماله الأدبية ، متجاوزا كل المشكلات الوظيفية ، والمشكلات التصنيفية ، وواضعا كل مصطلح أو تعبير اصطلاحى أو سياقى في موضعه الملائم والمناسب وفي مكانه الصحيح ، حيث تبين وبكل وضوح اهتمامه الكبير بكل قسم من أقسام تلك المصطلحات التي استعملها ، حتى ظهرت استقلالته بمصطلحاته الخاصة ، واستقلالته بالمصطلحات التخصصية التي كانت ضرورية ولازمة في بناء لغته الفنية ، وبالتالي ، بناء نصوصه الأدبية ، وكأن الكثير منها كان استعماله مرتبطا بناصر الدين الأسد الكاتب والمتحدث المبدع ، لما لها من قيمة تركيبية ، وقيمة معنوية ، وقيمة مفهومية ، وقيمة تصويرية ، وقيمة دلالية في نتاجاته الأدبية ، رغم تعدد أزماتها ، واختلافها ، ورغم تعدد أقسامها ، حيث إنها كانت تنتمي إلى عدة أقسام ، ومن هذه الأقسام : المصطلحات المشتقة من الأفعال المنصرفة ، والمصطلحات المشتقة من الأسماء الجامدة ، والمصطلحات المأخوذة من الألفاظ الأعجمية التي أدخل عليها العرب التحوير الذي جعلها تناسب النطق والتركيب والمفهوم والفكر العربي ، والمصطلحات المعربة ، والمصطلحات المترجمة ، والمصطلحات التي وضعها علماء سابقون في العربية .

لقد تنبه ناصر الدين الأسد - وهذا ما تبين من البنى اللغوية والنصية الأدبية في نتاجاته الأدبية - إلى الفروق بين المصطلح - وطرائق توظيفه في التراكيب والجمل والتعبيرات والمباني الأدبية بالصورة الإبداعية المطلوبة - والتعبيرات السياقية والاصطلاحية ، فكان حريصا على استخدام واستعمال المصطلح في الموضوعات الأدبية المتخصصة أكثر من استعمال واستخدام التعبيرات الاصطلاحية والسياقية ، كما كان أكثر حرصا على أن يكون لكل مصطلح معناه ومفهومه

وصورته ودلالته في التركيب اللغوي على المستوى اللغوي ، وفي البناء النصي على المستوى الفني والإبداعي الأدبي ، مما أضفى على لغته الفنية وعلى نصوصه الأدبية سمة الخصوصية الاصطلاحية أكثر من سمة استخدام التعبيرات الاصطلاحية والسياقية التي كثيرا ما تستخدم في اللغة العامة والمتداولة بين الناس .

وقد كان مما قاله ما يدل على طريقته وأسلوبه في التعامل مع الفروق بين المصطلحات وبدائلها من حيث توظيفها واستعمالها ، حيث قال : " ومع أننا نحن جميعا ندعو إلى التواصل الثقافي والانفتاح بين الثقافات العالية ، إلا أننا لا نرى أن هذين المصطلحين هما بديلان عن (الغزو الثقافي) ، فالمصطلحات الثلاثة وأشباهها قائمة ، ومفهوماتها موجودة متجاورة ، ولا بد من التفريق بينهما تفريقا يحدد معالمها ويوضح أيضا نتائجها . " (٤٧)

لقد سعى ناصر الدين الأسد إلى أن يكون للمصطلح موقع مهم في تراكيب لغته الفنية وأبنيتها ، وذلك من خلال التعبير عن المفهوم الواحد بأكثر من مصطلح واحد ، ومن خلال تفعيل الجانب الدلالي للمصطلح ، ومن خلال الدقة في التعبير ، ومن خلال تركيزه على اختيار المصطلحات العربية - القديم منها والحديث - وصولا إلى المعنى أو الصورة أو الدلالة التي كان يريد بها .

ولكن ازدحام موضوعاته ونصوصه الأدبية بالمعاني والمشاعر والأفكار والصور الذهنية والمفاهيم ، جعله يكثر من توظيف واستعمال المصطلحات ، لما لها من قيم تركيبية بنائية ، وقيم دلالية ، وقيم تواصلية ، أكثر من بقية ألفاظ اللغة العربية التي تصنع العلاقة اللغوية أو القرينة

(٤٧) الأسد ، الهوية والعولمة ، مرجع سابق ، ص ٦ .

اللغوية التوضيحية والترابطية والتفسيرية بين هذه المصطلحات في إطار البناء اللغوي الواحد ، وفيما بعد في إطار البناء النصي الأدبي الإبداعي .

وبناء على ذلك ، وبخاصة عند توظيفه للمصطلح النقدي أو المصطلح الأدبي ، فإنه يمكن القول بأن مصطلحاته تلك كانت تتولد من الأسلوبية الأدبية المجازية التي وفرت للغته الفنية القدرة والإمكانية على الاعتماد على النظريات النقدية التي انطلقت عند ناصر الدين الأسد من محورين أساسيين : أولهما رؤيته الفنية الناقدة النافذة للأعمال الأدبية التي كانت موضوعات لدراساته وأبحاثه ومؤلفاته وأعماله الأدبية ، تلك الرؤية التي تكونت - كما يبدو - من المكون الطبيعي للغة ناصر الدين الأسد العربية العالية ، ومن المكون الثقافي الذي تميز به ناصر الدين الأسد ، والذي يشكل وعاء لشخصيته بكل مقوماتها وسماتها . وثانيهما : القيمة النقدية ، أو التقييم النقدي الذي لا يمكن له أن يكون إلا من خلال توظيف المصطلح المناسب في الموضع المناسب ، ليتكون ولينشأ من شبكة التصورات التي تمثل الأحكام النقدية بجميع أركانها وأنواعها ، فكان ، بذلك ، التعبير الرؤيوي والتعبير القيمي أو التقييمي النقدي تعبيرا باحثا عن العلامات الحاملة للتصورات ، ومبرزا العلاقات الناشئة من تولد المصطلح النقدي من اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد في وضعها في التعبير الحقيقي ، وعند وضعها في التعبير المجازي .

وليس هذا فحسب ، وإنما كان للمصطلحات دور كبير في تطوير لغته الفنية الأدبية ، ولا سيما عندما كانت تطرأ التداخلات بين المفاهيم والأفكار والمعاني والصور بما بينها من علاقات ووشائج تركيبية ، لأن تلك التداخلات كانت تجعله يأتي بمصطلحات مرادفة في التركيب اللغوي ، ولكنها لا تخل بموضع أو بأهمية أو بقيمة أو بوظيفة المصطلح البؤري المحوري في ذلك التركيب

اللغوي ، مما وسع الدوائر الوظيفية والدلالية للغة الفنية الأدبية ، وربما كانت تظهر تلك المصطلحات المرادفة على هيئة صفات للمصطلح المحوري وتدور في فلكه ، فتقويه وتدعمه في إبلاغيته ووظيفته التي وضع في التركيب أو في النص الأدبي من أجلها .

إن هذه السمة التي اتسم بها المصطلح في لغة ناصر الدين الأسد الأدبية ، ترتبط بسمة الذائقة الأدبية التي تنبعث من المصطلح عندما يكون جزءا من اللغة الفنية الأدبية ، إذ يمكن ، عندئذ ، القول بأن كثيرا من مصطلحاته التي وردت في أعماله الأدبية كانت مصطلحات ذوقية في المستوى اللغوي التركيبي وفي المستوى الأدبي الإبداعي وفي المستوى التواصلية والوظيفي والثقافي ، وذلك لأن ناصر الدين الأسد يتزع دائما إلى وضع الأمور في نصابها الصحيح ، بنفس القدر الذي يتزع فيه دائما إلى إيجاد التوازن والتفاعل والتوافق والانسجام بين النص أو الخطاب الأدبي وبين ألفاظه وتراكيبه ومصطلحاته .

ولإلقاء المزيد من الضوء على هذا الجانب من جوانب إبداعه النقدي بلغة مناسبة اشتملت على المصطلح النقدي الدقيق المحدد والمعبر عن مقاصده ومعانيه ، فإنني أرى من المناسب الاستدلال ببعض المقتطفات من أعماله النقدية الأدبية ، حيث يقول في جزء من أحدها : " هذه الحركة التي تسمى - ظلما - بالشعر الحديث ، نحن نختلف معهم على الألفاظ ، لو قالوا إن هذا (شعر منشور) ، لو قالوا : إن هذا نثر فني من النوع الجديد ... لما ناقشناهم ، ولما أنكرنا عليهم هذا الذي يكتبونه ، ولكن ، أن يقولوا : (إن هذا شعر) ، فهذا الذي ننكره عليهم ، فالقضية إذن هي قضية تسميات ، فليغيروا الاسم ، حينئذ نتعرض لهم ، هؤلاء تأثروا بثقافات لا تمت لثقافتنا ولا لثقافتنا بصلة ، هم تأثروا بحركة وجدت في أوروبا ، والولايات المتحدة ، وقلدوا رواد هذه الحركة تقليدا

يكاد يكون حرفيا ، وغاب عنهم أن العوامل التي أنشأت تلك الحركات غير موجودة عندنا ، وغاب عنهم أن طبيعة تراث تلك البلاد مختلفة عن طبيعة تراثنا ، وأن التجديد في ذلك التراث لا يجوز أن يحتذى في تراثنا نحن ، لأن الطبيعة مختلفة ، وغاب عنهم أن اللغات تختلف في طبائعها ، وأن ما ينطبق على اللغة الإنجليزية والفرنسية ، ليس بالضرورة مما ينطبق على اللغة العربية ، وذوق المتلقي يختلف ، من أجل هذا ، هم وقعوا في هذا الذي ننكره عليهم . " (٤٨)

وكما قال في موضع آخر : " فإني أرجو ألا أكون مسرفا على نفسي ، وعلى الحقيقة التي أجهد في تحريرها وجمع النصوص لتوضيحها ، إذا خلصت من ذلك إلى أنه كانت في الجاهلية نظرية غنائية تقوم على الإيقاع الموزون ، ولها طرائق ومصطلحات فنية ، ... " (٤٩)

وكان من مصطلحاته التي استعملها المصطلحات اللغوية التي جعلت من لغته الفنية في أعماله الأدبية لغة تستوعب المصطلح اللغوي مهما كان مصدره ومنبعه ، مما ميز المصطلح اللغوي بقيمته التركيبية اللغوية ، ومما ساعده على توضيح المعاني والدلالات اللغوية ، وذلك من خلال قدرته على استيعاب المفاهيم اللغوية ، وما يرتبط معها من أفكار ومشاعر وصور ذهنية .

أما المصطلح الديني ، فإنه لا يقل شأنا عن المصطلحات الأخرى عند ناصر الدين الأسد ، فبالإضافة إلى قيمته الدينية في الدلالة والمعنى والمفهوم الديني ، فإن قيمته الاصطلاحية وقيمه اللغوية التركيبية البنائية التي تضيف على النص سمة إبداعية في موضوع النص الأدبي الذي وردت فيه ، لم يخف دورهما في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، وتمييزها بميزتها الموضوعية ، وميزتها الإبلاغية الأدبية ، حيث إن أسلوبه في معالجة الموضوعات الدينية كان له أركان منها أنه يستخدم أدوات اللغوية المشتملة

(٤٨) جريدة الشرق الأوسط ، ١٩٨٨ع ، تاريخ ١٨ / ٥ / ١٩٨٤م ، مقابلة مع الدكتور ناصر الدين الأسد .
(٤٩) الأسد ، ناصر الدين ، القيان والغناء في العصر الجاهلي ، ط ٢ ، طبعة منقحة مزيّدة ، ١٩٨٨م ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص ١٢٨ .

على المصطلح الديني المتخصص ، ذلك المصطلح الذي له حضوره المتميز في بنائية النص الأدبي بشكل عام . ويستحسن في هذا الموضع أن نقتطف بعضا مما أنتجه في هذا الباب ، بقصد الاستشهاد والاحتجاج به على المستوى الاصطلاحي الذي كان في النصوص والتأجمات الدينية التي أبدعها في الجانب الديني ، إذ هو الذي يقول : " ومن كل ما تقدم يتبين لنا كيف يقلب بعضهم الدلالات اللغوية للألفاظ ، ويتعدون بها عن معانيها ومفاهيمها ومضامينها الصحيحة في تفسيرها وتطبيقها ، في حين كانت تدل استعمالاً في سياقها وقرينتها اللغوية والاصطلاحية ، وفي تطبيقها في عصورها الأولى ، على أنبل المعاني وأسمى مراتب حقوق الإنسان ، ولذلك كان لا بد دائما من التنبيه إلى الفرق بين حقيقة الإسلام كما تمثلها آيات القرآن وسنة الرسول ، وكما يمثلها روحه ومنهجه وبين أخطاء الفهم والتفسير التي وقع فيها بعض المسلمين في العصور التالية ، وهي أخطاء صاحبها أيضا أخطاء في التطبيق والمعاملة ، مخالفة كل المخالفة للإسلام الذي جعل غير المسلمين في دار الإسلام مواطنين في (أمة) مع المسلمين ، وفرض لهم الرعاية والحماية وعدم المساس بحقوقهم لأن لهم منزلة إضافية أخرى - مع المواطنة - وهي أنهم (بذمة الله وبذمة رسوله) - ولذلك فهم بذمة كل مسلم . " (٥٠)

لموقفه من المصطلح ، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالمصطلحات والموضوعات الدينية والسياسية والاجتماعية ، موقف واضح يحمل الدعوة إلى استخدام أفضل السبل وأنجحها وأكثرها تطورا مع المصطلح واستنفاذ كل ما فيه من قيم لفظية لغوية ، وقيم موضوعية وفكرية وشعورية ، وقيم دلالية ، وقيم اصطلاحية ، للحفاظ على تراث وثقافة الأمة ، ودرء الأخطار المتأتية من طريق استخدام المصطلحات في ثقافة الأمة العربية القومية ، ولعلني أسير في سبيل رأيه الذي يديه في هذا

(٥٠) الأسد ، ناصر الدين ، نحن والعصر ، مرجع سابق ، ص ٥٢ - ص ٥٣ .
٣٣٣

المجال ، هذا الرأي الذي يدل عليه قوله : " ومن هنا تظهر قيمة سك (مصطلحات) دينية وسياسية واجتماعية ، وبثها في وسائل الإعلام المختلفة وتردادها والإلحاح عليها ، وربما استهجانها في البدء ، ثم مع طول الإلف استكانت لها النفوس وأصبحنا نردها نحن أنفسنا بعد أن تشربت عقولنا ونفوسنا بمضامينها ، فانسلخنا من مصطلحات ثقافتنا ومفاهيمها وتغرب فكرنا وشعورنا ، والحديث عن المصطلح وخطره حديث طويل . " (٥١)

ويجدد ناصر الدين الأسد دعوته ، في كثير من اللقاءات الإعلامية ، والمحاضرات التي يلقيها ، إلى الاهتمام الشديد والدقيق والمدرّوس والمتمعن في جميع المصطلحات المستحدثة التي أصبحت قيد التداول بين كثير من الكتاب والباحثين العرب ، لأنها وضعت متلازمة ومتناسبة مع المفاهيم والمعاني ذات الغايات والأهداف التي تؤثر سلبا على ثقافات الأمم الأخرى ، التي منها الأمة العربية بالدرجة الأولى ، حيث يستعملها أصحابها لغايات في نفوسهم ، ولكننا عندما نستعملها ، لا ندرك غالبا خطورة بعضها على ثقافتنا العربية ، ويمضي في دعوته إلى تشديد الحرص الثقافي على المفاهيم والمصطلحات التي تكون بصيغ نابعة من الثقافة العربية الإسلامية ، وصيغ متوافقة مع مقتضيات التسارع الحضاري العصري الحالي ، وإلى تشديد الحرص الثقافي أيضا على تجنب - قدر الإمكان - المصطلحات والمفاهيم والأفكار التي تؤدي إلى مسح الذاكرة العربية أو بعض أجزائها من تراث وثقافة وحضارة الأمة العربية ، وتؤدي إلى تقييد الشعور القومي والوطني العربي .

وتضمنت أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية في جانب منها مؤلفات ونصوصا أدبية تشتمل على المصطلح التاريخي الذي موضعه ناصر الدين الأسد في موضعه الصحيح في التركيب اللغوي ،

(٥١) الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة بعنوان (اللغة وهوية الأمة) ، ألقاها في منتدى شومان ، بتاريخ ١٣ / ٩ / ٢٠٠٤ م ، ص ٤ - ص ٥ .

فعبر عن الدلالة والمعنى الزمني التراكمي ، وعن الدلالة والمعنى الزمني التأريخي ، وعن الدلالة والمعنى الزمني الحدتي ، مما أضاف سمة إبداعية أخرى تميز بها المصطلح التاريخي المتخصص في كونه إطاراً للعلاقات بين الحدث وزمن وقوعه وامتداد أثره والتأريخ له من خلال اللغة التعبيرية المناسبة المعتمدة على المصطلح التاريخي ذي المفهوم العلائقي المتداخل من خلال التاريخ مع الأدب كفن من فنون الإبداع الأدائي واللغوي والتواصلية .

وأظن أنني لا ابتعد عن الصواب إذا ما قرنت بين الزمان والمكان وما فيهما من أوعية لفظية اصطلاحية ، فالزمان تاريخ وحدث وتأريخ ، أما المكان فهو الحيز الذي يشمل الحدث والإنسان ، وأرمي من هذا إلى القول بعلاقة الزمان والمكان ، حيث أقتفي في هذا الأمر أثر ناصر الدين الأسد الذي قدم أعمالاً أدبية فيها عن المكان الشيء الكثير ، وبأسلوبية فنية أدبية فيها من البلاغة والبيان ما أضفى على تلك النصوص الأدبية قيمتها الفنية الموحية والدالة والمعبرة ، بمقدار ما أبلغته من القيم المتعلقة بالمكان وأثره في حياة الإنسان ، فأورد ناصر الدين الأسد المصطلح الجغرافي الذي استوعب الآلية المكانية ذات الأسماء أو التسميات أو الألفاظ أو المصطلحات التي خدمت لغته الفنية ، وخدمتها لغته الفنية ، إذ حملت تلك المصطلحات الجغرافية الحدود والآفاق والأحداث والإشارات والرموز والدلالات التي تبعث في المتلقي القيم الوطنية والانتماء ، كما تبعث المشاعر والوجدانيات الدافعة للعقل العربي للبحث عن الحفاظ على جميع المكتسبات المتمثلة في لغته القومية اللغة العربية ، وفي تاريخه وما يحمله من التراث الأصيل التليد ، وفي الأرض التي هي ملكه ورمز بقائه ، وفي الإنسان الذي يشاركه الإقامة والمكث والبقاء فوق تراب الأرض العربية ، وفي الحاضر الذي يحمل في طياته الكثير ، وفي المستقبل الذي يحلم فيه المرء ، فالمصطلح المكاني أو الجغرافي - إذن - كان قد

وظفه ناصر الدين الأسد توظيفاً حقق ما أرادته له من غايات وأهداف لغوية وفنية وأدبية وجغرافية وإنسانية .

واعتقد بأن المصطلح الاجتماعي قد كان له دور ومكان في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، وتجلى ذلك الدور من خلال المعاني والصور والدلالات الاجتماعية التي بثها ناصر الدين الأسد في كثير من الموضوعات الاجتماعية الثقافية الأدبية التي بحث فيها ودرسها وقال فيها الكثير من الأدب الرفيع المثير ، ومن خلال ما لهذه المصطلحات الاجتماعية من صياغات وتراكيب لفظية ولغوية تقرب المفاهيم والمعاني والدلالات إلى نفس المتلقي وعقله بسهولة وسرعة وطوعية أكثر من غيرها من المصطلحات ، كما تمس حاجات ذلك المتلقي من حيث القضايا والأمور الحياتية التي يعيشها بكل ما فيها من معطيات وجوانب تحتاج إلى دراستها والبحث فيها وتوجيهها الوجهة التي تيسر له حياته ، وتجعله يشعر بإنسانيته ، وهذه الميزة التي تميزت بها المصطلحات الاجتماعية عند ناصر الدين الأسد جعلت أعماله الأدبية - بكل ما تضمنته من رؤى وتصورات وأفكار ومعلومات وخبرات وثقافة - تكون قريبة مستساغة مفهومة ومستوعبة من قبل المتلقي ، وتكون مساهمة في تكوين شخصيته - نفساً وعقلاً - ومساعدة له على التغلب على مشكلات الحياة ، وبالقدر نفسه كانت هذه الميزة قد جعلت ناصر الدين الأسد الإنسان العالم قريباً من القلوب والعقول ، وحياته بين الناس في جميع مستوياتهم ، وبخاصة عند من تعمقوا في نتاجاته الأدبية ، لخير شاهد على ذلك .

وما يشهد على روحه الاجتماعية الإنسانية ما لفت نظره من أوضاع تعرض إليها أناس في القديم وفي الحاضر ، فجاء المصطلح الاجتماعي في لغته الفنية الأدبية حاملاً دلالات وافية في هذا الموضوع ، وفي مقولته التالية بعض الدليل على ذلك ، إذ يقول : " ... ، وهذان الوجهان من

الوضوح والجلال بحيث لا نحتاج إلى كبير عناء في استقصاء النصوص ، وإيراد الشواهد لتبليغها ،

وإنما تغنينا اللمحة العابرة والإشارة الموجزة ، ... ، فإننا لا نكاد نخطو في قراءة أيام العرب حتى

تلفتنا عبارات تفيد السبي والاسترقاق ، ... " (٥٢)

ولعل من الشواهد على ذلك أيضا ما أثبتته من آرائه في القضايا

الاجتماعية المتعلقة بالقضايا السياسية في حياة الأمة العربية والإسلامية ،

وهناك آراء مبثوثة في مواضع مختلفة متفرقة في نصوصه الأدبية التي أبدعها ،

إذ يمكن الاستشهاد بالنص التالي كنموذج منها ، إذ يقول فيه : " ونبدأ بموضوع

(الحكومة الإسلامية) وبيان معناها وطبيعتها ، فهي كثيرا ما يصفها غير العارفين بها من الجاهلين

لحقيقتها ، أو أصحاب الأهواء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه بأنها حكومة (دينية) أو (

ثيوقراطية) تقوم على أساس (الجبرية الغيبية) لا مجال فيها لحرية الفرد واختيار الأمة . " (٥٣)

أما المصطلح السياسي ، فإنه قد توزع في كثير من أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ،

وانتشر فيها ، لعدم انفصال السياسة بجميع جوانبها عن الحياة العامة ، ولعلاقته مع جميع

الموضوعات التي أنشأ فيها ناصر الدين الأسد قبابا أدبية تحوي في أعماقها فصولا من السياسة

وقضاياها التي هم الإنسان العربي ، والإنسان غير العربي ، فأدخلها في قاموسه اللغوي الذي نهل منه

في صياغة وتركيب حديثه وكتاباتة التي يعالج فيها تلك القضايا والأمور السياسية وتوضحها

وتكشفها ، وتجعل منها سهلة التناول ، وسهلة الفهم والوعي والإدراك ، كما تجعل منها الموجه

للاتجاهات والمشاعر والقيم الإنسانية والوجدانية لدى المتلقي ، وبأسلوبية مناسبة ، بلاغيا وإبلاغيا

(٥٢) الأسد ، القيان والغناء في العصر الجاهلي ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

(٥٣) الأسد ، ناصر الدين ، نحن والعصر ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

وفنيا وأديبا . حيث ساهمت تلك المصطلحات في الكشف عن قدرة ناصر الدين الأسد وكفايته السياسية ، وعن رؤاه السياسية ، وعن توجهاته السياسية الإنسانية التي لها دلالاتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والمنفعة للإنسان والإنسانية ، بروح تنطلق من العدالة والحق الطبيعي للإنسان والقانون الطبيعي الذي يعد جزءا من فطرة الله تعالى التي فطر الناس والكون عليها ، فمثلا ، " ... ، وفي إشارته إلى مصطلح الشرعية الدولية ، ينبهنا الأستاذ الدكتور الأسد إلى موضوع مهم ، وهو موضوع القانون الدولي ، الذي انبثق - تاريخيا - من معاهدات واتفاقات غلبت القوة والإملاء على صياغتها . حقا ، إن تاريخ القانون الدولي هو تاريخ القوة والغلبة ، أي : إنه تاريخ حق القوة ، وليس تاريخ قوة الحق أو العدل . " (٥٤)

ولأن ناصر الدين الأسد يرى أن المصطلحات تكتسب معاييرها الحقيقية من خلال توظيفها واستعمالها الدقيق الصحيح الواضح المهادف إلى العدل والحق ، فإن المصطلح السياسي الذي وظفه في نتاجاته الأدبية مصطلح انتشر تأثيره عبر قنوات اللغة الفنية الأدبية إلى الإنسان العربي والإنسان الأجنبي على حد سواء ، لأنه أظهر الاتجاهات والمواقف والقضايا وحللها وفسرها وعللها وركب منها دلالات وإيماءات تدفع إلى البحث عن الصدق والعدل والثقة في التعايش والتعامل بين الناس ، أفرادا ومجتمعات ودولا ، وهذا كله وغيره مما يضيق بنا المجال عند التحليل والبحث عن ذكره ، كان بسبب ما قدم ناصر الدين الأسد من أعمال أدبية فيها خدمة للإنسان في الإطار السياسي الذي كان المصطلح السياسي - بما فيه من المفاهيم والآراء والمعاني والصور والرؤى والدلالات - جزءا منه ، له الدور الكبير في تنظيم الشؤون السياسية للإنسان .

(٥٤) ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، بحث (ناصر الدين الأسد وروح العصر) ، حسني عايش ، مرجع سابق ، ص ١١٦ .

ويستحسن لتوضيح الموقف والصورة التي تحتوي على أسلوبه وطريقته ونواياه وأهدافه من
توظيف المصطلح السياسي في أعماله الأدبية ، فإنه يمكن أن نجد المثال على بعض مواقفه التي تجلت
في أحد نصوصه الأدبية ، حيث يقول : " إن الشرعية تسير في ركاب (القوة) و (المصلحة) وأنه
لا علاقة لها بـ (الحق) و (العدل) ولا بـ (الشرع) من حيث هو (وضوح) و (ظهور) و (قرب) بل إن (الشرعية) قد تنقص (الحق) و (العدل) وترتدي مسوح (الوضوح) و (الظهور) لتتكر فيها وتخفي صورتها الحقيقية القائمة على (القوة) ولو كانت غاشمة ، وعلى (المصلحة) ولو كان فيها إهدار لمصالح الآخرين . ولذلك نراها تلجأ إلى (المصطلح) الذي تجد فيه
لفظا يزين المعنى القبيح الحقيقي ويحسن صورته أو يخفف من قبحه ونفور الأسماع
والنفوس منه . و يكون ذلك بأن يقوم (مصمموا أزياء لفظية وفكرية) مهرة بـ (تفصيل)
أردية تغطي عيوب المعنى وتبرز له محاسن مصطنعة . فوضعوا مثلاً مصطلح (حقوق الإنسان) وهو
مصطلح لا يملك أحد إلا أن يقبله ويدافع عنه ، ولكن بعض الدول القوية تتخذه أحياناً ذريعة
وستارا للتدخل في شؤون الدول الأضعف ، وتغيير رؤسائها أو أنظمتها ، وتأليب مواطنيها
والأمثلة كثيرة على سبك مصطلحات مقبولة الشكل لتزيين المعاني التي تسبب النفور بحيث يقبلها
الناس ويتخذون بها عن المعنى الحقيقي ، فتستدر النفوس والعقول لكثرة ترديدها وينسى اللفظ
الأصلي ويزول معناه . فقد غير علينا زمان أخذنا نكرر فيه شعار (إزالة آثار العدوان) حين كان
يجب أن يكون التعبير (إزالة أسباب العدوان) إذ إن إزالة الآثار مع بقاء الأسباب ، في كل أمر ،
هي نظرة قاصرة ، لا تجدي على المدى الحقيقي البعيد ، بل قد تدعو إلى تفاقم الأمر وعودة (آثاره) وانتشارها . " (٥٥)

(٥٥) الأسد ، نحن والآخر ، مرجع سابق ، ص ٤٥ - ص ٤٧ .

إن أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية شبكة فنية أدبية إبداعية أكاديمية ، لها إطارها الخاص بها ، ولها خيوطها التي تصل أركانها ومستوياتها ، وتحقق الغايات والمقاصد التي أبدعت وألفت من أجلها ، ولما كان من بين تلك الغايات والمقاصد والأهداف وضع القضايا الاقتصادية المتلازمة مع القضايا الاجتماعية والقضايا السياسية والقضايا التربوية والتعليمية والقضايا العلمية والقضايا الثقافية والقضايا الدينية ، وغيرها من القضايا الأخرى ، فإنه لا بد من البحث في موضوع المصطلحات التي كانت ركنا من أركان اللغة الفنية الأدبية التي انبثت عليها كأساس لغوي ، وبعد الحديث عن ما سبق من أنواع وأصناف المصطلحات الخاصة ببعض القضايا ، فمن الضروري - حتى تكتمل حلقات البحث في المصطلح والتعابير الاصطلاحية والسياقية عند ناصر الدين الأسد - أن يستمر الحديث والبحث في ما تبقى من أنواع المصطلحات الأخرى ، كالمصطلحات الاقتصادية التي أخذت مواضعها إلى جانب المصطلحات السياسية والمصطلحات الاجتماعية في كثير من أعماله الأدبية ، حيث أسهمت في البناء اللغوي والتركيب ، والبناء النصي الأدبي إسهامات فاعلة مؤثرة مقنعة وجاذبة لردود الأفعال لدى المتلقي ، كما أسهمت في نقل وإبلاغ المعرفة والفكر والخبرة والمشاعر بالأسلوب الأدبي المؤثر ، وبالأسلوب الذي يبني فكر وثقافة المتلقي في هذا المجال ، من خلال ما تميزت به تلك المصطلحات من سعة ودقة في ما عبرت عنه من مفاهيم ومحتويات وصور وآراء وأحكام ومعارف تبعث على التفاعل معها وربطها بالحياة العملية الواقعية .

أما المصطلحات الثقافية ، فقد كانت جزءا من الأداة التعبيرية في أعماله الأدبية ، وكانت تشكل أوعية زاخرة مكتنزة بالمضامين التي تنبئ عن ما يتعلق بموضوع الثقافة والمتقف والتثقيف

وأدواته ووسائله وسبل الارتقاء بهذا الجانب من جوانب حياة الإنسان العربي ، تلك الأوعية الاصطلاحية اللفظية والتركييبية التي ارتقت بأداة القول والخطاب والكتابة في أعماله الأدبية ، كما ارتقت بالثقافة نفسها وبمضامينها وأطرافها وأركانها التي يعد المصطلح بجميع أقسامه وأنواعه عند استحداثه وعند تداوله واستعماله جزءا لا يتجزأ منها ، فأخذت مواضعها من القول والفعل من خلال النصوص الأدبية التي زانتها تلك المصطلحات ، وجعلت لها الجاذبية واللذة والمتعة الأدبية إضافة إلى ما فيها من المعارف والخبرات والمشاعر والصور المخفزة للمتلقى على المشاركة والتفاعل السماعي والقرائني لأعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، فهذه المصطلحات الثقافية لها الميزة بأنها من الأدب وإليه ، والأدب من الثقافة وإليها ، ومن الإبداع وإليه ، والإبداع من الثقافة وإليها ، فهي إذن من الثقافة وإليها أيضا .

وإضافة إلى ما سبق من أمثلة كانت مدار احتجاج واستشهاد بها ، فإن في المثال التالي من أقوال وآراء ناصر الدين الأسد لبيان لبعض الصور الثقافية المنحدرة من صلب المصطلح الذي له كبير الأثر على المثقفين قبل غيرهم من عامة الناس ، إذ هم المعنيون بوضع المصطلح أو نقله أو تعريبه أو ترجمته من لغات أخرى ، ويقول ناصر الدين الأسد في هذا الصدد : " والأمثلة كثيرة على سبك مصطلحات مقبولة الشكل لتزيين المعاني التي تسبب النفور ، بحيث يقبلها الناس وينخدعون بها عن المعنى الحقيقي ، فتتخدر النفوس والعقول لكثرة ترديدها ، وينسى اللفظ الأصلي ويزول معناه . " (٥٦)

إن اهتمام ناصر الدين الأسد بالحضارة وما فيها من علوم ومعارف ، جعله يطرق أبواب بعض تلك العلوم والمعارف ، فدعا في كثير من المناسبات ، وقد أتاحت له بعض المسؤوليات

(٥٦) الأسد ، هل يعطي حق التدخل شرعية جديدة للاستعمار ؟ ، مرجع سابق ، ص ٧ - ص ٨ .
٣٤١

الأكاديمية والرسمية التي تقلدها ولوج هذا الموضوع من بابه الواسع ، فأبدع فيه الكثير ، إلى حوار الحضارات ، ويرى الأسد أنه " قد يكون لمصطلح (حوار الحضارات) شيء من المعنى إذا قصد منه تأثير كل حضارة بحضارة ، أو الحضارات السابقة لها ، فهو معنى (عمودي) يضرب في الماضي ، وليس شعارا (أفقيا) يضرب في الحاضر ، وهذا التأثير بين الحاضر والماضي أمر مؤكد ثابت لا تكون الحضارة حضارة إلا به . " (٥٧) ، وهكذا ، يبدو فهمه لموضوع حوار الحضارات ، وفهمه للعلاقة بين الثقافة والحضارة ، إذ في مقالة له بعنوان (المثقفون العرب ... والتواصل بين الحضارات) يقول : " في العنوان كلمتان يختلف الباحثون في مفهومهما ، هما (الحضارة) و (الثقافة) : هل هما شيء واحد بلفظتين مترادفتين ، أو هما شيان متقاربان متداخلان ، بينهما بعض الاختلاف ، ولكنهما يشمل أحدهما الآخر في مجاله الأوسع ، أو شيان منفصلان متغايران لكل واحد منهما مجاله ومفهومه ، وله أيضا حكمه المختلف ، إذ إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ؟ " (٥٨) ويزيدنا ناصر الدين الأسد توضيحا للصورة التي يتصورها في هذا الموضوع ، ويضع آراءه بين أيدي المتلقي ليكشف عن الدلالات والمقاصد التي يهدف إليها صاحبها ، إذ يقول : " ويقتضي هذا الاختلاف أن يبدأ الباحث ببيان مفهومه لكل منهما ، مع التسليم لغيره بأن يختلف معه في هذا الفهم ، ومع علمه بوجود عشرات التعريفات لهاتين اللفظتين ، التي يتقارب بعضها إلى حد التداخل ، ويتباعد بعضها إلى حد التخالف ، على أن يدور الحوار على أساس من مفهوم واحد لكل من هذين اللفظتين ، مهما يكن هذا المفهوم ، إذ لا مشاحة في الاصطلاح ، وإلا أصبحت لغة الخطاب والحوار كأنها لغات متعددة . " (٥٩)

(٥٧) مجلة العربي ، ٥٣٣ع . آذار ، ٢٠٠٣ ، تصدر عن وزارة الإعلام الكويتية ، مقالة بعنوان (المثقفون العرب والتواصل بين

الحضارات) ، من قلم الدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٣١ .

(٥٨) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٠ .

(٥٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٠ .

أما في الحقل الأكاديمي العلمي المنهجي في الدراسات والأبحاث ، وفي التأليف ، ولما تطرق إلى قضايا المنهج العلمي ، فقد تطرق إلى قضايا المصطلح العلمي واستحدثاته واستعماله وتوظيفه وتداوله ونقله وتعريبه وترجمته ، ولما تحدث وكتب ، فقد كان مستخدما للمصطلح العلمي نفسه ، وما استحدث وابتكر ويستحدث ويتكرر من هذا المصطلح في مجالات علمية شتى ، معبرا عن آرائه ورؤاه في هذا الموضوع في بعض من أحاديثه وكتابه ، وموضحا مدى استعداد وسعة وقدرة اللغة العربية والثقافة العربية على استيعاب المصطلح العربي القديم والحاضر والذي يمكن وضعه وابتكاره مستقبلا ، وعلى استيعاب المصطلح الأجنبي إذا ما تمت ترجمته أو تم تعريبه أو تم نقله إلى اللغة العربية ، وقد مثل لذلك بما أخذته اللغة العربية في قديمها وحديثها من المصطلحات من لغات أخرى غير العربية .

وخير مثال على ذلك ، استخدامه واستعماله وتداوله وتوظيفه لبعض المصطلحات العلمية في كتاباته ونتاجاته الأدبية ، تلك المصطلحات التي جعلت حيزها ومواضعها في لغته الفنية الأدبية تنبئ عن قيمتها العلمية وقيمتها الإبلاغية البيانية وقيمتها اللفظية التعبيرية وقيمتها العلمية وقيمتها التأثيرية على المتلقي المتخصص وغير المتخصص ، بسبب أسلوبه الفني الأدبي الرفيع الذي استطاع من خلاله أن يقرب ألفاظها وتراكيبها ومفاهيمها ودلالاتها وعلاقاتها بحياة الفرد في المجتمع وفي الثقافة والحضارة ، من قلوب وعقول المتلقين من أبناء العربية ومن المتكلمين بها من غير أبنائها .

ويرى ناصر الدين الأسد أن قضية المصطلح العلمي " ليست قضية لغوية بقدر ما هي قضية علمية حضارية ، فالأمة التي تخترع وتصنع من حقها أن تضع الاسم الذي تختاره لمخترعاتها

ومصنوعاتها ، وتستورد الأمم الأخرى الأشياء بأسمائها ، ولا ضير على الأمة المستوردة في ذلك ، وإن كان لا بد من ضير فهو في أن تقبل الأمة أن تكون مستوردة للمصنوعات والمخترعات ، وتستكين لذلك ، ثم تنور على أسمائها ليس غير ، فتريد هنا أن تكون مخترعة صانعة للألفاظ دون حقائق الأشياء " . (٦٠)

ولم يفت ناصر الدين الأسد العالم الموسوعة التطرق والبحث في القضايا والأمور التربوية والتعليمية والإدلاء بآرائه وأفكاره ومعارفه وخبراته فيها ، ويان مشاعره نحو هذه القضية المهمة في حياة الفرد العربية ، وتوضيح تصوراته فيها ، حيث قال الكثير وكتب الكثير في هذه الموضوعات والقضايا التربوية والتعليمية ، معتمدا على المصطلح التربوي والمصطلح التعليمي الذي أحله في محله الصائب في لغته الفنية الأدبية التي صاغ بها أحاديثه الشفهية والمكتوبة ، لما لذلك المصطلح من أهمية في الإعراب والإفصاح عن المفاهيم التربوية والمفاهيم التعليمية التي يرى ناصر الدين الأسد أنها تكون الشعور والتصور والفكر التربوي والفكر التعليمي لدى المتلقي ، فأوقعها مواقعها من الكلم ، ووضح مراميها ومعانيها ومغازيها والتصورات التي تحتوي عليها ودلالاتها ، لعله بذلك يؤثر في المخاطب / المرسل إليه ، فيميل قلبه ، ويستثير عقله ، ويستوعب ما يريده ناصر الدين الأسد من استقامة وتعديل وتغيير وتطوير للعملية التربوية وللعملية التعليمية على الخصوص في الوطن العربي ، بدءا من المدرسة وانتهاء بالجامعة والمعاهد العلمية والتربوية ، فجعل مصطلحه التربوي قرينا ومرادفا ومجاورا ومؤازرا لمصطلحه العلمي في ما أنتجه من أعمال أدبية كانت موضوعاتها موضوعات تربوية تعليمية ، توخى من ورائها إنارة السبل أمام أصحاب القرار التربوي والتعليمي وأمام المواطن العربي ، لعله يسعى إلى نقل التربية والتعليم إلى مستويات أعلى وأفضل من المستويات

(٦٠) الأسد ، اللغة العربية وقضايا الحداثة ، مرجع سابق .

التي هي عليها في الوقت الحاضر ، موازيا ذلك مع المصطلحات ذات الدلالات التي تحمل مشاعره وأحاسيسه وعواطفه وآماله وتطلعاته نحو أن تكون تربية المواطن العربي وأن يكون تعليمه متناسبا ومتلائما ومتوافقا مع المعطيات الحضارية الراهنة والقادمة .

هذا بالإضافة إلى ما استعمله ناصر الدين الأسد من تعبيرات اصطلاحية وسياقية جاءت مركبة في تراكيب لغوية من أكثر من مفردتين أو لفظين ، ويمكن أن نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر ، مثل : (نسرف على أنفسنا) ، (نذهب إلى ...) ، (جمع إليه الخيال) ، (يحسن بنا ...) ، (وما جرى من كلام العرب فهو من كلام العرب) ، (النظام العالمي الجديد) ، (الأمر الواقع) ، (ينصب ... على ...) ، (... جامع مانع ...) ، (حديث مبسوط) وهي عبارة مأخوذة من التعبير السياقي (بسط الحديث) ، (إعادة النظر ..) ، (قصر الحديث) ، (مر بنا) ، (وعلى ضوء ما قدمنا) ، (لا ريب ...) ، (على ما بسط من يده) ، (وفتت الأرض فتخرج من ثمرها وبقلها وفاكهتها ما شاء لها الله) ، (مكة المكرمة) ، (المدينة المنورة) ، (القدس الشريف) ، (صديق حميم) ، (أمل وطيد) ، (انتهك حرمة) ، (خرق معاهدة) ، (الدين الإسلامي الخفيف) ، (تلقيت دعوة) ، (تسوية سلمية) ، (من دواعي سروري) ، (يلبسون الحق بالباطل) ، (أسئلة ... تنور ...) ، (يكثر فيها وحوها الجدل) ، (لا تغيب عنها الشمس) ، (تكلف من القول) ، (حشد له ما حشد) ، (يفصل القول) ، (أمطار غزار تنساب أنهارا وجداول) ، (نحكم على) ، (القول الفصل) ، (فحسبنا أن ...) ، (بحسبي أن ...) ، (يقودنا الحديث إلى ...) ، (... يقودنا إلى الحديث في ..) ، (وتجدد الإشارة إلى ...) ، (بالإضافة إلى ...) ، (وحسب هذا البحث ...) ، (وحسبي

منه ...) ، (أخلص النية) ، (بذل أقصى الجهد) ، (وبالله التوفيق) . إلى غيرها من التعبيرات الاصطلاحية والسياقية التي يصعب في هذا المقام حصرها ، وتعرس في هذا الآن دراستها ، لكثرتها ولعدم اختصاص هذه الدراسة ووقفها عليها لدراستها الدراسة المنهجية الوافية الشافية ، ولكن آثرت أن أشير إليها وأن أذكر بعضها لما لها من ارتباط وعلاقة بالمصطلح وبالوضع الاصطلاحي ، رغم وجود بعض الفروق والاختلافات بينها وبين المصطلح كمصطلح له تركيبه ومفهومه وصورته ومعناه ووظيفته ودلالته .

وختاماً ، لا بد من الإشارة إلى أن المصطلح في الجمل والتراكيب والعبارات والبنى النصية الأدبية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية قد كان له أثره وإيجابياته على مستويات اللغة الفنية الإبداعية الأدبية التي استعملها ووظفها بكل جماليات اللغة الفنية في كل نتاجاته الأدبية ذات المستوى الراقى الراقي التي ينتظر لها طول البقاء على مر الأزمان القادمة .

الخاتمة

فقد تناولت هذه الدراسة موضوعها الرئيس اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد ، وتناولت ما تفرع منه من موضوعات لا بد من دراستها وبحثها ، ليأخذ الموضوع الأساس فيها حقه من البحث والدرس ، فكانت إشكالية الدراسة تتكون من ضرورة البحث في السيرة الذاتية والحياة الأدبية والعوامل المؤثرة فيها ، والمخططات الأدبية والعلمية والتعليمية والعملية التي مر بها ناصر الدين الأسد ، كما تكونت من ضرورة الكشف عن آرائه في اللغة العربية ، واللغة العربية الفنية والأدبية على وجه خاص ، وضرورة بيان المعايير والخصائص التي يجب أن تتوافر في اللغة لتكون لغة عربية فنية تؤدي وظائفها التواصلية ووظائفها الفنية الإبداعية الأدبية ، وذلك بعد بيان ماهية اللغة العربية الفنية وطبيعتها ووصفها وتحديد معالمها . ومن هنا كان الوقوف عند المفصل الرئيس في إشكالية هذه الدراسة ، وهو المفصل المتعلق بخصائص اللغة الفنية الأدبية والأسلوب الأدبي البلاغي الذي يشكل الإطار الفني العام لهذه اللغة الأدبية عند ناصر الدين الأسد . ثم انتقلت إلى دراسة مستوياتها الفنية والأدبية ، من حيث المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والنحوي والمستوى التركيبي والدلالي ، ثم بحثت في المصطلح وماهيته ودوره في لغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية ، وما يتبعه من تعابير اصطلاحية وتعابير سياقية ، كانت من مكونات تلك اللغة الفنية الأدبية ، التي أعطت لأعمال الأسد قيمة فنية ذاتية ، إضافة إلى ما فيها من قيم علمية ومنهجية وقيم ثقافية واجتماعية ، وقيم سلوكية وتربوية ، وقيم تاريخية وسياسية ، وقيم نقدية أدبية كانت تتسم بالخصوصية وبالمبادرة .

وقد خلصت هذه الدراسة إلى نتائج لا بد من ذكرها ، وهي : -

لقد تعددت المجالات والموضوعات والأغراض التي تحدث وكتب فيها ناصر الدين الأسد ، إذ كان منها أغراض وموضوعات في الشعر بأغراضه ؛ كالوصف والغزل والتشبيب والمدح والثناء ، وفلسفة الحياة ، والإنسانيات ، كما كان منها موضوعات وأغراض في تاريخ الأدب العربي ؛ قديمه وحديثه ، وكان منها أغراض وموضوعات في النقد الأدبي ، وفي المجالات الاجتماعية والسياسية ، وفي التربية والتعليم ، وفي علوم اللغة ، وفي موضوعات متفرقة كثيرة يمكن أن تكون قي أكثر من مجال عند تصنيفها كجنس من الأجناس والحقول الإنسانية .

وتبين من آرائه أنه يدعو إلى تخطيط لغوي يهدف إلى الحفاظ على هوية اللغة العربية ، وعلى هوية الأمة العربية ، ويؤدي دوره في معالجة بعض قضاياها ومسائلها المتعلقة بتعليمها وتعلمها ، واكتساب مهاراتها ، ومواكبتها لمتطلبات الحاضر والمستقبل .

كما خلصت هذه الدراسة إلى أن هناك تعريفا ووصفا متعدد الأركان والعناصر للغة الفنية الأدبية ، وأنها تسير في نموها وتطورها واستعمالها وتوظيفها وتداولها في النتاجات والأعمال الأدبية وفق معايير وضعها علماء اللغة وفي جميع مستوياتها ؛ المستوى الصوتي واللفظي ، والمستوى الصرفي والنحوي ، والمستوى التركيبي ، والمستوى الدلالي ، وتبين أن خصائصها ومميزاتها اللغوية الفنية كانت ملازمة للغة ناصر الدين الأسد الفنية الأدبية الإبداعية ، وأنه لم يخرج على هذه المعايير اللغوية النقدية والتذوقية والجمالية ، بحيث كانت لغة عالية قيمة فصيحة سليمة صحيحة ومعبرة ودالة ، وفيها من النبر والتنغيم ما جعل منها لغة مستساغة سهلة لا تعقيد فيها ، ولغة مثيرة للإعجاب ، ولغة لكل مستوى من مستوياتها خصائصه ومميزاته وسماته اللغوية والبنائية والجمالية والفنية الأدبية .

وبينت هذه الدراسة أيضا أنها كانت ترد على لسان أو قلم ناصر الدين الأسد بأسلوب بلاغي إبلاغي يتميز بجميع مميزات الأسلوب الأدبي السهل الرقيق السلس الذي فيه من الإبلاغية ما يقوي دلالات الألفاظ والجمل والعبارات والتراكيب اللغوية التي تشكلت منها فقرات النص الأدبي الواحد ، وهو الأسلوب الذي كان يتناسب مع بنائية النص الأدبي جزءا وكلا في أي عمل من أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، كما كان يتوافق مع معايير اللغة وقواعدها ولا يخرجها على قواعدها وحدودها وعلامتها اللغوية التي أسهمت في إيجاد التشكل البنائي الفني الأدبي الذي يثير المتلقي ويؤثر فيه فكرا وثقافة وتصورا وشعورا ووجدانا ، كما يتمتع ويخلق لديه اللذة الفنية الأدبية والذائقة النقدية اللغوية الأدبية عند الاستماع إلى ناصر الدين الأسد أو عند قراءة أعماله الأدبية شعرا أو نثرا .

كما أوضحت الدراسة أن للمصطلحات الأدبية والسياسية والنقدية والاجتماعية واللغوية والتاريخية والعلمية والثقافية والدينية مكانة في جميع مستويات اللغة الفنية الأدبية عند ناصر الدين الأسد ، وأنه كان يعي قيمتها اللغوية والفنية والأدبية فوظفها أحسن توظيف وجعلها تشترك مع الألفاظ وحروف المعاني في نظم وتركيب تعابير سياقية وتعابير اصطلاحية لها قيمتها اللغوية والفنية الأدبية أيضا ، دون أن يكون مرددا لتعابير سياقية واصطلاحية من نظم أو صنع أو تركيب من سبقوه ، إلا إذا رأى مناسبة ضرورية لذلك .

استطاع ناصر الدين الأسد أن يجعل اللغة في خدمة الفكر والدلالات التي يريدتها ، وأن يجعل هذه العناصر جميعها في خدمة لغته الفنية الأدبية أيضا ، مما أوجد تلاهما وانسجاما بين هذين المكونين من مكونات الشخصية الفنية الأدبية في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية والفنية .

وخلصت هذه الدراسة إلى وجود علاقة بين اللغة الفنية والأسلوب الفني الأدبي البلاغي والأجواء النفسية والقدرات العقلية والاجتماعية والثقافية عند ناصر الدين الأسد ، مما ساعد على وجود إضاءات رسمت خيوط التوافق بين الأسلوب الأدبي ومستويات اللغة الفنية الأدبية واتجاهات ناصر الدين الأسد الفكرية .

إن إجادة ناصر الدين الأسد لاختيار ألفاظه وتراكيبه ونصوصه الأدبية وموضوعاتها وإجادة التعبير فيها عن كل ما يفكر فيه أو يشعر به عملا على خلق بيئة تأثيرية على المتلقي ساعدت على انبثاق الصور الارتدادية اللفظية والتعبيرية لدى كثير من المتلقين ، فأنجبوا أدبا فيه لون من ألوان ناصر الدين الأسد اللغوية الفنية وأسلوبه البلاغي الأدبي الرفيع ، أو فيه من اللونين معا ، على اعتبار أن ناصر الدين الأسد هو النموذج الإنسان ، وأن أدبه هو النموذج الأدبي الذي يقبل التقليد والمحاكاة لما له من قابلية لذلك ، ولما له من المميزات والخصائص والسمات الفنية التي نبعت من معايير اللغة الفنية التي كانت الأداة السليمة الفصيحة المناسبة والملائمة لإنتاج مثل هذه الأعمال الأدبية التي تستحق كل بحث ودراسة .

كما كشفت هذه الدراسة عن أن مستويات الطلاقة اللغوية ، والسليقة اللغوية ، والمهارات اللغوية والكفاية اللغوية ، والأداء اللغوي ، كانت تتحد وتمثل في أعمال ناصر الدين الأسد ، وفي الوقت نفسه كانت هذه المستويات جميعها مصحوبة بالفكر العميق والتصورات الذهنية الواضحة ، وبالمشاعر الوجدانية والانفعالية المتزنة ، وبالدلالات الإيجابية ، مما أوجد تيارا سيالا متدفقا من الانسياب اللغوي المصحوب بالانسياب الفكري والعاطفي في أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، إذ

كان هناك انسيابان يتدفقان وينثالان انثيالا قويا ويسيلان سيلانا مؤثرا له إيجابياته على الأديب وعلى المتلقي على السواء .

وفي ضوء هذه النتائج التي خلصت إليها الدراسة فإنني أوصي كل من له علاقة بالبحث والدرس الأدبي بإعادة قراءة أعمال ناصر الدين الأسد الأدبية ، وبخاصة المجال المتعلق باللغة الفنية الأدبية التي يوظفها في أعماله الأدبية والإبداعية ، وأعتقد أن الأبواب مفتوحة غير موصدة ، وأن المجالات واسعة للدراسات والأبحاث ، وبقي الكثير مما يقال في هذا الموضوع وغيره من الموضوعات المتعلقة بأعمال ناصر الدين الأسد الأدبية التي أرجو أن نوفيها حقها بمقدار ما أتطلع إلى أن نوفيه حقه .

وبعد ، فإنه يمكن القول إن هذه الدراسة قد قدمت الجديد في موضوع النقد اللغوي الأدبي بشكل عام ، وفي موضوع اللغة الفنية عند ناصر الدين الأسد بشكل خاص ، والأمل كبير في أن يكون هذا العمل الذي أقدمه خالصا لوجه الله تعالى ، وأن يكون فيه الخير والنفع والفائدة ، وما من عمل إلا ويشوبه نقص ، وأدعو الله تعالى أن يغفر لي أن فعلت ذلك النقص ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، والله من وراء القصد .

فهرس أسماء الأماكن والمدن والدول الواردة في الأطروحة

الرقم	اسم المكان / المدينة / الدولة	أرقام الصفحات
١-	أربد	٨٥، ٨٤
٢-	الأردن	٢٧، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٩، ٦٢، ٦٥، ٦٩، ٧٦، ٧٨، ٨٦، ٨٩، ٩٠
٣-	أرض الكنانة	٢٠٤
٤-	ألمانيا	٥٨
٥-	الإمارات العربية المتحدة	٨٨
٦-	أوروبا	٣٠٧، ٨٦
٧-	البحرين	٣٠٥
٨-	بريطانيا	٦٦
٩-	البرتغال	٨٧
١٠-	برشلونة	٨٨
١١-	البصرة	٣٠٦
١٢-	بروكسل	٨٦

١٣-	بغداد	٨٢ ، ٩٠
١٤-	بلجيكا	٨٦
١٥-	البلقاء	٣٢
١٦-	بكين	٧٠
١٧-	بنغازي	٦٥
١٨-	بيروت	٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٠ ،
١٩-	تونس	٨٨
٢٠-	جامعة آل البيت	٨٨
٢١-	جامعة المنيا	٨٩
٢٢-	جبل اللويذة	٣٠ ، ٤٢
٢٣-	الحجاز	٢٩
٢٤	دار الإذاعة الأردنية	٨٨
٢٥-	الدار البيضاء	٨٥
٢٦-	دبي	٨٩
٢٧-	الرباط	٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧
٢٨-	السلط	٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

٨٩	السودان	-٢٩
٦٦ ، ٣٥	سوريا	-٣٠
٨٧ ، ٨٦	سولوثورن	-٣١
٨٧ ، ٨٦	سويسرا	-٣٢
٢٩	الشوبك	-٣٣
٦٤	طرابلس	-٣٤
٩٠	طنجة	-٣٥
٦٦	العراق	-٣٦
٤١ ، ٣٣ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧	العقبة	-٣٧
٨٥	عُمان	-٣٨
٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٢٠٨ ، ٢٣٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦	عمان	-٣٩
٥٨	فرانكفورت	-٤٠
٢٩ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨	فلسطين	-٤١

٦٧	المملكة العربية السعودية	-٥٤
٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥	المملكة المغربية	-٥٥
٨٩	منتدى شومان	-٥٦
٨٩	النادي الاجتماعي الأردني / دي	-٥٧
٣٠٦	الهند	-٥٨
٢٩	وادي السير	-٥٩
٤٢ ، ٢٩	وادي موسى	-٦٠
٦٦	الولايات المتحدة الأمريكية	-٦١

فهرس الأعلام

الرقم	اسم العلم	أرقام الصفحات التي ورد فيها
١-	الأمدي	١٦٥
٢-	إبراهيم بدران	١١٠
٣-	إبراهيم خليل	١٢٨ ، ٢٠
٤-	إبراهيم السعافين	١٨
٥-	إبراهيم سلامة	٤٨
٦-	إبراهيم عبده الخوري	٩٠
٧-	إبراهيم العجلوني	١٨
٨-	إبراهيم اليازجي	٢٤٧
٩-	ابن الأثير	١٦١
١٠-	أحمد أمين	٤٨
١١-	إحسان عباس	١١٠ ، ٨٥ ، ٨٠ ، ٧٩
١٢-	أحمد حسن الزيات	٤٨
١٣-	أحمد خطاب العمر	٢٥٩ ، ١٦
١٤-	أحمد شوقي	٢٥٧ ، ٨٤
١٥-	أحمد ضيف	٤٨

١٢٢ ، ٥٧ ، ١٦	أحمد محمد الضبيب	-١٦
٢٠ ، ١٩	أحمد المصلح	-١٧
١٦	أحمد مطلوب	-١٨
٨٠ ، ٥٢ ، ٥١	إسحاق موسى الحسيني	-١٩
٣٩	أفيم مشبك	-٢٠
٩١	الياس زين	-٢١
١٩١	بوالو	-٢٢
١٦٥ ، ١٤٦ ، ١٤٥	تشومسكي	-٢٣
١١٠	تمام حسان	-٢٤
٤٢	ثروت التلهوني	-٢٥
٢٥٦ ، ١٩١ ، ١٥٦ ، ٨٢	الجاحظ	-٢٦
١٥٧	الجمحي	-٢٧
٩١	جواهر الرفايعة	-٢٨
٨٠	جورج أنطونيوس	-٢٩
٣٩	جميل الخالدي	-٣٠
١٦٣	ابن جني	-٣١
١٢٨ ، ٨٠ ، ٥٨	الحادرة	-٣٢
١٥٧ ، ١٤٥ ، ١٤٤	حازم القرطاجني	-٣٣

٨٣	حذافة بن غانم	-٣٤
٨٤	حافظ إبراهيم	-٣٥
١٥٠	حامد صالح الربيعي	-٣٦
٨٠	الحسن البصري	-٣٧
١٩٨ ، ١٩	حسني عايش	-٣٨
٩٢	حسين الرواشدة	-٣٩
٨٢ ، ٧١ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٥	الملك الحسين بن طلال	-٤٠
١٦	حسين عطوان	-٤١
٤١ ، ٣١ ، ٢٨ ، ٢٧	الشريف الحسين بن علي	-٤٢
٧٩	حسين بن غنام	-٤٣
٥٨	حمد الجاسر	-٤٤
٢٥٢ ، ١٧	حنون عبد المجيد	-٤٥
١٨٧	ابن خلدون	-٤٦
٧٨ ، ٧٧ ، ١٥	خليل بيدس	-٤٧
٣٩	خليل السكاكيني	-٤٨
١٦ ، ١٥	خليل الشيخ	-٤٩
٣٥	خير الدين الزركلي	-٥٠
٣٩	داود الصيداوي	-٥١

١٥٧	ابن رشيق	-٥٢
١٧٣	ر . بارط	-٥٣
٤٨	زكي نجيب محمود	-٥٤
١٦٢ ، ١٥٧	الزمنخشي	-٥٥
٩١	زياد أبو لبن	-٥٦
٨٣	ابن زيدون	-٥٧
١٤٥	سمر استيتية	-٥٨
١٩٠	سمر قطامي	-٥٩
١٦٦	سيويه	-٦٠
٤٨	سعيد أبو حديد	-٦١
٣٤	سعيد الدرة	-٦٢
٣٢	سعيد الكرمي	-٦٣
٨٩ ، ٧٢	سلطان العويس	-٦٤
١٦٥	سوسير	-٦٥
٣٩	شلي الجمل	-٦٦
١٣٧	شوقي ضيف	-٦٧
٤٢	صالح بسيسو	-٦٨
٩٠ ، ٤٢	صبحي القطب	-٦٩

١٩٣	صلاح فضل	-٧٠
٨٠	ابن صمادح التجيبي الأندلسي	-٧١
١٨٣ ، ١٥٧ ، ١٥١ ، ١٤٥	ابن طباطبا	-٧٢
٨١ ، ٨٠	الطبري	-٧٣
٧١ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ١٩١ ، ٢٥٢ ، ٦٤ ، ٤٩ ، ١٧	طه حسين	-٧٤
٣٤	عادل أرسلان	-٧٥
٢٥٣	عباس الجراري	-٧٦
١٩٨ ، ٩٠ ، ١٨	عبد الحميد شومان	-٧٧
١٦ ، ١٥	عبد الرحيم عمر	-٧٨
١٨	عبد العزيز الدوري	-٧٩
٤٢	عبد القادر الجندي	-٨٠
٢٥٩ ، ٢١٦ ، ٥٧ ، ١٨ ، ١٦	عبد القادر الرباعي	-٨١
١٦٥ ، ١٦٢	عبد القاهر الجرجاني	-٨٢
٢١٧ ، ١٩٢ ، ١٩١	عبد الكريم خليفة	-٨٣
٩٩	عبد الكريم غرايبة	-٨٤
١٣٧ ، ٣٤	الأمير عبد الله بن الحسين	-٨٥
٥٣	عبد المنعم الرفاعي	-٨٦
٨٣	العجير السلولي	-٨٧

٢٠	عفيف عبد الرحمن	-٨٨
٢٠١ ، ٨١	العقاد	-٨٩
٩١	علي عليوة	-٩٠
٣٩	عيسى العيسى	-٩١
٨١	عيسى الناعوري	-٩٢
١٨	غسان عبد الخالق	-٩٣
٧١ ، ٤٧	فؤاد الأول	-٩٤
٣٤	فؤاد الخطيب	-٩٥
٣٩	فرج فرج الله	-٩٦
٣٤	فهمي هاشم	-٩٧
٨٨ ، ٨٧ ، ٧١ ، ٢٩	الملك فيصل	-٩٨
٣٢٣	أبو القاسم البغوي	-٩٩
٥١	ابن قتيبة الدينوري	-١٠٠
٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ١٢٨ ، ٨٠ ، ٥٧	قيس بن الخطيم	-١٠١
٤٣	كاظم الخالدي	-١٠٢
٨١ ، ٣١	كامل الكيلاني	-١٠٣
١١٠	كمال بشر	-١٠٤
٥٧	كوفالسكي	-١٠٥

٨٢	كولومبس	-١٠٦
٣٢٤	المأمون	-١٠٧
٧٨	مجدلاوي	-١٠٨
١٠١	سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم	-١٠٩
١٧ ، ١٦	محمد إبراهيم حور	-١١٠
٢٣٥	محمد أحمد القضاة	-١١١
٤١ ، ٣١ ، ٢٨ ، ٢٧	محمد أحمد جميل الأسد	-١١٢
٩١ ، ٩٠	محمد حربي	-١١٣
٨٠	محمد خدوري	-١١٤
٨٦	ابن دريد محمد بن الحسن	-١١٥
٧٨	محمد روجي الخالدي	-١١٦
٤٢	محمود الروسان	-١١٧
٣٤	محمد الشريفي	-١١٨
٨٥	محمد عدنان البخيت	-١١٩
٤٢ ، ٣٠	محمد علي العجلوني	-١٢٠
٣١	محمد علي الحوماني	-١٢١
٤٨	محمد عوض محمد	-١٢٢
٨٤	محمود الغول	-١٢٣

٢٤٠ ، ٨٨	محمود محمد شاكر (أبو فهر)	-١٢٤
١٣٦ ، ١١٠	محمود السعرا	-١٢٥
٤٨	محمد مندور	-١٢٦
١٦	مرجليوت	-١٢٧
١٥٠	المرزوقي	-١٢٨
٢٥٢	مصطفى صادق الرافعي	-١٢٩
٣٤	مصطفى الغلايني	-١٣٠
٣٤	مصطفى وهي التل	-١٣١
٩١	منى سراج	-١٣٢
٩٦	أبو منصور النعالي	-١٣٣
٨١	منيف الرزاز	-١٣٤
٢٥٠ ، ١٧	مي مظفر	-١٣٥
١٧١ ، ١٧٠	ميخائيل باختين	-١٣٦
١٧	نجيب البهيتي	-١٣٧
٣٩	نحلة ترزي	-١٣٨
٣٤	نديم الملاح	-١٣٩
٤٢	نظمي البطيخي	-١٤٠
٨٠	نقولا زيادة	-١٤١

١٣٧ ، ١٢٧ ، ١١٠ ، ٩٦ ، ١٩ ، ١٨	نهاد موسى	-١٤٢
٣٢٤	هارون الرشيد	-١٤٣
١٥٧ ، ١٥٦	أبو هلال العسكري	-١٤٤
٩١	وحيد تاجا	-١٤٥
٨٣	وداد القاضي	-١٤٦
٤٢	وليد بيسو	-١٤٧
٩٢	يحيى القيسي	-١٤٨
٣٢٣	أبو يعلى	-١٤٩
١٦٢ ، ١٦١	يوسف أبو العدوس	١٥٠

فهرس المصادر والمراجع

أولا : - الكتب والمؤلفات :

- الأسد ، ناصر الدين . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، بيروت ، لبنان ، دار الجيل ، ط ٧ ، ١٩٨٨ م .

- _____ . الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، القاهرة ، مصر ، معهد الدراسات العربية العالية / جامعة الدول العربية . د . ن . د . ط ٥ ، ١٩٥٧ م .

- _____ . محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، القاهرة ، مصر ، معهد الدراسات العربية العالية / جامعة الدول العربية . د . ن . د . ط ٥ ، ١٩٦١ م .

- _____ . القيان والغناء في العصر الجاهلي ، بيروت ، لبنان ، دار الجيل ، طبعة منقحة مزيدة ، ١٩٨٨ م .

- _____ . تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي ، عمان ، الأردن ، منشورات روائع مجدلاوي ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

- _____ . نحن والآخر ؛ صراع وحوار ، بيروت ، لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، التوزيع في الأردن : دار الفارس للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .

- _____ . نحن والعصر ؛ مفاهيم ومصطلحات إسلامية ، بيروت ، لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، التوزيع في الأردن : دار الفارس للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .

- بدران ، إبراهيم . في الفكر والثقافة والتقدم ، عمان ، الأردن ، مطابع الدستور التجارية ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- التونسي ، محمد خليفة . فصول من النقد عند العقاد ، بغداد ، العراق : الناشر : مكتبة المنى ، ونشر في القاهرة ، مصر : الناشر : مكتبة الخانجي ومطبعة دار الهنا ، د . ط ١ ، د . ت .
- حداد ، تيريز . ذاكرة الوطن ، عمان ، الأردن ، مركز الرأي للدراسات والمعلومات ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- أبو حمدة ، محمد علي . فن الكتابة والتعبير ، عمان ، الأردن ، مكتبة الأقصى ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- خطابي ، محمد . لسانيات النص ؛ مدخل إلى انسجام الخطاب ، بيروت ، لبنان ، المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- دائرة الثقافة والفنون . ديوان المحامي صبحي القطب نضير بني صخر ، (سلسلة التراث الأدبي في الأردن ، ٢ ، شعر) ، قدم له : ناصر الدين الأسد ، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- الربيع ، أحمد ذيان . السلوك الديمقراطي في ضوء التجربة الأردنية ، عمان ، الأردن ، د . ن . ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- زكريا ، ميشال . بحوث ألسنية عربية ، بيروت ، لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

- الزيدي ، توفيق . جدلية المصطلح والنظرية النقدية ، تونس ، قرطاج ٢٠٠٠ ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- استيتية ، سمير شريف . علم اللغة التعليمي ، اربد ، الأردن ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، ط ١ ، د . ت . .
- السعران ، محمود . علم اللغة ؛ مقدمة للقارئ العربي ، بيروت ، لبنان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، د . ط . ، د . ت . .
- الشايب ، فوزي حسن . محاضرات في اللسانيات ، عمان ، الأردن ، منشورات وزارة الثقافة ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
- ضيف ، شوقي . البحث الأدبي ؛ طبيعته ، مناهجه ، أصوله ، مصادره . القاهرة ، مصر ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٧٢ م .
- أبو العدوس ، يوسف . الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ؛ الأبعاد المعرفية والجمالية ، عمان ، الأردن ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
- _____ . الجزاز المرسل والكناية ؛ الأبعاد المعرفية والجمالية ، عمان ، الأردن ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- _____ . البلاغة والأسلوبية ؛ مقدمات عامة ، عمان ، الأردن ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
- قطامي ، سمير . الحركة الأدبية في شرق الأردن منذ قيام الإمارة حتى سنة ١٩٤٨ م ، عمان ، الأردن ، منشورات وزارة الثقافة والشباب ، ط ١ ، ١٩٨١ م .

- القواسمة ، محمد عبد الله . مقدمة في الكتابة العربية ، عمان ، الأردن ، دار النسر للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .
- قوقزة ، نواف . نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد ؛ مع دراسة تطبيقية في شعر عمر النص ، عمان ، الأردن ، منشورات وزارة الثقافة ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) ؛ تعرف عام (كتيب) عمان ، الأردن ، منشورات المجمع ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- محجوب ، عباس . مشكلات تعليم اللغة العربية ؛ حلول نظرية وتطبيقية ، الدوحة ، قطر ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- المراغي ، أحمد مصطفى . علوم البلاغة ؛ البيان والمعاني والبديع ، راجعه وأشرف على تصحيحه : المراغي ، أبو الوفا مصطفى ، القاهرة ، مصر ، المكتبة المحمودية التجارية ، ط ٥ ، د . ت .
- المصلح ، أحمد . ناصر الدين الأسد ناقدًا وشاعرًا ، عمان ، الأردن ، منشورات وزارة الثقافة ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .
- مظفر ، مي . سفر في المدى : ناصر الدين الأسد ؛ ملامح من سيرته وأدبه ، بيروت ، لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- _____ . ناصر الدين الأسد ؛ جسر بين العصور ، القاهرة ، مصر ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

- أبو مغلي ، سميح . التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس ، عمان ، الأردن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- أبو مغلي ، سميح . والفار ، مصطفى محمد . الأصول في اللغة العربية وآدابها ، عمان ، الأردن ، دار القدس للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .
- المناصرة ، عز الدين . الشعريات ؛ قراءة مونتاجية ، عمان ، الأردن ، مكتبة براهومة للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- مهيدات ، محمود محسن . إمتاع الطرف في النحو والعروض والصرف ، اربد ، الأردن ، دار الكندي ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .
- ثمارنة ، إبراهيم مصطفى . رؤية في لغتنا العربية ، عمان ، الأردن ، مطبعة الروزنا ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م .
- وزارة السياحة والآثار . الأردن . عمان ، الأردن ، ط ١ ، د . ت .
- يعقوب ، إميل . كيف تكتب بحثاً أو منهجية البحث ، طرابلس ، لبنان ، جروس برس ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .

ثانياً : - الكتب المحققة والمترجمة :

- ابن جني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص . تحقيق : هنداوي ، عبد الحميد ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، مج ١ ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .
- ابن الخطيم ، قيس . ديوان قيس ابن الخطيم ، تحقيق : الأسد ، ناصر الدين ، بيروت ، لبنان ، دار صادر ، ط ٢ ، ١٩٦٧ م .

- ابن خلدون ، عبد الرحمن . مقدمة ابن خلدون (أو الكتاب المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) . تحقيق : شحادة ، خليل ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، نسخ محققة ومطبوعة بلونين ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- ابن طباطبا ، محمد بن أحمد . عيار الشعر . تحقيق : سلام ، محمد زغلول ، الاسكندرية ، مصر ، منشأة المعارف ، د. ط. ، د. ت. .
- قدامة بن جعفر . جواهر الألفاظ . تحقيق : عبد الحميد ، محمد محيي الدين ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .
- كورك ، جاكوب . اللغة في الأدب الحديث ؛ الحداثة والتجريب . ترجمة : ليون يوسف وعزيز عمانويل ، بغداد ، العراق ، من منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار المأمون للترجمة والنشر ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
- كولاس ، فلوريان . اللغة والاقتصاد (سلسلة عالم المعرفة ، ع ٢٦٣) . ترجمة : أحمد عوض . مراجعة : عبد السلام رضوان ، الكويت ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، مطابع الوطن ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- النورسي ، بديع الزمان . الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم . تحقيق : الصالحي ، إحسان قاسم ، بغداد ، العراق ، مطبعة النهضة ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .

ثالثا : - البحوث والمقالات في المجلات والدوريات :

- الأسد ، ناصر الدين ، الأدب ليس فنا ، مجلة القلم الجديد ، عمان ، الأردن ، ع ٦ ، ١٩٥٣ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، ندوات القاهرة الأدبية : ندوة العقاد ، مجلة القلم الجديد ، عمان ، الأردن ، ع ٨ ، ١٩٥٣ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، نواد وأندية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مصر ، ج ٢٧ ، ١٩٧١ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، اللغة العربية وقضايا الحداثة ، بحث قدم في مهرجان القاهرة الأول للإبداع العربي ، ونشر في مجلة فصول ، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، مج ٤ ، ج ١ ، ع ٣ ، ١٩٨٤ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، حماس وحماسة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مصر ، ج ٣٤ ، ١٩٧٤ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، ندوات القاهرة الأدبية : ندوة الكيلاني ، مجلة القلم الجديد ، عمان ، الأردن ، ع ٢ ، ١٩٥٢ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، معاجم ومعجمات ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مصر ، ج ٢٥ ، ١٩٦٩ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، اللغة العربية تذيل الآن على أيدي أبنائها ، مجلة العربي ، تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت ، ع ٥٢١ ، نيسان ، ٢٠٠٢ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، واديان وأردية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مصر ، ج ٢٩ ، ١٩٧٢ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، نص الحوار الذي أجرته معه مجلة (المنتدى) ، ونشر في عددها الصادر يوم الخميس تاريخ ١١/٣ / ١٩٨٨ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، العشرينات والعشرينيات ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، عمان ، الأردن ، مج ١ ، ع ١٤ ، ١٩٧٨ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، المثقفون العرب والتواصل بين الحضارات ، مجلة العربي ، تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت ، ع ٥٣٣ ، آذار ، ٢٠٠٣ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، نص المقابلة التي أجرتها معه مجلة الأهرام العربي الأسبوعية ، القاهرة ، مصر ، التاريخ غير واضح على صورة العدد .
- الأسد ، ناصر الدين ، نص المقابلة التي أجرتها معه مجلة الدوحة ، تصدر عن وزارة الإعلام ، الدوحة ، قطر ، ع ١٠٨ ، كانون الأول ، ١٩٨٤ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، نص المقابلة التي أجرتها معه مجلة الشرقي ، السنة الرابعة ، ع ٣٧ ، التاريخ غير واضح على صورة المجلة .
- الأسد ، ناصر الدين ، اللقاء وقصبتها عمان في كتب الجغرافيين العرب ، بحث غير منشور وهو مرقون على الآلة الكاتبة .
- اسماعيل ، عز الدين ، العولمة وأزمة المصطلح ، مجلة العربي ، تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت ، ع ٤٩٨ ، أيار ، ٢٠٠٠ م .

- أعراب ، حبيب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي ؛ عناصر استقصاء نظري ، مجلة عالم الفكر ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، مج ٣٠ ، ع ١٤ ، ٢٠٠١ م .
- جواد ، عبد الستار ، لغة النص ، مجلة أفكار ، تصدر عن وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، ع ١٢٧ - ١٢٨ ، تشرين أول - كانون أول ، ١٩٩٦ م .
- خليفة ، عبد الكريم ، معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، عمان ، الأردن ، ع ٣٦ ، كانون الثاني - حزيران ، ١٩٨٩ م .
- خليل ، إبراهيم ، البعد اللغوي في الشعر الأردني الحديث ؛ البعد الدلالي ، مجلة أفكار ، تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام ، عمان ، الأردن ، ع ٨٩ - ٩٠ ، نيسان - أيار ، ١٩٨٩ م .
- خليل ، إبراهيم ، من نحو الجملة إلى نحو النص ؛ دراسة وتطبيق ، مجلة أفكار ، تصدر عن وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، ع ١٢٥ ، حزيران - تموز ، ١٩٩٦ م .
- زيادة ، نقولا ، في خطى العربية ، مجلة (المجلة الثقافية) ، تصدر عن الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ، ع ٤ ، ١٩٨٤ م .
- استيتية ، سمير شريف ، نحو معجم لساني شامل موحد ؛ مشكلات وحلول ، مجلة أبحاث اليرموك ، (سلسلة الآداب واللغويات) ، تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا ، جامعة اليرموك ، اربد ، الأردن ، مج ١٠ ، ع ٢ ، ١٩٩٢ م .

- سراج ، وليد ، اللغة العربية والاصطلاح العلمي ، مجلة التراث العربي ، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، ع ٤٢ - ٤٣ ، السنة ١١ ، كانون الثاني - نيسان ، ١٩٩١ م.
- سلامة ، هاشم صالح ، دلالة اللغة الشعرية في الموروث النقدي ، مجلة أفكار ، تصدر عن وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، ع ١٤٦ ، تشرين الأول ، ٢٠٠٠ م.
- سويف ، مصطفى ، النقد الأدبي : ماذا يمكن أن يفيد من العلوم النفسية الحديثة ، مجلة فصول (مجلة متخصصة في النقد الأدبي) ، القاهرة ، مصر ، مج ٤ ، ع ١ ، تشرين الأول - كانون الأول ، ١٩٨٣ م.
- الشكري ، جابر ، المصطلح الكيميائي ، في التراث العربي ، مجلة اللسان العربي ، تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط / المغرب ، مج ١٧ ، ج ١ ، ١٩٧٩ م.
- عزام ، محمد ، مقاربة سيميائية لقصيدة عربية ، مجلة الموقف الأدبي ، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، ع ٢٤٣ ، السنة ٢١ ، تموز ١٩٩١ م.
- علام ، محمد مهدي ، خطاب الترحيب بناصر الدين الأسد العضو الجديد في مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي ألقاه في حفل الاستقبال الذي جرى له بتاريخ ١٥ / ٢ / ١٩٧٣ م ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مصر ، ج ٣٢ ، تشرين الثاني ، ١٩٧٣ م.
- فضل ، صلاح ، من الوجهة الإحصائية في الدراسة الأسلوبية ، مجلة فصول ، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، مج ٤ ، ع ١ ، ١٩٨٣ م.

- القاسم ، يحيى ، أثر التحولات الأسلوبية في تغيير الإعراب في الآيات القرآنية والشواهد

الشعرية ، مجلة أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب واللغويات) ، تصدر عن عمادة البحث

العلمي والدراسات العليا ، جامعة اليرموك ، اربد ، الأردن ، مج ١١ ، ع ١٤ ، ١٩٩٣ م .

- القاسمي ، علي ، التعابير الاصطلاحية والسياقية ومعجم عربي لها ، مجلة اللسان العربي ،

تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط / المغرب ، مج ١٧ ، ج ١ ،

١٩٧٩ م .

- القضاة ، محمد أحمد ، اتجاهات البلاغة في العصر الحديث ، مجلة صوت الجيل ، تصدر عن

وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، ع ١٧ ، تشرين الأول ، ١٩٩٢ م .

- الكردي ، محمد علي ، النقد البنيوي بين الأيديولوجيا والنظرية ، مجلة فصول ، تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، مج ٤ ، ع ١٤ ، ١٩٨٣ م .

- مشبال ، محمد ، البلاغة ومقولة الجنس الأدبي ، مجلة عالم الفكر ، تصدر عن المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مج ٣٠ ، ع ١٤ ، ٢٠٠١ م .

- المصلح ، أحمد ، نحن والآخر والدكتور ناصر الدين الأسد ، مجلة عمان ، تصدر عن أمانة

عمان الكبرى ، عمان ، الأردن ، ع ٣٥ ، أيار ، ١٩٩٨ م .

رابعا : الفصول في كتب منشورة اشترك فيها أكثر من مؤلف :

- الأسد ، ناصر الدين ، مقدمة لدراسة القبائل العربية في الخليج قبل الإسلام ؛ هجراتها

وعلاقتها بالقبائل الأخرى بالجزيرة العربية ، في ، دراسات عربية إسلامية مهداة إلى إحسان

عباس ، تحرير: وداد القاضي ، منشورات الجامعة الأمريكية في بيروت ، لبنان ، ط ١ ،
١٩٨١ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، الأدب وأهداف الثورة العربية الكبرى ، في ، النهضة العربية الكبرى - دراسات وأبحاث - ، عمان ، الأردن ، الشركة الأردنية العالمية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٦٨ م .

- حنفي ، حسن ، تحليل الخطاب ، في ، تحليل الخطاب العربي (بحوث مختارة) ، تحرير :
غسان عبد الخالق ، مراجعة : صالح أبو أصبع ، من منشورات كلية الآداب ، جامعة
فيلاذلفيا ، عمان ، الأردن ، وهو يتضمن الأبحاث والدراسات التي قدمت في المؤتمر العلمي
الثالث الذي عقد في الجامعة ، بتاريخ ١٢ / ٥ / ١٩٩٧ م .

- خليفة ، عبد الكريم ، نص تقديم أحد الباحثين في ندوة التكريم التي أقامتها مؤسسة عبد
الحميد شومان للدكتور ناصر الدين الأسد صيف عام ٢٠٠٠ م ونشرت الأبحاث في كتاب
(ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة) ، تحرير : غسان اسماعيل عبد الخالق ،
مراجعة : إبراهيم العجلوني ، من منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ، الأردن ،
من مطبوعات المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .

- الدوري ، عبد العزيز ، ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، في ، ناصر الدين الأسد
بين التراث والمعاصرة ، تحرير : غسان عبد الخالق ، مراجعة : إبراهيم العجلوني ، ط ١ ،
٢٠٠٢ م .

- الرباعي ، عبد القادر ، ناصر الدين الأسد والتراجم ، في ، ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، المرجع السابق نفسه .
- الربيعي ، حامد صالح خلف ، الخطاب النقدي وآليات الإبداع الشعري ، في ، تحليل الخطاب العربي ، منشورات جامعة فيلادلفيا ، ١٩٩٧ م . (مرجع سابق)
- السد ، نور الدين ، مفارقة الخطاب الأدبي للمرجع ، في ، تحليل الخطاب العربي ، منشورات جامعة فيلادلفيا ، ١٩٩٧ م ، المرجع السابق نفسه .
- الشيخ ، خليل ، منهج ناصر الدين الأسد في التأليف ، في ، فصول أدبية وتاريخية لمجموعة من العلماء والأدباء ، مهداة إلى ناصر الدين الأسد ، تحرير : حسين عطوان ، بيروت ، لبنان ، دار الجيل ، ط ١ ، ١٩٩٣ م .
- الضبيب ، أحمد بن محمد ، قراءة في المنهج العلمي للدكتور ناصر الدين الأسد ، في ، قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد ، تحرير : عبد القادر الرباعي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ج ١ ، ١٩٩٧ م .
- عايش ، حسني ، ناصر الدين الأسد وروح العصر ، في ، ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، تحرير : غسان عبد الخالق ، مراجعة : إبراهيم العجلوني ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ، الأردن ، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .

- عبد المجيد ، حنون ، ناصر الدين الأسد والمنهج التاريخي ، في ، قطوف دانية مهداة إلى

ناصر الدين الأسد ، تحرير : عبد القادر الرباعي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،

بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ج ١ ، ١٩٩٧ م .

- عبابنة ، جعفر ، تعقيب على بحث الدكتور نهاد الموسى ، في ، ناصر الدين الأسد بين

التراث والمعاصرة ، تحرير غسان عبد الخالق ، مراجعة : إبراهيم العجلوني ، مؤسسة عبد

الحميد شومان ، عمان ، الأردن ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ،

ط ١ ، ٢٠٠٢ م .

- عثمان ، إبراهيم ، تعقيب على بحث حسني عايش ، في ، ناصر الدين الأسد بين التراث

والمعاصرة ، المرجع السابق نفسه .

- عز الدين ، إبراهيم ، المقدمة ، في ، ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ، تحرير :

غسان عبد الخالق ، مراجعة : إبراهيم العجلوني ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ،

الأردن ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .

- عطوان ، حسين ، المقدمة ، في ، فصول أدبية وتاريخية لمجموعة من العلماء والأدباء مهداة

إلى ناصر الدين الأسد ، تحرير : حسين عطوان ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ،

١٩٩٣ م .

- عودة ، خليل ، الخطاب البلاغي وتأويل النص ، في ، تحليل الخطاب العربي ، تحرير : غسان

عبد الخالق ، مراجعة : صالح أبو أصبع ، منشورات جامعة فيلادلفيا ، عمان ، الأردن ،

ط ١ ، ١٩٩٧ م .

- نجيب ، عصام ، الأسس النفسية للخطاب العربي ، في ، تحليل الخطاب العربي ، تحرير :
غسان عبد الخالق ، مراجعة : صالح أبو أصبع ، منشورات جامعة فيلادلفيا ، عمان ،
الأردن ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .

- الموسى ، نهاد ، ناصر الدين الأسد واللغة ، في ، ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة ،
تحرير : غسان عبد الخالق ، مراجعة : إبراهيم العجلوني ، مؤسسة عبد الحميد شومان ،
عمان ، الأردن ، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ،
٢٠٠٢ م .

خامسا : - الأبحاث والدراسات وأوراق العمل والتعقيبات في المؤتمرات والندوات :
- الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة : رسالة الجامعات في العصر الحديث ، أُلقيت في دار الإذاعة
الأردنية ، عمان ، الأردن ، ١٩٦٣ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، التراث والمجتمع الجديد ، بحث قدم إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس
الذي عقد في بغداد ، العراق ، ١٥ - ٢١ / ٢ / ١٩٦٥ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة : خواطر حول الثقافة والتراث والتعليم في وطننا العربي ،
ألقاها يوم ٨ / ١٢ / ١٩٧٥ م ، ضمن فعاليات الموسم الثقافي للعام ١٩٧٥ م / ١٩٧٦ م
الذي أقامته وزارة الإعلام والثقافة في دولة الإمارات العربية المتحدة .

- الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة : عناصر النهضة في الإسلام ؛ ملامح من التوجيه النفسي
والتربية ، قدمت في الندوة الإسلامية الرابعة في القيروان ، تونس ، بمناسبة المولد النبوي
الشريف ، المنعقدة خلال الفترة الواقعة فيما بين ١٤ - ١٨ / ٢ / ١٩٧٨ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، النقط والحرف العربي ، بحث : قدم إلى الندوة العلمية التي أقامتها جامعة اليرموك يارب ، الأردن ، بمناسبة مرور عام على وفاة محمود الغول ، والمنعقدة خلال الفترة الواقعة فيما بين ٨-١١ / ١٢ / ١٩٨٤ م .
- الجراري ، عباس ، خطاب الترحيب بناصر الدين الأسد العضو الجديد لأكاديمية المملكة المغربية ، ألقاه في حفل استقبال الأسد خلال الدورة الأولى لسنة ١٩٨٨ م ، التي انعقدت بمدينة طنجة ، المغرب ، خلال الفترة الواقعة فيما بين ٢٣ - ٢٥ / شعبان ١٤٠٨ هـ الموافق ١١-١٣ / ٤ / ١٩٨٨ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، جهود بعض المحدثين في العامي والفصح ، بحث : قدم إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مصر ، الدورة ٥٦ ، خلال الفترة الواقعة فيما بين ٢٦ / ٢ / ١٩٩٠ م - ١٢ / ٣ / ١٩٩٠ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة : الأمم المتحدة وقضية الشرق الأوسط ، عدم تكافؤ الموازين والمقاييس والمسألة الفلسطينية ، قدمت في الدورة الأولى لسنة ١٩٩١ م لأكاديمية المملكة المغربية التي عقدت بالدار البيضاء بالمغرب خلال الفترة الواقعة فيما بين ٢٢ - ٢٤ / ٤ / ١٩٩١ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة : هل يعطي حق التدخل شرعية جديدة للاستعمار ، قدمت في الدورة الثانية لأكاديمية المملكة المغربية لعام ١٩٩١ م ، التي عقدت بالرباط بالمغرب ، خلال الفترة الواقعة فيما بين ١٤ - ١٦ / ١٠ / ١٩٩١ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، الإسلام وتحديات العصر ، محاضرة قدمت في ندوة (أوروبا والديانات والسلام) التي عقدت في بلجيكا خلال الفترة الواقعة فيما بين ١٣ - ١٥ / ٩ / ١٩٩٢ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، بحث : الإسلام والثقافة العربية في عالم جديد ، قدم بدعوة من هيئة جائزة الملك فيصل العالمية في ندوة (الإسلام والثقافة العربية في عالم جديد) المنعقدة في القاهرة ، مصر ، خلال الفترة الواقعة فيما بين ٢١ - ٢٢ / ١ / ١٩٩٥ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، مسائل في العربية وتعلمها ، بحث : قدم في الدورة الحادية والستين للعام الجامعي ١٩٩٤ م / ١٩٩٥ م ، لجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مصر ، التي عقدت خلال الفترة الواقعة فيما بين ٢٧ / ٣ - ١٠ / ٤ / ١٩٩٥ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة : مستقبل العلاقات الثقافية بين دول الاتحاد الأوروبي ودول الحوض المتوسطي العربية ، ألقاها في الدورة الأولى لأكاديمية المملكة المغربية لسنة ١٩٩٥ م ، المنعقدة في لشبونة ، البرتغال ، خلال الفترة الواقعة فيما بين ٣ - ٧ / ٥ / ١٩٩٥ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة : الشراكة الثقافية والاجتماعية والإنسانية الأوروبية المتوسطية ، ألقاها في ندوة (ما بعد برشلونة) التي عقدت في مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة ، مصر ، خلال الفترة الواقعة فيما بين ١ - ٢ / ٩ / ١٩٩٦ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، الهوية والعولمة ، بحث قدم في الدورة الثانية لأكاديمية المملكة المغربية المنعقدة بالرباط ، المغرب ، خلال الفترة الواقعة فيما بين ٥ - ٧ / ٥ / ١٩٩٧ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، محاضرة : اللغة وهوية الأمة ، ألقاها في منتدى شومان

التابع لمؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ، الأردن ، بتاريخ ٢٨ رجب ١٤٢٥ هـ الموافق

١٣ / ٩ / ٢٠٠٤ م .

- خليل ، إبراهيم ، ناصر الدين الأسد والتحقيق اللغوي ، بحث قدمه في الندوة التكرمية التي

أقامتها رابطة الكتاب الأردنيين تكريماً لناصر الدين الأسد ، عمان ، الأردن ، صيف

عام ٢٠٠٤ م .

- الرباعي ، عبد القادر ، بحث : ناصر الدين الأسد في عين البصرة من العلماء ، قدمه في

الندوة التكرمية التي أقامتها رابطة الكتاب الأردنيين تكريماً لناصر الدين الأسد ، عمان ،

الأردن ، صيف عام ٢٠٠٤ م .

- عبد الرحمن ، عفيف ، ناصر الدين الأسد : الإنسان ، العالم ، المنهج ، بحث قدمه في الندوة

التكرمية التي أقامتها رابطة الكتاب الأردنيين تكريماً لناصر الدين الأسد ، عمان ، الأردن ،

صيف عام ٢٠٠٤ م .

سادساً :- اللقاءات والمقابلات التي أجرتها وسائل الإعلام مع ناصر الدين الأسد :

- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (الرأي العام) الكويتية ، العدد ٦٨١٣ ،

الصادر يوم الخميس تاريخ ٤ / ١١ / ١٩٨٢ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (الشرق الأوسط) ، مكتب الخليج ،

ع ١٩٨٨ . الصادر يوم الجمعة ١٧ شعبان ١٤٠٤ هـ الموافق ١٨ / ٥ / ١٩٨٤ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (اللواء) ، الصادرة في عمان يوم
الأربعاء ، تاريخ ٣٠ / ٣ / ١٩٨٥ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (العالم) ، العدد ٢٩٨ ، السبت ٢٧ ربيع
الأول ١٤١٠ هـ الموافق ٢٨ / ١٠ / ١٩٨٩ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (الحياة) ، ع ١٢٠٣٧ ، الصادر
يوم الأربعاء ، ٧ / ٢ / ١٩٩٦ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (الرأي) الأردنية ، الصادرة
بتاريخ ١٣ / ٣ / ١٩٩٧ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (الرأي) الأردنية ، الصادرة
بتاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٩٧ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (الدستور) الأردنية الصادرة
بتاريخ ٢٠ / ٦ / ١٩٩٧ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (الرأي) الأردنية ، ع ٩٨٤٣ ، الصادر
بتاريخ ١٩ / ٨ / ١٩٩٧ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (الرأي) الأردنية ،
تاريخ ٣ / ١٠ / ١٩٩٨ م .
- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (الرأي) الأردنية ، ع ١١٠٩٥ ،
الصادر بتاريخ ٢٤ / ١ / ٢٠٠١ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (الرأي) الأردنية ، ع ١١٢٦٥ ،
الصادر بتاريخ ١٣ / ٧ / ٢٠٠١ م .

- الأسد ، ناصر الدين ، مقابلة أجرتها معه جريدة (الرأي) الأردنية ، ع ١١٤٦٧ ، الصادر
بتاريخ ١ / ٢ / ٢٠٠٢ م .

- الخبر الصحفي الذي نشرته جريدة (الرأي) الأردنية ، عن ناصر الدين الأسد ،
ع ١٢٤٣٥ ، الصادر بتاريخ ٧ / ١٠ / ٢٠٠٤ .